

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذمهم

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يحيى بن هاشم الغساني عن إسماعيل بن أبي خالد
عن مُصعب بن سعد قال ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الناس بأزمانهم
أشبه منهم بأبائهم . قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال ، حدثنا عبد الله بن
المبارك عن سفيان قال قال أبو الدرداء : «وجدتُ الناس أخبرَ قَلْبَهُ» .

قال حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن المعافى بن عمر أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في رية فقال : لا مرحباً
بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر .

قال وحدثني محمد بن داود قال ، حدثنا الصلت بن مسعود قال حدثنا عثمان
ابن علي عن الأعمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السوائي قال : لفظ قوم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله لو نهيتم ! فقال : «لو نهيتم
أن يأتوا المجنون لأتاه بعضهم ولو لم تكن له حاجة» .

١٥ (١) القل البغض وهو من باب نصر وروى ورضى والهاء فيه للسكت إذا صله أخبر الناس تقلهم لحذف
الضمير وحل محله الهاء وقد روى برفع الناس على الحكاية كقوله : سمعت الناس يتبعون غيثاً * البيت ومعناه
وجدت : الناس مقول فيهم ذلك . وروى أيضاً بنصبه ، وتقديره وجدت : الناس أخبر قلله أي وجدت
الأمر كذلك ، وعلى كل حال فلفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، يريد أنك إذا خبرتهم قلبهم ، وهو مثل
يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

قال وحَدَّثَنَا عَنْ عَفَّانَ عَنْ مَهْدِيَّ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ غِيلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ قَالَ مَطْرَفُ:
 هُمُ النَّاسُ وَهُمْ النَّسَّاسُ وَنَاسٌ غُمِسُوا فِي مَاءِ النَّاسِ .
 قال يونس بن عبيد : لو أَمَرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا .

وكان يقال : لو نُهِيَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفَتَّوهُ ، وقالوا : ما نُهِينَا عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ
 شَيْءٌ . وقال الشاعر

ولما أن أتيتُ بنى جَوَيْنَ . جلوسًا ليس بينهمُ جَلِيسُ
 يَتَسْتُ مِنْ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْيَى * لديهم ، إِنِّي رَجُلٌ يَشُوسُ
 إِذَا مَا قُلْتُ أَيُّهُمْ لِي * تَسَابَهَتِ الْمَنَاقِبُ وَالرَّءُوسُ
 ويقال : «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا فَإِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا»^(١) .

وقال آخر

النَّاسُ أَسْوَأُ وَشَيْءٌ فِي الشِّمِّ * وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمُ بَيْتُ آلَادَمَ^(٢)

وقال آخر — يذكر قوماً —

سَوَاءٌ كَأْسَانِ الْجَارِ وَلَا تَرَى * لِذِي شَبِيهِ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا^(٣)

وقال آخر «سَوَاسِيَةُ كَأْسَانِ الْجَارِ»^(٤)

وكان يقال «المرءُ تَوَاقُّ إِلَى مَا لَمْ يَنْلُ»^(٥)

والعجم تقول : كُلُّ عَرَضٍ دَخَلَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ ذَلِيلٌ .

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال بلفظ «لن يزال الناس» الخ وساقه ابن الأثير في النهاية والمرتضى في تاج العروس على أنه حديث وأورده بلفظ «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا» الخ .

(٢) رواه في اللسان : الناس أخفاف الخ ، والأخفاف الضروب المختلفة في الأخلاق والأشكال .

(٣) كذا بالأصل . وفي اللسان «سواس» والبيت منسوب فيه لكثير .

(٤) كذا بالأصول . وفي اللسان «فأ» . وفي مجمع الأمثال «فلا» ، ولا يخفى أنَّ الفاء هنا أحسن

موقعاً من الوار وأنسب للسياق . (٥) كلاهما مثل كما في مجمع الأمثال ولسان العرب .

وقالوا : كلُّ مقدورٍ عليه مملولٌ محذورٌ :

وقال الشاعر

وزاده كلَّفًا بالحُبِّ أن مَنَعْتُ * أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا^(١)

وقال آخر

تَرَى النَّاسَ أَسْوَأَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا * وَفِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدِّرَاهِمِ
ويقالُ : النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهُا بَعْضًا .

وقال طرفة

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَاتُهُ * لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاصِحَةً
كُلُّهُمْ أَرْوَعٌ مِنْ ثَعْلَبٍ * مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

وقال آخر

١٠

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلٍ * أَطْبَىٰ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حِمَارُ
فَقَدْ لَحِقَ الْأَسَافِلُ بِالْأَعَالِي * وَمَا جَ اللَّوْمُ وَأَخْطَطَ النَّجَارُ
وَعَادَ الْعَبْدُ مِثْلَ أَبِي قُبَيْسٍ * وَسِيقَ مَعَ الْمُطْلَهَجَةِ الْعِشَارُ^(٢)
يقول : سِيقَتِ الْإِبِلُ الْحَوَامِلُ فِي مَهْرِ اللَّثِيمَةِ .

١٥

(١) كذا بالأصول . وفي لسان العرب في مادة «حب»

* وَحَبَّ شَيْئًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا *

وأصله حَبَبَ بضم الباء ثم أسكنت وأدغمت في الثانية ، وما في قوله ما مَنَعَا في موضع الرفع بفتح .

(٢) وفي رواية حكها صاحب خزائن الأدب في ج ٣ ص ٢٣١ «الفند» بكسر الفاء وسكون النون

بدل العبد ، وفسره بأنه قطعة من الجبل طولاً ، وقيل الجبل العظيم . وأبو قبيس جبل بمكة والمراد به الرجل

الشريف كما يراد بالفند الرجل الوضع .

٢٠

(٣) المطلهجة : المرأة اللثيمة الأصل الفاسدة النسب . ورواه سيبويه في كتابه عن خدّاش بن زهير

ج ١ ص ٢٢ * وصار مع المطلهجة العشار :

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن مجادة عن أبيه، قال: كنت عند الحسن فقال: أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، صبيان حيارى ما لهم تفادوا [عقولهم] وقرأش نار وذيابان طمع.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قسمت في الناس مائة ألف درهم كان أكثر للآثمي من لو أخذتها منهم.

ونحوه قول محمد بن الجهم: منع الجميع أرضي للجميع.

وقال ابن بشير

سوءة للناس كلهم * أنا في هذا من أولهم
لست تدري حين تنسبهم * أين أدناهم من أفضلهم

وقال نهار بن تويعة

عتبت على سلم فلما فقدته * وجربت أقواما بكيت على سلم
وهذا مثل قولهم: ما بكيت من زمان إلا بكيت عليه.

وقال الأحنف بن قيس

وما مر يوم أرتجي فيه راحة * فأخبره إلا بكيت على أميس

وقال آخر

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقي من الناس أعتبا

وقال آخر

سبكاه ونحسبه لجينا * فأبدى الكير عن خبيث الحديد

قال، وحدثني أبو حاتم، قال حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:

لا يزال في الناس بقية ما تعجب من العجب.

(١) الزيادة عن العقد الجديد ج ١ ص ٣٧٧ (٢) في النسخة المتوفرة «أن» بدل من.

رجوع المتخلق الى طبعه

بلغنى أن أعرايبا ربى جرو ذئب حتى شب وظن أنه يكون أغنى عنه من الكلب وأقوى على الذب عن الماشية فلما قوى وثب على شاة فقتلها وأكل منها فقال الأعرايب

أَكَلْتَ شُؤْيِي وَرَيْتَ فِينَا * فَمَا أَدْرَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ

وَيُرَوَّى

* وَلِدْتَ بِقَفْرَةٍ وَنَشَأْتَ عِنْدِي *

إذا كان الطباع طباع سوء * فليس ينفع أدب الأديب^(١)

وقال الحرثي

يَلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي جُودِهِ * وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ إِلَّا يَفِيضَا

١٠

وقال أبو الأسد

وَلَا نَمِي لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى * فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
أَرَادَتْ لِتَنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى * وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْثِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدٍ * مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُسْرِنِ فِي الْبَسَلَةِ الْقَفْرِ

وقال كثير

١٥

وَمَنْ يَتَدَعُ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسِ نَفْسِهِ^(٢) * يَدَعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمُهَا

وقال زهير

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ * وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

(١) كذا في الأصول، وعليه يكون في البيت إقواء، وروى في حياة الحيوان ج ١ ص ٣١٢

٢٠

* فليس ينفع فيها الأديب * وهذا يكون البيت سالما من هذا العيب .

(٢) الذي في اللسان : « مِنْ نَجِيم » والخم الطيبة والأصل كالسوس .

وأنشدني ابن الأعرابي لدى الإصبع العدواني
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته * وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
وقال آخر

إرجع إلى خُلقك المعروف ديدنه * إن التخلق يابى دونه الخلق
وقال كثير في خلاف هذا

وفي الحلم والإسلام للبرء وأزع * وفي ترك أهواء الفؤاد المتيم
بصائرُ رشيد للفتى مستبينه * وأخلاقُ صديق علمها بالتعلم

ونحوه للتلخيص

تجاوز عن الأدنين وأسبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً

وقال الطائي

ليس الشجاعة إنها كانت له * قدماً نشوعاً في الصبا ولدوداً
بأساً قبيلياً وبأس تكريم * فينا وبأس قريحة مولوداً

وقال أبو جعفر الشطرنجي مولى المهدي في سوداء

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في آوئه قاعده
لا شك إذ لونك واحد * أنكما من طينة واحدة

وقال أبو نواس

تلقى الندى في غيره عرضاً * وتراه فيه طبيعة أصلاً
وإذا قرئت يعاقل أملاً * كانت نتيجة قوله فعلاً

وأنشدنا الرياشي

لا تصحبن امرأة على حسب * إن رأيت الأحساب قد دخلت

(١) الذي في اللسان في مادة «حلم» وكتاب سيبويه ج ٢ ص ٢٤٠ «تحل» .

(٢) الذي في الديوان «جبر» بدل «فينا» .

مَا لَكَ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ * أَبَا كَرِيمٍ فِي أُمِّهِ سَلَقَتْ
بَلْ أَصْحَبْنَاهُ عَلَى طَبَائِعِهِ * فَكُلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس

إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ كَأَبْنِ الشَّرِيدِ * وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ
حَمَلْتَ الْمَيْمَنَ وَأَثْقَلَهَا * عَلَى أُذُنِي فُنْفِذَ رَازِمٍ
وَأَشْبَهْتَ جَدَّكَ شَرًّا لِحْدُو * دِ وَالْعِرْقُ يَسِيرُ إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبديين

وَمَا يَسْتَوِي الْمَرْءُ إِنْ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ * وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرُهَا مُتَشَوِّكُ
وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ نَحْدَلْنَاهُ * أَلَا إِنْ عِرْقُ السُّوءِ لَا بَدَّ يُدْرِكُ

باب الشيء يفرط فينتقل إلى غير طبعه

قرأت في كتاب للهند : لا ينبغي اللجاج في إسقاط ذي الحمّة والرأى وإذالته فإنه
إما شرس الطبع كالحية إن وطئت فلم تلتع لم يغتر بها فيعاد لوطئها ، وإما سجع
الطبع كالصندل البارد إن أفرط في حكه عاد حاراً مؤذياً . وقال أبو نواس
قُلْ لَزْهِيرٍ إِذَا حَادَا وَشَدَا * أَقْلِيلٌ وَأَكْثَرُ فَاثَتْ مِهْدَارُ
سَخُنَتْ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرَتْ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ
لَا يَتَجَبَّ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي * كَذَلِكَ الشَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ

ويقال : إنما ملح القرد عند الناس لإفراط قبحه . قال الطائي

أَخْرَجْتُمُوهُ بِكْرِهِ مِنْ سَجِيَّتِهِ * وَالنَّارُ قَدْ تَنْضِي^(١) مِنْ نَاضِرِ السَّلَمِ

(١) في الأصل « تنضى » والتصويب عن الديوان .

أَمِنْ عَمَى نَزَلَ النَّاسُ الرَّبِّيَ فَتَجَوْا * وَأَتَمُّ نَضْبٍ سَيْلِ الْفِتْنَةِ الْعَرِيمِ
أَمْ ذَاكَ مِنْ هِمِّمْ جَاشَتْ فَكَمْ ضَعْفَةٍ * حَذَا إِلَيْهِ غُلُوُّ الْقُومِ فِي الْهَمِّمْ
وَكَانَ يُقَالُ : مِنْ التَّوَقَّى تَرَكُ الْإِفْرَاطَ فِي التَّوَقَّى

باب الحسد

٥ قال حدثنا اسحاق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية
قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدٌ الطَّيْرَةُ وَالظَّنُّ
وَالْحَسَدُ" قيل : فما المخرجُ . من يارسل الله ؟ قال : "إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ وَإِذَا ظَنَنْتَ
فَلَا تُحَقِّقْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْتَغِ" . وقال بكر بن عبد الله : حَصَّتْكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ
الْمُكَاشَرَةِ ، وَذَنْبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَقَالَ رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعٍ الْجُدَامِيُّ :
كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاحِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا
١٠ أَذْهَبْتُ عَنْيَ الْحَسَدَ دَخَلْتُ حَيْثُ دَخَلُوا . وَقَالَ ابْنُ حُمَامٍ
تَمَّتْ لِي الْمَوْتَ الْمَعْجَلُ خَالِدٌ * وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ

وقال الطائي

وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويّت أُنَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ
١٥ لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرَفِ الْعُودِ
لولا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ * لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

وقال عبد الملك للحجاج : إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه فَعِيبُ نَفْسِكَ
قال : أَعْنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : لَتَفْعَلَنَّ . قال : أَنَا لَجُوجٌ حَقُودٌ حَسُودٌ ، قال عبد الملك :
ما في الشيطان شرٌّ مما ذكرت . قال بعض الحكماء : الْحَسَدُ مِنْ تَعَادِي الطَّبَائِعِ وَاخْتِلَافِ
٢٠ التَّرَكِيبِ وَفَسَادِ مِزَاجِ الْبَنِيَّةِ وَضَعْفِ عَقْدِ الْعَقْلِ وَالْحَاسِدُ طَوِيلُ الْحَسَرَاتِ .

قال ابن المقفع : أقل ما لتارك الحسد في تركه أن يصيرف عن نفسه عذابا ليس
يُذكر به حظا ولا غائظ به عدوا ، فإنما لم ترظالما أشبه بمظلوم من الحاسد ، طول
أسف ومخالفة كآبة وشدة تحرق ، ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالا
ويكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يرضاه
ومتسخطا لما لن ينال فوقه ، فهو منغص المعيشة دائم السخطة محروم الطلبة ، لا بما قسم
له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرة للسرور
مستفعا به ممهلا فيه الى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقايس .

قيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن أخاه ؟ قال : لا أبالك ، أنسيت إخوة
يوسف . وكان يقال : إذا أردت أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمورك . ويقال :
إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدوا لا يرجحه سبط عليه حاسدا . وقال العتيبي
— وذكر ولده الذين ماتوا —

وحتى بكى لي حسادهم * وقد أقرحوا بالدموع العيون
وحسبك من حادث بامرئ * يرى حاسديه له راحيتا

قيل لسفيان بن معاوية : ما أسرع حسد الناس الى قومك ! فقال
إن العرايين تلقاها محسدة * ولا ترى لئام الناس حسادا

وقال آخر

وترى اللبيب محسدا لم يجترم * شتم الرجال وعرضه مشوم
حسدوا الفتي إذ لم ينالوا سمية * فالتقوا أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قل لوجهها * حسدا وظلما إنه لذميم

(١) في النسخة الألمانية «أترعوا» . (٢) هكذا في النسخين بالذال المعجمة وهي رواية
ثعلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه . والأصح رواية «إنه لذميم» بالذال المهملة .

وقال يحيى بن خالد : الحاسد عدو مهين لا يدرك وثره إلا بالتقى ، قيل لبعضهم :
أى الأعداء لأتعب أن يعود لك صديقا ؟ قال : من سبب عداوته النعمة . وقال
الأحنف : لا صديق لملول ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل
ولا سؤدد لسيئ الخلق . وقال معاوية : كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسدا نعمة
فانه لا يرضيه إلا زوالها . وقال الشاعر

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا * إِلَّا عِدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ

وفي بعض الكتب يقول الله : الحاسدُ عدوٌ لينمى مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غَيْرُ رَاضٍ
يَقْسِمُ بَيْنَ عِبَادِي . وكان يقال : قد طلبك من لا يقصردون الظفر وحسدك من
لا ينأى دون الشفاء . وخطب الحجاج يوما برستقباد بقول سويد بن أبي كاهل

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَ مَا * جَلَّلَ الرَّأْسَ بِيَاضٍ وَصَلَعَ

رَبِّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا صَدْرَهُ * قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ

وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ * عَسِرًا مَخْرُجُهُ مَا يُنْتَرَعُ

مُرِيدًا يَحِطُّرُ مَا لَمْ يَرِنِي * فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَعَ

لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي * فَهُوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعُ^(١)

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ * وَإِذَا يَنْحَلُولُهُ لَحْمِي رَتَعَ

قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ * وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْئًا لَا يُضَعُ^(٢)

وقال آخر

إِنْ تَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُكُمْ * قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا

(١) الضوع : طائر ليل .

(٢) كذا بالأصول . وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة * متى ما يكف شيئا لم يضع *

فَدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَمَا بِكُمْ * وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوقِكُمْ * لَا أُرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرِدُ

وقال بعضهم : الحسدُ أوَّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في السماء ، يعني حسدَ إبليسَ آدمَ ، وأوَّلُ
ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به في الأرض ، يعني حسدَ ابنِ آدمَ أخاه حتى قتله . وأنشدني شيخٌ لنا عن
أبي زيد الأعرابيِّ

لَا تَقْبَلُ الرِّشْدَ وَلَا تَرْعَوِي * ثَانِيَ رَأْسٍ كَأَبْنِ عَوَاءٍ
حَسَدَتْنِي حِينَ أَفْدَتُ الْغِنَى * مَا كُنْتُ إِلَّا كَأَبْنِ حَوَاءٍ
عَادَى أَخَاهُ مُحَرِّمًا مُسْلِمًا ، بَطْنِي فِي الصُّلْبِ نَجْلَاءٍ
وَأَنْتَ تَقْلِبْنِي وَلَا ذَنْبَ لِي * لَكِنِّي حَمَلُ أَعْبَاءٍ
مَنْ يَأْخُذِ النَّارَ بِأَطْرَافِهِ * يَنْضَحُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مرَّ قيسُ بنُ زهيرٍ ببلاد غطفان فرأى ثروةً وجماعاتٍ وعدداً ففكره ذلك ، فقال
له الربيع بن زياد : إنه يسوءُك ما يسرُّ الناسَ ! فقال له : يا أحنى إنك لا تدري ، إن
مع الثروة والنعمة الحاسدَ والتخاذلَ ، وإن مع القلة الحاشدَ والتناصرَ .

قال الأصمعيُّ : رأيت أعرابياً قد أتت له مائةٌ وعشرون سنةً ، فقلت له :

ما أطولُ عمركَ ! فقال : تركت الحسدَ فبقيتُ . وقال زيد بن الحكم الثقفى

تَمَلَّاتُ مِنْ غِيظٍ عَلَى فَلَمْ يَزَلْ * بَكَ الْغِيظُ حَتَّى كَدَتْ بِالْغِيظِ تَنْشَوِي
وَمَا يَرَحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيَّتَهَا * تُذِيْبُكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
وقال النطاسيون إنك مُشَعَّرٌ * سَلَالًا أَلَا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي^(٢)

(١) في النسخة الألمانية : ما طَوَّلَ .

(٢) في الأصل «ذرى» والتصويب عن خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٤٩٧ و «جوى» من
الجوى وهو السلَّ وداء في الصدر .

بدا منك غش طالك قد كتمته * كما كتمت داء ابنها أم مدوى
 جمعت ونحشا غيبة ونميمة * خلا لا ثلاثا لست عنها بموعوى
 وكان يقال : ستة لا يخلون من الكآبة : رجل أفقر بعد غنى . وغنى يخاف على
 ماله التوى ، وحقوق ، وحسود . وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء
 بغير أدب .

باب الغيبة والعيوب

قال حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا عبد الأعلى عن داود بن عطاء عن ابن خثيم^(٢)
 عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 «ألا أخبركم بشراكم» قالوا : بلى . قال : «من شراركم المشأون بالثيمة المفسدون بين
 الأحبة الباغون البراء العنت» .

قال وحدثني حسين بن الحسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
 الأجلح عن الشعبي قال : سمعت النعمان بن بسير يقول على المنبر : يا أيها الناس خذوا
 على أيدي سفهائكم ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن قوما ركبوا
 البحر في سفينة ، واقتسموها فأصاب كل واحد منهم مكان ، فأخذ رجل منهم الفأس
 فنقر مكانه ، فقالوا : ما تصنع ؟ فقال : مكاني أصنع به ما شئت ، فإن أخذوا على
 يديه نجأ ونجوا ، وإن تركوه غرقوا وغرق» .

بلغني عن حماد بن زيد عن ابن عون قال ، قال أبو الدرداء : ليس من يوم أصبح
 فيه لا يرميني الناس بداهية إلا كان نعمة من الله علي . وقال حسان : قلت شعرا
 لم أقل مثله

وإن امرأ أمسى وأصبح سالما * من الناس إلا ما جنى لسعيد

(١) في النسخة الفتوغرافية «ومخالطة» .

(٢) في الأصل : «الطاء» بالتحريك والتصويب عن تهذيب التهذيب .

وبلغني عن ابن عيينة قال، قال مسعر : ما نصحت أحدا قط إلا وجدته يُفتش عن عيوبه . وقال بعضهم : مَنْ عَابَ سَفِيلَةً فَقَدْ رَفَعَهُ ، وَمَنْ عَابَ شَرِيفًا فَقَدْ وَضَعَ نَفْسَهُ . وقال، عمر بن الخطاب : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَى عِيُوبِي

أحمد بن يونس عن الفضيل أنه سمعه يقول : إِنْ الْفَاحِشَةُ لَتَشِيعُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّى إِذَا صَارَتْ إِلَى الصَّالِحِينَ صَارُوا لَهَا خُرَانًا ، قَالَ وَصَمِعْتُهُ يَقُولُ أَيْضًا : حَسَنَاتُكَ مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ ، لِأَنَّ عَدْوَكَ إِذَا ذُكِرْتَ عِنْدَهُ يَغْتَابُكَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمِسْكِينَ حَسَنَاتِهِ

محمد بن عبد الله الأنصاري قال حدثنا ابن عون قال : مرَّ ابنُ سيرينَ بقومٍ فقام إليه رجل فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّا قَدْ نَلْنَا مِنْكَ خُلَانًا ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أُحِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيَّ فَهُوَ لَكَ .

محمد بن مسلم الطائفي قال : جاء رجل إلى ابن سيرين فقال : بلغني أنك نلت مني ، فقال : نفسي أعزُّ عليَّ من ذلك .

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال : أَخُّ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ أَخْبَرَكَ بِعَيْبٍ فِيكَ خَيْرُكَ مِنْ أَخٍ لَكَ كُلُّمَا لَقَيْكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَارًا .

شريك عن عجيل قال، قال الحسن : لَا غِيْبَةَ إِلَّا لثَلَاثَةٍ ، فَاسْقِ مَجَاهِرٍ بِالْفِسْقِ ، وَذِي بَدْعَةٍ ، وَإِمَامٍ جَائِرٍ . وَكَانَ يُقَالُ : [مَنْ أَغْتَابَ ^(٢) نَحْرًا وَمِنْ آسْتَغْفَرَ اللَّهُ رَفَأً .

(١) كذا في الأصل ، وفي اللسان قلا عن الجوهرى : يقال : هو من السفلة ولا يقال : هو سفلة لأنه جمع والعامة تقول : رَجُلٌ سَفِيلَةٌ مِنْ قَوْمٍ سَفِيلٍ . قال ابن الأثير : وليس بعربي . ثم أورد صاحب اللسان حكاية وقال : ظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِيلَةٌ .

(٢) في الأصول «سالم» والتصويب عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ وفي يده أن الموحود في كتب التراجم «محمد بن مسلم الطائفي» ولم يوجد وإنما يسمى «محمد بن سالم» منسوبه إلى الطائيف .

(٣) الزيادة عن لسان العرب في مادة «رفأ» .

وفي بعض الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا عَابَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ" . كان يقال : إِيَّاكَ وَمَا يُصِمُّ الْأُذُنَ . العتيبي قال : قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : كنت أسأيرُ أبي ورجلٌ يقع في رجل ، فالتفت إلى أبي فقال : يَا بُنَيَّ نَزَّ سَمْعَكَ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَلْقِ كَمَا نَزَّ لِسَانُكَ عَنْ الْكَلَامِ بِهِ ، فإن المستمعَ شريكُ القائل ، ولقد نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك ، ولو رُدَّتْ كلمةٌ جاهل في فيه لَسَعِدَ رَأْدُهَا كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا .

فُضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَجَاءٍ عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ زَهْدَهُ فِي الدُّنْيَا وَفَقْهَهُ فِي الدِّينِ وَبَصَرَهُ عِيُوبَهُ . قال فضيل : وربما قال الرجل : لا إله إلا الله ، أو سبحان الله فأخشى عليه النار ، قيل : وكيف ذاك ؟ ، قال : يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيُعْجِبُهُ ذَلِكَ فيقول : لا إله إلا الله ، وليس هذا موضعه ، إنما موضعُ هذا أن ينصحَ له في نفسه ويقول له : اتَّقِ اللَّهَ .

في الحديث المرفوع أن امرأتين صامتا على عهد النبي عليه السلام وجعلتا تَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ : "صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ لَهَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا" . وقال حمادُ بْنُ سَامَةَ : ما كنتَ تقولُ للرجل وهو حاضرٌ فقلتُه مِنْ خَلْفِهِ فَلَيْسَ بِغِيْبَةٍ .

عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ آسَدَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تُكْثِرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لَأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعُيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . قال بعض الشعراء

وَأَجْرًا مَنْ رَأَيْتُ يَظْهَرُ غَيْبٌ ۖ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ ذَوُ الْعُيُوبِ

وأنشد ابن الأعرابي

اسْكُتْ وَلَا تَتَنَطَّقْ فَأَنْتَ خَيَّابٌ ^(١) * كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيَّابٌ

وأنشدني أيضا

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ أَبْلَجٍ * وَأَبْنٍ أَبٍ مُتَّهِمٍ الْغَيْبِ
وَكُلُّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ * مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبيد الرحمن يغتابُ الناسَ ولا يصبرُ، ثم ترك ذلك، فقيل له :
أتركتها؟ قال : نعم، على أنني والله أحبُّ أن أسمعها .

أتى رجلٌ عمرو بن مَرْثَدٍ فسأله أن يكلمَ له أمير المؤمنين، فوعده أن يفعل، فلما
قام قال بعضُ مَنْ حضر : إنه ليس مُستَحِقًّا لما وعدته، فقال عمرو : إن كنتَ
صَدَقْتَ في وصفك إياه فقد كذبتَ في آدعائك مودَّتًا، لأنه إن كان مُستَحِقًّا كانت
اليَدُ موضعها، وإن لم يكن مُستَحِقًّا فما زدتَ على أن أعلمتنا أن لنا بمغيبنا عنك مثل
الذي حضرت به مَنْ غاب مِنْ إخواننا .

وفي الحديث : "إِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانِ" . قيل : كيف ذلك؟ قال :
"لأنَّ الرجلَ يزني فيتوبُ، فيتوبُ الله عليه، وصاحبُ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ
صَاحِبُهَا" ^(٢) .

قال رجلٌ للحسن : يا أبا سعيد إني اغتبتُ رجلاً وأريدُ أن أَسْتَحِلَّهُ، فقال له :
لم يَكْفِكَ أَنْ اغْتَبْتَهُ حَتَّى أَرَدْتَ أَنْ تَهْتَهُ . اغتابَ رجلٌ رجلاً عند قتيبة بن مسلم
فقال له قتيبة : أَمْسِكْ أَيُّهَا الرَّجُلُ، فوالله لقد تَلَمَّظْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَا لَفَظَهَا الْكَرَامُ .

(١) في النسخ اتى بأيدينا « حباب » بالخاء المهملة والباء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
فانه ذكر هذا البيت في « ادنى » « خاب » و « ساب » وقال في تفسير « حَيَّاب » — بعد أن ذكر أن
الخياب القُدْحُ الذي لا يورى — : يجوز أن يكون فعلاً من الخيبة ويجوز أن يُعْنَى به أنه مثل هذا القُدْحِ
الذي لا يورى . (٢) في الإحياء ج ٣ ص ٩٩ « صاحبه » .

مرَّ رجلٌ يجاريْنِ له ومعه ربيبةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أفهمتَ مامعه من الربيبة؟
فقال الآخر: غلامي حُرُّ لوجه الله شكرًا له إذ لم يعرفني من الشرِّ ما عرفتُ .

(١) شعبة عن يحيى بن الحصين عن طارق قال: دار بين سعيد بن أبي وقاص وبين
خالد بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ ليقع في خالده عند سعيد. فقال سعيد: مه إن
ما بيننا لم يبلغ ديننا، أي عداوةٌ وشرٌّ. وقال الشاعر

ولستُ بذي نربٍ في الكرام * ومناعَ خيرٍ وسبأها
ولا من إذا كان في جانب * أضاع العشيَّرةَ وأغتابها
ولكن أطاوعُ ساداتها * ولا أتعلمُ ألقابها

وقال آخرُ

لا يأملُ الجارُ خيرًا من جوارهم * ولا محالةً من هزءٍ وألقاب

وقال الفرزدقُ

تصرَّمَ مِنِّي وُدُّ بكرٍ بنِ وائلٍ * وما خلتُ عني ودهمٌ يتصرَّمُ
قوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا * وقد يملأُ القطرُ الإثناءَ فيففعُمُ

أنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضبَّيين

ألا ربَّ من يغتابني ودَّ أنِّي * أبوه الذي يدعى إليه ويُنسبُ
على رِشْدَةٍ من أمه أولِغيةٍ * فيغلبها غلٌّ على النسلِ مُنجِبُ
فبِالْخَيْرِ لا بِالشَّرِّ فَاطْلُبُ مودَّتِي * وأىَّ أمرٍ يغتالُ منه التَّرهيبُ

(١) في الأصول «حصين» بدون ال، والتصويب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في الأصول . وفي اللسان «في الصديق» . ثم قال ابن بري: وصواب انشاده

ولست بذي نرب في الكلام * ومناع قومي وسبأها

وانظر اللسان في مادة «نرب» .

وقال آخر في نحوه :

(١) ولما عصيت العاذلين ولم أبل * ملأتم القوا على غاربي حبل
وهازئة منى تود لو أبها * على شيتي أو أن قيمها مثلي

فيل لبرجهر : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ قال : لا ، إن الذي لا عيب فيه
لا ينبغي أن يموت . وقال في مثل هذا موسى شهوات :

ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فاني
أنت خير المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

وقال أبو الاسود الدؤلي :

وترى الشقي إذا تكامل عيه * يرمى ويقرف بالذي لم يفعل

- ١٠ لقي بكر بن عبد الله أخاه فقال : إذا أردت أن تلقى من النعمة عليك أعظم منها
عليه وهو أشكر للنعمة لقيته ، وإذا شئت أن تلقى من أنت أعظم منه جرماً وهو أخوف
لله منك لقيته . أرايت لو صعبك رجلان : أحدهما مهتوك لك ستره ولا يذنب ذنباً
إلا رأيت ولا يقول هجرًا إلا سمعته فانت تحبه على ذلك وتوافقته وتكره أن تفارقه ،
والآخر مستور عنك أمره غير أنك تظن به السوء فانت تبغضه ، أعدلت بينهما ؟ قال :
- ١٥ لا ؛ قال : فهل مثلي ومثلك ومثل من أنت راء من الناس إلا كذلك ؟ إنا نعرف الحق
في الغيب من أنفسنا فنحبها على ذلك ، ونتظن الظنون على غيرنا فنبغضهم على ذلك .
ثم قال : أنزل الناس منك ثلاث منازل ، فاجعل من هو أكبر منك مناً بمنزلة أبيك ،
ومن هو تربك بمنزلة أخيك ، ومن هو دونك بمنزلة ولدك ، ثم أنظر أي هؤلاء تحب
أن تهتك له سترًا أو تبدي له عورة !

(١) كذا بالنسخة الألمانية وفي النسخة الفتوغرافية « رحل » . (٢) يقرف ، أى يعاب ويبتهم .

سعيد بن واقد المزني قال حدثنا صالح بن الصقر عن عبد الله بن زهير قال :
وقد العلاء بن الحضرمي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "أتقرأ من القرآن شيئا؟"
فقرأ "عبس" وزاد فيها من عنده : وهو الذي أخرج من الحبل ، نسمة تسعى ، من
بين شراسيف وحشي ، فصاح به النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : "كف فإن
السورة كافية" . ثم قال : "هل ترى من الشعر شيئا؟" فأنشده :

حَيَّ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبِهِمْ * تَحِيَّتُكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تُرْقِعُ النَّعْلَ
وَإِنْ دَحَسُوا بِالْكِرْهِ فَأَعْفُ تَكْرَمًا * وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ * وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقْلُ
فقال النبي عليه السلام : "إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" .

سروحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال رجل لبكر بن محمد بن علقمة : بلغني أنك
تَقَعُ فِي [قَالَ] : أَنْتَ إِذَا أُكْرِمَ عَلَى مِنْ نَفْسِي ! . وقال بعض الشعراء :
لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا * فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكَرَ حَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعْبُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وقال أبو الدرداء : لَا يُخْرِزُ الْإِنْسَانَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ إِلَّا قَبْرُهُ .

قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم موله : إِنَّ الْوَلَاةَ جَعَلُوا الْعِيُونَ عَلَى الْعَوَامِ وَأَنَا
أَجْعَلُكَ عَيْنِي عَلَى نَفْسِي ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنِّي كَلِمَةً تَرَبُّأُ بِي عَنْهَا أَوْ فَعَالًا لَا تُحِبُّهُ فِعْظُنِي
عنده وَأَنْهِنِي عَنْهُ .

العتبي قال : تَنَقَّصَ ابْنُ لَعَامِرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : لَا تَتَنَقَّصْهُ يَا بُنَيَّ ، فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مَا زَالُوا يَسْتُمُونَهُ سِتِّينَ سَنَةً فَلَمْ

٢٠ (١) دحس بين القوم : أفسد بينهم . (٢) هكذا بالأصل . وفي اللسان في مادة دحس «بالشر» .
(٣) خنسوا : أخفوا . (٤) زيادة من العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ يتوقف عليها سياق الكلام .
(٥) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ «لا تبتكن» ، وفيه أيضا : «فبتك» بدل «فبكشف» .

يَزِدُّهُ اللَّهُ إِلَّا رَفْعَةً ، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمْتَهُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمْتَهُ . وقال بعض الشعراء :

ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غِيَّهَا * فَإِذَا أَتَيْتَ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَذَاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى * بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْسَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ * عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وقال آخر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ * مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ
وقال آخر :

لَكَ الْخَيْرُ ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا * وَدَعْ لَوْمَ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تَلِيمٌ^(١)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَدَى * وَيَخْفَى قَدَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ
كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَرَمِّمِينَ لَا يَزَالُ يَعْيبُ النَّبِيذَ وَشَرَابَهُ فَإِذَا وَجَدَهُ سِرًّا شَرِبَهُ ، فَقَالَ
فِيهِ بَعْضُ جِيرَانِهِ :

وَعَيَابَةُ لِلشُّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّه * تَبُولُ نَبِيذًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَيْلُهَا
قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ : إِنِّي لَا أَرْحَمُكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ ، قَالَ : أَقْسَمُ بِكَ
أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : إِيَّاهُمْ فَارْحَمْ .
قَالَ أَعْرَابِيٌّ لَأَمْرَأَتِهِ :

وَأَمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي * ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا
يَرَى مَجْدَهُ تَلَبَّ أَعْرَاضَهَا * لَدِيهِ وَيُنْفِضُ مَنْ سَادَهَا

(١) تليم : من ألام الرجل إذا أتى ذنبا يلام عليه .

(٢) من ترمم إذا توفرق في مجلسه ، ومنه الترميم كأمير ، أى الوفور الساكن القليل الكلام ، والزميت
كسكن أوقرته .

باب السَّعَاية

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال : قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقِنِي الشَّعْبِيُّ
فَقَالَ : يَا أَبَا زَيْدٍ أَطَرِفْنَا مِمَّا سَمِعْتَ ؟ قُلْتُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ
يَقُولُ : لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَائِكُ دِيمٍ ، وَلَا آكِلُ رَبَا ، وَلَا مَشَاءُ بَنِيمٍ ؛ فَعَجِبْتُ مِنْهُ
حِينَ عَدَلَ النِّمِةَ بِسَفِكِ الدَّمَاءِ وَأَكَلَ الرَّبَا ؛ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا !
وَهَلْ تُسَفِّكُ الدَّمَاءَ وَتُرْكِبُ الْعِظَامَ إِلَّا بِالنِّمِةِ !

عَاتَبَ مُضْعَبُ بْنُ الزَّيْبِرِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ
مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ ؛ فَقَالَ مُضْعَبُ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ ؛ فَقَالَ الْأَحْنَفُ : كَلَّا
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنْ الثَّقَةُ لَا يُبَلِّغُ . قَالَ الْأَعَشَى :

وَمَنْ يُطْعِمُ الْوَاشِينَ لَا يَتُرَكُّوا لَهُ * صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

وَذَكَرَ السَّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ حَضَرٍ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ
عِيهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ لَكَفَّاهُمْ .

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بِرَجُلٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : انصَرِفْ حَتَّى أَسْأَلَ عَمَّا
ذَكَرْتَ ، وَبَعَثَ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي فَإِذَا هُوَ لَغَيْرِ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ، فَقَالَ بِلَالٌ :
أَخْبَرْنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « السَّاعِي
بِالنَّاسِ لَغَيْرِ رِشْدَةٍ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا الْوَاشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيقًا * فَلَا تَدْعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلٍ وَاشِي

(١) هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ (إِلَّا أَنَّهُمْ) لَيْسَا بِالْأَصْلِ ، وَقَدْ تَقْلَنَاهُمَا عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ .

(٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٦ ، وَفِي الْأَصْلِ « إِلَى النَّاسِ » .

(٣) يُقَالُ : هَذَا وَلَدٌ رِشْدَةٌ إِذَا كَانَ لَزَاجٍ صَحِيحٍ ، وَجَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١
ص ٢٣٦ وَلِسَانُ الْعَرَبِ فِي مَادَّةِ « رِشْدَ » بِلَفْظِ « السَّاعِي لَغَيْرِ رِشْدَةٍ » .

أتى رجلٌ الوليد بن عبد الملك وهو على دِمَشْقَ لبيسه ، فقال : للأُمير عندي نصيحةٌ ؛ فقال : إن كانت لنا فأظهرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها ؛ قال : جار لي عَصَى [وَفَرَّ] ^(١) مِنْ بَعْتِهِ ؛ قال : أما أنت فتخبر أنك جارٌ سوء ، فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقاً أقصيناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت تاركناك ؛ قال : بل تاركني .

وقال عبدة بن الطبيب :

وَأَعَصُوا الَّذِي يُسَيِّدُ الْنَمِيمَةَ بَيْنَكُمْ * مُتَنَصِّحًا وَهُوَ السَّيِّئُ الْمُنْقَسِعُ ^(٢)
يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ * حَرْبًا كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقَ الْأَخْدَعُ ^(٣)
حَرَّانٌ لَا يَشْفِي غَلِيلَ قُوَادِهِ * عَسَلٌ بِمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشِعُ ^(٤)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشِبُّ صَبِيَّهُمْ * بَيْنَ الْقِبَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْسَعُ ^(٥)
إِنَّ الَّذِينَ تُرَوِّنُهُمْ خُلَانَكُمْ * يَشْفِي صُدَاعَ رُعُوبِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا ^(٦)
فَضَلَّتْ عَدَاوَتُهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ * وَأَبَتْ ضَبَابٌ صَدُورَهُمْ لَا تُنَزِعُ ^(٧)
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ عَلَيْهِمْ ^(٨) * حَدَجُوا قَنَافِدَ الْنَمِيمَةِ تَمْرَعُ ^(٩)

(١) في النسخة الفتوغرافية «من يمه» وفي الألمانية «من يمه» . وما وضعناه والزيادة عن

العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ (٢) رواه صاحب المفضليات : يزجي النائم ، أى يسوقها .

(٣) رواه صاحب المفضليات : ذاك السام . (٤) الأخدع : عرق في العنق في موضع

الجمامة . (٥) مشعشع : ممزوج . (٦) ينسع : يؤذى جيرانه ، وروى الشطر الأخير من هذا

البيت في المفضليات هكذا : * بين القوابل بالعداوة ينسع *

ويُنْسَعُ مِنْ نُسْعٍ فَلَانٌ بِكَذَا : أولع به . (٧) كذا في الأصل . وروى في المفضليات وشواهد "المسند

إليه" من تلخيص المفتاح :

إِنَّ الَّذِينَ تُرَوِّنُهُمْ إِخْوَانَكُمْ * يَشْفِي غَلِيلَ صَدُورِهِمْ أَنْ تَصْرَعُوا

(٨) الضباب جمع ضَبٍّ ، والمراد به : الغل المعن في الصدر إيمان الضب في حجره . (٩) دمس :

اشتدت ظلمته . (١٠) حدجوا قنائف : رحلوا ، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والاحتفال في الشر كما

يسهر القنفذ ، لأنه يسير ولا ينام ليله أجمع . كذا في شرح المفضليات . (١١) تمرع : تسرع .

وقال أبو دَهَبِلٍ الْجَحِي :
 ٥

وقد قَطَعَ الواشونَ ما كان بيننا * ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوَجُ
 رَأَوْا عورةً فاستقبلوها بِالْبِهِم^(١) * فراحوا على ما لا يُحِبُّ وأدْبَحُوا
 وكانوا أناساً كنتُ آمنُ غِيَهُم * فلم ينههم حِلْمٌ ولم يتَحَرَّجُوا

وقال بشار :

تَشْتَبِي قُرْبَكَ الرَّيَّابُ وَتَحْشَى * عَيْنَ وَاِشٍ وَتَتَّقِي أَسْمَاعَةَ
 أَنْتَ مِنْ قَلْبِهَا مَحَلُّ شَرَابٍ * تَشْتَبِي شُرْبَهُ وَتَحْشَى صُدَاعَهُ

وقال أبو نُوَاس :

كنتُ من الحبِّ في ذُرَى نَيْقٍ^(٢) * أَرُودُ مِنْهُ مَرَادَ مَوْسُوقٍ^(٣)
 حَتَّى تَنَاقِي عَنْهُ تَخَلُّقُ وَ * شِ كَذِبَةٍ لَفَهَا بِتَرْوِيقٍ
 جُبْتُ قَفَا مَا تَمَّتْهُ مُعْتَذِرًا * مِنْهُ وَقَدْ فُزْتُ بَعْدَ تَحْرِيقٍ^(٤)
 كَقَوْلِ كَسْرَى فِيمَا تَمَثَّلَهُ * مِنْ فُرْصِ اللَّصِّ حَبَّةُ الْبُسُوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قلما يمنع القلب من القول إذا تردد عليه، فإن الماء ألين
 من القول والحجر أصلب من القلب، وإذا انحدر عليه وطال ذلك أترفيه، وقد تُقطع
 الشجرة بالفؤوس فتنبت ويقطع اللحم بالسيوف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه،
 والنصoul يغيب في الجوف فتترع والقول إذا وصل إلى القلب لم ينزع، ولكل حريق
 مطفي: للنار الماء، وللسم الدواء، وللحزن الصبر، وللعشق الفُرقة، ونار الحقد لا تحبؤ.

(١) بالهم : بجمعهم . (٢) نيق : مرتفع .

(٣) في النسخة الفتوغرافية «فيه» .

(٤) في الأصلين ونسخي الديوان المطبوعة والمخطوطة * وقد فزت منه بعد تحريق * وما أثبتناه
 رواية في هامش النسخة الألمانية . وبها يستتم الوزن .

وقال طرفة بن العبد :

وتصدُّ عنك بحيلة الرجل السعير^(١) يض موصحة عن العظم
يحسام سيفك أو لسانك والشكلم الأصيل كأوسع الكلم

ونحوه قوله :

* والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر *

وقال امرؤ القيس :

* وبجرح اللسان بجرح اليد *

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة فقال لأصحابه : إنا شتم^(٢) [تتحووا] ؛ فلما
تتيا الرجل للكلام قال له : إياك وأن تمدحني فإني أعرف بنفسى منك ، أو تكذبني
فإنه لا رأي لكذوب ، أو تسعى بأحد إلى ، وإن شئت أن أقبلك أقبلتك ؛ قال : أقفني .

وقال ذو الرياستين : قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة
والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز ، فامقت الساعي على سعايته
وإن كان صادقا للؤيمه في هتك العورة وإضاعة الجرمية ، وعاقبه إن كان كاذبا لجمعه
بين هتك العورة وإضاعة الحرمية مبارزة لله بقول البهتان والزور .

وقال بعض المحدثين لعبد الصمد بن المعذل :

لعمرك ما سب الأمير عدوه * ولكنما سب الأمير المبلغ

وقال رجل للوليد بن عبد الملك : إن فلانا شتمك ؛ فاكب ثم قال : أراه شتمك .
وأتى رجل ابن عمر فقال له : إن فلانا شتمك ؛ فقال له : إني وأبني عاصما لأنسأب أحدا .
عوانة قال : كان بين حاتم طي وبين أوس بن حارثة الطف ما يكون بين اثنين ؛
فقال النعمان بن المنذر لجلسائه : والله لأفسيذن ما بينهما ؛ قالوا : لا تقدر على ذلك ؛

(١) في كتاب الشعر والشعراء : « وترد » ، والعريض : الرجل الذي يتعرض الناس بالشر .

(٢) زيادة في النسخة الألمانية .

قال : بلى فقلما جريت الرجال في شيء إلا بلغتته ؛ فدخل عليه أوس ؛ فقال : يا أوس ما الذي يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول إنه أفضل منك وأشرف ؛ قال : أبيت اللعن ، صدق ! والله لو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لأنهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول لي النعمان لا من نصيحة * أرى حاتم في قوله متطاولا
له فوقنا باع ككما قال حاتم * وما النصح فيما بيننا كان حاولا
ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس ؛ قال : صدق ، أين عسى أن أقع
من أوس ! له عشرة ذكور أحسبهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول :
يسألني النعمان كي يسترلني * وهيات لي أن أستضام فأصرعا
كفاني نقصا أن أضم عشيرتي : يقول أرى في غيره متوسما
فقال النعمان : ما سمعت باكرم من هذين الرجلين .

ذكر يعقوب بن داود أيام كان مع المهدي أنه وافاه في يوم واحد ثمانون رقعة
كلها سعاية ، منها ستون لأهل البصرة ، وعشرون لسائر البلاد .

وشى واث بن رجل إلى الإسكندر ؛ فقال له : أتحب أن أقبل منك ما قلت
فيه على أن نقبل منه ما قال فيك ؟ قال : لا ؛ قال : فكف عن الشر فكف عنك
الشر .

كتب بعض إخواننا من الكتاب إلى عامل وكان سعي به إليه : لست أنفك فيما بيني
وبينك من إحدى أربع : إما كنت محسنا وإنك كذلك فأربب ، أو مسينا ولست به
فأبت ، أو أكون ذا ذنب ولم أتعمد فتعمد ، أو مقروفا وقد تلحق به حيل الأشرار
فتبث (ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء ينم)

باب الكذب والقحجة

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا سليمان بن داود عن مسامة بن علقمة عن داود بن أبي هند عن شهر بن حوشب عن الزبير بن عوف عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يصلح الكذب إلا في ثلاثة مواضع الحرب فإنها خدعة والرجل يصلح بين اثنين والرجل يرضى امرأته » .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا بربر بن هارون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يكذب من قال خيراً وأصلح بين اثنين » .

قال : حدثني عبدة بن عبد الله قال حدثنا أبو داود عن عمران عن قتادة قال : قال أبو الأسود الدؤلي : إذا سرك أن تكذب صاحبك فلقنه .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن معيذ عن مالك عن صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أيتكون المؤمن جباناً ؟ قال : « نعم » قال : أيتكون بخيلاً ؟ قال : « نعم » قال : أيتكون كذاباً ؟ قال : « لا » . قال حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : عاتب إنسان كذاباً على الكذب ، فقال : يا ابن أخي لو تفرغرت به ما صبرت عنه . قال : وقيل لكذوب : أصدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق . وقال ابن عباس : الحديث حدثان : حدث من فيك وحدث من فركك . وقال مديني : من ثقل على صديقه خف على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون . ومثله قول الشاعر :

(١) وفي رواية : « مواطن » . (٢) كذا في الأصول ولم تقف في كتب التراجم على من يسمى بربر

ابن هارون ، ولعله يزيد بن هارون ، وهو أحد الرواة عن سفيان بن حسين كما في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٠٨

(٣) تفرغرت به : ردته في حلقك .

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ * ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

مَقَالَةُ السَّوِّءِ إِلَى أَهْلِهَا * أَسْرَعُ مِنْ مُنْهَدِرٍ سَائِلٍ

- بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال : قال مجاهد : [كل] ^(١) ما أصاب الصائم شئ ^(٢) ما خلا الغيبة والكذب . وقال سليمان بن سعد : لو صحبتني رجلٌ فقال : أشرتُ خصلةً واحدة لا يزيد عليها ، لقلتُ لا تكذبني . كان ابن عباس يقول : الكذب جُورٌ ، والنميمة سحرٌ ، فمن كذب فقد فجر ، ومن نَمَّ فقد سحر . وكان يقال : أَسْرَعُ الْأَسْتِمَاعِ وَأَبْطَى التَّحْقِيقِ . قال الأحنف : ما خان شريفٌ ولا كَذَبَ عاقلٌ ولا آغتاب مُؤْمِنٌ . وكانوا يحلفون فيحْتَنُونَ ويقولون فلا يكذبون . ذم رجل رجلًا فقال : اجتمع فيه ثلاثة : طبيعة ^(٣) العَقَقِ يعني السَّرَقِ ، وروغانُ الثعلب يعني الخُبِّ ، ولمعانُ البرق يعني الكذب . ويقال الأذلاء أربعة : النَّمَامُ والكذاب والمدين والفقير . قال ابن المقفع : لا تهاوَنَنَّ بِإِرسال الكذبة في الهزل فإنها تُسْرِعُ في إبطال الحق . وقال الأحنف : أَشَانُ لَا يَجْتَمَعَانِ أَبَدًا : الكذبُ والمروءة . وقالوا : مِن شَرِّ الصَّدَقِ أَنْ صَاحِبَهُ يُصَدِّقَ عَلَى عَدُوِّهِ . وقال الأحنف لابنه : يَا بُنَيَّ اتَّخِذْ الكَذِبَ كَثْرًا ، أَيْ لَا تُخْرِجْهُ . وقيل لأعرابي كان يُسَيِّبُ في حديثه : أَمَّا لحديثك هذا آخِرٌ فقال : إِذَا أَتَقَطَعَ وَصْلُهُ . وقال ابن عمر : «زعموا» ^(٤) زاملة الكذب . كان يقال : عِلَّةُ الكَذِبِ أَقْبَحُ عِلَّةٍ ، وَزَلَّةُ الْمُتَوَقِّ أَشَدُّ زَلَّةً . كان المهلب كذابًا وكان يقال له : رَاحَ يَكْذِبُ . وفيه يقول الشاعر

(١) الزيادة عن اللسان في مادة «شوى» . (٢) أى : شئ ، يسرهين . وأصل الشوى الأطراف ومعنى الحديث أن كل شئ ، أصابه الصائم هين لأنه بمنزلة الأطراف التي هي ليست بمقاتل ، ما عدا الغيبة والكذب فإنهما في تأثيرهما على الصوم بمنزلة المقاتل من الإنسان . (٣) العقق : طائر على قدر الحماة وهو على شكل الغراب ويقال له : الققق ، والعرب تشاءم به وتضرب به المثل في السرقة والخيانة والخبث . (٤) الزاملة : الدابة التي يحمل عليها ، يريد أن لفظ «زعموا» مطبوعة الكذب ومركبة .

(١) تبدلت المنابر من قريش * مزونياً بفتح الصليب
فاصبح قافلاً كرم وجود * وأصبح قاذماً كذب وحوب

قال رجل لأبي حنيفة : ما كذبت كذبة قط ، قال : أما هذه فواحدة يشهد بها
عليك . قال ميمون بن ميمون : من عرف بالصدق جاز كذبه ، ومن عرف بالكذب
لم يجز صدقه . قال أبو حية الثميري — وكان كذاباً — : عن لي ظبي فرمته فراغ عن سهمي
فعارضه والله السهم ، فراغ فراوغه السهم حتى صرعه ببعض الخبارات . وقال أيضاً :
رميت ظبية فلما نفذ السهم ذكرت بالظبية حيية لي فشددت وراء السهم حتى
قبضت على قذذه . وصف أعرابي امرأة فقيل : ما بلغ من شدة حبك لها ؟ قال : إني
لأذكرها وبنى وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها ريح المسك .

أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك :

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى شمام
فيتن يمانى مصرعات * وبث أفص أغلاق الختام
كان مقالق الرمان فيه * وجرغضا قعدن عليه حامي

فقال له سليمان : ويحك يا فرزدق ، أحلت بنفسك العقوبة ، أقررت عندى بالزنا وأنا
إمام ولا بد لي من أن أحلك ، فقال الفرزدق : بأى شيء أوجبت على ذلك ؟ قال :
بكتاب الله ، قال : فإن كتاب الله هو الذى يدرأ عني الحد ، قال : وأين ؟ قال : فى قوله :
(وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)
فأنا قلت يا أمير المؤمنين ما لم أفعل ، وقول الشاعر :

وإنما الشاعر مجنون كلب * أكثر ما يأتى على فيه الكذب

(١) كذا فى لسان العرب فى مادة « مزن » والذى فى الأصل « المازل » .

(٢) فى الأصل « الحيارات » وفى الأغاني « الجبانات » وفى البيان والتبيين « الجنارات » والتصويب عن
الشعر والشعراء لابن قتيبة . والخبارات جمع خبارة وهى ما لان وأسترعى من الأرض وساخت فيها القوائم
وفى المثل « من تجنب الخبارات أجنب العثار » . (٣) القذذ جمع قذة : ريش السهم .

وقال الشاعر :

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليَّةِ بعضُ ما يُحْكِي عليه
مهما سمعتَ بِكُذْبِهِ * مِنْ غيرِهِ نُسِبَتَ إليه

وقال بشار :

وَرَضِيْتُ من طُوبِ العَناءِ بِيأسِهِ * واليأسُ أيسرُ من عِدَاتِ الكاذبِ

والعرب تقول : «أَكْذَبُ مَنْ سَأَلْتَهُ»^(١) وهي تكذب مخافة العين على سَمْنِهَا . و«أَكْذَبُ مِنْ مُجَرَّبٍ» لأنه يخاف أن يُطَلَّبَ مِنْ هِنَائِهِ . و«أَكْذَبُ مِنْ يَأْمَعٍ» وهو السراب . منصور
ابن سَلَمَةَ الخُزَاعِي قال حَدَّثَنَا شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ أَبُو مَعْمَرٍ الْخَطِيبُ قال : سمعت
أَبْنَ سِيرِينَ يقول : الكلامُ أَوْسَعُ من أن يكذبَ ظَرِيفٌ . وقال في قول الله عز وجل :
(لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) لم ينس ولكنها من معاريض الكلام . وقال القيني : أَصْدُقُ
فِي صِغَارِ ما يَضُرُّنِي لِأَصْدَقِ فِي كِبَارِ ما يَنْفَعُنِي . وكان يقول : أنا رجل لا أبالي
ما أَسْتَقْبَلْتُ به الأحرارَ . نافرَ رجل من جرم رجلا من الأنصار الى رجل من قريش ،
فقال للجرمي : أيا جاهلية تُفأخره أم بالإسلام ؟ فقال : بالإسلام ، فقال : كيف تُفأخره وهم
آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الإسلام ؟ قال الجرمي : فكيف تكون قلةُ الحياء .
وقال آخر : إِنَّمَا قَوَيْتُ على خصومي بَأْسِي لم أَسْتَرِ قَطُّ شَيْءَ من القبيح . وذكر أعرابي
رجلا فقال : لو دُقَّ وجهُه بالحجارة لرضها ، ولو خلا بأستار الكعبة لسرقها . قيل لرجل
من بني أسد : بأي شيء غلبت الناس ؟ قال : أبهتُ الأحياءَ وأستشهدُ الموتى .
وقال طَرِيحُ الثَّقَفِيُّ يذم قوما :

إِنْ يَعْلَمُوا الخَيْرَ يُخْفَوهُ وَإِنْ عَالِمُوا * شَرًّا أَذْيَعُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا

(١) في جمع الأمثال "السائلة" بالتعريف ، وهي التي تسلا السن أو تطبخه وتعالجه ، قال الميبداني
في جمع الأمثال : وكذبها أنها تقول : قد ارتجى ، قد احترق . والارتجاء ألا يخلص منها .
(٢) الهناء : القطران .

وكان يقال : آثنان لا يتفقان أبداً : القناعة والحسد، وآثنان لا يفترقان أبداً : الحرص والقيحة، وقال الشاعر :

إِن يَحْلُوا أَوْ يَغْدِرُوا * أَوْ يَفْخَرُوا لَا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجِّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
كَأَنِّي بَرَأَقَشَ كُلُّ لَوْ : إِن لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ

هـ هـما أبو الهول الحميريُّ الفضل بن يحيى ثم أمناه راغباً إليه ، فقال له الفضل : ويلك بأي وجه تلقاني ! قال : بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر ، فضحك ووصله .

ومن أمثال العرب في الوقاح «رمتني بدائها وأنسلت» . وقال الشاعر :

أَكُولُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا * صَبُورٌ عَلَى سُوءِ النَّتَاءِ وَقَاحٌ

- ١٠ قال رجلٌ لقوم يغتابون ويكذبون : تَوَضُّؤُوا فَإِنَّ مَا تَقُولُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِّثِ . وبلغني عن حماد بن زيد عن هشام عن محمد قال : قلتُ لعبيدة : ما يوجب الوضوء؟ قال : الحدُّ وأذى المسلم . روى الصلت بن دينار عن عُقْبَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : بَعَثَنِي أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى عَمْرٍاءَ فَسَأَلَنِي عَنْ أَحْوَالِ النَّاسِ ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ يَصْلُحُ أَهْلُ بَلَدٍ جُلُّ أَهْلِهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ : بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَبَنُو تَمِيمٍ ، كَذَبَ بَكْرٌ وَبَخَلَ تَمِيمٌ . ذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيده البحرين فقال : البحر كثير العجائب ، وأهله أصحاب تزيده ، فافسدوا بقليل الكذب كثير الصديق ، وأدخلوا ما يكون فيما يكاد لا يكون ، وجعلوا تصديق الناس لهم في غريب الأحاديث سُلماً إلى آداء المحال .
- ١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : كان يقال : الصديق أحياناً مُحَرَّمٌ .

- (١) بُزِمَ « يمدوا » لأنه بدل من « لا يحفلوا » فإن غدرهم مرجلين هو في معنى أنهم لم يحفلوا . كذا يؤخذ من اللسان . وازترجيل : مشط الشعر وإرساله . (٢) أبو براقش : طائر يتلون ألواناً شبيهة بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألواناً شتى . كذا في اللسان .
- ٢٠ (٣) كما يستعمل النشاء في ذكر المرء بالخير يستعمل في ذكره بالشر .

حدثني شيخنا لنا عن أبي معاوية قال حدثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله بن مسعود : ما كذبتُ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا كذبة واحدة ، كنتُ أُرسلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخاء رجلٍ من الطائف فقلت : هذا يغلبني على الرجال ، فقال : أيُّ الرجال أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقلت : الطائفة المكيَّة ، فرسل بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ رَحَّلَ لَنَا هَذَا» فقالوا : الطائفية ، فقال : «مُتُّوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيُرَحِّلْ لَنَا» فعدتُ إلى الرجال .

باب سوء الخلق وسوء الجوار والسبب والشر

حدثني زياد بن يحيى قال حدثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَصَلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ سَوْءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ» .

قال وحدثني أحمد بن الخليل عن أزهر بن جميل عن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر [قال] : قيل : يا رسول الله ما الشؤم ؟ قال : «سَوْءُ الْخُلُقِ» .

قال وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الْمُسْتَبَانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ» .

قال وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال : حدثني شيخ يمني قال : صحبَ أيوبَ رجلٌ في طريق مكة فأذاه الرجلُ بسوء خلقه ، فقال أيوبُ : إني لأرجمه لسوء خلقه .

قال وحديثي عبدالرحمن عن الأصمعي قال : قال أبو الأسود : لو أطمعنا المساكين
 في أموالنا كنّا أسوأ حالا منهم . وأوصى بنيه فقال : لا تُجاوِدُوا الله فإنه أجدُّ وأجودُ ،
 ولو شاء أن يُوسّع على الناس كلهم حتى لا يكون محتاج لفعل ، فلا تَجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ
 في التوسّع فتَهْلِكُوا هُرْلاً . قال : وسمع رجلا يقول : مَنْ يُعْشَى الجائع ؟ فقال : على به ،
 فعشاه ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريدُ أهلي ، قال : هيات ، على
 ألا تؤذي المسلمين الليلة ، ووضع في رجله الأدم حتى أصبح . قال : وأكل أعرابي
 معه تمرا فسقطت من يده الأعرابي تمرة فآخذها وقال : لا أدعها للشيطان ، فقال
 أبو الأسود : لا والله ولا لجبريل . نظر ابن الزبير يوما الى رجل وقد دق في صدور
 أهل الشام ثلاثة أرماج فقال : أعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا . وذكر
 أبو عبيدة أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكلة ويقول في خطبته : إنما بطني
 شبر في شبر وما عسى أن يكفيني . وقال أبو وبرة مولى آل الزبير :

لو كان بطنك شبرا قد شِيت وقد * أفضلت فضلا كثيرا للمساكين
 فإن تُصَبِّكَ مِنْ أَيَّامِ جَائِعَةٍ * لَأَتَبِّكَ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ

وفيها يقول :

ما زِلْتُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ تَدْرُسُهَا * حَتَّى قُوَّادُكَ مِثْلُ الْخَزْفِ فِي الدِّينِ

وفيها يقول :

إِنْ أَمْرًا كُنْتُ مَوْلَاهُ فَضِيعَنِي * يَرْجُو الْفَلَاحَ لِعِنْدِي حَقَّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر :

رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ - وَرَثُكَ غَالِبٌ * عَلَى أَمْرِهِ - يَبْنِي الْخِلَافَةَ بِالْتَّمَرِ

(١) أي ابن الزبير كما في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢

(٢) كذا في النسخة الألمانية ، وفي النسخة الفتوغرافية والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٢٢ « قوادى » .

هذا حين قال : أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي . وقال بعض الشعراء :

مِنْ دُونَ سَيْبِكَ لَوْ أَنَّ لَيْلَ مُظْلِمٍ * وَحَفِيفُ نَابِخِيَّةٍ وَكَلْبُ مُوسَدٍ^(٢)
وَأَخْوَكُ مُحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةً * وَمُسَيْفُ قَوْمِكَ لَا تُمْ لَا يَحْتَدُ^(٤)
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَاخِجٍ^(٥) * لَا بَلْ أَحْبَبْتُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ
وَمَدَحَ أَعْرَابِيٍّ سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ فَقَالَ :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَنْخَشُ ضِلَّةً * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ^(٦)

فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ يَهْجُوهُ :

لِكُلِّ أَنْحَى مَدِجٍ ثَوَابٌ يُعْطَاهُ * وَلَيْسَ لِمَدِجِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِجُ مَهْرَةٌ * فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ

وَقَالَ فِيهِمُ الْمَزُوقُ الْحَضْرَمِيُّ :

إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةٌ بَاهِلِيًّا * غَلَامًا زَيْدٌ فِي عَدَدِ اللَّثَامِ
وَعِرْضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّ * عَلَيْهِ مِثْلُ مَنَدِيلِ الطَّعَامِ
وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا * لَقَصَّرَ عَنْ مُسَامَاةِ الْكَرَامِ

وَدَخَلَ قُدَامَةُ بْنُ جَعْدَةَ عَلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، بِالْبَابِ الْأَمُّ
الْعَرَبُ ، قَالَ : وَمَنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : سَأَلُونِي رَسُولُ مُحَارِبِي إِلَى بَاهِلِيٍّ ، فَضَحِكَ قُتَيْبَةُ . وَقَالَ آخَرُ

(١) السبب : العطاء ، وفي النسختين الفتنوغرافية والألمانية : « شيبك » بالشين المعجمة وهو تحريف .

(٢) النابخة بالهم (كما في الألمانية) وبالحاء (كما في الفتنوغرافية) : الريح الشديدة فكلاهما صحيحة .

(٣) موسد من أوسد الكلب بالصيد : أغراه به . (٤) المسيف : من هلك ماله فافتقر .

(٥) الأسود الساخج : الأفعى ، ووصف بالساخج لأنه ينسلخ جلده كل عام . (٦) في النسخة :

الألمانية « جنى » والفتنوغرافية « حنى » زكلاهما تحريف والتصويب عن المقد الفريد ج ١ ص ١٠٧

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخَفُوا كَلَامَهُمْ * وَأَسْتَوْتُهُ مِنْ رَتَاجِ الْبَابِ وَالتَّارِ
لَا يَقْيِسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ * وَلَا تُكْفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ

وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص :

سُمْتُ الْمَدِيحَ رَجَالًا دُونَ قَدِيرِهِمْ * صَدُّ قَبِيحٌ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
فَلَمْ أَفْزِ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ * رَجُلٌ الْبَعُوضَةُ مِنْ نَفَّارَةِ اللَّيْلِ

وقال آخر :

أَلَامٌ وَأُعْطِيَ الْبَخِيلُ مُجَاوِرِي * إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يُلَامُ وَلَا يُعْطَى

ونحو هذا قولهم : مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضِي لِلْجَمِيعِ . وقال بشار :

أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا آتَتْغَتْ بِهِ * وَكَذَلِكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدْرِهِ

١٠ قيل لخالد بن صفوان : مالك لا تُتَفَقِّقُ فَإِنَّ مَالَكَ عَرِيضٌ ؟ قال : الدهرُ أَعْرَضٌ
منه ؛ قيل له : كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله ؛ قال : ولا أخاف أن أموت في أوله .

قال الجاحظ : قلتُ مَرَّةً لِلْحِزَامِيِّ : قد رَضِيتَ بِقَوْلِ النَّاسِ : عبدُ اللَّهِ بَخِيلٌ ؛ قال :
لَا أَعَدَمَنِي اللَّهُ هَذَا الْأَسْمَ ؛ قلتُ : كيف ؟ قال : لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ فَلَانٌ بَخِيلٌ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ .

فَسَلَّمُ لِي الْمَالُ وَأَدْعُنِي بِأَيِّ أَسْمٍ شِئْتُ ؛ قلتُ : وَلَا يُقَالُ سَخِيٌّ إِلَّا وَهُوَ ذُو مَالٍ ، فَقَدْ
جَمَعَ هَذَا الْأَسْمُ الْمَالَ وَالْحَمْدَ وَجَمَعَ هَذَا الْأَسْمُ الْمَالَ وَالذَّمَّ ؛ قال : بَيْنَهُمَا فَرْقٌ ؛

١٥ قلتُ : هَاتِهِ ؛ قال : فِي قَوْلِهِمْ بَخِيلٌ تَثْبِيْتُ لِإِقَامَةِ الْمَالِ فِي مِلْكِهِ ، وَفِي قَوْلِهِمْ سَخِيٌّ
إِخْبَارٌ عَنْ خُرُوجِ الْمَالِ عَنْ مِلْكِهِ ، وَأَسْمُ الْبَخْلِ أَسْمٌ فِيهِ حَزْمٌ وَذَمٌّ ، وَأَسْمُ السَّخَاءِ أَسْمٌ
فِيهِ تَضْيِيعٌ وَحَمْدٌ ، وَالْمَالُ رَاهِنٌ نَافِعٌ وَمُكْرِمٌ لِأَهْلِهِ مُعِزٌّ ، وَالْحَمْدُ رِيحٌ وَسُخْرِيَةٌ وَأَسْتِمَاعُهُ

(١) أَيْ دَائِمٌ بَاقٍ .

ضَعُفٌ وَفَسُولَةٌ^(١)، وَمَا أَقَلَّ وَاللَّهِ غَنَاءَ الْحَمْدِ عَنْهُ إِذَا جَاعَ بَطْنُهُ وَعَرِيَ جِلْدُهُ وَضَاعَ عِيَالُهُ وَشِمِتَ عَدُوُّهُ^(٢) ! .

وكان محمد بن الجهم يقول : مِنْ شَأْنٍ مَنْ أَسْتَغْنَى عَنْكَ إِلَّا يُقِيمَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ إِلَّا يَذْهَبَ عَنْكَ ، فَمَنْ ضَنَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ^(٣) الْأَسْتِثَارَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقْوَتُهُ وَيُنَعِّهَ مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ ، فَإِنَّ مِنَ الزَّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنَ الرِّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحَوِّجَهُ إِلَيْكَ ، وَإِبْقَاؤُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَائِكَ لَهُ مَعَ الزَّهْدِ فِيهِ ؛ وَقِيلَ فِي مَثَلٍ : « أَجْعَلْ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ » . فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الشُّكْرِ ، وَالْمَعِينُ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكُ الْغَادِرِ ، كَمَا أَنَّ مُزَيِّنَ الْفَجْجُورِ شَرِيكُ الْفَاجِرِ . قَالَ : وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ : يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الثَّلَاثُ ، وَالثَّلَاثُ كَثِيرٌ » ؛ وَأَنَا أَرْعَمُ أَنْ ثَلَاثَ الثَّلَاثِ كَثِيرٌ ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُّوهُمْ فِي بَيْتِ الْمَسَالِ ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخْذُوهُ ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلُوسَ النِّسَاءِ مُنْعُوهُ ، فَلَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ .

تَقَدَّمَ رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى سَوَّارٍ أَحَدَهُمَا يُنَازِعُ مَوْلَى لَهُ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوهُ مَوْلَاهُ ؛ فَقَالَ سَوَّارٌ : أَتُنَازِعُ مَوْلَاكَ فِي حَدِّ أَرْضٍ أَقْطَعَهَا أَبُوكَ إِيَّاهُ ؛ فَقَالَ : الشَّحِيحُ أَعَذَّرُ مِنَ الظَّالِمِ ؛ فَرَفَعَ سَوَّارٌ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْجُدْهُ عَلَى قُرَيْشٍ أَخْطَأَ رَأْيَهَا .

(١) كذا في النسخة الألمانية ، والفسولة : النذالة وقلة المروءة ، وفي الفتوغرافية "فسولة" وهو تحريف .
(٢) كتب بهامش الأصل الفتوغرافي بمسبة الدفاع عن البخل ما نصه : « سبحان الله ! ما رأيت أنهب جانباً للبحل والبخلاء وأبين كلاماً وأصدق حجة وأبعد من المقدمات الواهية والقضايا المردودة من هذا الرجل ولولا [أن] السخاء سخية من السجاية الراسخة في أنفس الأستغيا كاد والله يهضم ركنه ويميل عماده ويكدر موده بل ويمنع السحاب من المطر والبحر من رشخ القطر وإن هذا لمن إحدى الكبير » اهـ .
(٣) في النسختين « تصديقه » وظاهر أنه محزف عما أثبتناه . (٤) الأخطار جمع خطر وهو الشرف ، وبهامش الأصل الفتوغرافي هذه الجملة : « إنما قال ذلك حتى لا يغلبوا الناس ائمة ما بيدهم » .

وقال الخزرجي :

إِنَّ جُودَ الْمَثِيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ وَجُودُ الْحِجَازِ فِيهِ اقْتِصَادٌ
كَيْفَ تَرْجُو النَّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعْطٍ * قَدْ غَذَّتْهُ الْأَقْرَاصُ وَالْأَمْدَادُ

نظر سليمان بن مراحيم الى درهم فقال : في شق « لا إله الا الله محمد رسول الله »
وفي وجه آخر « الله لا إله الا هو الحي القيوم »^(١) ، ما ينبغي أن يكون هذا إلا
مَعَاذَةً وَقَدَفَةً فِي الصُّنْدُوقِ . أنشدنا عبد الرحمن بن هاني صاحب الأخفش عن
الأخفش للخليل :

كَفَاهُ لَمْ يُخْلَقَا لِلنَّدَى * وَلَمْ يَكُ بَخْلُهُمَا يَدْعُهُ
فَكَفَّ عَنِ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةً * كَمَا تَقَصَّتْ مِائَةُ تِسْعَةٍ^(٢)
وَكَفَّ ثَلَاثَةَ آلَافِهَا * وَتَسْعُمِيهَا لَهَا شِرْعَةٌ^(٣)

١٠

(١) في الأصلين بعد قوله التيميم كلمة « فقال » والسياق يأبى وجودها ، وقد وردت هذه الحكاية في نهاية
الأرب ج ٣ ص ٣٠٣ طبع دار الكتب المصرية ولم تذكرها هذه الكلمة . (٢) كذا في اللسان
مادة شرع . وفي الأصلين « نخلنا » والكف مؤنث لا مذكر . وفي المصباح مادة كفف :
« قال ابن الأنباري » : وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر ولا يعرف تذكيرها من يوثق بعلمه .

(٣) في تاج العروس واللسان مادة شرع : كذا حفظ عن مائة سبعة * ١٥

وقد قيل : بمغرب حسابا خاصا غير ما هو معروف اليوم وهو حساب عقود الأصابع ، وقد وضعوا كلاً منها
بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوصاف الأصابع أحاداً وعشرات ومئات وألوفاً ، فينار عن الواحد مثلاً بقبض
الخنصر وعن الاثنين بقبض البصير وهكذا ، فالعدد الذي أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضى قواعدهم
في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبصير والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجبيل السبابة حدثه
غير شؤفة لتدل على عدد تسعين ، وهذا ترجيح رواية اللسان على رواية الأسنن . وكذلك تقضى قواعدهم في عدد
الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبصير والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجبيل سبابة اليسرى
حلقة غير مجتوبة لتدل على عدد تسعمائة . انظر « بلوغ الأرب في أسواق العرب » ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٩
(٤) يقال : هذا شرعة ذئب أي مثاله ؛ عن اللسان . ٢٠

قال أبو علي الضيرير :

لعمري أيبك ما نُسِبَ المَعْلَى * إلى كرم وفي الدنيا كريمُ
ولكن البلادَ إذا أقشَعَتْ * وصَوَّحَ نَبْثُهَا رُعيَ الهشيمُ

وقال آخر :

أَمِنْ خَوْفٍ فَقِيرٌ، تَعَجَّلَتْ * وَأَخْرَتْ إِنْشَاقُ مَا تَجَمُّعُ
فَاصْرَتْ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ * وَهَلْ كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

خَوْفُ رَجُلٍ رَجُلًا جَوَادًا الْفَقْرَ وَأَمْرَهُ بِالْإِبْقَاءِ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنْ أَرَاكَ
أَنْ أَتْرَكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ، لِأَمْرِ لَعَلَهُ لَا يَقَعُ. وقال أبو الشَّيْمَقِ :

رَأَيْتُ الْخَبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى * حَسِبْتُ الْخَبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِتَسْدُبَّ عَنَّا * وَلَكِنْ خِفْتَ مَرِزَةَ الذُّبَابِ

وقال دَعْبِلُ :

صَلَّقُ أَلَيْتَهُ إِذْ قَالَ مُجْتَهِدًا * لَا وَالرَّغِيفَ، فَذَاكَ الْبَرُّ مِنْ قَسَمِهِ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * عَلَى جَرَادِقِهِ^(٢) كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ
فَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ فَأَتَيْتُكَ بِخُبْرَتِهِ * فَإِنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ لَحْيِهِ وَدَمِهِ

وقال الشاعر :

أَرْفُقُ بِمَحْفِصٍ حِينَ تَأْتِي * كُلُّ يَامُعَاوِيٍّ مِنْ طَعَامِهِ
الْمَوْتُ أَيْسَرُ عِنْدَهُ * مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِهِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْيِيلِ بِهِ يُرَوِّعُ فِي مَنَامِهِ
سَيَّانُ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ

(١) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفئوسرافية "الخير" بدل "الخير".

(٢) جمع جرذ أو جرذقة، وهو الرغيف، وفي النسخة الألمانية «جرادقه» وهو اللغة الأصلية فيه.

لا تَكْسِرَتْ رَغِيفَهُ * إن كنت ترغبُ في كلامه
وإذا مررت ببابه * فاحفظ رَغِيفَكَ من غلامه

وقال أبو نؤاس :

خُبِرُ إِسْمَاعِيلَ كَالوِثْنِيِّ إِذَا مَا الْوِثْنِيُّ يَرْفَا
عَجَبًا مِنْ أثر الصَّنِيعَةِ فِيهِ كَيْفَ يَخْفَى
إِنْ رَفَاءَكَ هَذَا * أَحْذَقُ الْأُمَةِ كَفَا
فَإِذَا قَابَلَ بِالنَّصْفِ مِنْ الْجُرْدَقِ نِصْفَا
أَحْكَمُ الصَّنِيعَةِ حَتَّى * لَا تَرَى مَوْضِعَ إِشْفَى
مِثْلَ مَا جَاءَ مِنَ التَّنْشُورِ مَا غَادَرَ حَرْفَا
وَلَهُ فِي الْمَاءِ أَيْضًا * عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفَا
مَرْجُهُ الْعَذَبَ بِمَاءِ الْتَّيْبَرِ كَيْ يَدَادَ ضِعْفَا
فَهُوَ لَا يَشْرَبُ مِنْهُ * مِثْلَ مَا سَرَبُ صَرْفَا

باب الْحُمَقِ

قال الشعبي لرجل آستجبهله : «أحوجك إلى مُهْدَرِجٍ شَدِيدِ الْقَتْلِ جَيِّدِ الْجَلَّازِ
عَظِيمِ الثَّمَرَةِ لَدَيْنِ الْمَهْرَةِ يَأْخُذُ مِنْكَ فَيَا بَيْنَ عَجَبِ الدَّيْبِ وَمَغْرِزِ الْعُنُقِ تَمَكُّرُهُ رَقَصَاتِكَ
مِنْ غَيْرِ جَنْلٍ فَقَالَ : وَمَا هَذَا؟ فَقَالَ : بَعْضُ الْأُمْرِ .

- (١) في النسخة الفتنوغرافية : «أرفق» . (٢) في ديوان أبي نؤاس "مغرز" .
(٣) الإشفى : الميت . (٤) في ديوان أبي نؤاس : "لايسفك" ، وفي هامش النسخة الفتنوغرافية :
«يوضح الرواية التي هنا ، وهو أن يقدر بمول للقتل الثاني هو» ، البئر وبصية المعنى : لا يشرب من
'تمزج مثل ما يشرب من ماء البئر ، لأن في المزج من العذب ، يحمله على الحرص والتفتير .
(٥) في هامش النسخة الفتنوغرافية "المهدرج : السوط ، والجلاز : جودة القتل ، ولدن ، أى ابن" .
(٦) ثمرة السوط : عند طرفه . (٧) عجب الذنب : "عظم الذى فى أسفل الصلب عند المعبر" .

قال حدثني القومسي عن محمد بن الصلت الأسدي عن أحمد بن بشير عن الأعمش عن سامة بن كهيل عن عطاء عن جابر قال : كان في بني إسرائيل رجل له حمار فقال : يا رب لو كان لك حمار اعلفته مع حماري هذا ، فهم به نبي ، فأوحى الله إليه : إنما أئيب كل إنسان على قدر عقله .

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلا رأى في المنام أن له غنما وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية ، ففتح عينه فلم ير شيئا ، فغمض عينه ومدّ يده وقال : هاتوا أربعة أربعة .

مر رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زبيلان^(٤) قد كادا يخطمانه ، في أحدهما برؤ في الآخر تراب . فقيل له : ما هذا ؟ قال : عدلت البر بهذا التراب ، لأنه كان قد أمانني في أحد جانبي فأخذ رجل زبيل التراب فقلبه وجعل البر نصفين في الزبيلين وقال له : أحيل الآن ، فحملة ، فلما رآه خفيها قال : ما أعفلك من شيخ ! حفر أعراب لقوم قبرا في أيام الطاعون بدرهمين ، فلما أعطوه الدرهمين قال : يا بني دعوهُما عندكم حتى يجتمع لي ثمن ثوب . كانت أم عمرو بنت جندب بن عمرو بن جمة السدوسي عند عثمان بن عفان ، وكانت حتماء تجعل الخنثساء في فيها ثم تقول : حاجيتك ما في قمّي ؟ وهي أم عمرو وأبان أبن عثمان

إبراهيم بن المنذر قال حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : رأيت طارقا وهو وال لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعو بالغداء فيتغذى على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكون فيه العظم المبخ فينكته على رقانة المنبر فيأكله .

٢٠ (٤) الزبيل كأمير وسكين وتنديل : القفة .

قالت أم غزوان الرقاشي لآبئها - ورأته يقرأ في المصحف - : يا غزوان، أما تجد فيه بعيراً لنا ضلّ في الجاهلية؟ فما كهرها^(١) وقال : يا أمة، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً .

سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى قال : قال ابن أبي عتيق لرجل : ما أسمك؟ قال : وثائب، قال : فما كان أسم كلبك؟ قال : عمرو، قال : واخلافاه !

قال أبو الدرداء : علامة الجاهل ثلاث : العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه . وأن ينهى عن شيء ويأتيه . أغمى على رجل من الأزد فصاح النساء واجتمع الجيران وبعث أخوه إلى غاسل الموتى بخاء فوجده حياً بعد، فقال أخوه : أغسله فإنك لا تفرغ من غسله حتى يقضى . وقال أردشير : يحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل إنسان ينتفى منه ويتعصب إذا نسب إليه . وكان يقال : لا يغرنك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا إلف فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها .

قال عمر بن عبد العزيز : خصلتان لا تعدمانك من الجاهل : كثرة الالتفات وسرعة الجواب . وقال عمر بن الخطاب : إياك وهؤلاء الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك . وقال بعضهم : لأن أزاويل أحمق أحب إليّ من أن أزاويل نصف أحمق . يعني الأحمق المتعاقل . وقال هشام بن عبد الملك : يعرف حق الرجل بأربعة : بطول لحيته . وشناعة كنيته ، ونقش خاتمه ، وإفراط شهوته ، فدخل عليه ذات يوم شيخ طويل العثون ، فقال هشام : أها هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين هو من الثلاث بقليل له : ما كنيته؟ فقال : أبو الياقوت . وقالوا : ما نقش خاتمك؟ قال : (وجاءوا على

(١) كهر كنع : اتهر . (٢) في النسخة الألمانية : "لا تعد مابك" ، وفي النسخة العراقية

"لا يعد مابك" ولعل ما أثبتناه أقرب إلى الصواب .

فَمَيِّصِهِ يَدِيمُ كَذِبٍ) . وفي حكاية أخرى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ) ؛
فَقِيلَ لَهُ : أَيْ الطَّعَامُ تَشْتَهِي ؟ فقال : جَلَنَجَيْنَ^(١) ، وفي حكاية أخرى مصاصة^(٢) .

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادى رجلاً : يا أبا العُمَين ، فقال : لو كان له عقلٌ
كفاه أحدهما ، وقال أبو العَاجِ يوماً لجلسائه — وكان يلى واسطاً — : إِنَّ الطَّوِيلَ لَا يَخْلُو
مَنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِحْدَى ثَلَاثَ : أَنْ يَفْرُقَ الْكَلَابَ ، أَوْ يَكُونَ فِي رِجْلِهِ قُرْحَةً ، أَوْ يَكُونَ
أَحْمَقَ ، وَمَا زِلْتُ وَأَنَا صَغِيرٌ فِي رِجْلِي قُرْحَةً ، وَمَا فَرِقَ الْكَلَابَ أَحَدٌ فَرَّقِي ، وَأَمَّا الْحَقُّ
فَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِوَالِكُمْ . ويقال : الْأَحْمَقُ أَعْلَمُ بِشَأْنِهِ مِنَ الْعَاقِلِ بِشَأْنِ غَيْرِهِ . وقال بشار :
خَلِيلٌ إِنْ الْعَسْرَ سَوْفَ يُفْسِقُ * وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ خَلِيقُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا * صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أَمُوتُ
ذَرِينِي أَشْبَ هُمَى بِرَاجٍ فَإِنِّي * أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ وَمَضِيقُ

وقال رجل : فَلَانٌ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَنْ يُدَاوِي بَدَنَهُ . قيل لبعض
الحُكَمَاءِ : مَتَى يَكُونُ الْأَدَبُ شَرًّا مِنْ عَدَمِهِ ؟ قال : إِذَا كَثُرَ الْأَدَبُ وَنَقَصَ الْعَقْلُ .

وقرأت في كتاب للهند : مِنْ أَلْحَقِ الْتَمَاسِ الرَّجُلِ الْإِخْوَانَ بِغَيْرِ وِفَاءٍ ، وَالْأَجْرَ
بِالرِّيَاءِ ، وَمَوَدَّةَ النِّسَاءِ بِالْغِلْظَةِ . وَنَفَعَ نَفْسَهُ بِضَرِّ غَيْرِهِ ، وَالْعِلْمَ وَالْفَضْلَ بِالْمَدَّةِ
وَالْحَقِيقُ . وفيه : ثَلَاثَةٌ يَهْزَأُ بِهِمْ : مَدْعَى الْحَرْبِ وَلِقَاءُ الرُّحُوفِ وَشِدَّةُ النَّكَايَةِ
فِي الْأَعْدَاءِ وَبَدَنُهُ سَلِيمٌ لَا أَثَرُ بِهِ ، وَمُتَحِلٌّ عِلْمِ الدِّينِ وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلِيظُ

(١) في مفردات ابن البيطار ج ١ ص ١٦٦ أنه الورد مرقي بالعدل أو بالسكر . وفي أقرب الموارد أنه
محمون يعمل من الورد والعدل ، فارسي معرب من «كل» ومعناه ورد و«انكبين» ومعناه غسل .

(٢) لعلها محرفة عن مصوص بفتح الميم وضم الصاد وهو كما في القاموس طعام من اللحم يطبخ وينقع
في الخل أو يكون من اللحم الطير خاصة .

(٣) هكذا وردت هذه الجملة بالأصل ، ولعلها : «العافل بشأن غيره أعلم من الأحق بشأنه» لأن الكلام
في ذم الحق .

الرقبة أسمن من الأئمة، والمرأة الخلية تعيب ذات الزوج . وفيه : من يعمل بجهل
نحسة : مستعمل الرماد في جثته بدلاً من الزبل ، ومظهر مستور عورته ، والرجل
يتزّياً يزي المرأة والمرأة تتزّياً يزي الرجل ، والمتملك في بيت مضيّفه ، والمتكلم بما
لا يعنيه ولا يسأل عنه . وفيه : الأدب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحق سكرًا ،
كما أن النهار يزيد كل ذي بصر بصرًا ويزيد الخفافيش سوء بصر . وكانوا يكرهون
أن يزيد منطق الرجل على عقله .

قال الشاعر في جاهل :

مالي أرى الناس يأخذون ويعطون ويستمتعون بالنشيب
وأنت مثل الحمار أبهم لا تشكو جراحات السن العريب

سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أم دحت أم هجيت ، فقال الأحنف :
أسترحت من حيث تعب الكرام .

كان عامر بن كرز أبو عبد الله بن عامر من حمق قريش ، نظر إلى ابنه عبد الله وهو
يخطب فاقبل على رجل إلى جانبه وقال : إنه والله خرج من هذا وأشار إلى ذكره .
ومن حمق قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل وكان أبو لهب قاصده
فقمره . آله ثم داره ثم قليلة وكثيره وأهله ونفسه فأخذ عبداً وأسلمه قيناً ، فلما كان
يوم بدر بعث به عن نفسه فقتل ببدر كافراً ، قتله عمر بن الخطاب . وكان خال عمر .
ومن حمق قريش الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث ، قال له يوماً بجالسوه :
ما بال وجهك أصفر ! أتشتكي شيئاً ؟ وأعادوا عليه ذلك ، فرجع إلى أهله يلومهم
ويقول لهم : أنا شاي ولا تعلموني ! ألقوا على الثياب وأبعثوا إلى الطبيب . ومارض
مرة فعاده أصحابه وجعل لا يتكلم ، فدخل شراء بن عبيد الله بن الزندبوذ وكان أمارح

(١) غارة الأساف « فأسلمه قينا وكان يأخذ منه ضريبة » ج ٤ ص ١٩

أهل الكوفة، فعرف أنه ممرض فقال : يا فلان كذا أميس بالحيرة فأخذنا الخمر ثلاثين قنينة بدرهم، والخمر يومئذ ثلاث قناتي بدرهم، فرفع الأخوص رأسه وقال : كذا مني في كذا من أم الكاذب، وأستوى جالسا، فثر أهله على شراعة السكر؛ فقال له شراعة : آجلس لا جلست وهات شرابك، فشربا يومهما .

٥ ومن حمق قريش بكار بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ينهيه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لما يعرف من حمق أبه . فجلس يوما إلى خالد ، فقال بكار : أنا والله كما قال الأول :

* مرّدد في بني الخنساء ترديدا *

وكان له باري فقال لصاحب الشرطة : أغلق أبواب المدينة لئلا يخرج البازي .

١٠ ومن حمق قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان . بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طحان نظر إلى حمار الطحان يدور الرحا وفي عنقه جمل ، فقال للطحان : لم جعلت في عنق الحمار جملًا؟ فقال : ربما أدركتني سامة أو نعسة فإذا لم أسمع صوت الجمل علمت أنه قام فصعقت به ، فقال معاوية : أرايت إن قام وحرك رأسه ما علمك أنه قائم؟ قال الطحان : ومن لحماري بمثل عقل الأمير! .

١٥ وقال معاوية هذا لأبي امرأته : ملأتنا آبتك البارحة بالدم ، فقال : إنها من نسوة يحبأن ذلك لأزواجهن . وقال له أيضا يوما آخر : لقد نكحت آبتك بعصبة ما رأيت مثلها قط ، قال : لو كنت عينا ما زوجناك .

ومن حمق قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، قال يوما : لعن الله الوليد أنى فإنه كان فاجرا ، والله لقد أرايتني على أن يفعل بي ؛ فقال له قائل : أسكت فوالله لئن كان هم لقد فعل .

٢٠

خطب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه ، فقالت : هو أحق
لا أتزوجه أبداً ، له برذونان أشهبان فهو يحتمل مئونة اثنين وهما عند الناس واحد .
وأخبرني رجل أنه كان له صديق له برذونان في شية واحدة فكلا لا نظن إلا أن له
برذونا واحداً ، وغلامان يُسميان جميعاً بفتح ، وكان إذا دعا واحداً قال : يا فتح الكبير ،
وإذا دعا الآخر قال : يا فتح الصغير .

قال أبو عبيدة : أرسل ابن لعجل بن لحيم فرساً له في حلبه بجاء سابقاً ، فقال لأبيه :
يا أبت ، بأي شيء أسميه ؟ فقال : آفقا إحدى عينيه وسمه الأعور . وقال الشاعر :
رمتني بنو عجل بداء أيهم * وأي عباد الله أنوك من عجل !
أليس أبوهم عار عين جواده * فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

ومن عجل "دغة" التي يضرب بها المثل في الجهل ، فيقال : هي دغة بنت مغنج ؛
ويقال : دغة لقب ، وأسمها مارية بنت زمعة . قال أبو اليقظان : ومن عجل حيان
ابن غضبان ورث نصف دار أبيه فقال : أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري
النصف الباقي فتصير كلها لي .

ومن القبائل المشهور فيها الحمق "الأزد" . قال رجل منهم في المهلب بن أبي صفرة :

نعم أمير الرفقة المهلب ١٠ أبيض وضاح كتييس الحلب^(٢)
* ينقض بالقوم أنقضاض الكوكب *

(١) يقال : "أحق من دغة" أورده الميداني في جمع الأمثال وقال في شرحه : إنها مارية بنت مغنج
بالعين المهملة ورواه صاحب اللسان في مواد «غنج ودغا وجعر» بالعين المسجمة ، وفي شرح القاموس
مادة جعر نقلا عن البكري في شرح أمالي القائل أن المفضل بن سدة قال : من أعجم العين فتح الميم ومن
أهلها كسر الميم . وها قصة مشهورة أوردها الميداني في جمع الأمثال طبع بولاق ج ٢ ص ١٩٣

(٢) يقال تيس حلب وتيس ذو حلب . والحلب بقلعة بجمدة غرباء في خضرة تنسط على الأرض يسيل
منها اللبن إذا قطع منها شيء . وهي تنبت في القبط بالقيعان وشطآن الأودية .

فلما أنشده المهلب، قال : حسبك رحمك الله ! .

ومن أشعارهم :

يأرب جارية في الحى حالية * كأنها عومة^(١) في جوف راقود

وقال آخر منهم :

زياد بن عمرو عينه تحت حاجبه * وأسنانه بيض وقد طر شاربه

وقال عمرو بن بلح^(٢) يصف إبلا :

تصطك^(٣) الحياء على دلائها * تلاطم الأزدي على عطاءها

وقال أبو حية الثمري :

وكان غلى دنائهم في دورهم * لفظ^(٤) العتيك على خوان زياد

١٠ كتب مسلمة بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب : والله ما أنت بصاحب هذا الأمر، صاحب هذا الأمر مغمور موتور^(٥) وأنت مشهور غير موتور، فقام إليه رجل من الأزد فقال : قدم أبنتك مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا .

١٥ قام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد فقال : أصلح الله الأمير، إن امرأتى هلك وأردت أن أتزوج أمتها وأزوج أبنتها وهذا عريفي^(٥)، فأعني في الصداق، فقال : في كم أنت من العطاء؟ قال : في سبعمائة، قال : حطأ عنه أربعمائة، يكفيك ثلثمائة .

(١) ذريعة تسبح في الماء . (٢) ورد بالأصلين « عمرو » والتصويب من الكامل

للبرد ص ٣٢٤، ٦٣ طبع ليسج وأما في النجاشي ح ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ٣٢٦ طبع بولاق واللسان

مادة « بلح » . (٣) ألحيا جمع لحي على أفعل، وكثرت الحاء للنسبة الياء، والهي : منبت اللحية .

٢٠ (٤) العتيك بالألف واللام : نغذ من الأزد والنسبة إليها عتيكي .

(٥) العريف : القيم أمور القبيلة أو الجماعة من الناس إلى أمورهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم .

ومن حمق الأزدي قبيصة بن المهلب ، رأى جرادا يطير فقال : لا يهولنكم ما ترون
فإن عاتتها موتى . وقال يوما : رأيت غُرْفَةً فوق بيت . وقال لعلامه : أذهب إلى
بياض الملاء .

ومن حمق العرب كلاب بن صمصمة ، خرج إخوته يشترون خيلاً وخرج معهم
كلابٌ بغاء يعجل يقوده ، فقال له إخوته : ما هذا ؟ قال : فرسٌ اشتريته ، قالوا :
يا مائق ، هذه بقرة أما ترى قرنيها ! فرجع إلى بيته فقطع قرنيها ، فأولاده يدعون
« بني فارس البقرة » . قال الكمي : .

ولولا أمير المؤمنين وذبه * يحيل عن العجل المبرقع ماصهل^(١)

وكان شذرة بن الزبير قان من الحمق ، دخل يوم الجمعة المسجد فأخذ بعضادتي الباب^(٢)
ثم قال : السلام عليكم ، أبلغ شذرة ؟ فقالوا له : هذا يومٌ لا يُستأذن فيه ، قال : أبلغ
مثلى على جماعة مثل هؤلاء ولا يعرف مكانه !

عوانة قال : استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً فقال : لعن
الله المجوس ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف ما نكحت أُمى ، فبلغ
ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله ! أثرونه لو زادوه فعل ! وعزله .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : سأل القوم الحارث بن جران أن يعينهم في تأسيس
مسجد ، فقال : قيروه وعلى الودع .

خطب والى الإمامة فقال : إن الله لا يقار على المعاصي عباده ، وقد أهلك أمة
عظيمة في ناقة ما كانت تُساوى مائتي درهم ، فسُمي مقوم الناقة .

شرد بعير لخبقة ، وأسمه يزيد بن ثروان ، فقال : من وجد بعيرى فهو له ، فقبل
له : وما ينفعك من هذا ؟ قال : إنكم لا تدرون ما حلاوة الوجدان .

(١) المبرقع : الذى أخذت غرته جميع وجهه . (٢) عصادات الباب : الخشبَان المنصوبَان
من يمين الداخل منه وشماله .

وقال المنصور للربيع : كيف تعرف الريح؟ قال : أنظر إلى خاتمي فإن كان سليسا فهي شمال وإلا فهي جنوب؛ فسأل القاسم بن محمد الطلحي عن ذلك؛ فقال : أضرب بيدي إلى خضيتي فإن كانتا قد قلصتا فهي شمال وإن كانتا متدليتين فهي جنوب.

قال أبو كعب القاص في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كيد حمزة ما قد علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كيد حمزة. وكان يقول في قصصه : ليس في خير ولا فيكم، فتبلفوا بي حتى تجدوا خيرا مني. وقال هو أو غيره في قصصه : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا؛ قالوا : فإن يوسف لم يأكله الذئب؛ قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال : كان قاص يقص في المسجد فيقول : مثل الكافر مثل قصر الإسكاف خارجة حسن وداخله محرقة، ومثل المؤمن مثل قصر زربي جداره كالخ وداخله زهرة. ويقول : وما الدنيا! أخزى الله الدنيا! إنما مثلها مثل آير حمار، بينا هو قد أنعط إذ طفي. وقال : المؤمن غذاؤه فلقه وسمكته سلقه ودواؤه علقه ومرقته سلقه.

أصاب داود المصاب مصيبة فاغتم؛ فقال له صاحب له : لا تثم الله في قضائه؛ فقال داود : أقول لك شيئا وتكتمه؟ قال : نعم؛ قال : والله ما صاحبي غيره. واستشاره رجل في حمل أمه إلى البصرة، وقال : إن حملتها في البر خفت عليها اللصوص، وإن حملتها في الماء خفت عليها الغرق؛ فقال : خذها سفتجة.

(١) قصر بالبصرة في سكة الميربد لمسلم بن عمرو بن الحصين بن قتيبة بن مسلم، وكان يليه غلام يقال له : زربي. (٢) الفلق : الكسرة. والشلق : شيء من خلفة السمكة صغيره رجلان عند ذنبه كرجل الضفدع لا يدين له يكون في أنهار البصرة وليست بعريية. كذا في اللسان. والعلقة : تجري في الشئ تبلى به الإبل حتى تدرك الربيع. والسلق : الجرادة، لعله يريد أنه يجترى من المرق بالليل منه حتى إنه ليكفيه مرق جرادة واحدة. (٣) السفتجة : أن تعطى مالا لرجل له مال في بلد تريد أن تسافر إليه فتأخذ منه خصا من عند المال في ذلك البلد أن يعطيك مثل مالك الذي دفعته إليه قبل سفرك، وهو معرب سفته بالفارسية ومعناها الشيء المحكم، سمي به هذا القرض لإحكام أمره.

دعا بعضُ السلاطينِ مجنونين ليضحك منهما ، فاسمعهما فغضبَ فدعا بالسيف ؛ فقال أحدهما للآخر : كنا اثنين وقد صرنا ثلاثة . قال رجل لابن سيابة مولى بني أسد : ما أراك تعرفُ الله ؛ قال : أتراني لا أعرفُ من أجاعني وأعراي وأنحزاني . قيل لأعرابي : كيف رُكَّ بأمك ؟ قال : ما قرعتها سوطاً قط . وقيل لآخر وهو يضربُ أمه : ويحك ! تضربُ أمك ! فقال : أحبُّ أن تنشأ على أدبي . وقال بعض الشعراء :

جُنُونُكَ بِجُنُونٍ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ * طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

وقال آخر :

وكيف يُفِيقُ الدهرَ كعبُ بنِ نَاشِبٍ * وشيطانُهُ بينَ الأهلَةِ يَصْرَعُ
وقال أعرابيٌ وذكر الله عز وجل :

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جَمْعَةٍ * وَأَبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ فِي عَامٍ^(١)

كان أبو العجاج والي واسط ، وأتاه صاحبُ شرطته بِقَوَادَةٍ فقال : أصلح الله الأمير ، هذه قَوَادَةٌ ؛ قال : وأى شَيْءٍ تَصْنَعُ ؟ قال : تجعُّ بين الرجال والنساء ؛ قال : لماذا ؟ قال : للزنا ؛ قال : وإنما أتيتني بها لتعرفها منزلي ! خلَّ عنها لَعْنَةَ اللَّهِ . وأتاه يوماً بِمُحَنِّثٍ ؛ فقال له : ما هذا ؟ قال : مُحَنِّثٌ ؛ قال : وما يصنعُ ؟ قال : يَنكَحُ كَمَا تُنكَحُ الْمَرْأَةُ ؛ قال : يَبْدُلُ هَذَا آسَتَهُ وَأَحْظَرُ أَنَا عَلَيْهِ ! أَذْهَبُ يَا بَنَ أَخِي فَأَرْتَدُّ لَهَا .^(٢)

خطبَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُورٍ بِخُرَّاسَانَ فقال : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر ؛ فقيل له : إنها ستة أيام ؛ فقال : والله لقد قلتها وأنا أستقيها .

(١) مدرت الحوض أمده ، أى أصلحته بالمدد وهو قطع الطين اليابس .

(٢) كذا في الأصل "تفتوغرائي" ، وفي النسخة الألمانية : «فارتد بها» .

تغذى رجلٌ عند سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ ولي عهدٍ وقُدَّامه جدى ، فقال له سليمان : كُلُّ من كُليته فإنها تزيد في الدماغ ؛ فقال : لو كان هذا هكنا كان رأس الأمير مثل رأس البغل .

أبو عبيدة : أُجريت الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ بفعل رجل من النظارة يُكبر ويثبُّ من الفرح ؛ فقال له رجلٌ إلى جانبه : يا فتى ، هذا الفرسُ فرسك؟ قال : لا ولكنَّ الجَمام لي . دخل أبو عتاب على عمرو بن هذَّاب وقد كُفَّ بصره والناس يُعزونه ، فقال : يا أبا زيد ، لا يسوءُكَ ذهابُهما ، فإنك لو رأيتَ ثوابهما في ميزانك تمنيتَ أن الله قطعَ يديكَ ورجليك ودقَّ ظهرك . كان رجلٌ يقودُ أعمى يكرأ ، فكان الأعمى ربما عثر فيقول : اللهم أبدلني به قائدًا خيرًا منه ؛ ويقول القائد : اللهم أبدلني أعمى خيرًا منه .

أدعى أبو بكر الشَّيباني إلى العرب ذات ليلة فاصبح من الغد على الشمس فقعدَ فيها فنارت به مِرَّةٌ ، بفعل يَحْكُ جسده بأظفاره نَحْمًا ويقول : إنما نحن إبل ؛ فقال له قائل : والله إنك تُشبهُ العرب ؛ فغضب وقال : أيقال لى هذا ! أنا والله حرباءٌ تنضبُ^(١) ، يشهد لى سواد لوني وغُور عيني وحُبِّي للشمس .

١٥ قيل لأبي السَّفاح عند موته : أوصيه ؛ فقال : إنا لكرامُ قومٍ طَخْفَةٌ^(٢) ؛ قالوا : قل خيرًا يا أبا السَّفاح ؛ فقال : إن أحبَّتْ أمراؤى فأعطوها بعيرا ؛ قالوا : قل خيرًا ؛

(١) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٩ وفي الأصلين «عمر بن هذاب» وهو تعريف .

(٢) في الأصلين «منضبة» وتصحيح عن لسان العرب في مادة «نصب» وحياة الحيوان ج ١ ص ٢٠١ والنضبة واحدة التنضب وهو شجر له شوك قصار تألفه الحراي .

٢٠ (٣) طخفة بالسر والفتح : جبل أحمر طويل حذاء آبار ومنهل . ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على نابوس بن المنذر بن ماء السماء .

قال : إذا مات غلامى فهو حرّ . وقيل لرجل عند موته : قل لا إله إلا الله ، فأعرض ،
فأعادوا عليه مرارا . فقال : أخبروني عن أبي طالب أقالها عند موته ؟ قالوا : وما
أنت وأبو طالب ! قال : لا أرغبُ بنفسى عنه . ولما احتضر العجير السلولى قال
لقبوم عنده : أنا فى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، والله لئن
وجدتُ لى عند الله موصعا لأكلمته فيكم . وقيل لأوس بن حارثة عند موته : قل
لا إله إلا الله . فقال : لم يأن لها بعد . وقيل لآخر عند موته : ألا توصى ؟ قال :
أنا مغفورٌ ، قالوا : قل إن شاء الله ، قال : قد شاء الله ذلك ، قالوا : لا تدع
الوصية ، فقال لبنى أخيه :

بني حريث أرفعا وسادى * وأحتفظا بالجلّة الجلاد

١٠ : فإنما حولكما الأعدى *

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان والغيران
والسكران . قالوا : فما تقول فى المنعيط ؟ فضحك وقال :

وما شر الثلاثة أم عميرو * بصاحبك الذى لا تصبَحينا

قال الوليد : ألا إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : إن المجحاج جلدة ما بين
عيني . ألا وإن المجحاج جلدة وجهى كله .

١٥

خطب عتاب بن ورقاء ثحث على الجهاد وقال : هذا كما قال الله تعالى :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا * وعلى الغانيات جرّ الدُّيُول

وقال آخر فى الربيع والى الإمامة :

شهدتُ بأن الله حقّ لقائؤه * وأن الربيع العامرى رقيق^{١١}

٢٠

أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

(١) كذا : نسخة الألمانية وهو الموافق لما فى العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٢ والبيان والتبيين للجاحظ

ص ١٧ المنبعة العلمية سنة ١٣١١ هـ وفى الأصل الفتنونرافى : « رفيع » بالفاء وهو تحريف .

دخل شابٌ على المنصور فسأله عن وفاة أبيه ، فقال : مات رحمه الله يوم كذا وكذا ، وكان مرضه رضى الله عنه كذا وكذا ، وترك عفا الله عنه من المال كذا وكذا ؛ فاتهره الربيع وقال : أين يدى أمير المؤمنين توالى الدعاء لأبيك ! فقال الشاب : لا ألومك ، إنك لم تعرف حلاوة الآباء ؛ فما علم أن المنصور ضحك مثل ضحك يومئذ . وكان الربيع لقيطاً .

دخل رجلٌ من بنى هاشم على المنصور فاستجلسه ودعا بغدائه فقال للفتى : أدنه ؛ فقال : قد تغذيت ؛ فلما خرج استخف به الربيع ودفع في قفاه ، وقال : هذا كان يسلم من بعيد وينصرف ، فلما استدناه أمير المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه الى طعامه تبدل بين يديه فبلغ من جهله بفضيلة المنزلة التى صيره فيها أن قال : قد تغذيت ، وإذا ليس عنده لمن تغدى مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع .

يونس الهجرى قال : مات رجلٌ من جند أهل الشام حضر الجحاج جنازته ، وكان عظيم القدر ، فصلّى وجلس على قبره وقال : ليتزل قبره بعض إخوانه ؛ فترل نفر منهم ، فقال أحدهم وهو يسوى عليه : رحمك الله أبا فلان ! إن كنت ما علمت لك لجيد الغناء وتسرع رب الكأس ، ولقد وقعت فى موقع سوء لا تخرج منه الى الذكة ؛ فما تمالك الجحاج أن ضحك فاكثر . وكان لا يكتر الضحك فى جد ولا هزل ، ثم قال له : لا أم لك ! هذا موضع هذا ! قال : أصلح الله الأمير ، فريسي حبيس لو سمعه يتغنى : « يالبنى أوقدى النارا ، لانتشر الأمير على سعة ، وكان الميت يلقب سعة ، وكان من أوحش خلق الله صورة وأدمهم ؛ فقال الجحاج : إنا لله ! أخرجه عن القبر ، ثم قال : ما أين حجة أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشام . ولم يبق أحد حضر القبر إلا استفرغ ضحكاً .

(١) فى الأصلين : « وتبدل » والسياق يقتضى حذف الوار .

تبع داودُ بنُ المُعْتَمِرِ امرأةً ظنَّ أنها من الفواسد، فقال لها : لولا ما رأيتُ عليك
 مِنْ سِمْيَا الخَيْرِ لَمْ أَتَّبِعْكَ ؛ فَضَحِكَتِ الْمَرْأَةُ وَأَسْنَدَتْ ظَهْرَهَا إِلَى الْحَائِطِ ثُمَّ قَالَتْ :
 إِنَّمَا يَعْصِمُ مِثْلِي مِنْ مِثْلِكَ سِمْيَا الخَيْرِ ، فَإِذَا صَارَ سِمْيَا الخَيْرِ هُوَ الدَّالُّ لِمِثْلِكَ عَلَى مِثْلِي
 فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ . كَانَ بَهْلُولُ الْمُجَنُونُ يَتَغَنَّى بِقِرَاطٍ وَلَا يَسْكُتُ إِلَّا بِدَانِيٍّ . وَكَانَ
 رَجُلٌ يَهُودِيٌّ جَارِيَةٌ تَتَخَلَّفُ فِي حَوَائِجِ أَهْلِهَا ، وَكَانَتْ إِذَا خَرَجَتْ إِلَى السُّوقِ وَلَمْ يَعْلَمْ
 بِخُرُوجِهَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَرَأَاهَا قَالَ وَهُوَ يُسْمِعُهَا : (لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنْ
 الْخَيْرِ) ، وَإِنْ وَعَدْتُهُ شَيْئًا فَأَخْلَفْتُ قَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) ،
 فَإِنْ تَغَضَّبْتُ لَشَيْءٍ بَلَغَهَا عَنْهُ قَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا
 فَتَبَيَّنُوا) .

١٠ مرةً بَعْضُ الْحَمَقِ بِأَمْرَاءِ قَاعِدَةٍ عَلَى قَبْرِ وَهَى تَبْكِي . فَرَفَّقَ لَهَا وَقَالَ : مَنْ هَذَا الْمَيْتُ ؟
 قَالَتْ : زَوْجِي ؛ قَالَ : فَمَا كَانَ عَمَلُهُ ؟ قَالَتْ : يَحْفِرُ الْقُبُورَ ؛ قَالَ : أَبْعَدَهُ اللَّهُ
 أَمَا عَلِمَ أَنَّ مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً وَقَعَ فِيهَا ! أَحَدَثَ رَجُلٌ مِنَ الْحَمَقِ لَيْلَةً عَلَى بَابِ رَجُلٍ ،
 فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ زَلِقَ وَوَقَعَ عَلَى ذِرَاعِهِ فَانْكَسَرَتْ ، وَاجْتَمَعَ الْجِيرَانُ وَجَعَلُوا يَخْتَصِمُونَ
 وَيُوقِعُونَ الظَّنُونَ وَهُوَ نَاحِيَةٌ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا قَالَ :

١٥ رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَخِينِيهَا رَجُلٌ . وَيَصْلِي حَرْهَا قَوْمٌ بُرَاءُ
 فَأَخَذُوهُ وَقَالُوا : أَنْتَ صَاحِبُنَا . قَالَ دَاوُدُ الْمَصَابِ : رَأَيْتُ رُؤْيَا نِصْفُهَا حَقٌّ
 وَنِصْفُهَا بَاطِلٌ ، رَأَيْتُ كَأَنَّ عَلَى عُنُقِ بَدْرَةٍ (٢) مِنْ ثِقَلِهَا أَحَدْتُ فَاسْتَيْقِظْتُ فَرَأَيْتُ
 الْحَدَثَ وَلَمْ أَرِ الْبَدْرَةَ . رَأَيْتُ أَعْرَابِيَّ يَبْكِي بِكَاءٍ شَدِيدًا ، فَسُئِلَ عَنْ سَبَبِ بُكَائِهِ
 فَقَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ جَالُوتَ قُتِلَ مَظْلُومًا . رَأَى رَجُلٌ أَحْمَقُ شَيْخًا فِي الْحَمَامِ (٣) أَعْكَنَ

٢٠ (١) القيراط : نصف الدانق ، والدانق سدس الديار . (٢) البدره : كيس فيه ألف أو عشرة
 آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار . لساد العرب . (٣) أعكن : ليل ، أى فى بطنه عكن وهى ثناياها .

البطن، فقال له : يا عم إني أشتهي أن أضع هذا — يعني ذكرك — في سُرَّتِكَ؛ فقال له الشيخ : يا ابن أخي فأين يكون أسْتُكَ حينئذ. نزل يهودى على أعرابي فمات عنده، فقام الأعرابي يُصَلِّي عليه فقال : اللهم إنه ضيفٌ وحقُّ الضيف ما قد علمت، فأَمِهَلْنَا إلى أن تقضى ذِمَامَهُ ثم شَأْنُكَ والكلب .

وحدثني عبدُ الرحمن عن الأصمعيّ قال : كان بين اثنين عبدٌ فقام أحدهما بفعلٍ يضرُّ به، فقال له الآخرُ شريكهُ : ما تصنع ! قال : إنما أضربُ حصَّتي . قال أعرابيٌّ لرجل : ما أسمُكَ ؟ قال : عبد الله، قال : آبنُ مَنْ ؟ قال : آبنُ عبيد الله، قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو عبد الرحمن، قال : أشهدُ إنك لتلوذُ باللهِ لو آذَ يَتِمَّ جَبَانٌ . قال بعضهم : رأيتُ رجلين بالبصرة على باب مؤنسٍ يتنازعان في العنب النيروزي والرازي^(١) : أيهما أطيبُ، فخرى بينهما كلامٌ إلى أن تواتبا، فقطع الكوفي إصبعَ البصريِّ وفقاً البصريُّ عينَ الكوفي، ثم لم ألبثُ إلا يسيراً حتى رأيتُهما متصافيين متناديين .

قال وقال بُمَامَةُ : مررتُ في غبِّ سماءٍ والأرضُ نديَّةٌ والسماءُ مُنْغِيمةٌ والريحُ تَمَلُّ وإذا شيخٌ أصفرُ كأنه جرادَةٌ، وقد قعد على قارعةِ الطريق وحجَّامٌ يَحْجِمُهُ على كاهله وأخذَ عِيَهُ بِمَاجِمٍ كأنها قِعَابٌ وقد مَصَّ دَمَهُ حتى كَادَ يَسْفَرُغُهُ؛ فَوَقَفْتُ وقلتُ : يا شيخُ لمَ تَحْتَجِمُ ؟ قال : لمكان الصَّفَار الذي بي . أتى الطَّمَحَانُ قَوْماً يعودُ عليهم فعرَّاهمُ به، قالوا : إنه لم يَمُتْ به فرجع وهو يقول : يموتُ إن شاء الله . يموتُ إن شاء الله .

أبو حاتم عن الأصمعيّ عن نافع قال : كان الغاصِرِيُّ مِنْ أَحْمِقِ النَّاسِ بِفَقِيلٍ لَهُ : مَا حَقُّهُ ؟ بفعلٍ يَتَرَبَّثُ^(٢)، فلما أَكْثَرَ عَلَيْهِ قال : قال لي مرَّةً : البحرُ مِنْ حَفَرِهِ ؟ وَهَا حُفِرَ فَأَيْنَ نَبِيئُهُ^(٣) ؟ أَرَأَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَدَرٍ عَلَى أَنْ يَحْفِرَ مِثْلَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ؟

(١) في النسخة الألمانية «مونس» . (٢) يَتَرَبَّثُ : يَتَلَبَّثُ .

(٣) النبيَّة : تراب البئر والنهر .

دخل رجلٌ من الحمقى من الشعراء على رجل من الأشراف يُقالُ في نسبه، فقال :
إني قد آمنتُ بِكَ بِشَعْرٍ لم تُمَدِّحْ قطُّ بأَنفَعِ لك منه ؛ قال : ما أحوَجَني إلى المنفعة
فَهَاتِهِ ؛ فقال :

سألتُ عن أصلِكَ فيما مضى * أبناءُ سبعينَ وقد نيفُوا
فَكُتُّهُمْ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ * مُهَدَّبٌ جَوْهَرُهُ يَعْرِفُ

فقال له : قُمْ في لعنة الله وفي سُخْطِهِ ! لعنكَ الله ولعنَ مَنْ سألْتَ وَمَنْ أَجَابَكَ .
وحدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : جاء رجلٌ من الأعراب إلى عمِّه فقال :
يا عمِّ ، إن ولَدَ جاريةَ آلِ فلانٍ مِنِّي فاقْتَدِهْ ، ففعل ؛ ثم جاءه مرةً أخرى فقال له مثل
ذلك ؛ فقال له عمُّه : اوْعَزَلْتَ ! قال : بلغني أن العَزَلَ مكروهٌ .

قال : وحدثنا الأصمعيّ قال : بلغني عن شيخٍ جَرَعَ على ميتٍ جَزَعًا شديدًا ، فقليل
له في ذلك ؛ فقال : نحن قومٌ لم نَتَعَوَّدِ الموتَ . .

أبو الحسن الجعفری قال : قيل لكَرْدَمِ السَّدُوسِيِّ : كُلُّ ؛ قال : ما أريدُ ؛ قيل :
وَلَمْ ؛ قال : أَكَلْتُ قَلِيلَ أَرِزٍ فَكَثُرَتْ مِنْهُ . ضَلَّ بَعِيرُ الْأَعْرَابِيِّ بِفَعْلٍ يَنْشُدُهُ إِلَى أَنْ
دخلَ الإمارةَ فَأَخَذَ مِنْهَا بَعِيرًا ؛ فقليل له : إن بَعِيرَكَ كَانَ أَعْرَابِيًّا ؛ قال : إنه لما
أَكَلَ مِنْ مَالِ الإمارةِ تَجَنَّتْ^(١) .

الهيثم عن ابن عباس قال : لما وَلِيَ مَرُوانُ وَجْهَ جيشِ ابنِ دُبَلْجَةَ الْفَيْنِيِّ إلى المدينة
وكان يصعدُ المنبرَ ومعه الكُكَّةُ من التمرِ فياكلُها ثم يُلْقِي النوى على وجوه أهل المدينة
يمينًا وشمالًا ، ثم يقول : يا أهلَ المدينة ، إني لأَعْلَمُ أن هذا المكانَ في حرْمته وموضعه

(١) تجنّت صار يُخَيَّبًا جمعه بخاتي وهي الإبل الخاسانية .

ليس موضع أكل ولا شرب، ولكني أحب أن أريكم هوانكم على الله . قيل لمعلم بن معلم : مالك أحمق ؟ قال : لو لم أكن أحمق كنت ولد زنا . قال بعض الشعراء :
فإن كنت قد بايعت مروان طائفا * فصرت إذا بعد المشيب معلما

وقال آخر :

وكيف تُربّي العقل والرأي عند من * يروح على أنثى ويغدو على طفل

ابن المدائني قال : تخول أبو عبد الله الكرخي^(١) إلى الخريبة^(٢) فادعى الفقه وظن أن ذلك يجوز لمكان لحيته وسميته ، فأتى على باب دار البواري وجلس مجلس إليه قوم فقال له رجل منهم : يا أبا عبد الله ، رجل في الصلاة أدخل إصبعة في أنفه فخرج عليها دم ، أي شيء يصنع ؟ قال : يتجيم^(٣) رحمك الله ، فقال له السائل : ظننت أنك فقيه ولم أدرك أنك طبيب . قال رجل للشعبي : إني أجد في قفاي حكة فترى لي أن أحجيم ؟ فقال الشعبي : الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الجحامة . وقال له آخر : رجل استمنى في يوم من شهر رمضان هل يؤجر ؟ قال : أو ما يرضى أن يفلت رأسا برأس . نازع التيمي رجل من بني عمه في حائط بينهما فبعث إلى قوم يشهدهم ، فأتاه جماعة من القبائل ، فوقف بهم على ذلك الحائط وقال : أشهدكم جميعا أن نصف هذا الحائط لي . وقدم آخر رجلا إلى القاضي في شيء يدعيه عليه ، فأنكر الرجل ، فقال : أيها القاضي آكثب إنكاره ، فقال القاضي : الإنكار في يدك متى شئت .

قال مسعدة بن طارق الذراع^(٣) : إنا لوقوف على حدود دار إتقسّمها ونحن في خصومة ، إذ أقبل سيّد بني تميم وموسرهم والمصلّي على جنازتهم ، فأمسكنا عن الكلام ، فقال :

(١) الخريبة : موضع بالبصرة . (٢) البواري جمع بارية : الحصار المنسوج .

(٣) في الأصل : الزارع . ولعل الصواب ما أثبتناه هنا نقلا عن العقد الفريد فإنه منسوب إلى الذراع وهو القياس بالذراع .

(١)
حَدَّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا؟ قَالَ مُسْعِدٌ : فَأَنَا مِنْذُ
سِتِّينَ سَنَةً أَفَكَّرْتُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَذْرِي مَا عَنَى . أَنْتَ جَارِيَةٌ أَبَا ضَمِّمْ فَقَالَتْ : إِنَّ هَذَا
قَبْلَنِي ، فَقَالَ : يَا قَتَّى ، أَذِيعُنْ لَهَا بِحَقِّهَا ، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللَّهُ كَمَا قَبْلَكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ :
(وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) .

٥ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِ بِفَعْلٍ
يَحْسَبُ غَيْرَهَا ، فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : عَسَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ مَا ذَكَرُوا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي نُكَاسَةَ قَالَ : قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ لِأَشْعَبَ : أَوْ رَوَيْتَ
الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلَ لَكَ؟ قَالَ : وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ ، قَالَ :
فَحَدَّثْنَا ، قَالَ : حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍاءَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : خَلَّتَانِ
مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَانَتْ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ ، قَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا؟ قَالَ : نَسِيَ نَافِعٌ
١٠ وَاحِدَةً وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى . وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ
كَانَ أَحَدُهُمْ يَحُجُّ عَنْ حِمَزَةٍ وَيَقُولُ : أَسْتَشْهِدُ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضْحِي
عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍو يَقُولُ : أَخْطَأَ السَّنَةَ فِي تَرْكِ الْأُضْحِيَّةِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ
أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَيَقُولُ : غَلِطْتُ فِي صَوْمِهَا أَيَّامَ الْعِيدِ ، فَمَنْ صَامَ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَأَنَا
أُفْطِرُ عَنْ أُمِّي عَائِشَةَ .

١٥

(٢)
قَالَ ثُمَامَةُ : كُنَّا فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ ، فَأَتَى رَبَّ الْبَيْتِ
بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضُنَا شَارِبَهُ وَبَعْضُنَا يَدَيْهِ ،
فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَذْهَبُوا أَسْتَأْهِكُمْ تَأْمِنُوا الْحَزَازَ ، وَأَمْرُوهَا عَلَى وَجْهِكُمْ ، فَأَخَذَ شَيْخٌ
(٣)

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٣ ص ٣١٢ : هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدًا .

٢٠

(٢) الدَّهَاقِينُ جَمْعُ دِهْقَانٍ : رُؤَسَاءِ الْإِقْلِيمِ .

(٣) الْحَزَازُ : هَبْرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مُخَالَةٌ ، وَاحِدَتُهُ حَزَازَةٌ .

منهم بطرف إصبعه فأدخله في أنفه ومسح حاجبيه ، فعمد الشيخ إلى بقية الدهن فصبه في أذنه ؛ فقلنا له : ويحك ! هل رأيت أحدا أتى بدهن طيب فصبه في أذنه ؟ قال : إنه مع هذا يضُرُّني .

قال عبد الله بن المبارك : كان عندنا رجل يُكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأنني وُلِدْتُ يوم دخل سليمان بن علي البصرة . قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية أنه جرى ذكر الشيعة عنده فأنكر ذلك واشتد غضبه ؛ فقلت له : ما أنكرت ؟ قال : أنكر مكان الشين في أول الكلمة لأنني لم أجدها قط إلا في مسخوط عليه مثل سُوم وشر وشيطان وشُع وشَغِب وشَيْب وشَك وشرك وشَم وشيعية وشَطْرَج وشَاكِي وشَانِي وشَحِج وشَوْصَة وشَابَشْتِي وشَكْوَى ؛ فقلت : ما تقوم بهؤلاء قائمة أبدا . قال : وسمعت رجلا يقول : عجبت لمن يأخذه النوم وهو لا يزعم أن الاستطاعة مع الفعل ؛ فقلت له : ما الدليل على ذلك ؟ فقال : سبحان الله ! الأشعار الصُّحاح ؛ قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قول رُوبَة :

* مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضُ إِلَّا وَفَقًا *

وقوله : * يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقَعَنَّ وَفَقًا *

وقوله : * مِكْرٌ مَقْرٌ مُقْسِلٌ مُذِرٌ مَعًا *

وقولهم في المثل : «وَقَعَا كَعَكَمَيَّ صَيْرٌ»^(١) ، ثم قال : هل في هذا تَفَنُّعٌ ؟ قلت : بلى وفي دُونِ هذا .

(١) في الأصلين : «في أول كلمة» بالتنكير وظاهر أن السياق يأباه ؛ ففعل الصواب ما ذكرناه أو أن

في الكلام حذف . (٢) كذا بالأصلين ولم نجده في مادة «شَحِج» في اللسان والقاموس مصدرًا

أو غيره . ولعله محزف عن «شَحِج» وهو أثر الشجة في الجبين .

(٣) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي «بعدها» بدل «أبدا» .

(٤) كذا بالأصلين ، وفي اللسان في مادة عكم : «هُمَا كَعَكَمَيَّ الْعَيْرِ وَالْعَيْمِ : أَلْعِدِلُ مَا دَامَ فِيهِ الْمَنَاعُ .

وَعَدَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنَ الْحَمَقِ أَنْ يُهْدِيَ لَهُ مِنْ مَكَّةَ نَعْلًا . فَطَالَ عَلَيْهِ الْإِنْتِظَارُ ،
فَأَخَذَ قَارُورَةً فَبَالَ فِيهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الطَّيِّبَ ثُمَّ قَالَ : أَنْظِرْ فِي هَذَا الْمَاءِ هَلْ يُهْدَى لِي
بَعْضُ إِخْوَانِي نَعْلًا حَضْرَمِيَّةً ؟ . وَقَالَ الزَّيَّادِيُّ : مَرَّ أَشْعَبُ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا وَقَالَ
لَهُ : زِدْ فِيهِ طَوَقًا ، قَالَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لَعَلَّهُ يُهْدَى لِي فِيهِ شَيْءٌ .

- ٥ أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا إبراهيم بن القَعْقَاع قال : رَأَيْتُ أَشْعَبَ بِسُوقِ
الْمَدِينَةِ مَعَهُ قُطَيْفَةٌ قَدْ ذَهَبَ نَحْلُهَا وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ يَنْتَرِي مِنِّي الرَّمْدَةَ ؟ فَأَنَادَ رَجُلٌ
فَسَاوِمَهُ قَالَ : أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَيْبٍ فِيهَا ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : تَحَوَّرْتُ إِنْ أَنْتَ لِبَسْتَهَا .
سَقَطَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَعِيرٍ لَهُ . فَانْكَسَرَتْ ضِلْعٌ مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَتَى الْجَاهِلِيَّاتِ وَصَفَهُ ،
فَقَالَ : خُذْ تَمْرًا جَيِّدًا فَانْزِعْ أَفْسَاعَهُ وَنَوَادِ وَأَعِجِّنْهُ بِسَمْنٍ ثُمَّ أَضْمِدْهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَيْ
يَا بِي أَنْتَ مِنْ دَاخِلٍ أَمْ مِنْ خَارِجٍ ؟ قَالَ : مِنْ خَارِجٍ ، قَالَ : لَا أَبَا لِسَانِيكَ هُوَ مِنْ
دَاخِلٍ أَنْفَعُ لِي ، قَالَ : ضَعُهُ حَيْثُ تَعْلَمُ أَنَّهُ أَنْفَعُ .

- ١٠ مَاتَ ابْنُ صَغِيرٍ لِأَعْرَابِيٍّ ، فَقِيلَ لَهُ : تَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَكَ شَفِيعًا ، فَقَالَ :
لَا وَكَلَّنَا اللَّهُ إِلَى سَفَاعَتِهِ ، حَسْبُهُ الْمِسْكِينُ أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِ نَفْسِهِ .
جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَقَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ : مَا هَذَا ؟ قَالَ :
يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الطَّعَامِ ، قَالَ : فَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْمَنْبَرِ ؟ قَالَ : يَقُولُ مَا يَرْضَى
الأعرابُ أَنْ يَأْكُلُوا حَتَّى يَجْمَلُوا مَعَهُمْ ، فَتَخْطِي الأعرابُ النَّاسَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْوَالِي
فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنْ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مَا تَقُولُ سَفَهَاءُؤُنَا .

أَخَذَ الْجُحَّاجُ لَصًا أَعْرَابِيًّا فَضْرَبَهُ سَبْعِينَ سَوْطًا فَكَلَّمَا قَرَعَهُ بِسَوْطٍ قَالَ : اللَّهُمَّ
شَكَرًا ، فَأَنَادَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا دَعَا الْجُحَّاجُ إِلَى التَّمَادِي فِي ضَرْبِكَ إِلَّا كَثْرَةً

- ٢٠ (١) كذا في النسخة الألمانية وفي الأصل الفترغرافي : «الومدة» والرمدة : الكدرة التي صارت كلون
الرماد . (٢) في الأصلين «أر» وسياق الكلام يقتضي «أم» .

شكره ، لأن الله يقول : (أَتَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) ؛ فقال : إن هذا في كتاب الله ؟
فقال : اللهم نعم ؛ فأنشأ الأعرابي يقول :

يَا رَبِّ لَا تُشْكِرْ فَلَا تَرِدْنِي ۖ أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَاعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

٥ فبلغ الحجاج نخلي سبيله . جاء أعرابي إلى صيرفي بدرهم ؛ قال : هذا ستوق ؛ فقال
الأعرابي : وما هو الستوق بأبي أنت ؟ قال : داخله نحاس وخارجُه فضة ؛ قال :
ليس كذلك ؛ قال : أكسره فإن كان كذلك فانا منه برىء ؟ قال : نعم ؛ فكسره فلما
رأى النحاس قال : بأبي أنت ، متى أموت ؟ فانا أشهد أنك تعلم الغيب .

لما حضرت الحطيئة الوفاة قال : أحملوني على حمار فإنه لم يمُت عليه كريم قط
١٠ فلعلي أن أبقى ، ثم تمثّل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَتْنِي ۖ رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذٍ

١٥ المدائني قال : دعا رجل بمكة لأمه ؛ فقال له قائل : فما بال أبيك ؟ قال : هو
رجل يمتال لنفسه . قيل لأشعب : أرايت أحدا قط أطمع منك ؟ قال : نعم
نرجت إلى الشام فزلت أنا ورفيقي لي بذيرفيه راهب ، فتلاحينا في أمر فقلت :
الكاذب مينا كذا من الراهب في كذا من أمه ، فأتى الراهب وقد أنعط وهو يقول :
بأبي من الكاذب منك ؟ . مرة إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي يقاص وهو يقرأ :
(يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) ، فتنفس ثم قال : اللهم آجعلنا ممن يتجرعه ويسيفه .

الأصمعي عن أبيه : قلت لأعرابي : أفبكم زنا ؟ قال : بالحرائر ؟ ذاك عند الله
عظيم ، ولكن مساعة بهذه الإمام . موسى بن طلحة قال : جاءنا علي بن أبي طالب
٢٠ رحمه الله ونحن في المسجد شباب من شبّا ب قريش ، فتحنينا له عن الأسطوانة

وقلنا : هادنا يا عم ؛ فقال : يا بني أنحى ، أتم لشيوختكم خير من مهرة ^(١) فإنه إذا كبر الشيخ فيهم شدوه عقالا ثم يُقال له : ثب فيه ، فإن وثب خلوا سبيله وقالوا : فيه بقية من علالة ^(٢) ، وإن لم يثب قدموه فضرخوا علالوته وقالوا : لا يصيبك عندنا بلاء .

قيل لبحر بن الأحنف : ما يمتنع أن تكون مثل أبيك ؟ قال : الكسل . وقال يوما لزبراء جارية أبيه : يا زانية ؛ فقالت : لو كنت كذلك جئت أباك بمثلك .
 أبو الحسن قال : جاء قوم إلى رجل من الوجوه فقالوا له : مات جارك فلان فمُر لنا بكفن ؛ فقال : ما عندنا اليوم شيء ولكن تعودون ؛ قالوا : أفنملي إلى أن يتيسر عندك شيء ؛ وأتى رجل رجلا فقال له : أصلحك الله ، تُعيرنا ثوبا نكفن فيه مينا ؛ قال قاسم التمار في كلام له : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض .
 وقال أيضا : رأيت إيوان كسرى فإذا هو كأنما رفعت اليد عنه أول من أمس .

كان عبد الملك بن هلال الهينابي ^(٣) له زبيل مملوء حصا للتسبيح ، فكان يُسبِّح بواحدة واحدة ، فإذا ملَّ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا ، فإذا زاد ماله طرحه قبضة قبضة وقال : سبحان الله عندك ، فإذا خَجِرَ أخذ يعري الزبيل وقال : الحمد لله بعدد هذا كله . دخل قوم منزل الرشتي لأمرٍ وقع ، فحضر وقت صلاة الظهر فقالوا : كيف القبلة في دارك هذه ؟ فقال : إنما نزلناها منذ شهر .

المدائني عن علي بن مجاهد عن حميد بن أبي البختري ^(٤) أن الشعبي قال : مَرِضْتُ فلقيت ابن الحزفأمرني أن أمشي كل يوم إلى الثوية ، فكنت أغدو كل يوم إليها ،

(١) مهرة : حى من العرب ، لهم تنسب الإبل المهرية .

(٢) العلالة : أهل الرأس واعتق .

(٣) كذا بالأصلين ولم نجد هذه النسبة أصلا في أسماء الأشخاص والقبائل والبلدان وغيرها .

(٤) كذا في الأصل الفتنوغرافي وتوידه كتب اللغة والأنساب ، وفي الألمانية «البختري» بإسكان المهملة .

فانصرفت ذات يوم فلما كنت في جُهيّة الظاهرة إذا شيخٌ منهم قاعد على طنفسة
مُتَّكِئٌ على وسادة ، فسألت ثم ألقيت نفسي على الرمل ؛ فقال : لقد جاستَ جلسة
عاجز أو ضعيف ؛ قلت : قد جمعتهما ؛ قال : أدام الله لك ذلك . ثم قال : إن أهلي
كانوا يتخوفون على ثلاثا : نقصان البصر وترك النساء والقطاف في المشي ، فوالله إنهم
ليرون الشخص واحدًا وأراه اثنين ؛ ولقد تركت النساء فأبى فيهن من حاجة ، وإني
لأمشي فأهملج ؛ قلت : أدام الله لك ذلك .

قال المدائني : ركب يزيد بن زبيل النهشلي بعيرا وقال : اللهم إني ألتزمك (وما شئتُ له
مُقرِّين) وإني لبعيرى هذا المُقرِّين ؛ فتفرَّبه فطرحه وبقيت رجله في الغرز ، فجعل
يضرب برأسه كل حجر ومدر حتى مات .

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : اختصمت الطفاوة وبنو راسب في رجل
يتدعيه الفريقان إلى ابن عير باض . فقال : الحكم بينك أيُّن من ذلك ، يُلقَى في النهر
فإن طفا فهو لطفَاوة ، وإن رَسَب فهو لبني راسب .

المدائني قال : لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له : أوص ؛ قال : بم أوصي !
مالي للذكر دون الإناث ؛ فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ؛ فقال : لكنني أمر به .
ثم قال : ويلُّ لأشعر من راوية الشعر ؛ ف قيل له : أوص يا أبا مُليكة للساكنين
بشيء ؛ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور . قيل : أعتق عبدك
يسارًا ؛ قال : أشهدوا أنه عبد مابق . قيل : فلان اليتيم ماتُوصي فيه ؟ قال : أوصي
أن تأكلوا ماله وتتيكوا أمه ؛ قالوا : ليس إلا هذا ؛ قال : أحملوني على حمار فيانه
لم يمت عليه كريم أعلى أنجوى ومات مكانه .

٢٠ (١) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي : «الظاهرة» .

(٢) الطفاوة وبنو راسب : حيّان من العرب .

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال : يا بني أوصيك بالناس شراً .
كلهم تزرأ . وأنظروا إليهم شراً ، ولا تقبلوا لهم عُذراً بقصروا الأعنة ، وأشخذوا الأسيّة ،
تأكلوا القريب ، ويرهبكم البعيد . ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني
إني لأعلم أن قوما سيأتونكم قد أقرحوا جباههم وعرضوا لحاهم يدعون أن لهم على
أبيكم ديناً فلا تقصوهم ، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره .
والأفهي مع ما تقدم .

تقدم رجل من بني العنبر إلى سوار فقال : إن أبي مات وتركني وأخاً لي ، وخطب
خطين ناحية . ثم قال : وهجينا لنا ، ثم خط خطاً آخر ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم
المال بيننا ؟ فقال : المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارث غيركم ؛ فقال له : لا أحسبك
فهمت ، إنه تركني وأخى وهجينا لنا ؛ فقال سوار : المال بينكم سواء ؛ فقال الأعرابي
أياخذ الهجين كما أخذ وياخذ أخى ؟ قال أجل ! فغضب الأعرابي وقال : تعلم والله
أنك قليل الاخالات بالدهناء ؛ فقال سوار : إذا لا يضرنى [ذلك] عند الله شيئاً .
قال بعض العمال لأعرابي : ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة ؛ فقال :
أرأيت إن أنبأتك بذلك تجعل في عليك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال الأعرابي :
إن الصلاة أربع وأربع ، ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة النجرا لا تُضيع .

قال : قد صدقت ، فسأل به قال : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدري ؛ قال : أفتحشم
بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك !

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن إجنهم البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب
في حوائج له فقرأها ووعده قضاءها ؛ فمضى وهو يدعو له وقال : أبغاك لله وحفظك
وأتم نعمته عليك ؛ فقال له محمد بن إجنهم : كتابي إليك وأنا في عافية .

طبائع الإنسان

حدّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه أنه وجد في التّوراة:
 إني حين خلقتُ آدم رُكبتُ جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثته في ولده تمي
 في أجسادهم ويَنُمُون عليها الى يوم القيامة: رطب ويابس وُسخن وبارد، وذلك لأنني
 خلقتُه من ترابٍ وماء ثم جعلت فيه نفساً وروحاً، فيُبوسةُ كلُّ جسدٍ من قِبَلِ التراب،
 ورُطوبته من قِبَلِ الماء، وحرارته من قِبَلِ النفس، وبرودته من قِبَلِ الروح، ثم خلقت
 الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواعٍ من الخلق الآخر وهي مَلَأْتُ الجسدَ بإذني
 وقوامه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ ولا تقوم واحدة إلا بهنّ، المِزّة الصفراء والمِزّة السوداء
 والدم والبلغم، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخلق في بعضٍ فجعلت مسكنَ اليبوسة في المِزّة
 السوداء ومسكنَ الرطوبة في الدم ومسكنَ البرودة في البلغم ومسكنَ الحرارة في المِزّة
 الصفراء، فأَيُّما جسدٍ اعتدلت فيه هذه الفِطْرُ الأربعُ فكانت كلّ واحدةٍ منهنّ رُبعا
 لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدل بُنيانه، وإن زادت واحدة منهنّ غلبتْهنّ
 وقهرتْهنّ ومالت بهنّ ودخل على أخواتها السَّقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت
 ناقصةً تقلَّ عنهنّ مِلن بها وعلونها وأدخلن عليها السَّقم من نواحيهنّ لقلتها عنهن حتى
 تضعُف عن طاقتهن وتعجز عن مقاومتهن؛ قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشرهه
 في كُليته، وغضبه في كبده، وصرامته في قلبه، ورُعبه في رِثته، وضحكه في طَحّاله،
 وحرته وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلثائة وستين مَفَصِلا .

(١) في الألمانية: «وإذا كانت ناقصة قلن عنها وملن...» .

(٢) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ وفي الأصلين: «عن مقاربتهن» والفعالان فيهما (تضعف وتعجز)
 بالياء والسياق يقتضي تأ. الثاني كما وضعنا .

(٣) في الأصلين وسره . وما ذكرناه عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١

- قال : حدثني زيد بن أنحزم^(١) قال : حدثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "كُلُّ آدَمَ تَأْكُلُ الْأَرْضُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرْكَبُ" . وقالت الحكماء : انْخَسَتْ يَعْتَرِي الْأَعْرَابَ وَالْأَكْرَادَ وَالزَّيْجَ وَالْمَجَانِينَ وَكُلَّ صَنَفٍ إِلَّا الْخُصِيَّانَ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ خُصِيٌّ مُخْنَثٌ . وقالوا : كُلُّ ذِي رِيحٍ مُنْتَنَةٍ وَذَفَرٍ كَالْتَيْسِ وَمَا أَشْبَهَهُ ، إِذَا خُصِيَ فَقَصَّ نَتْنُهُ وَذَهَبَ صُنَانُهُ غَيْرَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ نَتْنَهُ يَشْتَدُّ وَصُنَانُهُ يَخْتَدُّ وَعِرْقُهُ يَخْبُثُ وَرِيحُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ يُخْصَى فَإِنَّ عَظْمَهُ يَلْدِقُ ، فَإِذَا دَقَّ عَظْمُهُ اسْتَرْنَحَى لِحِمِّهِ وَتَبَرَّأَ مِنْ عَظْمِهِ خِلاَ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ إِذَا خُصِيَ طَالَ عَظْمُهُ وَعَرُضَ . وقالوا : الْخُصِيُّ وَالْمَرْأَةُ لَا يَصْلَعَانِ ، وَالْخُصِيُّ تَطُولُ قَدَمُهُ وَتَعْظُمُ . وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم رِذْوَنٌ رَقِيقُ الْخَافِرِ نَخَصَّاهُ بِخَادِ حَافِرِهِ ، أَعْتَبَرُ ذَلِكَ بِالْإِنْسَانِ إِذَا خُصِيَ عَظُمَتِ رِجْلُهُ . قالوا : وَالْخُصِيُّ يَشْتَدُّ وَقَعُ رِجْلِهِ لِأَنَّهُ مَعَاقِدَ عَصَبِهِ تَسْتَرْنَحِي ، وَيَعْتَرِيهِ الْإِعْوِجَاجُ وَالْقَدَحُ فِي أَصَابِعِهِ ، وَيُسْرِعُ دَمْعَتُهُ ، وَيَتَخَدَّدُ جِلْدُهُ ، وَيُسْرِعُ غَضَبُهُ وَرِضَاهُ ، وَيَضِيقُ صَدْرُهُ عَنْ كِتْمَانِ السِّرِّ . وَيَزْعَمُ قَوْمٌ أَنَّ أَعْمَارَهُمْ تَطُولُ لِتَرْكِ الْجَمَاعِ ، قَالُوا : وَتِلْكَ عِلَّةٌ طَوَّلَ عُمُرَ الْبُغْلِ . وقالوا : عِلَّةٌ قَصَرَتْ عُمُرَ الْمُصْغُورِ كَثْرَةُ سَفَادِهِ . قَالُوا : وَشَأْنُ الْغَرِيقِ إِذَا كَانَ رَجُلًا ثُمَّ ظَهَرَ عَلَى الْمَاءِ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى قَفَاهُ ، وَإِنْ كَانَ أَمْرَأَةً أَنْ تَظْهَرَ عَلَى وَجْهِهَا . وَالرَّجُلُ إِذَا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ يَقْلِبُهُ ذَكَرُهُ إِذَا انْتَفَخَ . قَالُوا : وَفِي الْغِلْمَانِ مَنْ لَا يَحْتَلِمُ أَبَدًا ، وَفِي النِّسَاءِ مَنْ لَا تَحِيضُ أَبَدًا ، وَذَلِكَ عَيْبٌ . وَفِي النَّاسِ مَنْ لَا يَسْقُطُ ثَغْرُهُ وَلَا يَسْتَبْدِلُ مِنْهُ . مِنْهُمْ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ ذَكَرُوا أَنَّهُ دَخَلَ قَبْرَهُ بِرِوَاضِهِ .

(١) في الأصل : أنحزم . وانصوب عن كتب التراجم .

(٢) كذا في النسخة الفتيعرافية . وفي النسخة الألمانية أربعة أصفار بعد قوله وريجه ، وكتب في التعليق عليه بالغة الألمانية : سقطت كلمة . وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥١ : وخبث عرقه وريجه .

- (١) والضَّبُّ لا تسقط له سنٌ . وكذلك الخنزير لا يُلقي شيئاً من أسنانه . ولذلك تقول العرب في مثل لها : «لا آتيك سن الحسل»^(٢) يريدون لا آتيك أبداً . وتقول الأطباء : إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء إلا الإنسان ، وذلك لكرامته على الله . ويقول بعضهم : إن الجنين يغتذى دم الحيض يسيل إليه من السرة بغذائه ؛ وقالوا : لذلك لا تحيض الحوامل . وقد رأينا من الحوامل من تحيض . والعرب تقول : حمت فلانة سهواً ، إذا حاضت على الحمل . قال الهذلي يمدح رجلاً^(٣) :
ومبرأ من كل عُبرٍ حيضة . ورضاع مغيلة وداءٍ مُعضل^(٤)
فأعلمك أنها لم تر عليه دم حيض في حملها ، ودل على أنه قد يكون . قالوا : فإذا خرج الجنين من الرحم دفعت الطبيعة ذلك الدم الذي كان يغتذيه إلى الثديين ، وهما عُضوان تَهْدَانِ عَصْبِيَّانِ فَيَهْرَاهُ وجعلاه لبناً . يقول الله عز وجل : (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ قَرِيبٌ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) . قالوا : والإنسان يعيش حيث تنحيا النار ويتلقف حيث لا تبقى النار . وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نفق في بطن الأرض أو مغارة قدموا شمعة في طرف قناة فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا في طلب ما يريدون وإلا أمسكوا . والعرب تتشاءم بذكر ولد الرجل إذا كان ذكراً . وكان قيس بن زهير أزرق يَكْأُ بين بكرين .

(١) في الأصلين : «وكذلك ...» وظاهر أن ما ذكرناه هو الأنسب بالسياق . (٢) الحسن ولد الضب . (٣) هو تأبط شراً . (٤) كذا في الأصل ، وفي اللسان في مادة «عبر» والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ وشرح الحماسة للبريزي ج ١ ص ٤٣ :
«ومصاد مرضعة وداء مغيلة» وقد أوردته صاحب اللسان خذوا ثمروها ، قال هو مصروف من قوله :
«ولقد سريت على الغلام بمغنى» وهو صدر بيت مقدم في القصيدة . وفي شرح الحماسة للبريزي :
«يروي مبرأ بالنصب ومبرأ بالجر» فالتعب على قوله «مير» «مير» والجر تعطف على قوله جلد من الفتيان .
والنثر بقايا الحيض . المغيلة : الحبل أو التي تُعشى وهي ترضع ؛ ونحن الذي ورد في اللسان والقاموس :
أعيلت المرأة فهي مغيلة . (٥) كذا في الأصلين . وفي التتبع مرافقة «بادات» .

حدثني محمد بن عائشة عن حماد عن قتادة عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال : يكر
البيكرين شيطان مخلد لا يموت الى يوم القيامة باعنى من الشياطين . قالوا : وآبن المذكرة
من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون ، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه
وخصال أمه . والعرب تذكر أن الغيرة لا يحب . قال عمرو بن معديكرب
ألسن تصير إذا ما نسبت بين المغارة والأحمق^(٢)

وقال بعض الحكماء : كل امرأة أودابة تبطئ عن الحمل . إذا واقعها الفحل في الأيام
التي يجري الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله . قال عبيد الله بن الحسن : إذا أردت
أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها . وقال الحارث بن كلدة : إذا أردت أن تحبل المرأة
فمشها في عرصة الدار عشرة أشواط فإن رجمها ينزل فلا تكاد تخلف . والعرب
تقول : إن المرأة إذا لقحت في قبل الطهر في أول الشهر عند تبليج الفجر ثم أذكرت
جاءت به لا يطاق . قال الشاعر وجمع هذه المعاني :

لَقِحت في الهلال عن قُبُل الطهر وقد لاح للصباح بشير

ويقولون : إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت . قال أبو كبير الهذلي :

حملت به في ليلة مزودة * كرها وعقد نطقها لم يحلل^(٤)

فأتت به حوش الجنان مبطنًا * شهدا إذا ما نام ليل الحوجل^(٥)

ومبرأ من كل غبر حيضة * ورضاع مغسلة وداء معضل

(١) في الأصل : نصيا ، والتصويب عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ (٢) المارة : من أعارها
زوجها بزوجه عليها . (٣) قبل الطهر : أوله . (٤) مزودة : مذعورة ، وفي تعليقات الشيخ
الشتيفي على أشعار الهذليين المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ : دب ش : كان أبو عبيدة ينصب
مزودة والأصمعي يمزجها بجعل الرؤد لليلة . وساق هذا البيت صاحب مغني التنبية في أواخر الكتاب وقال :
يرى بالجر صفة لليلة وبالنصب حالا من الضمير في حملت . وضعف هذا الوجه بأن ذكر الليلة حينئذ لا كبير
فائدة فيه . (٥) حوش الجنان : حديدته . ومبطن : ضامر البطن نحيصه . وسهد : قليل النوم .
واخوجل : العنى ، التقين . وقد روى في الأصل الفتوغرافي : إذا ما قام ليل الحوجل * وهو
تحريف والتصويب عن النسخة الألمانية ولسان العرب في مادة «حوش» .

يقول : لم تر عليه في حملها دما باقيا من حيضة ولا حملته وهي تُرضع ولا أرضعته وهي حامل ؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبّ به . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد هممتُ أن أنهي عن الغيلة^(١) ثم ذكرتُ أن فارس والروم يفعلونه فلا يضرهم" وفي حديث آخر : "إنه ليدرك الفارس فيدعيره" أي يطرحه .

٥ حدّثنى إسحاق بن راهويه قال : أخبرنا يحيى بن آدم عن الحسن قال : رأيت جدّة أبنّة إحدى وعشرين سنة . قال : وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين ، وهو أوّل وقت الوطء . ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاشة وهي بنت تسع . وقال عبد الله ابن صالح : حدّثنى الليث عن ابن عجلان أن أمّراته حملت له مرّة وأقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت له ، وحملت له مرّة أخرى ثلاث سنين ثم ولدت . قال الليث : وحملت مولاة لعمر بن عبد العزيز ثلاث سنين حتى خافت أن يكون في جوفها داء ثم ولدت غلاما ، قال الليث : ورأيت أنا ذلك الغلام وكانت أمه تأتي أهلنا . وفي بعض الحديث أن عيسى بن مريم عليه السلام ولدته أمه ثمانية أشهر ، ولذلك لا يولد موالود لثمانية أشهر فيعيش . وروى زيد بن الحباب عن ابن سنان قال : حدّثنى ثابت بن جابان العجليّ أن الضحّاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهرا . فأما يزيد بن هارون فإنه روى عن جويبر أن الضحّاك ولد لستين . وولد شعبة لستين . حدّثنا الرياشيّ ١٥ أو رجل عنه قال حدّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مؤمل عن ابن أبي مليكة أن عمر رحه الله قال : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم^(٢) فأنكحوا في الزنا^(٣) . قال : وقال

(١) ورد هذا الحديث في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٧٧ طبع مدينة ليدن وفيه مخالفة غير جوهرية لرواية الأصل ، وفيها : "قال مالك بن أنس : القيلة أن يمس الرجل أمّراته وهي ترضع" .

٢٠ (٢) أضوى الرجل : ولده له غلام ضاوى ، والضاوى : الضعيف . (٣) الزنا جمع زريعة وهي المرأة التي تُزوّج في غير عسرتها .

الأصمعي قال رجل : بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رءوس الأبطال
كأبن حجمة . والعرب تقول : أغتربوا لا تَضُوبُوا ، أى آنِكُحُوا فى الغرائب فإن
القرائب يَضُوبون الأولاد . قال الشاعر :

إن يَلَا لَمْ تَسِنه أُمّه * لم يَتَناسَب خالُه وعمّه

وقال آخر :

تَجَبُّهُما لِلنَّسْلِ وهى غريبة * بجاعت به كالبدن نَحْرَقاً مَعَمَّ^(٢)
فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالماً * لما وجدوا غير التَكْذُوب مَسَلَمًا

وكان يقال : أنجب النساء الفُرُوك^(٣)، لأن الرجل يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجال .

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي أن المنجبة التى تَزْرَعُ بولدها الى أكرم الجدين .

- أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا حرب بن قطن قال : يقال : إن الرجل يستفرغ
ولد امرأتين ، يُولد له وهو ابن تسعين سنة . وقالت عائشة : لا تلد امرأة بعد خمسين
سنة . قالت الحكماء : الزنج شرار الخلق وأردؤهم تركيباً لأن بلادهم سَخُنَتْ فأحرقتهم
الأرحامُ ، وكذلك من بردت بلاده فلم تَطْبُخْهُ الأرحامُ ، وإنما فَضَّلَ أهلُ بابلَ لعلَّة
الاعتدال ؛ قالوا : والشمسُ شَيَّطَتْ شعورهم فقبضتهم ، والشعرُ اذا أدنيتَه الى النار
تجمد ، فإن زدته تفلقل ، فإن زدته آحرق . وقالوا : أطيب الأُمم أفواها الزنج وإن لم
تستن^(٤) ؛ وكل إنسان رطب الفم كثير الريق فهو طيب الفم ؛ وخلوفُ فم الصائم يكون
نَحْثُورَةً^(٥) الريق ؛ وكذلك الخُلُوفُ فى آخر الليل . وقالت الحكماء : كل الحيوان اذا أُلْقِيَ^(٦)
فى الماء سبَحَ إلا الإنسانَ والفرسَ والأعسرَ ، فإن هذه تغرق ولا تسبح إلا أن

(١) كذا بالأصلين ، وأورده صاحب النهاية واللسان على أنه حديث . (٢) الخرق : الفقى الحسن

الكريم الخليفة . (٣) الفروك : المرأة تبفض زوجها . (٤) تستن : تستاك .

(٥) النَحْثُورَةُ ضد الرقة . (٦) الأعسر : الذى يعمل بالشمال دون اليمين .

يتعلم الإنسان السباحة . قالوا : والرجل اذا ضربت عنقه فألقى في الماء قام في وسط الماء وانتصب ولم يلزم القعر جاريا كان الماء أو ساكنا ، حتى اذا جيف قلب وظهر بدنه كله مستلقيا إلا المرأة فإنها تظهر مُنكبة على وجهها . وقالوا : كل من قُطعت يده لم يُجد العدو ، وكذلك الطائر إذا قُطعت رجلاه لم يُجد الطيران . قالوا : وليس في الأرض هارب من حرب أو غيرها يستعمل الحُضر^(١) إلا أخذ عن يساره إلا أن يترك عزمه أو سؤم طبيعته . ولذلك قالوا : بخاءك على وحشية^(٢) ، وأنحى على شؤمي يديه^(٣) . وقالوا : كل ذي عين من ذوات الأربع من السباع والبهائم الوحشية والإنسية فإنما الأشفار بلحفته الأعلى إلا الإنسان فإن الأشفار — نعى المذهب — بلحفيه : الأعلى والأسفل . قالوا : ليس في الأرض إنسان إلا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وولده . قال الطائي :

ويُسئى بالإحسان ظناً لا كمن^(٤) * هو بأبنه وبشعره مفتون

وقالوا : كل ذي جلد فإن جلده ينسلخ إلا جلد الإنسان ؛ فإنه لا ينسلخ كما تنسلخ جلود الأنعام ولكن اللحم يتبعه .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن ابن أبي طرفة الهذلي عن جندب بن شبيب قال : إذا رأيت المولود قبل أن يغتذى من لبن أمه فعلى وجهه مصباح^(٥) من البيان ؛ يريد أن ألبان النساء تُغيره ؛ ولذلك قولهم : اللبن يُستبه عليه ؛ يراد أنه يترع بالمولود في شبه الظئر . قال الشاعر :

لم أرَ ضِع الدهر إلا تَدَى واحدة * إواضح الوجه يمي ساحة الدار

(١) الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه . (٢) وحشى كل شئ ، شقه الأيسر وفي الأصلين «وحشة» وما وضعناه هو الذي يناسب السياق . (٣) أنحى على شؤمي يديه : اعتمد عليها ، وتسؤمي اليدين هي اليسرى ، وفي الأصلين «الحى» بدل «أنحى» . (٤) في الأصل «كل من» والتصويب عن الديوان . (٥) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق .

وحدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر أتي
بامرأة ولدت لسته أشهر فهم بها ، فقال له علي : قد يكون هذا ، قال الله عز وجل :
(وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) وقال : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ) .
أبو حاتم عن الأصمعي قال : اختصم رجلان في غلام كلاهما يتبعه ، فسأل عمر
أمه ، فقالت : غشيتني أحدهما ثم هرفت دما ، ثم غشيتني الآخر ، فدعا عمر قاتلتي^(١) فسألها ،
فقال أحدهما : أألمن أم أيسر ؟ قال : أيسر ، قال : أشتركا فيه ، فضربه عمر حتى أضطجع
ثم سأل الآخر ، فقال مثل قوله ، فقال : ما كنت أرى أن مثل هذا يكون . وقد علمت
أن الكلبة يسفدها الكلاب فتؤدى إلى كل فحل نجلة . وركب الناس في أرجلهم^(٢)
وركب ذوات الأربع في أيديها ، وكل طائر كفه في رجليه .

١٠ ما نقص خلقه من الحيوان

حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : الفرس لا طحال له ، والبعير لا مראה له ،
والظليم لا^(٣) نخ لعظمه . قال زهير :

كأن الرجل منها فوق صعل^(٤) * من الظلمان جوجؤه^(٥) هواء

وكذلك طير المساء وحياتان البحر لا ألسنة لها ولا أذمغة . وصفن^(٦) البعير لا بيضة

فيه . والسمكة لا رئة لها ولذلك لا تنفس ، وكل ذي رئة يتنفس .

(١) القائف : الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه .

(٢) كذا في النسخة الفتوغرافية وهو الموافق لما في العقد الفريد . وفي الألمانية : ركه .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الصعل : الطويل . وفي الفتوغرافية « صقل » .

(٥) الجوجو : الصدر .

(٦) الصفن : دماء الخصلة .

المشتركات من الحيوان

الرأعي بين الورشان والحمامة . والبخاتي من الإبل بين العراب والفواج . والحمير
الأخدرية من الأخدر وهو فرس كان لأردشير توحش فخمى عانت من الحمير
فهرب فيها ، وأعمارها كأعمار الخيل . والزرافة بين الناقة من نوق الوحوش وبين
البقرة الوحشية وبين الضبعان ؛ وأسمها اشتراكا وبلنك أي بين الجمل والكركنند ؛ وذلك
أن الضبعان ببلاد الحبشة يسفد الناقة فتجىء بولد خلقه بين الناقة والضبع ، فإن كان
ولد الناقة ذكرا عرّض للمهاة فالفحها زرافة ، ومثيت زرافة لأنها جماعة وهي واحدة
كأنها جمل وبقرة وضبع ؛ والزرافة في كلام العرب الجماعة . وقال صاحب المنطق :
الكلاب تسفدها الذئاب في أرض سلوقية فيكون منها الكلاب السلوقية .

- ١٠ (١) الراعي : طائر متولد بين الورشان والحمام كثير النسل يعيش ضويلا . (٢) الورشان : ذكر
التماري كما في حياة الحيوان . (٣) في الأصل «اليمامة» وما أثبتناه عن العقد الفريد ج ٣
ص ٣٥٣ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٥٥ (٤) البخاتي جمع بختي وهي الإبل الخراسانية .
(٥) العراب : إبل خلاف البخاتي كما في اللسان . (٦) جمع فاج وهو جمل ضخم ذوسنامين يحمل
من السند للقطعة . (٧) جمع عانة وهي القطيع من شمر الوحش . (٨) هو الذكر من الضبع وهو
مفرد . (٩) كلمة فارسية كما في القاموس والصباح مركبة من اشتراى البعير وكاوى البقر وبلنك أي النمر
وفي حياة الحيوان ج ٢ ص ٥ وبلنك الضبع ؛ والأول هو المعروف في الفارسية . (١٠) في النسخة
الألمانية «الكركن» وهو قريب مما أثبتناه في النسخة الفتيوغرافية «الكركي» وهو طائر كبير معروف .
والكركنند كما في حياة الحيوان حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكركدن ، ومعادنه بلاد
الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل . وتفسير المؤلف لكلمة (أشباك وبلنك)
يخالف بعض المخالفة تفسير القاموس ، وتفسير صاحب حياة الحيوان . (١١) المهاة : البقرة
الوحشية ، وفي الأصلين : «المهرة» والسياق يحتم ما وضعنا . فلعل ما في الأصل تحريف من الناصح .
(١٢) نسبة إلى سلوق وهي قرية باليمن تناسب اليها الدروع والكلاب . (١٣) في الأصل «بينها»
وما أثبتناه عن العقد الفريد .

المتعاديات

- بين البوم والغراب عداوة . وبين الفأرة والعقرب عداوة . وبين الغراب وابن عرس عداوة .^(١) وبين الحدأة والغداف عداوة . وبين العنكبوت وبين العظاءة^(٢) عداوة . وبين الحية وبين ابن عرس عداوة . وبين ابن آوى والدجاج عداوة .^(٣) وبين السنور والحمام عداوة . وبين البوم وبين جميع الطير عداوة ، لأن البومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يقو عليها شيء ، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها ، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبها للطير . وبين الحمام وبين عصفور الشوك عداوة ، ومتى نبق الحمام سقط بيض عصفور الشوك . وبين الحمام وبين الغراب عداوة . وبين الحية والخنزير عداوة . والغراب مصادق للثعلب . والثعلب مصادق للحية . والجمل يكره قرب الفرس أبداً ويقاّته . وبين الأسد وبين الفيل عداوة . ويقال : إن الأسد والنمر مختلفان ، والأسد والببر متفقان .^(٤)

الأمثال المضروبة بالطبائع

- يقال : فلان «أسمع من قراد»^(٢) ، والقردان تكون عند المساء فإن قربت الإبل منها تحركت وانتعشت . فيستدلون بذلك على إقبال الإبل . و«أسمع من فرس» . و«أحزم من فرخ العقاب» ، وذلك أنه يكون في عرض الجبل فلا يتحرك فيسقط . و«أحلم من

(١) الغداف : الغراب وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين . لسان العرب .
(٢) هذه لغة أهل العالة . ولغة بني تميم «العظاية» بالياء . قال صاحب حياة الحيوان نقلاً عن الأزهري : هي دويّة . لمساء تعدو وتزدّد كثيراً تشبه سأم أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل .
(٣) ابن آوى : حيوان طويل الخالب والأظفار ، يأكل الطيور ، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب ، ويذكر التميمي أن ابن آوى إذا مر تحت الدجاج وهي على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عدداً كثيراً . (٤) البير مضبوط في اللسان والقاموس بفتح الباء الأولى وسكون الثانية وصرح في حياة الحيوان أنه بفتح الأولى وكسر الثانية : نوع من السباع شبيه بابن آوى .
(٥) القراد بالضم واحدته قرادة وهي دويّة تتعلق بالبعير ونحوه .

حية . و «أهدى من قِطَاة وحمّامة» . و «أخف رأسا من الذئب» . و «أنوم من فهيد» .
 و «أظلم من حية» ، وذلك لأنها تدخل بحجرة الحشرات وتخرجها . و «أحذر من
 غراب» . و «أصنع من تنوط» ، وهو طائر يصنع عشا مدلى من الشجر . و «أصنع
 من سُرْفَة» ، وهى دويبة تعمل بيتا من قطع العيدان . و «أسرق من زبابة» ، وهى
 فأرة برية . و «أسرق من كُنْدُش» وهو العققق ، ويقال أيضا : «أحق من عققق»
 لأنه من الطير الذى يضيع فراخه . و «أحرق من حمامة» ، وذلك لأنها لا تجيد
 عمل العش فرما وقع البيض فانكسر . قال عبيد بن الأبرص :

عيوا بأمرهم كما .. عيت بيضتها الحمامة
 جعلت لها عودين من .. نسيم وآخر من ثمامة^(١)

يقول : قرنت النشم بالثمام وهو ضعيف فتكسر ووقع البيض فانكسر . وفى الإنجيل
 أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حكماء كالحيات وبلها كالحمام . و «أعق
 من ضب» ، لأنه يأكل ولده من الجوع . و «أبر من هرة» ، وهى تأكل ولدها من
 شدة محبته . و «أروغ من ثعلب» . و «أموق من رنمة» . و «أزهى من ذباب»
 لأنه يقع على أنف الملك وتاجه . و «أصنع من الدبر» ، وهى النحل . و «أسمح من
 لافظة» ، ويقال : هى العنز تسمع بالحلب ، ويقال : الرخاء ، لأنها تلفظ ما تطحنه
 لا تحبس منه شيئا . و «أصرد من عين حرباء» . و «ألح من الخنفساء» . و «أخيل
 من مدالة» ، وهى الأمة تُهان وهى تبخر . و «أحلم من فرخ الطائر» . و «أكيس
 من قيشة» ، وهى القردة . و «أجهن من صافير» ، وهو ماصفر من الطير ، ويقال : هو

(١) النشم بالتحريك : شجر جلى تتخذ منه القسي ، واثمامة واحدة الثمام : بنت ضعيف .

(٢) أموق : أحق ، من الموق وهو الحق . (٣) فى جمع الأمثال ليدانى : الحرباء . بالتحريف ، وعلاه
 بأن الحرباء مستقبل الشمس أبدا بينما تستجلب إليها الدفء . وورد فيه بعض هذه الأمثال بالتحريف أيضا .

- (١) الصافر بالمرأة للريبة . و «أنتم من صُبح» . و «أبعد من بيض الأنوق» ، والأنوق :
 الرّثمة تبيض في أعالي الجبال والشواحق حيث لا يبلغه سُبُع ولا طائر . و «أشجع من
 ليث عفرين» ، قال بعضهم : هو الأسد ، كأنه قال : أشجع من ليث ليوث تعفر من
 نازعها وتصرعه ، وقال الأصمعي : هودابة مثل الحرباء يتحدى الراكب ويضربه
 بذنبه . و «أحن من شارب» ، وهي الناقة المسنة . و «أسرع من عدوى الثّوباء» .
 و «أروى من النّقا» ، وهي الضفادع . و «أزنى من قرد» ، ويقول بعضهم : إنه
 رجل من هذيل كان كثير الزنا . و «أخدع من ضب» . و «أشأم من الزرقاء»
 وهي ناقة .

الأنعام

- ١٠ حدثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهليّ عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه
 عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما خلق الله دابة أكرم عليه من النّجعة»
 وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها .

وقال : حدثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن إهاب بن عمير قال : كان لنا جمل يعرف
 كَشَحَ الحامل من غير أن يُشَمّها . قيل لأبنة الحسّ : ما تقولين في مائة من المعزّ؟

- (١) وفي النسخة الألمانية : «بالمرأة المريبة» وعبارة الأساس «هو الذي يصفر لريبه فهو وحل أن
 يُطهر عليه ، وقيل : هو طائر يكس رأسه ليلاً ويتعلق برجله وهو يصفر خيفة أن ينام فيؤخذ» .
 (٢) في الأصلين «تقر» والسبق يقتضى ما رصعنا إذ سبق الفعل لبيان الاشتقاق . (٣) في جمع
 الأمانال للبدائي : «أشأم من ورقاء» وقال : يعون الناقة وهي مشومة وذلك أن ربهما تقرت فذهبت
 في الأرض . وما في الأصل حكاه المبدائي عن أبي الندى وقال : الزرقاء ناقة تقرت براكيها فذهبت
 في الأرض . (٤) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٣ وقد وردت هذه الكلمة في الأصل الفتوغرافي
 هكذا «يسها» وفي النسخة الألمانية «يسى» . (٥) أبنة الحس : امرأة من إباد جاءت عنها
 الأمثال راسمها حند وكانت معروفة بالقصاحة .

قالت : قِنِّي ؛ قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غَنِّي ؛ قيل : فمائة من الإبل ؟
قالت : مُنِّي . والعرب تضرب المثل في الصَّرْد بالمِعْزَى فتقول : « أَصْرَدُ من عَتْرِ
جَرَبَاء » . وسئل دَغْفَلٌ عن بني مخزوم ، فقال : مِعْزَى مَظِيرَةٍ ، عليها قُشَعْرِيرَةٌ ،
إلا بني المَغِيرَةِ ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ تَشَادُقَ الكلام ، ومُصَاهَرَةَ الكِرام .

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم : قالت المِعْزَى : ^(١)الْأَسْتُ جَهْوَى ،
والذَنْبُ أَلْوَى ؛ والجِلْدُ رُقَاقٌ ، والشَّعَرُ دُقَاقٌ . قالوا : والضأن تضع مرة في السنة
وتُفَرِد ولا تُنْتِمُ ، والماعِز قد تلد مرتين في السنة ، تضع الثلاثة وأكثر وأقل ، والنَّاء
والبركة والعدد في الضأن ؛ وكذلك الخنازير تضع الأثنى منها عشرين خِنُوصًا ولا تَمَاء
فيها . ويقال : الجَوَامِيسُ ضَأْنُ البقر ، والبُحُثُ ضَأْنُ الإبل ، والبراذين ضَأْنُ الخيل ،
والجرذان ضَأْنُ الفار ، والدُّلُّلُ ضَأْنُ القنَافِذ ، والنمل ضَأْنُ الذَّر . ويقول الأطباء في لحم
الماعِز : إِنَّهُ يورث الهم ويحرك السوداء ويورث النسيان ويُحَبِّلُ الأولادَ ويُفسد
الدم ، ولحم الضأن يضر بمن يُصْرَع من المِزَّة لِإِضرارها شديدا حتى يصرعهم في غير
أوان الصَّرْع . وأوان الصرع الأَهْلَةُ وأنصافُ الشهور ؛ وهذان الوقتان هما وقت مدَّ
البحر وزيادة الماء والدم . ولزيادة القمر إلى أن يصير بدرا أثر في زيادة الدم والدماغ
وجميع الرطوبات ؛ قال الشاعر :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عَشُّوا لَحْمَ ضَائِنٍ * فَهُمْ يَعْجُونَ قَدَمًا لَتُطْلَاهُمْ ^(٢)

وفي الماعِزَة : إِنَّمَا تَرَضَعُ مِنْ خَلْفِهَا ^(٤)وهي مُحْفَلَةٌ ^(٥)حتى تَأْتِيَ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ ؛ قَالَ
أَبْنُ أَحْمَرَ

(١) الصرد : البرد ، لأن المعزى لا تدفأ لقلّة شعرها . (٢) جهوى : مكشوفة (٣) الرجل البعج :
الضعيف المشى كأنه مبعوج البطن ، وفي النسخة الألمانية : « فهم يعجون » بالياء المثناة وهو محريف .
(٤) الخلف بالكسر : حلبة الضرع . (٥) المحفلة : التي ترك حلبها أياما ليجمع اللبن في ضرعها .

إني وجدتُ بني أعيًا^(١) وجاملهم^(٢) * كالعز تعطف روقيها فترتضع^(٣)

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نبت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرضه بأسنانها والماعزة تقتله وتجذبه فتثره من أصله . وإذا حمل على الماعزة غملت أنزل اللبن في أول الحمل إلى الضرع ، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولادة ، ولذلك تقول العرب «رمدت المعزى فرث رثق» و«رمدت الضأن فرث رثق»^(٤) . وذكر كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا . وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتا من ذكورها . قيل لأعرابي : بأي شيء تعرف حمل شائك ؟ قال : إذا ورم حياؤها ورجت شعرتها واستفاضت خاصرتها .

قال الأصمعي : لبي عقيل ماعزة لا ترد ، تجترى بالرطب . وقرأت في كتاب من كتب الروم : إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فانظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه . وقرأت فيه أن الإبل تنحامي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها . قالوا : وكل ثور أفتس^(٦) ، وكل بعير أعلم^(٧) ، وكل ذباب أقرح^(٨) . وقالوا : البعير إذا صعب وخافه الناس استعانوا عليه حتى يتركه ويعقل ثم يركبه فخل آخر فينل . والعرب تعرف

- (١) كذا في الأصل والصحيح والذي في اللسان في مادة «رضع» : * إلى رأيت بنى منهم وعزهم *
 و«أعياء» أبو بطن من أسد كما في اللسان . (٢) الجامل قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها .
 (٣) الروق : القرد ، يريد أنهم لا يتعلمون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب .
 (٤) الترميد : أن تعظم الضروع . والترثيق : الانتظار . والمعنى أن عظم ضرع الماعزة لا يدل نيل قرب ولادتها . (٥) أي هي الأولادها الأرباق (جمع ربق بالكسر وهو حمل فيه سدة عمرى يشد به الهم . كل عروة ربة بالكسر والفتح) يعنى أن عظم ضروع الضأن يدل نيل قرب ولادتها . وهو مثل بضرب لما لا ينتظر وقومه انتظارا طويلا على عكس المثل الأول .
 (٦) الافطس : الذي تطامننت قصبة أنفه وانتشرت أرائشم أنفه في وجهه . (٧) الأعلم : المشقوق المشفر الانل . (٨) الأقرح : الذي بوجهه قرحة تظهر كالنقرة .

البعير المُنْعَدُ ^(١) بسقوط الذباب عليه . ويقولون : بعير مَذْبُوب إذا عَرَضَ له داء يدعو
الذباب الى السقوط عليه . وقال بعض القصاص : لما فَضَّلَ الله به الكَبْشَ أن يجعله
مستور العورة من قُبُل ومن دُبُر ، ومما أهان به التيس أن يجعله مهتوك الستر
مكشوف القبل والدبر .

٥ حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن منبه أنه قال : كان
في مناجاة عَزِيزٍ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ آخَرْتَ مِنَ الْأَنْعَامِ الضَّائِنَةِ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةِ ، وَمِنَ النَّبَاتِ
الْحَبْلَةَ ^(٢) ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَكَّةً ^(٣) وَإِيلِيَاءَ ، وَمِنَ إِيلِيَاءَ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ . وفي الحديث أن امرأة
أتت النبي عليه السلام فقالت : يا رسول الله ، صلى الله عليك ، إني آتَخَذْتُ غَنِمًا أَبْتغِي
نَسْلَهَا وَرِثْلَهَا ^(٤) وَإِنهَا لَا تَنْمُو ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَا أَلَوَانِهَا “ ، قَالَتْ :
سُودٌ ، فَقَالَ : ” عَفْرَى “ ^(٥) ، وَبَعَثَ إِلَى الرَّعِيَانِ ” مَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ سُودٌ فَلْيَخْلِطْهَا بِعَفْرِ
فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ أَزْكَى مِنْ دَمِ سَوْدَاوَيْنِ “ ، وَقَالَ : ” الْغَنَمُ إِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلْتَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ
أَقْبَلْتَ . وَالْإِبِلُ إِذَا أَدْبَرَتْ أَدْبَرْتَ وَإِذَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلْتَ وَلَا يَأْتِي نَفْعُهَا إِلَّا مِنْ جَانِبِهَا
الْأَشَامِ “ ^(٦) . وَالْأَفِطُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْمِعْزَى ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا عِصَى
فَتَمَلَأُ بَيْتَنَا أَفْطًا وَسَمْنًا * وَحَسْبُكَ مِنْ غَنَى شَبْعٍ وَرِي

١٥ وقالوا : شِقْشِقَةُ البعير : هَمَاتُهُ يُخْرِجُهَا . وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي الْغَنَمِ قَوْلُ مُخَارِقِ
أَبْنِ شِهَابٍ فِي تَيْسٍ غَنَمِهِ :

(١) أُنْعِدَ البعير : أُصِيبَ بِالْفَقْدَةِ ، وَهِيَ طَاعُونُ الْإِبِلِ . (٢) فِي النُّسْخَةِ الْأَمْسَانِيَةِ ” فِي مُنَاجَاةِ
عَزِيزِ اللَّهِ إِنَّكَ . . . “ وَظَاهَرَ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ . (٣) الْحَبْلَةُ تَطْلُقُ عَلَى بَقْلَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ ذِكُورِ الْبَقْلِ
وَعَلَى الْكُرْمِ وَعَلَى شَجَرِ الْمَضَاهِ . (٤) بَكَّةٌ : مَكَّةٌ . وَإِيلِيَاءُ : اسْمُ مَدِينَةِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ .
(٥) الرَّسْلُ : اللَّبَنُ . (٦) عَفْرَى : مِنَ الْعَفْرِ وَهُوَ الْبَيَاضُ . (٧) الْأَشَامُ : الشَّهَالُ .

- وراحت أصيلاً كما ضرورتها * دلاء وفيها واند القرن لبلب^(٢)
له رعشات كالشئوف وغرة^(٤) * شديخ^(٥) ولون كالوذيلة مذهب^(٦)
وعينا أحمر المقلتين وعصمة^(٧) * يواصلها دان من الظلف مكنب^(٨)
إذا دوحه من مخرف الضال أذبلت * عطاها كما يعطو ذرى الضال قرهب^(٩)
أبو الحور والغزل اللواتي كأنها * من الحسن في الأعناق جزع^(١٠) مثقب^(١١)
تري ضيفها فيها بيت بغبطة * وضيف^(١٢) ابن قيس جائع^(١٣) يتخوب^(١٤)
فوفد ابن قيس هذا على النعمان فقال : كيف أنخارق فيكم؟ قال : سيد كريم من رجل^(١٥)
يمدح تيسه ويهجو ابن عمه . قال العجاج في وصف شاة : حمراء المقدم شعراء المؤخر
إذا أقبلت حسبته نافرا ، وإذا أدبرت حسبته ناثرا ، أي كأنها تعطس ، يريد من أي
أقطارها رأيتها وجدتها مشرقة .

١٠

- (١) راند القرن : متصبه . (٢) قال صاحب اللسان : أراد باللباب شقيقته على المعزى انى
أرسل فيها فهو ذرلية عليها أي ذرشفقة . (٣) رعشا الشاة : زمتها تحت الأذنين . وفي الأصل
الفتوغرافى : عرئات وهو مخريف . (٤) جمع شنف وهو القرط ، وفي الأصل الفتوغرافى
كالسيوف وهو مخريف . (٥) غرة شادخة وشديخ : غشت الوجه من الناصبة الى الأنف .
(٦) المرأة أو قطعة من الفضة مجازة . (٧) العصمة : البياض في ذراعى الظبي أو الوعل .
(٨) الظلف : ظفر كل ما أجتر ، وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها .
(٩) مكنب : فليظ ، من الكنب وهو غلظ يد الرجل والخلف والحافر واليد .
(١٠) المخرف : الذى حان خرافه أى اقتطاف ثمره .
(١١) من العطو وهو التناول . (١٢) القرهب من الثيران : المسن الضخم .
(١٣) الجزع بالفتح وبكسر : الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض .
(١٤) يتخوب : يتوجع . كذلك وردت في كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٤٤ وفي الفتوغرافية : « يتخوب »
ولم نجد هذا الفعل وإنما ورد الخوبة : المجاعة .
(١٥) هكذا بالأصول ، والذي في كتاب الحيوان لم يحفظ ج ٥ ص ١٤٠ « سيد شريف يمدح » الخ
بدون من رجل .

٢٠

قال الأصمعي: قال أعرابي يهزأ بصاحبه: اشتري لي شاة فقهاء كأنها تضحك، مندلفة^(٢) خاضرتها، لها ضرع أرقط كأنه جيب، قال: فكيف العطل؟ قال: أنى لهذه عطل! العطل: العنق. يقول: من سمنها يحسب أنه لا عنق لها.

ومما تقوله العرب على السنة البهائم: قالت الضائنة: أولد رُخلاً وأجر جُفلاً وأحلب كُثباً ثقالاً ولم ترمثي مالا حُفلاً^(٣). تقول: أجز مرة وذلك أن الضائنة إذا جرت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يؤتى عليه، والكُثب جمع كُثبة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أحلب دفعاً ثقالاً من اللبن، وذلك لأن لبنها أدهم وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السباع أطيب أفواها من الكلاب^(٥)، ولا في الوحوش أطيب أفواها من الطباء. ويقال: ليس شيء أشد بئراً من أسد وصقر، ولا في السباع اسبع من كلب. وليس في الأرض فحل من جميع أجناس الحيوان لذكركه حجم ظاهر^(٦) إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحار ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الروم: إن الأسد يدع بصوت الديك^(٧) ولا يدنو من المرأة الطامث^(٨). والأسد إذا بال شغركا يشغركا^(٩) الكلب، وهو قليل الشرب للماء، وتجوؤه

(١) الفقم: تقدم النبايا العليا. (٢) في الأصل الفتوغراف مندلغة بالذال المعجمة والقاف وفي الألمانية «مندلقة» بالذال المعجمة والقاف. ولعل الصواب ما أثبتناه: بالاندلاق: الاسترخاء. (٣) الرخال: جمع رخل بالكسروياء، وككتف: الأنثى من ولد الضان. (٤) الحفال كفراب: العظيم. (٥) كذا في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٦ وهي أنسب بالسياق. وفي الأصلين: «الكلب». (٦) كذا في العقد الفريد وفي الأصلين: «الحوض». (٧) كذا في النسخة الألمانية، وفي الفتوغرافية: من صوت «الذئب». وعبارة الدميري «يفزع من صوت الديك ونقر الطست». (٨) من الطمث وهو الحيض، وعبارة الدميري «ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد». (٩) شغركا: رفع إحدى رجليه بال أو لم يبل.

يشبه نجو الكلب ، ودواء عَضَّتْهُ دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب . وقالوا : العيون التي تضيء بالليل عيونُ الأسد والنمور والسنائير والأفاعي . والعرب تقول هو «أحمق من جَهِيْزَة» وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتضع ولد الضبع . ويقولون : الضبع إذا صيدت أوقلت عال الذئب أولادها وأتاهها باللحم ؛ قال الكُمَيْت :

كما خامرت في بيتها أم عامر^(١) * لدى الحبل^(٢) حتى عال أوس^(٣) عيالها
أوس : الذئب .

وقالوا : ثلاثة من الحيوان ترجع في قَيْئها : الأسد والكلب والسنور ، ويقال : الضب أيضا . وأمراض الكلاب ثلاثة : الكلب وهو جنون ، والذئبة والنقرس . والعرب تقول : دماء الملوك يشفاء من عَضَّة الكَلْب الكَلْب والجنون والحبل ؛ قال الفرزدق :

من الدارميين الذين دماؤهم * شفاء من الداء المجنة والحبل
وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال : دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب الذراريخ^(٤) والعدس والشراب العتيق يصنع ؛ وقد ذكر كيف صنعتة وكَم يُشرب منه وكيف يُتعالج به ، والكَلْب الكَلْب إذا عض إنسانا فربما أحاله نباحا مثله ثم أحبله وألقحه بأجر صغار تراها علقا في صور الكلاب .

- (١) أم عامر : كنية الضبع .
(٢) الحبل على هذه الرواية حبل الرمل وروى «لدى الحبل» والمراد بذي الحبل الصائد الذي يعلق الحبل في عروق الضبع .
(٣) كذا في الأصلين وفي لسان العرب في مادة عال . وأورده صاحب اللسان أيضا في مدد أوس : غال أوس بالعين المعجمة وقال في تفسيرها : يعني أكل جوارها .
(٤) الذراريخ جمع دُرُوج وهي دويبة حراء مقطعة بسواد أعظم من الذباب شيئا .
(٥) جمع جرر .

قال أبو اليقظان : كان الأسود بن أوس بن الحجرة أتى النجاشي فعلمه دواء الكلب ، فهو في ولده الى اليوم . فمن ولده المحل ، وقد داوى المحل عتيبة بن مرداس فأخرج منه مثل جراء الكلاب علقا ، قال ابن فسوة حين برأ :^(١)

ولولا دواء ابن المحل وعلمه . هـررت اذا ما الناس هـر كليبها
وأخرج بعد الله أولاد زارِع^(٢) . مؤلعة^(٣) أكتافها وجنوبها^(٤)

٥

الكليب : جمع كلب على غير قياس مثل عبد وعبيد .
وعض رجلا من بني العنبر كلب كلب فبال ملقا في صور الكلاب ، فقالت امرأته :
أبالك أذراصا وأولاد زارِع^(٥) . وتلك لعمري نهيئة المتعجب

ويزعمون أنه يطلب الماء أشد طلب ، فاذا أتوه به صاح عند معاينته : لا أريد
لا أريد ، أو شيئا في معنى ذلك . قالوا : وتنام حمل الكلبة ستون يوما ، فإن وضعت
في أقل من ذلك لم تكد أولادها تعيش . وإناث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام ،
وعلامة ذلك أن يرم ثفر الكلبة ولا تُريد السفاد في ذلك الوقت . وذكور السلوقية^(٦)
تعيش عشرين سنة ، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة . وليس يلتق الكلب شيئا من
أسنانه سوى النابين .

١٠

قالوا : وعلامة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصير الظهر .
ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الغضف وزرق العينين^(٧)

١٥

(١) ابن فسوة كنية عتيبة بن مرداس ، وظاهر ما في الأصل أن البيت لعتيبة نفسه ولكن المؤلف
في كتابه الشعر والشعراء قال : فقال فيه الشاعر ، ثم ساق البيت . (٢) زارع : اسم كلب ، ومنه
قبيل للكلاب أولاد زارع . (٣) التوليع أن يكون في الدابة ضروب من الألوان .
(٤) في النسخة الألمانية : « أكتافها » . (٥) جمع درص — بالفتح ويكسر — وهو ولد الثفلة
والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها . (٦) في النسخة الفنتوغرافية « وأيام » .
(٧) الثفر — بالفتح ويضم — للباع والمخالب كالحياء للنافه . (٨) الغضف : استرخاء الأذن .

٢٠

وعِظَمِ المقلتين وطول الخَطْمِ مع اللطافة وسعة الشَّدقين وتُتَوُّ الحُدقة وتُتَوُّ الجَبْهة وعِزَّضُها، وأن يكون الشعر الذي تحت حَنَكِه طاقةً طاقةً ويكون غليظاً، وكذلك شعر خَدَيْهِ . ويكون قصيرَ اليدين طويلَ الرجلين عريضَ الظهر طويلَ الصدر، في ركبته آنحناء . ويكره للذكور طول الأذنان . ومن علامة الفَراة التي لا تكاد تَحُلْفُ أن يكون على ساقيه أو على أحدهما أو على رأس الذنب مَحَلَّبٌ . وينبغي أن يُقَطَّعَ من الساقين . وسودُّ الكلاب أعقرُها، ولذلك أمر بقتلها .

قالوا : وإذا هَرِمَ الكلبُ أَطْعِمِ السَّمَنَ مراراً فإنه يعود كالشَّابِّ ، وإذا حَفِيَ دُهِنَتْ آسَتُهُ وَأُجِمَ^(١) ومُسِحَ على يديه ورجليه القَطِرَانُ . وإذا بلغ أن يَشْغَرَ فقد بلغ الإِلْقَاحَ . والكلب من الحيوان الذي يحتمل . قالوا في الكلبة : إنه يسفدها كلب أسود وكلب أبيض وكلب أصفر فتؤدى إلى كلِّ سافِدٍ شكله وشبهه .

قعد جماعة من أصحابنا يعدون ما جاء في الكلب من الأمثال فحفظت منه : «الأمُّ من كلبٍ على عَرَقٍ» و«أَجْعْ كَلْبَكَ يَتَبَعَكَ» و«نَعِيمٌ كَلْبٌ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ» و«أَسْمِنُ كَلْبَكَ يَا كَلْبُ» و«أَحْرُصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عِقَى صَبِيٍّ» و«أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ» و«أَبُولُ مِنْ كَلْبٍ» و«جَلَسَ فُلَانٌ مَرَجَرَ الكلب» و«الكلاب على [البقر]» و«الكلبُ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ الظَّاعِنُ» و«هو كالكلب في الأذى لا يعتلف ولا يدع الدابة تعتلف» .

(١) كذا في الأصل الفتيغرافي، وفي النسخة الألمانية : «أرحم» . وأُجِمَ : رُكِّ لِيَسْتَعِيدَ قُوَّتَهُ .

(٢) في الأصلين : «قالوا في الكلبة» وظاهر أن الراوزائدة .

(٣) العرق : العظمُ أَكْلُ لَحْمِهِ ، أَوِ الْعَظْمُ بِالْحَمِّ .

(٤) العِيقُ : أَوَّلُ حَدَثِ الصَّبِيِّ .

(٥) الزيادة من مجمع الأمثال، وهو مثل يصير عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة .

الذئب

الذئب إذا سقّد الذئبة فالتحم الفرجان وهجم عليهما هاجم قتلها كيف شاء . إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك ، لأن الذئب إذا أراد السّفاد تونّعى موضعا لا يطؤه أنيس خوفا على نفسه . وتقول الروم : إن الذئب إذا نهش شاة ثم أفلتت منه طاب لحمها وخفّ وسليمت من القردان . قالوا : والذئب إذا رأى إنسانا قبل أن يراه الإنسان أبحّ الذئب صوت ذلك الإنسان . وقالوا : فى طبع الذئب محبة الدم ، ويبلغ به طبعه أنه يرى الذئب مثله قد دمي فيلب عليه فيمزقه ؛ قال الشاعر :^(١)
وكنّت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم^(٢)

قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذئب ثقلت قائمته التي وطئ بها . وفى كتاب على رضى الله عنه إلى ابن عباس : لما رأيت العدو على ابن عمك قد حرب ، والزمان قد كلب ، قلبت لابن عمك ظهر المحن بفراقه مع المفارقين ، وخذلانه مع الخاذلين ، واختطفت ما قدرت عليه من الأموال اختطاف الذئب الأزل^(٣) دامية المعزى . ويقولون : إن الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح الأخرى ؛ وقال حميد بن ثور :
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع^(٤)

والذئب أشدّ السباع مطالبة ، وإذا عجز عوى عواء استغاثت فتسامعت الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله ؛ وليس شيء من السباع يفعل ذلك .

(١) هو الفرزدق (راجع ص ٢٦ من ديوانه طبع باريس سنة ١٨٧٠) .

(٢) أحال على الدم : أقبل عليه .

(٣) الذئب الأزل : الأرمع (الخفيف الوركين) يتولد بين الضبع والذئب .

(٤) فى العقد الفريد وغيره : ٢٠

* بأخرى الأعادى فهو يقظان نائم .

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوبٌ طَرَفُهُ إلى داخل . والهند تقول: لولا أن لسانه مقلوبٌ لتكلم . والفيل إذا ساء خُلِقَهُ وَصَعِبَ عَصَبُوا رجليه فسَكَن . وليس في جميع الحيوان شيءٌ لذكوره تَدَى في صدره إلا الإنسان والفيل . والفيل المغتلم إن سمع صوت خنوص من الخنازير ارتاع ونقر . والفيل يفرع من السنور . وتزعم الهند أن نأبى الفيل هما قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا الحنك ويخرجا أعقفين . وقال صاحب المنطق : ظهر فيل عاش أربعاً وسنة . وقال حدثني شيخ لنا قال : رأيت فيلا أيام أبي جعفر قيل : إنه سجد لسابور ذي الأكتاف ولأبي جعفر ، والفيلة تضعُ في سبع سنين .

الفهد

١٠

قالوا: السباع تستهي رائحة الفهد، فإذا سَمِنَ الفهد عَرَفَ أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضى الزمان الذي تسمُن فيه الفهود . ويعتري الفهد داء يقال له خائفة الفهود ، فإذا آتراه أكل العذرة فبراً . والوحشي المَسْن منها في الصيد أنفع من الجرو المُرَبِّب^(٢) .

الأرنب

١٥

قالوا : الأرنب تحيض ولا تسمُن إلا بزيادة اللحم . وقضيب الذكر من الأرناب ربما كان من عظم ، وكذلك قضيب الثعلب . والأرنب تنام مفتوحة العين . وإنفحة الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من الحيض مُنِعت من الحمل . والكاف^(٣) إن طلي بدم الأرنب أذهب .

٢٠ (١) «الأصلين» : «وصف» وظاهر أن ما أثبتناه هو الذي يلائم السياق . (٢) المُرَبِّب : الذي يربونه لأن الجرو يخرج حياً ويخرج المسن على أنثاديب صبورا غير حب . كذا في كتاب الحيوان لمجاهد (ج ٦ ص ١٦٠) . (٣) الكلف بالتحريك : شيء، يعلو ألوجه كالسمه ويعرف بالتمش .

القرود والدُّب

قال : حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال : حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصّين وأبي بلج عن عمرو بن ميمون قال : زنت قردة في البهايلية فربحها القروء وربحها معهم . قالوا : وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة إلا الإنسان والقرود ؛ قالوا : والدّيسم حرو الدُّب تضعه أمه وهو كغذرة لحم فتهرّب به في المواضع العالية من الذرّ والنمل حتى تشتدّ أعضاؤه .

مصيد السباع العادية

السباع العادية : تُصطاد بالزبي^(١) والمغويات^(٢) وهي آبار تُحفر في أنشاز الأرض ، فلذلك يقال : قد «بلغ السيلُ الزبي»^(٣) ، قال صاحب الفلاحة : ومما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سمك من سمك البحر الجكار السمان فتقطع قطعاً ثم تُشرح ثم تُكَلَّلُ كُكَلًا ثم توضع نار في غائط من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكُلل في النار واحدة بعد واحدة حتى ينتشر دخان تلك النار وتقتار تلك الكُلل في تلك الأرض ثم تطرح حول تلك النار قطعاً من لحم قد جعل فيها الخربق الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا ترى فيه حتى تقبل السباع لريح القنار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويُغشى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا .

(١) المغويات بفتح الواو مشددة : جمع المغواة وهي حفرة كالزبية تحتفر للأسد .

(٢) أنشاز جمع نثر وهو المكان المرتفع .

(٣) الزبي جمع زبية وهي الراية لا يعلوها ماء ، وهي كذلك حفرة للأسد .

(٤) الغائط : المطنن الواسع من الأرض .

(٥) القنار : ريح الشواء .

(٦) الخربق بكسر : نبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله .

النَّعَام

قالوا في الظليم : إن الصيف إذا أقبل وأبتدأ البُسر في الحمرة أبتدأ لون وظيفه^(١)
بالحمرة ولا يزالان يتلونان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر، ولذلك قيل له :
خاضب . وفي الظليم : إن كل ذي رجلين إذا أنكسرت إحدى رجليه قام على الأخرى
وتحامل على ظلع غيره فإنه إذا أنكسرت إحدى رجليه جثم ، ولذلك قال الشاعر
في نفسه وأخيه :

فأنتي وإياه كرجلي نعامة * على ما بنا من ذي غنى وفقير

يقول : لا غنى بواحد منا عن الآخر . وقال آخر :

إذا أنكسرت رجل النعامة لم تجد . على أختها نهضا ولا باستها حبوا^(٢)^(٣)

قالوا : وعلة ذلك أنه لا تُخ له في ساقيه ، وكل عظم فهو ينجر إلا عظام لا تخ فيه .
وزمانر الشاء لا تنجر ، قال الشاعر :

أجذك لم تطلع برجل نعامة ، ولست بنهاض وعظمك زعخر^(٤)

أي أجوف لا تخ فيه . والظليم يغتذي المرو والصخر فتذيبه قانصته بطبعها حتى
يصير كالماء ، قال ذو الرمة يذكره :

(١) الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها والجمع أوظيفة ورُطف . ١٥

(٢) في العقد التمريد : ولا دوسها صبرا .

(٣) كذا في حياة الحيوان (ج ٢ ص ٢٠) وفي الأصل : «حبرا» .

(٤) الزمان جمع زخمرة وهي كل عظم أجوف لا تخ فيه .

(٥) القوانص لطير كالمصارين وغيرها .

أَهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَتُهُ ^(٢) * من لَانَحِ الْمَرُوءِ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ ^(٣)

قال أبو النجم :

وَالْمَرُوءُ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ * فِي سِرْطِمٍ هَادٍ عَلَى آلَتَوَائِهِ ^(٤)

والظلم يتلع الجمة وربما أُلقي الحجر في النار حتى إذا صار كأنه جمة قُدِفَ به بين يديه فيبتلعه وربما أبتلع أوزان الحديد . وفي النعامة إنها أخذت من البعير المنسِم والوظيف والعنق والخزامة ؛ ومن الطائر الريش والجناحين والمنقار فهو لا يعير ولا طائر ؛ وقال أوس بن حجر :

وَتَنَى ذَوَى الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ * وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْمَخْزَمِ

جعله مخزماً للخرقين اللذين في عَرْضِ أَنْفِهِ في موضع الخزامة من البعير . قال يحيى بن نوفل :

وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بِعَبْرًا * تُعَاصِينَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي ^(٥)
فَإِنْ قِيلَ آحِلِي قَالَتْ فَإِنِّي * مِنَ الطَّيْرِ الْمَرْبَةِ فِي الْوُكُورِ ^(٦)

وتقول العرب في المثل : هذا «أَمُوقٌ من نعامة» وذلك أنها ربما خرجت لطلب الطعم فمزت ببيض نعامة أخرى فحضنته وتركت بيضها ؛ ولذلك قال الشاعر وهو ابن هرمة :

(١) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . (٢) قال ابن سيده : التَنُوم : شجر له حمل صفار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية . وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق ، وراحته تنومة . (٣) قال في اللسان : وعُقْبَةُ الماشية في المرعى أن ترعى الخلة عُنْبَةً ثم تعول إلى الخوض ، فالخوض عُنْبَتُهَا ، وكذلك إذا حوت من الخوض إلى الخلة ، فالخلة عُنْبَتُهَا . (٤) لسرطيم : البلوم . (٥) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الأصل «تعاظمها» . (٦) المربة : المقبضة ؛ وفي حياة الحيوان (ج ٢ ص ٤١٨) «المربة» .

وإني وتركي ندى الأكرمين * وقدحى بكفى زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء * ومليسة بيض أخرى جناحا

وقال ستهم بن حنظلة :

إذا ما لقيت بني عامر * رأيت جفء ونوكا كبيرا
نعام تمسك بأعناقها * ويمنعها نوكها أن تطيرا

ويضرب بها المثل في الشراء والنفار؛ قال بشر بن أبي خازم :

وأما بنو عامر بالنسار * فكانوا غداة لقونا نعاما

يريد: مروا منهزمين . وربما حضنت النعامة أربعين بيضة أو نحوها وأخرجت

ثلاثين رآلا؛ قال ذو الرمة :

كأنه خاضب بالسبي مرته * أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

والبواقى من بيضها الذى لا تنفقه يقال لها : الترائك . وأشد ما يكون الظلم عدوا
إذا استقبل الريح لأنه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وإذا استدبرها كبته من
خلفه . والنعامة تضع بيضها طولا ثم تغطيها كل بيضة بما يصيبها من الحصى ؛
قال ابن أحرر :

* وضمن وكلهن على غراري *

وقال آخر :

* على غراري كاستواء المطمر *

(١) النوك : الحق . (٢) النسار : موضع ، وقيل : هو ماء لبني عامر ، ومنه يوم النسار لبني أسد
وذبيان على جشم بن معاوية . (٣) كذا في الأصل الفتوغرافي . وفي لسان العرب في مادة «خضب»
«أذاك أم خاضب ... الخ» وهي رواية الديوان ، يعنى : أذاك الثور الذى وصفته يشبه ناقى في سرعتها
أم ظليم هذه صفته . (٤) السى : الفلاة . (٥) نفقت النعامة البيضة : ثقبها وأستخرجت ما فيها .

والمِطْمَر خِيطُ البَنَاءِ، إِلَّا أَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ خَالَفَ ذَلِكَ فَقَالَ يَذْكُرُ الظُّلُمَ
والنعامة :

فَتَذَكَّرْنَا ثَقَلًا رَثِيدًا بَعْدَ مَا * أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ^(٢)

والرثيد : المنضود بعضه على بعض . قالوا : الوَحْشُ فِي الْفَلَوَاتِ مَا لَمْ تَعْرِفِ
الْإِنْسَانَ وَلَمْ تَرَهُ لَا تَنْفِرْ مِنْهُ إِذَا رَأَتْهُ خَلَا النِّعَامَ فَإِنَّهُ شَارِدٌ أَبَدًا ؛ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :
وَكُلُّ أَحْمَمٍ^(٣) الْمُقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ * أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طَوَّلِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٤)
يريد : أَنَّهُ لَا يَنْفِرُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّهُ فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَرِ أَحَدًا قَبْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ الْأَحْمَرُ
السَّعْدِيُّ : كُنْتُ حِينَ خَلَعْنِي قَوْمِي وَأَطَّلَ السُّلْطَانُ دَيْمِي وَهَرَبْتُ وَتَرَدَدْتُ فِي الْبُوَادِي
ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ جُرْتُ نَحْلَ وَبَارٍ أَوْ قَرِيبَ مِنْهَا ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَى النَّوْيَ فِي رَجْعِ
الذَّنَابِ وَكُنْتُ أَغْشَى الظُّبَاءَ وَغَيْرَهَا مِنْ بَهَائِمِ الْوَحْشِ فَلَا تَنْفِرُ مِنِّي ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرِ أَحَدًا
قَبْلِي وَكُنْتُ أَمْشِي إِلَى الظُّبَى السَّمِينِ فَأَخْذُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ رَأَيْتُ جَمِيعَ تِلْكَ الْوَحُوشِ
إِلَّا النِّعَامَ فَإِنَّهُ لَمْ أَرَهُ قَطُّ إِلَّا نَافِرًا قَزَعًا .

الطير

قَالَ حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَتَّابٍ قَالَ حَدَّثَنَا طَلْحَةُ بْنُ يَزِيدَ الشَّامِيُّ
عَنْ بَقِيَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يُعِجِبُهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْأُتْرُجِّ وَإِلَى الْحَمَامِ الْأَحْمَرِ .

حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ بِغَيْبٍ أَذْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ يَبْيِضُ ؛ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَظْهَرُ
أَذْنَاهُ إِلَّا وَهُوَ يَلْدُ ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) النُّقْلُ بِالْتَحْرِيكِ : مَنَعَ الْمَسَافِرَ وَحُشْمَهُ . (٢) ذُكَا : هِيَ الشَّمْسُ ، وَالْكَافِرُ هُوَ

الَّيْلُ ، مِنَ الْكَفْرِ وَهُوَ السِّرُّ وَالنَّطِيقَةُ ، يَرِيدُ أَنَّهُمَا تَذَكَّرَا مَنَاعَهُمَا بَعْدَ الْغُرُوبِ . (٣) أَحْمَمٌ :

أَسْوَدٌ . (٤) الْمَغْفَلُ : الْمَجْهُولُ ، وَفِي الْأَصْلَيْنِ « الْمَغْفَلُ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الدُّبُونِ .

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال ابن شهاب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أربع لا يُقتان النملة والنحلة والهُدُودُ والصرد^(١)" . بلغني عن مكحول قال : كان من دعاء داود النبي عليه السلام : يا رازق النَّعَابِ في عُشِّه . وذلك أن الغراب إذا فَقَصَ عن فراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها ويرسل الله لها ذبابا فيدخل في أجوافها فيكون غذاءها حتى تسود ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله عنها الذباب .

قال حدثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك ابن يحيى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تطرقوا الطير في أوكارها فإن الليل أمان الله" .

حدثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحموص ١٠ ابن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الديك الأبيض صديق وصديق صديق وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع أدور^(٢)" . وكان النبي عليه السلام يبيت معه في البيت .

قالوا : الطير ثلاثة أضرب ، بهائم الطير وهو ما لقط الجبوب والبزور ، وسباع الطير وهي التي تغتذي اللحم ، والمشارك وهو مثل العصفور يشارك بهائم الطير في أنه ليس بذئ مخالب ولا منسير وإذا سقط على عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابة . ١٥ وسباع الطير تقدم إصبعين وتؤخر إصبعين ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل .

(١) الصرد : طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخيم الرأس والمتنارله مخلب يصطاد المصافير وصغار

الطيور ويكنى بأبي كثير . (٢) هذا الحديث موصوع وقد نه عليه ابن الجوزي وملأ على القساري ٢٠ في موضوعاتها (راجع موضوعات ملأ على القساري ضمن مجموعة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠٤ حديث) .

قالوا: والعصفور شديد الوطء، والفيل خفيف الوطء، والورشان ^(١) يُصرع في كل شهر مرة. قالوا: وأسوأ الطير هداية الأسود، والأبيض لا يحيى من الغاية لضعف قوته وأجودها هداية الغبر والنمر.

قال صاحب الفلاحة: الحمام يُعجب بالكون ويألف الموضع الذي يكون فيه الكون، وكذلك العدس ولا سيما إذا أُنقعا في عصير حلوة، ومما يصالحه عليه ويكثر أن تدخن بيوتهم بالملك؛ وأسلم مواضعها وأصلحها أن يُبنى لها بيت على أساطين خشب ويُجعل فيه ثلاث كوى: كوة في سمت البيت وكوة من قبل المشرق وكوة من قبل المغرب، وبابان من قبل مهب الجنوب. قال: والسذاب ^(٢) إذا أُلقي في البرج تحامته السنائر البرية.

حدثني ابن أبي سعد عن علي بن الصباح عن أبي المنذر هشام بن محمد قال: حدثني الكلبي أن أسماء تكائن نوح ^(٣) إذا تكئن في زوايا بيت حمام نمت الفروخ وسلمت من الآفات. قال هشام: قد جربتته أنا وغيري فوجدته كما قال أبي. قال: وأسم امرأة سام بن نوح «محلث نحو»، وأسم امرأة حام «أذنف نشا». وأسم امرأة يافث «زذقت نبث».

قالوا: وأمراض الحمام أربعة: الكجاء ^(٤) والخنان ^(٥) والسل ^(٦) والقمل، فدواء الكجاء الزعفران والسكر الطبرزد ^(٧) وماء الهندباء ^(٨) يجعل في سكرجة ^(٩) ثم يمج في خلقة قبل أن يلتقط شيئا.

(١) في الأصلين: الغابة، والتصويب عن كتاب الحيوان للمجاهد. والغاية الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل. (٢) السذاب: اسم نبات له خواص وطبائع ذكرها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٥). (٣) الكائن: جمع كنة بالفتح، وهو جمع نادرة كأنهم توهّموا فيه فعيلة ونحوها، ما يكثر على فعال. والكنة امرأة الأبن أو الأخ. (٤) غارة العقسد الفريد (ج ٣ ص ٥٥) وأسم امرأة سام بن نوح «محلث محم» وأسم امرأة حام «أذنف نشا» وأسم امرأة يافث «قال». (٥) الكجاء كغراب: وجع الكبد. (٦) الخنان: داء يأخذ الطير في خلوقها. (٧) الطبرزد: السكر الأبيض الصلب. (٨) الهندباء: بقل معروف يؤكل، له مضار ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته، وداود الأنطاكي في تذكرته. (٩) السكرجة: الصفحة.

ودواء الخنثان أن يُكَلَّن لسانه يوماً أو اثنين بدهن البنفسج ثم بالرماد والملح وكذلك بهما حتى تنسلخ الجلد العليا التي غشيت لسانه ثم يُطلى بعسل ودهن ورد حتى يبرأ .
ودواء السل أن يُطعم الماش^(١) المقشور ويُمجّج في حلقه لبن حليب ويُقطع من وظيفيه عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المفصل . ودواء القمل أن تُطلى أصول ريشه بالزيت^(٢) المخلوط بدهن البنفسج ، يُفعل به ذلك مراراً حتى يستقط قملُه ، ويكلس مكانه الذي يكون فيه كنسا نظيفاً .

قالوا : والطير الذي يخرج من وكرة بالليل البومة والصدى والجمامة والضوع^(٣) والوطواط والخفاش وغراب الليل . قالوا : إذا خرج فوخ الحمامة نفخ أبواه في حلقه الريح لتتسع الحوصلة من بعد اتحامها وتنبثق ، فإذا اتسعت زقاه عند ذلك اللعاب^(٤) ثم زقاه سورج أصول الحيطان ليدبغاً به الحوصلة . ثم زقاه بعد الحب .

قال المثنى بن زهير : لم أر شيئاً قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكراً ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور ، ورأيت حمامة لا تزيّف^(٥) إلا بعد شدة طلب ، ورأيت حمامة تزيّف للذكر ساعة يطلبها ، ورأيت حمامة وهي تمكن آخر ما تعسّده ، ورأيت حمامة تقمط حمامة ، ورأيت حمامة تقمط الذكر ، ورأيت ذكراً يقمط الذكر ، ورأيت الذكر يقمط مالتى ولا يُزاوج ، ورأيت ذكراً له أنثيان يحضن مع هذه وهذه ويزق^(٦) [مع] هذه وهذه .

(١) الماش : حب مدور أصفر من الحص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخاً وأجوده الهندى ثم البنى وأردؤه الشامى . (٢) الزيت بالنون : دهن الياسمين . وفي النسخة الألمانية « الزيت » بالياء . (٣) الضوع : صائر من طير الليل ، قيل هو الكروان ، وقيل هو ذكر البوم . (٤) كذا بالأصليين ، ولعله « الصاروج » وهو الكلس تبنى وتطلى به حيطان البيت . وفي « كتاب الحيوان » للمجاهد (ج ٣ ص ٤٧) « نياكلان من صروج الحيطان وهي شئ من الملح والحض وبين التراب الخالص فيزقان الفرخ... الخ » . (٥) في اللسان : الحمامة تزيّف بين يدي الحمام الذكر ، أى تمنى مدلة . (٦) الزيادة عن « كتاب الحيوان » للمجاهد .

البيض

قالوا : والبيض يكون من أربعة أشياء : منه ما يكون من السفاد ؛ ومنه ما يكون من التراب ؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها ؛ ومنه شيء يعتري ^(١) الجمل وما شاكله في الطبيعة ، فإن الأنثى منه ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق الذكر في بعض الزمان فتحثي من ذلك بيضا ، وكذلك النخلة تكون يجنب ^(٢) الفحل وتحت ريحه فتلقح بتلك الريحة وتكتفى بذلك ، والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضها ملح ، وإذا لم يكن للبيضة ملح لم يخلق فيها فرخ ، لأنه لا يكون له طعام يغذوه ، والفرخ والفروج يخلقان من البياض وغذاؤهما الصفرة ، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها ، والطائر إذا تفت ريشه احتبس بيضه وإذا سمع صوت الرعد الشديد . ١٠

الخفاش

قالوا : عجائب الخفاش ^(٣) أنه لا يبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتجل وتلد وتبيض وتضع وتطير بلا ريش ، وتحمّل الأنثى ولدها تحت جناحها وربما قبضت عليه بفيها خوفا عليه ، وربما ولدت وهي تطير ، ولها أذنان وأسنان وجناحان متصلان برجليها ، وأبصارها تصح على طول العمر ، وإنما يظهر في القمر منها المستات ، وقال بعض الحكماء : الخفاش فأر يطير . ١٥

(١) الجمل بالتحريك : طائر على قدر الحمام كالفطأ أحمر المتقار والرجلين ويسمى دجاج البر . (راجع حياة الحيوان للذميري ج ١ ص ٢٨٤) .
(٢) الفحل : ذكر النخل خاصة .

(٣) الخفاش مشتق من الخفش وهو ضعف في البصر ، وصيق في العين ، وقيل : هو فساد في جفن العين وأحرار تضيق له العيون من غير وجع ولا فرح . ٢٠

الْخُطَّافُ وَالزُّرْزُورُ

قالوا : الْخُطَّافُ^(١) وَالزُّرْزُورُ^(٢) يَتَّبِعُ الرَّبِيعَ حَيْثُ كَانَ . قَالُوا : وَتُقْلَعُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ
فَتَرْجَعُ . وَالزُّرْزُورُ لَا يَمُتُّى وَمَتَّى وَقَعَ بِالْأَرْضِ لَمْ يَسْتَقِلَّ وَأُخِذَ ، وَإِنَّمَا يُعَشِّشُ
فِي الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَفِعَةِ إِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانُ رَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْهَوَاءِ فَطَارَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يَشْرَبَ الْمَاءَ أَنْقَضَ عَلَيْهِ فَشَرِبَ مِنْهُ أَخْتِلَاسًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ بِالْأَرْضِ .

الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ

قالوا : الْعُقَابُ تَبِيضُ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهَا إِذَا فَرَخَتْ غَدَّتِ اثْنَتَيْنِ
وَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَاحِدًا فَيَتَعَهَّدُ فَرْخَهَا طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ : كَاسِرُ الْعِظَامِ^(٤) ، وَيَغْدُوهُ حَتَّى يَكْبُرَ
وَيَقْوَى . وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : الْعُقَابُ وَالْحِدَاةُ يَتَبَدَّلَانِ فَنَصِيرُ الْعُقَابِ حِدَاةً
وَالْحِدَاةُ عُقَابًا ، قَالَ : وَكَذَلِكَ الْأَرَانِبُ^(٥) تَبْدُلُ فَيَصِيرُ الذَّكَرُ مِنْهَا أُنْثَى وَتَصِيرُ الْأُنْثَى ذَكَرًا .
قَالَ صَاحِبُ الْمِنْطِقِ : الْعُقَابُ إِذَا أَشْتَكَّتْ كَبِدَهَا مِنْ رَفْمِهَا الثَّلَبَ وَالْأَرْنَبَ
فِي الْهَوَاءِ وَحَطَّهَا لِذَلِكَ وَأَشْبَاهَهُ تَعَالَجَتْ بِأَكْلِ الْأَجَادِ حَتَّى تَبْرَأَ .

(١) الْخُطَّافُ : الْمَصْصُورُ الْأَسْوَدُ . وَهُوَ الَّذِي تَدْعُوهُ الْعَامَّةُ عَصْفُورَ الْجَنَّةِ .

(٢) الزُّرْزُورُ بِضَمِّ الزَّيْ : طَائِرٌ مِنْ نَوْعِ الْمَصْصُورِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِزُرْزَرَتِهِ أَيْ تَصَوُّبِهِ .

(٣) أَيْ لَمْ يَبْهَضْ .

(٤) كَاسِرُ الْعِظَامِ : طَائِرٌ يُسَمَّى « الْمَكَلَّفَةُ » لِأَنَّ الْعُقَابَ لَمَّا كَانَتْ صَيْفَةُ الْخَلْقِ تَبِيضُ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ
فَتَخْرِجُ فَرَاخَهَا وَتَأْتِي وَاحِدًا مِنْهَا فَيَأْخُذُ هَذَا الطَّائِرُ الْأُنْثَى بِتَكْلُفٍ بِهِ . (رَاجِعْ حِرَاةَ الْحَيَوَانِ لِلدَّمِيرِيِّ)

ج ٢ ص ٣٨٧ .

(٥) فِي الْأَصْلَيْنِ « يَتَبَدَّلَانِ » .

الغراب

الغِرْبَانُ لَا تَقْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاقِيرَ ^(١) وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ فَتَلْقُطُ مَا يَسْقُطُ ^(٢)
 مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ وَأُصُولِ الْكَرْبِ ^(٣)، وَعَلَى إِمَائِثِ الْغِرْبَانِ الْحَضْنُ ^(٤) وَعَلَى الذَّكَورِ أَنْ تَأْتِيَ
 الْإِمَائِثَ بِالطَّعْمِ ^(٥)، وَالْإِوَزَةُ دُونَ الذَّكَرِ * وَالْغِرْبَانُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلسَّفَادِ .

القَطَا

قَالُوا : وَالْقَطَا لَا تَضَعُ بَيْضَهَا أَبَدًا إِلَّا أَفْرَادًا ؛ قَالَ أَبُو وَجَرَةَ :
 وَهِنَّ يَنْسُبْنَ وَهَنًا كُلَّ صَادِقَةٍ * بَاتَتْ تُبَاشِرُ عُرْمًا ^(٦) غَيْرَ أَزْوَاجٍ ^(٧)
 الْحَيَوَانُ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرئيسٍ أَوْ رَقِيبٍ : النَّاسُ ^(٨)، وَالْغُرَانِيُّ ^(٩)، وَالْكِرَاكِيُّ
 وَالنَّحْلُ ؛ فَمَا إِلَّا بَلُّ وَالْبَقَرُ وَالْحَمِيرُ فَتَتَّخِذُ رَئِيسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ .

باب مَصَايد الطير

قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِلطَّيْرِ وَالذَّجَاجِ حَتَّى يَتَحَيَّرَ وَيُغَشِّيَ
 عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَصِيدَهُنَّ عَمِدَ إِلَى الْحَلِيتِ ^(١٠) فِدَافَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ شَيْئًا
 مِنْ عَسَلٍ ثُمَّ أَثْقَعَ فِيهِ بُرًّا يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَلْقَى ذَلِكَ الْبُرَّ لِلطَّيْرِ فَإِنِهَا إِذَا أَلْتَقَطَتْهُ تَحَيَّرَتْ

- (١) النخل المواقير: الكثيرة الحمل . (٢) المصرومة من صرم النخل إذا جره وقطعه . (٣) القلبة جمع قلب وهو شعبة النخل وله أو أجود خوصه . وفي التهذيب: القلب بالضم: السعف (جريد النخل أو ورقه) الذي يطلع من القلب (راجع شرح القاموس مادة «قلب»). (٤) الكرب بالتحريك: أصول السعف الغلاظ العراض . (٥) وردت هذه الجملة في الأصلين هكذا ولا علاقة لها بالسباق . ولعلها زائدة من النسخ . (٦) كذا في الأصلين ، وفي المتن في مادة «عرم» وفي كتاب الحيوان لم يلاحظ (ج ٥ ص ١٦٦) : ما زلن . (٧) العرم : بيض القطا . (٨) الغرانيق : الذكور من طيور الماء سود وقيل بيض وهي في قدر البط . (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢١٥) . (٩) الحلييت : صمغ الأنجذان بفتح الهمزة وضم الجيم وهو نبات سود وبيض وأصله أعظم من الإصبع يتفرع كثيرا وله قرون كقرون اللوبية فيها بدر كالعدس أسود حار وبيض لطيف .

وَعُشِيَ عَلَيْهَا فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الطَّيْرَانِ إِلَّا أَنْ تُسْقَى لَبَنًا خَالِطَهُ سَمْنٌ. قَالَ : وَإِنْ عُجِدَ إِلَى طَاحِينَ بَرٍّ غَيْرِ مَنْخُولٍ فَعُجِنَ بِخَمْرٍ ثُمَّ طُرِحَ لِلطَّيْرِ وَالْحَجَلِ فَأَكَلْنَ مِنْهُ تَحِيرًا. وَإِنْ جُعِلَ نَحْرٌ فِي إِنَاءٍ وَجُعِلَ فِيهِ بَنَجٌ فَشَرِبْنَ مِنْهُ عُشِيَ عَلَيْهِنَ. قَالَ : وَمِمَّا يُصَادُّ بِهِ الْكَرَاكِي وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيْرِ أَنْ يُوضَعَ لَهَنٌ فِي مَوَاقِعِهِمْ إِنْاءٌ فِيهِ نَحْرٌ وَقَدْ جُعِلَ فِيهِ نَحْرٌ أَسْوَدٌ وَأُنْقِيعٌ فِيهِ شَعِيرٌ فَإِذَا أَكَلْنَ مِنْهُ أَخَذَهُنَّ الصَّائِدُ كَيْفَ شَاءَ .

قال غيره : ^(١) وَمِمَّا تُصَادُّ بِهِ الْعَصَافِيرُ بِأَسْهَلِ حِيلَةٍ أَنْ تُؤْخَذَ شَبَكَةٌ فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمَنْكُوسَةِ وَيُجْعَلُ فِي جَوْفِهَا عَصْفُورٌ فَتَنْقَضُ عَلَيْهِ الْعَصَافِيرُ وَيَدْخُلْنَ عَلَيْهِ وَمَا دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ فَيَصِيدُ الرَّجُلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَائَتِينَ وَهُوَ وَادِعٌ. قَالَ : وَيُصَادُّ طَيْرُ الْمَاءِ بِالْقَرَعَةِ وَذَلِكَ أَنْ تُؤْخَذَ قَرَعَةٌ بِإِسْةٍ صَحِيحَةٍ فَيُرْمَى بِهَا فِي الْمَاءِ فَإِذَا تَحَرَّكَ فَإِذَا أَبْصَرَهَا الطَّيْرُ تَحَرَّكَ فَيَزِعُ فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَسَسَ حَتَّى لَرَبَّمَا سَقَطَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تُؤْخَذُ قَرَعَةٌ فَيُقَطَّعَ رَأْسُهَا وَيُحْرَقَ فِيهَا مَوْضِعُ عَيْنَيْنِ ثُمَّ يَدْخُلُ الصَّائِدُ رَأْسَهُ فِيهَا وَيَدْخُلُ الْمَاءَ فَيَمَشِي إِلَيْهَا مَشْيًا رُوبِدًا فَكَلَّمَا دَنَا مِنْ طَائِرٍ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَقَبِضَ عَلَى رَجْلِهِ ثُمَّ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ دَقَّ جَنَاحَهُ وَخَلَّاهُ فَبَقِيَ طَافِيًا فَوْقَ الْمَاءِ يَسْبَحُ بِرَجْلِهِ وَلَا يُطِيقُ الطَّيْرَانِ، وَسَائِرُ الطَّيْرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْفُسَهُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ صَيْدٍ مَا يُرِيدُ رَمَى بِالْقَرَعَةِ ثُمَّ يَلْتَقِطُهَا وَيَحْمِلُهَا .

الحشرات

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : الْفَأْرَةُ يَهُودِيَّةٌ وَلَوْ سَقَيْتَهَا أَلْبَانًا الْإِبِلُ مَا شَرِبَتْهَا، وَالْفَأْرُ أَصْنَافٌ : مِنْهُنَّ الزُّبَابُ وَهُوَ أَصَمٌّ؛ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِزَّازٍ :

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٥٨) فِي الْأَصْلَيْنِ : «تُؤْخَذُ سَلَةٌ فِي صَدْرِهَا الْمَحْبَرَةُ» وَفِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ لِلْجَاهِظِ (ج ٥ ص ٧٦) «يَعْمَلُونَ لَهَا مَصِيدَةً وَيَجْعَلُونَ لَهَا بَنِيَّةً فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الَّتِي يُنَالُ مَا أَنْبُودِيَّةِ الْمَنْكُوسَةِ الْأَنْبُوبَةُ» . (٢) جَمْعُ زَبَابَةٍ وَهِيَ كَمَا قَالَ الدِّمِيرِيُّ فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانَ : فَأَرَةٌ بَرِيَّةٌ تَسْرِقُ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَمَا تَسْتَفْنِي عَنْهُ .

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ * لَا تَسْمَعُ الْآذَانُ رَعْدًا^(١)

والخُلْدُ وهو أعمى ؛ وتقول العرب : هو « أسرق من زبابة » ، وفأرة البيش ، والبيشُ سَمٌّ قاتل ؛ ويقال : هو قرونُ السَّنبِلِ ، وله فأرة تغتذيه لا تأكل غيره ، ومن غير هذا فأرة المسك وفأرة الإبل [فاحت^(٢)] أرواحها إذا عيرت . قالوا : ومن الحيات ما يقتل ولا يخطئ : الثَّعْبَانُ والأفعى والهندية ؛ فأما يسوى هذه فإنما يقتل بما يمتد من الفزع ، لأنه إذا فزع تفتحت منافسه فوغل السم الى مواضع الصميم وعمق البدن . فإن نهشت النائم والمنمى عليه والطفل الصغير والمجنون الذي لا يعقل لم تقتل .

وأذنان الأفاعي تُقطع فتنبت ونابها يُقطع بالعُكَّاز فينبت حتى يعود في ثلاث ليال ؛ والحية إن نُفِث في فيها حُمَاض الأترج وأطبق لحيا الأعلى على الأسفل لم تقتل بعضها أياما صالحة . ومن الناس من يبصق في فم الحية فيقتلها بريقه ، والحيات تكره ريح السذاب والشيح ، وتُعجب باللفاح^(٣) والبطيخ^(٤) والجرف^(٥) والخردل^(٦) المؤخف^(٧) واللبن والخمر ، وليس في الأرض حيوان أصبر على جوع من حية ؛ ثم الضب بعدها ، فإذا هيرمت صغرت في بدنها وأقنعها النسيم ولم تشته الطعام ، ولذلك قال الراجز :

حارية قد صغرت من الكبر *

- ١٥ (١) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . (٢) اختلف في فأرة الإبل وفأرة المسك ؛ هل يهبران أو لا يهبران ؟ فذكر صاحب القاموس فأرة المسك في « ف أ ر » وقال : أو الصواب إيرادها في « ف و ر » لغوران رانحتها . وفأرة الإبل في « ف و ر » وطله الصاغاني بأن فأرة الإبل من اقوران قطعا ؛ وأورد المرتضى فأرة الإبل في « ف أ ر » ، مستدركا به على صاحب القاموس . (٣) زيادة في النسخة الألمانية ، وهي سائطة في الأصل الفتوغرافي ، ولعلها « قوح » ، ففي القاموس والسنن ، دة « غور » : « وفأرة الإبل قوح جلودها اذا بديت بعد الورد » أى فاحت منها رائحة طيبة . (٤) المكاز : عصا ذات زُج . (٥) اللقاح : نبات يقطين أصفر شبيه بالبادنجان طيب الرائحة . (٦) الحرف بالضم : حب الرتاد . (٧) المؤخف : المعجون . (٨) في الأصل جارية ، والتصويب عن المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) والحارية اسم للأفعى ، لأن جسمها قد حوى أى نقص من سول العمر .

وقال صاحب الفلاحة : إن الحية إن ضربتها بقصبة مرة أو هنتها القصبة في تلك الضربة وحيرتها ، فإن ألحمت عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث . قال : ومن جيد ما يعالج به الملسوع أن يُسَقَّ بطن الضفدع ثم يُرَفَّد به موضع لسعة العقرب . والضفدع لا يصيح حتى يدخل حنكه الأسفل في الماء ، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للضفادع تقيفا إذا خرجن من الماء ، قال الراجز :

يُدْخَلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءٌ يُصَيِّفُهُ * حَتَّى يَنْقُ وَالتَّقِيْقُ يُتْلِفُهُ^(١)

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر ، كما قال الآخر :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءٍ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ * فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

وقال في السبخ : إنه إن أنخرق فيه نحر بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريح أستحال ذلك السبخ ضفادع . والضفادع لا عظام لها ، ويضرب بها المثل في الرشح ، فيقال :
« أَرْشَحُ مِنْ ضِفْدَعٍ » و « أَبْحِظُ عَيْنًا مِنْ ضِفْدَعٍ » .

قالوا : وكل شيء يأكل فهو يحرك فكذلك الأسفل إلا التماسح فإنه يُحْرَكُ فكذلك الأعلى . وبمصر سمك يقال له الرَّعَادُ ، مَنْ صَادَ مِنْهُ سَمَكَةٌ لَمْ تَزَلْ يَدُهُ تَرَعْدُ وَتَتَنَفِّضُ مَا دَامَ فِي شَبَكْتِهِ أَوْ شَصَهُ^(٢) ، وَالْجَعْلُ^(٣) إِذَا دَفَنَتْهُ فِي الْوَرْدِ سَكَنْتْ حَرَكَتُهُ حَتَّى يَتَوَهَّمَنَّ رَأَاهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، فَإِذَا أَعَدَّتْهُ إِلَى الرُّوثِ تَحْرُكُ وَرَجَعُ فِي حِسِّهِ . وَالْبَعِيرُ إِذَا أَبْتَلَعَ

(١) في الأصلين "ينصفه" والنصوب عن حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٢) قال : وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكذلك الأعلى . (٢) الرشح : خفة لحم العجز والمخدين . (٣) الشخص بالكسر والفتح : حديدة عقفاء يصاد بها السمك | وهي المعروفة بالصارة | . (٤) الجعل كصرد ، والناس يسمونه « أبا جهران » وهو دويصة تعيش البهائم في فروجها فتهرب ، وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، في بطنه لون حمرة ، يوجد كثيرا في مراح البقر والجواميس وهو واضع الروث ، ويتولد غالبا من أخشاء البقر ومن شأنه جمع النجاسة وأذخارها . ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش (راجع حياة الحيوان ج ١ ص ٢٤٤) .

في علفه خنفساءً قتلتها إن وصلت إلى جوفه حية . وأطولُ شيء ذمماً الخنفساءُ فإنها يسرج على ظهرها فتصبر وتمشي .

والضبُّ يُذبحُ فيمكث لیسلةً ثم يقربُ من النار فيتحرّك . والأفعى إذا ذُبحت تبقى أياماً تتحرّك وإن وطئها واطئ نَهشته ، ويُقطعُ نلتها الأسفل فتعيشُ وينبتُ ذلك المقطوعُ . والكلبُ والخنزيرُ يُجرَحانِ الجرحَ القاتلَ فيعيشانِ .

قالوا : والضبُّ ذكرانٍ وللضبة حِرانٌ ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعيّ أو غيره . قال : ويقال لذكره نَزْكٌ وأنشد :

سَبَحَلْ لَهُ نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً * عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلِ^(٥)

وكذلك الحردونُ . والذبابُ لا تقربُ قدراً فيها نكأةٌ . وسامٌ أبرصٌ لا يدخل بيتاً فيه زعفرانٌ . ومن عَضَّه الكلبُ الكلبُ آحتاج إلى أن يستد وجهه من الذباب لئلا يسقط عليه . وتُحطومُ الذباب يده ، ومنه يُغنى ، وفيه يُجري الصوت كما يُجري الزامرُ الصوت في القصبة بالنفخ .

(١) وعبارة الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٦٠) : «وقال لي الفضل المعبري : يقولون للضب أطول

شيء ذمماً ، والخنفساء أطول منه ذمماً ؛ وذلك أنه يعرض في ظهرها شوكة ثاقبة وفيها ذبالة تستوقد وتصبح لأهل النار وهي تدب بها وتجول» . (٢) الذمء ممدود : بقية النفس . (٣) يسرج : يوقد .

(٤) السبحل كقمطر : الضخم . (٥) في اللسان مادة نرك «في الأناصير» . وذكر هذا البيت ضمن أبيات قالها سُحرانُ ذر النصة يصف بها ضباباً أهداها لخالد بن عبد الله القسري .

(٦) الحردون بكسر الحاء وبالذال المعجمة : دويبة شبيهة بالضب ، وقيل هو ذكر الضب ، لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأناصير (راجع حياة الحيوان) .

(٧) جمع الذباب . (٨) النكأة : نبات يقال له شحم الأرض ، والعرب تسميه : «جلدي الأرض» وقيل هو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الحمرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم ، وأنواعه كثيرة ، يؤكل نيئاً ومطبوخاً (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٧٨) .

قالوا : ليس شيء يذخر إلا الإنسان والنملة والفأرة . ^(١) والذرة تذخر في الصيف
للشتاء فإذا خافت العفن على الحبوب أخرجتها الى ظاهري الأرض فشررتها ^(٢) ، وأكثر
ما تفعل ذلك ليلا في القمر . فإن خافت أن ينبت الحب نقرت وسط الحبة لئلا تثبت .
والسحفاة اذا أكلت أفعى أكلت سعترا جبليا . ^(٣) وأبن عريس إذا قاتل الحية أكل
السذاب . ^(٤) والكلاب إذا كان في أجوافها دود أكلت سبيل القميج . ^(٥) والأيل إذا
نهشته الحية أكل السراطين . ^(٦) قال ابن ماسويه : فلذلك يُظن أن السراطين صالحة
لمن نُهش من الناس . ^(٧) والوزع يراق الحيات ويُقارِبها ، ^(٨) ويكرع في اللبن والمرق ثم يمج
في الإناء . وأهل السجين يعملون من الوزع سماً ^(٩) أنفذ من [سم] البيش ومن ريق الأفاعي ،
وذلك أنهم يدخلون الوزعة قارورة ثم يصبون فيها من الزيت ما يغمروها ويضعونها
في الشمس أربعين يوماً حتى تنهز ^(١١) في الزيت ، ^(١٢) فإن مسحت على اللقمة منه مسحة
وأكله آكل مات من يومه .

- (١) الذرة واحدة الذروهي صغار النمل . (٢) شررتها : نشرتها في الشمس لتحف .
(٣) السعتر نبات طيب الرائحة حريف ، زهره أبيض الى الغبرة ، ويقال له الصمغ ، لصاذه ، وهي اللغة
الجيدة ، والعامية تبدل السين زاياء . (٤) في العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « دا » .
(٥) الأيل بتشديد الياء المكسورة : ذكر الأرواح وهي التيوس الجبلية . (٦) جمع سرطان وهو
حيوان مائي ويعيش في البراءة ، وهو جيد المشي سريع العدو ذو فكين ونخالب وأظفار حداد (راجع
حياة الحيوان) . (٧) الوزع جمع وزعة بالتحريك : حشرة من جنس «سم أبرص» .
(٨) في الأصل الفتور عرافي « ويقارها » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية والحيوان لملاحظ
(ج ٤ ص ٩٧) . (٩) كذا في الأصل ، وفي العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٧ « وبعض الناس »
وفي الحيوان لملاحظ ج ٤ ص ٩٧ « وأهل السحر » . (١٠) الزيادة عن الحيوان (ج ٤
ص ٩٧) والبিশ بالكسر نبات كالزنجبيل رطبا وبابسا وربما نبت فيه سم قاتل لكل حيوان .
(١١) كذا في الحيوان لملاحظ ج ٤ ص ٩٧ وفي الأصلين : « ليلة » . (١٢) من نهزأ
الحم إذا طبخ حتى يتمسخ .

والجراد إذا طلع فعمد إلى التمس والحنظل فطبخا بماء ثم نضع ذلك الماء على
 زرع تنكبه الجراد . وإذا زرع تردل في نواحي زرع نجا من الدبى . وإذا أخذ
 المرداسنج فعجن بعجين ثم طرّح للفار فأكلته مؤتمنه ، وكذلك برأية الحديد . وإذا
 أخذ الأفيون والشونيز والبارزد وقرن الأيل وبابونج وظلف من أظلاف المعز خلط
 ذلك جميعا ثم دق ونجّن بنخل عتيق ثم قُطِعَ قطعاً فدُخِّنَ بقطعة منه تمرت لذلك
 الحيات والهوام والنمل والعقارب ، وإن أُحْرِقَ منه شيء ودُخِّنَ به هرب ما وجد
 منها تلك الريح . والنمل تهرب من دخان أصول الحنظل . وإن عُمد إلى كهريت
 وسذاب ونحرق فدق ذلك جميعا وطرح في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من
 ذلك الموضع ذهبن . والبعوض تهرب من دخان القلقديس إذا دُخِّنَ به ومعه حب
 السوس ، وتهرب من دخان الكهريت والعلك .

وقالت الأطباء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . ولحم القنفذ نافع من الجذام
 والسّل والتشنج ووجع الكلى ، يُجفّف ويُشرب ويُطعمه العليل مطبوخا وشويا
 ويضمّد به المتشنج . والعقرب إذا شقّ بطنها ثم شدّ على موضع اللسعة نفعت . وقد

- (١) كذا في النسخة الألمانية ، والدبى : أصغر الجراد داخل . وفي الأصل الفئوغرافى (الوربا) .
- (٢) كذا بالأصل ، ومفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ١٥٠) وقال هو المرتك وفي القاموس :
 المرداسنج معروف وقد تسقط الراء ، عرب مردارسنك ومعناه الحجر الخبيث . (٣) الشونيز :
 الحبة السوداء . (٤) البارزد في القاموس : « بيرزد » بكسر الباء الفارسية : صمغ نبات يشبه
 القنا في شكله ، وينبت في أرض سورية ، وهو من النباتات النافعة لأمراض عده . وقد ذكر خواصه ومنافعه
 ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٤ ص ٣٧) . (٥) في الأصل الفئوغرافى : ثقيف ، وفي النسخة
 الألمانية ثقيف ، والتصويب عن المعتمد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٧) . (٦) السذاب : اسم نبات .
- (٧) كذا في الأصل ، والمراد من العبارة ظاهر . (٨) القلقديس كلمة يونانية معربة معناها
 في الكيمياء الحديثة : كبريتات الحديد : وقيل معناها : الصبغة السوداء لصانعي الأحذية .
- (٩) السوس : شجر في عروقه حلاوة وفي فروته مرارة . (١٠) كذا في النسخة الألمانية .
 وفي الأصل المتنوعرافى «التشنج» .

- تجعل في جوف نخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع الفخار في تنور، فإذا صارت العقرب رماذا سقى من ذلك الرماد من به الحصاة مقدار نصف دانق وأكثر فيفتت الحصاة من غير أن يضر بشيء من سائر الأعضاء والأخلاط، وقد تلسع العقرب من به حمى عتيقة فتقلع وتلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج، وتلق في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويجتذب قواها فيكون ذلك الدهن مفرقاً للأورام الغليظة .
- ومن طبع العقرب أمك إن ألقيت في ماء غمر بقيت في وسط الماء لا تطفو ولا ترسب، وهي من الحيوان الذي لا يسبح، وعين الجراد وعين الأفعى لا تدوران، وإنما تنسج من العناكب الأنثى، والذكر هو الخدرنق . وولد العنكبوت ينسج ساعة يولد، والقمل يخلق في الرأس على لون الشعر إن كان أسود أو أبيض أو مخضوباً بالحناء . الخلكاء دويبة تغوص في الرمل كما يغوص طائر الماء في الماء . وبنات النقا كذلك، وهي التي يقال لها: شحمة الأرض . وأم حنين لا تقيم بمكان تكون فيه السرقفة، والسرقفة دويبة يضرب بها المثل في الصنعة فيقال : «أصنع من سرقفة» .

ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب :

- (١) أخلاط الإنسان عند الأطباء : الدم والبلغم والصفراء والسوداء .
- (٢) الخلكاء : دويبة تسكن الرمل كأنها سمكة ، ملساء فيها بياض وحمرة ؛ والسرب سميها : « بنات النقا » .
- (٣) أم حنين : دويبة على خلفة الحرباء، عريضة الصدر عظيمة البطن ؛ وقيل : هي دويبة على قدر الحنساء يلعب بها الصبيان .
- (٤) السرقفة بالضم : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تنخذ لنفسها بيتاً مربعا من دقاق العيدان على مثل الياورس بعضها إلى بعض بلعابها وتدخله فتعوت فيه (راجع حياة الحيوان ج ٢ ص ٢٤) .
- (٥) في اللسان مادة «فرطح» أن القائل لهذه الأبيات أحد شعراء العرب ، ونص على ذلك بقوله : « وأنشد لرجل من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا وهو ابن أحرار الجلي ليس الباهل : خلقت لها زمره عزيرين ورأسه كالقرص فرطح من طحين شعير »

خَلَقَتْ لَهَا زَيْنَهُ عَزِيزِينَ^(١) وَرَأْسَهُ^(٢) * كَالْقُرْصِ فُرْطَحَ^(٣) مِنْ دَقِيقٍ شَعِيرٍ
وَكُنْ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَسْوِفَةٍ^(٤) * مَلَقَاكَ^(٥) كَفَّةَ مَنَجَلٍ^(٦) مَا طُورَ
وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ^(٧) كَأَنَّهَا^(٨) * سَمَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيزِ^(٩) بَرِيرٍ^(١٠)

قيل لما سرجويه : تجمد ملسوع العقرب يعالج بالاسفيوش فينفعه ، وآخر يعالج
بالبنديق فينفعه ، وآخر يشرب الأنفاس فتنفعه ، وآخر يأكل التفاح الحامض فينفعه ،
وآخر يطليه بالقبأ^(١١) والخل فيحمده ، وآخر يصب عليه اليوم الحار المطبوخ ، وآخر يدخل
يده في مرجل حار لا ماء فيه فيحمده ، وآخر يعالجه بالنخالة الحارة فيحمدها ، وآخر يمجج
ذلك الموضع فيحمده ، ثم رأينا يتعالج بعد ذلك الشيء للسعة أخرى فلا يحمده !

- (١) اللهازم : أصول الحنكين واحدها لزمة بالكسر ؛ وقيل إنها غلمان ناتان في الحيين تحت الأذنين .
(٢) عزيزين : متفرقة . (٣) وردت هذه الكلمة في اللسان في مادة « فرطح » بالراء وفي مادة
« فطح » باللام ، واستشهد بالبيت في المادتين ، وجاء فيه : « وكل شيء عرضته فقد فطحته وفرطحته »
ورردت في الأصل الفتوغرافي « قطع » وفي النسخة الألمانية « أقطع » وفي كتاب الحيوان للمجاط (ج) ؛
ص ٦٠ « أفتح » . (٤) التثوة : الأرض الواسعة البعيدة الأطراف . (٥) المنجل بالكسر :
آلة حديد معوجة يقطع بها الزرع وغيره ، وفي الأصل الفتوغرافي « منخل » وما أثبتناه عن النسخة الألمانية
والحيوان للمجاط . (٦) ما طور من الأطر وهو عطف الشيء ، تقبض على أحد طرفيه فتعرجه .
(٧) كذا في الأصل الفتوغرافي وفي اللسان « لوداع » ، وفي النسخة الألمانية وكتاب الحيوان
للمجاط : « للوقاح » . (٨) النفيز فعيل من النفض وهو التحريك ، ورواية اللسان في مادة
« فرطح » تقبض بالقاف والصاد . (٩) البرير : ثمر الأراك عامة . وفي اللسان بعد هذا البيت :
وكان شديقه إذا استقبلته * شديقا عجوز مضمضت لظهور

- (١٠) كذا في النسخة الألمانية ، وفي الأصل الفتوغرافي « بالاسفيون » بالنون ولعله محزف ، لأن
هذا الاسم ورد في مفردات ابن البيطار هكذا « الاسفيوس » بالسین المهملة في آخره ، وورد في تذكرة داود
« الاسفيوش » بالشين المعجمة في آخره ، وهي كلمة فارسية معناها « بزرقطونا » . (١١) الأنفاس :
الحوامض وفي النسخة الألمانية « الأنفاس » بالفاء . (١٢) القل بالكسر : شب العصفرو له منافع
كمنافع الملح إلا أنه أهد منه (راجع مفردات ابن البيطار ج ٤ ص ٣١) .

فقال : لما اختلفت السموم في أنفسها بالجنس والقدر والزمان ، وباختلاف ما لاقاه
اختلف الذي يوافقه على حسب اختلافه . قالوا : وأشد ما تكون لسعتها إذا خرج
الإنسان من الحمام ، لتفتح المنافس وسعة المجارى وتخنونة البدن .

- وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال أبو بكر البحرى^(١) : ما من شيء يضرب
إلا وفيه منفعة . وقيل لبعض الأطباء : إن قائلًا قال : أنا مثل العقرب أضرب
ولا أنفع . فقال : ما أقل علمه بها ، "إنها لتتفع إذا شق بطنها ثم شدت على موضع"
"اللسعة" وقد تجعل في جوف نخار مشدود الرأس مطين الجوانب ثم يوضع النخار
"في شئور فإذا صارت العقرب رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق أو أكثر"
"قليلا من به الحصاة ففتها من غير أن يضرب شيء من سائر الأعضاء والأخلاط ."
"وقد تلسع العقرب من به الحصى العتيقة فتقلىع عنه . ولسع العقرب رجلا مفلوجا"
"فذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ الدهن منها"
"ويجذب قواها فيكون ذلك الدهن مفترقا للأورام الغليظة" .

- قال أبو عبيدة : ولسعت أعرابيا عقرب بالبصرة ، وخيف عليه فاشتد جزعه ،
فقال بعض الناس له : ليس شيء خيرا من أن تغسل له خوصة زنجي عرق ففعلوا ،
وكان ذلك في ليلة ومدة^(٢) ، فلما سقوه قطب ، فقيل له : طعم ماذا تجد؟ قال : أجده
طعم قربة جديدة .

قال المأمون : قال لي بختيشوع وسلمويه وآبن ماسويه : إن الذباب إذا دلك على
موضع لسعة الزنبور هدا وسكن الألم ، فلسعني زنبور فحككت على موضعه أكثر

- (١) كذا بالأصلين ، وفي المقد الفريد (ج ٣ ص ٣٥٨) : « المهجرى » ولم نجد هاتين النسبتين
في كتب الأنساب التي تحت أيدينا . (٢) السطور المحصورة بين هذه " " مكررة لأنها تقدمت
في ص ٩٥ من هذا الجزء بكتابها وألفاظها مع اختلاف بسيط وقد أبقيناها هنا لورودها في الأصلين ،
وآكتفينا بهذه الإشارة تنبها للقارئ . (٣) ليلة ومدة : شديدة الحر .

من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبق في يدي منهم إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حتمًا قاضيًا، ولولا ذلك العلاج قتلك . قالوا : وما ينفع من الاسعة أن يُصبروا على وضعها قطعة رصاص رقيقة وتُسَدَّ عليه أياما . وقد يموت بهذا قوم فيجعلونه خاتمًا فيدفعونه إلى المسوع إذا نُشِشَ في إصبعه .

قال محمد بن الجهم : لا تهاونوا بكثير مما ترون من علاج العجائز، فإن كثيرا منه وقع اليهن من قدماء الأطباء، كالذبان يلقى في الإثمد فيسحق معه، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشديد مراكر الشعر في حافات الجفون . قال : وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذبان فلا يرمدون، وليس لذلك يا كلونه، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزناير.

وقال ابن ماسويه : المجرب للسع العقرب أن يُسقى من الزراوند المدحرج^(١) ويُسرب عليه ماء بارد، ويُمضغ ويوضع على اللسعة . قال : وللسع الأفاعي والحيات ويرق الآس^(٢) الرطب يُعصر ويُسقى من مائه قدر نصف رطل، وكذلك ماء المرزنجوش^(٣) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويُضمد الموضع بورق التفاح المدقوق . وللأدوية والسموم القاتلة البندق^(٤) والتين والسذاب يُطعم ذلك العليل . قال والثوم والملح وبقر

(١) الزراوند المدحرج وهو أردأ أنواعه : نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشيء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، كما في تذكرة دارد؛ وله فوائد وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .
(٢) الآس : نبات يزرع كثيرا بأرض العرب بالسبل والجليل، ونخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجرا عظيمًا وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أُنبت تحلوا فيها مع ذلك دلقمة .

(٣) المرزنجوش ويقال له مرزيجوس ومردقوس : فارسي، والعرب تسميه : السمق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان ينبت في نباته، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة جدًا . له منافع وخواص ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

(٤) في النسخة الألمانية «البيش» .

الغنم نافع جدًا إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلاً، فإن الأصل^(١) توضع على لسعها الكُتَيْتَانِ جميعاً بالزيت والعسل . والحطمي^(٢) إذا أُخِذَ ورقه فدُقَّ ثم وُضِعَ على اسع قملة^(٣) النسر كان دواء له . وإن طَلِيَ أحد به يديه أوجسده لم يلدغ ذلك الموضع منه زُبُورٌ . وإن لدغ أحدًا زُبُورٌ فأذاه فشرب من مائه نفعه . والبشكول وهو الطرشقون إن دُقَّ فضممده لسعة العقرب نفع إذا أُغلى أو شرب من عصيره . قالوا : وإن أخذ من حذر على نفسه السموم القاتلة التي مع الشونيز على الريق وقاه .

النبات

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس عن كليب أبي وائل رجل من المطوعة قال : رأيت ببلاد الهند شجرة له ورد أحمر مكتوب فيه بياض «محمد رسول الله» . والعرب تقول في مثل هذا هو : «أشكر من البروقة»^(٥) . وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم . ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المقل قلبه طباغ البلد . وقال صاحب الفلاحة : بين الكرنب وبين الكرّم عداوة ، فإذا زرع الكرنب بحضرة الكرّم ذبل أحدهما وتشنج ، ولذلك يُطَيء السكرعمن أكل منه ورقات على ريق النفس ثم شرب . وقضبان الرمان إذا خرب بها ظهر رجل آشتد عليه الألم . قالوا :

- (١) الأصل بفتح الهزة والصاد واللام : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تلب على الفارس فتثله ، كذا في حياة الحيوان للذميري نقلاً عن ابن الأثير . (٢) الحطمي بالكسر وبفتح : نبات محلل ملين دافع لعسر البول والخصى ، وهو مع الخل مفيد لوجع الأسنان مضغمة ونهش الهوام . (٣) قملة النسر : دويبة أعظم من القمل وإذا عضت قتلت ، وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت قملة النسر ، لأنها تخرج منه . (٤) كذا في الأصلين . وفي مفردات ابن البيطار (ج ٤ ص ٢٠٠) : «البخشكوك» ، وخاصيته النفع من لسع الهوام إذا أكل أو شرب مائه . (٥) في جمع الأمثال والقاموس واللسان «بروقة» وهي كما قال الميداني : شجرة تخضر من شرب مطربل تنبت بالسحاب إذا نشأ لها يقال ،

وكل زهر وتور فإنه يحرف مع الشمس ويحول إليها وجهه ، ولذلك يقال : هو
يُضاحك الشمس . قال الأعشى :

ماروصة من رياض الحزن^(١) معشبة * خضراء جاد عليها مسيل^(٢) هطل^(٣)
يُضاحك الشمس منها كوكب شروق^(٤) * مؤزر^(٥) يسمي التبت^(٦) مكشيل^(٧)
وقال آخر :

* فنواره^(٨) ميل إلى الشمس زاهر^(٩) *

واشعازي ينضم ورقه بالليل وينفتح بالنهار . والتيلوفر^(١٠) ينبت في الماء فيغيب
الليل كله ويظهر إذا طلعت الشمس . وقالوا في الطحالب : إن أخذ الخصف

- (١) اللون : ما ارتفع من الأرض . (٢) مسيل : مطر ، من السيل بفتحين وهو المطر .
(٣) هطل ، من الهطل بالسكون وهو ثلج المطر الخفيف الطيف القطر . (٤) الكوكب : ما مال
من النبات ، والشرق : الريان . (٥) مؤزر : متف . (٦) التبت : ثاقم الطول .
(٧) التوار : واحدة نواره بالفضة ، وهي الزمرة البشركة . (٨) عجزيت لخطبة ، ومدره :
* بمسند التريان سحر بانه *

- ورقه
عما مسلان من سلبى غامرة * تسمى به طليانة وجأذره
(راجع ص ٦٢ من ديوان الخطبة طبع ليسك سنة ١٨٩٣ م) . ونسب الجاحظ في كتاب الحيوان البيت
(مسند ... الخ) إلى طوران العمى (راجع ج ٥ ص ٣٥) .

- (٩) الخباري ويقال : الخيري : اسم لكل نبت يدر مع الشمس حيث دارت : ويطلق في العرف
الشارع على نبت برعى مستدير الورق في وسط أوداه شجر بجوف دفين ، له زهر إلى الصفرة ويرد إلى السواد
مع طبع ، كذا قال داود الأنطاكي في تذكرته . (١٠) التيلوفر : نبات هندي سمي بفتهم وأكثر
ما يبست في مستنقعات المياه وراكدها والأجام ، ولا يبست إلا في المياه العذبة القانم في أرض طيبة تربة
سليمة من كل التصاد . ومن عاده أنه يحول وجهه إلى الشمس إذا طلعت وأرقت ، فإذا رجع شاعها
عليه أراة يقع اقتضت روده كلها ، ولا يزال تفتحه يزيد بزيادة الشمس إلى أن تغرب من أول العصر
وتطلب الغروب ميتة يظم على ذلك التيلوفر كان تفتح حتى تغرب الشمس فيضم في كرة رقيق مصغوما
الليل كله إلى الصباح . راجع الجزء الأول من كتاب الفلاحة النبيلة لأبن وحشية ص ٣٢ من النسخة الخطية
المحفوة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩ زراعة) . (١١) الطحالب : الخضرة التي تنمو المياه
الراكدة ، وله فوائد ونواص ذكرها ابن الطيار في مفرداته .

في الظل ثم سقط في النار لم يحترق . وذكروا أن قساً راهناً على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق ، وقال : هو من العود الذي صُلب عليه المسيح ، فكاد يفتن بذلك خلقاً حتى فطن له بعض أهل النظر فأتاهم بقطعة عود تكون بكرمان فكان أبق على النار من صليبه . والطلق كذلك لا يصير جراً . وطلاء النقاطين طلق وخطمي ومغرة . وقالوا : إذا أخذ زُر السذاب البري وزرع وطال به ذلك تحول حرماً ، والنمائم إذا اعتق تحول حبقاً . قالوا : والقسط إنما هو جزر بحري . قالوا : بالسند نبت من الحشيش يسمى تربية ، إذا أخذ فطبخ ثم صفي ماؤه فجعل في وطاء لم يلبث إلا يسيراً حتى يشتد ويسكر شارب به إسكاراً خمر .

قال صاحب الفلاحة : من أراد أن يضر بمبقة عمده إلى شيء من خمر البط فحافظ به مثله من ملح ثم طرّحاً في ماء فديفاً فيه فينضج ذلك الماء على البقل فإنه يفسد . قال : ومن أراد إفساد الرمان الكثير ألق في أضعافه نوى التمر والملح والجريش . ومن أراد قتل السمك في الماء القائم عمده إلى نبت يسمى "ما هي زهره" فدق وطرح في الماء فإنه يموت سمك ذلك الماء ، والمازريون يفعل ذلك . قال : ومما يجف له الشجر أن يعمد إلى مسمار من حديد فيجمل بالمار حتى تشتد حمرة ثم يدق في أصل الشجرة ، وأن يعمد إلى وتد من طرفاء فيثقب أصل الشجرة بثقب حديد

(١) الطلق : حجر براق يتخذ منه مضاري للهمامات بدلا عن الزجاج . (٢) النقاطون : الراة بالنقط وهو القطران . (٣) النمائم : نبت وردته كالسذاب ، له زركالريمان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته ، الواحدة نمامة . (٤) الحبق : نبات يشبه النمائم ، ويكثر نباته على الماء ، ويسمى بالفارسية الفودنج . (٥) القسط : عقار من عقاقير البحر ، والسقار : العشب .

(٦) لفظ فارسي وتعريبه سم السمك . (٧) المازريون : نبت له أذنسان طولها شبر ، ورقه شبيه بورق الزيتون إلا أنه أدق منه ، وهو يلذع اللسان ؛ له فوائد ومنافع ذكرها ابن البيطار في مفرداته .

ثم يُحْمَلُ ذَلِكَ الْعُودُ عَلَى قَدْرِ الثَّقَبِ فِي الْمُنْقَبِ فَتَجْفُ الشَّحْرَةُ إِنْ كَانَ غِلْظُ الْعُودِ عَلَى قَسَدِ الثَّقَبِ .

قيل لسانرجويه : مَا بَالُ الْأَكْرَةِ وَسُكَّانِ الْبَسَاتِينِ مَعَ أَكْلِهِمُ الْكُرَّاتِ وَالْقَرَّ وَشَرِبِهِمُ الْمَاءَ الْحَازِ عَلَى السَّمِكِ الْمَالِحِ أَقْلُ عُمِيَانًا وَهَوْرَانًا وَغُمَّشَانًا؟ قَالَ : فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ أَجِدْ عِلَّةً إِلَّا طَوْلَ وَقُوجِ أَبْصَارِهِمْ عَلَى الْخَصْرِ .

الحجارة

قال أرسطو طاليس : حَجَرٌ سَقِيلٌ إِذَا رُبِطَ عَلَى طَلْحٍ صَاحِبِ الْإِسْتِقَاءِ نَشَفَ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَوْزَنُ بِهِ أَنْ كَانَ عَلَى بَطْنِهِ فَيُوجَدُ قَدْ زَادَ فِي وَزْنِهِ ؛ وَذَا كَرُثَ بِهَذَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأَطْبَاءِ فَعَرَفَهُ ، وَقَالَ : هَذَا الْجَرْمُذُكُورُ فِي التَّوْرَةِ ، وَحَجَرُ الْغَنَاطِلِسِ يَحْتَضِبُ الْحَدِيدَ مِنْ بُعْدٍ [وَأَنَا] وَصَحَّ عَلَيْهِ عِلْقُهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ بِالنُّثْمِ بَطَلَ عَمَلُهُ . قَالُوا : وَالزَّمَانُ وَالْقَلْبُ يُدْبِرَانِ فَيَسْتَحِيلَانِ حِجَارَةً سَوْدًا تَصْلُحُ لِلْأَرْحَاءِ . وَمِنْ الْحِجَارَةِ حَصَاةٌ فِي صُورَةِ النَّوَاةِ تَسْبِجُ فِي الْحَلِّ كَأَنَّهَا مَمَكَةٌ . وَمِنْهَا تَحَرَّزَةُ الْمُقَرَّانِ كَانَتْ فِي حَقِّهِ الْمَرْأَةِ فَلَا تَحْبَلُ . وَحَجَرٌ يُوَضَّعُ عَلَى حَرْفِ التَّنْوِيرِ فَيَنْسَاقُ خِزُّ التَّنْوِيرِ كُلُّهُ . وَبِحَصْرِ حَجَرٍ مِنْ قَبْضٍ عَلَيْهِ يَجْمَعُ كَقَبِيهِ فَأَكْلُ شَيْئًا فِي حَوْفِهِ فَإِنْ هُوَ لَمْ يَبْدَأْ مِنْ كَفِّهِ يَحِيفُ عَلَيْهِ . وَمِنْ الْحِجَارَةِ اللَّشْفُ ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحِجَارَةِ يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ غَيْرُهُ وَفِيهِ حَصَرٌ صَعَارٌ .

- (١) هكذا بالنسخة الألمانية ؛ وفي الأصل الفارسي : « على قدر الثقب » .
 (٢) الأكرة جمع أكار وهو الحوزان لحفرة الأرض ، كأنه جمع آكر في التصدير . (٣) هكذا بالأصين ؛ ولم نجد ذكر هذا الحجر من الأحجار المذكورة في مفردات ابن البيطار ، ولا في تذكره داره ، ولا في مخائب الخلفاء القرويين . (٤) البقر : العقم ، وهو استقام رحم المرأة فلا تحبل . (٥) الحفوة : الخصر . (٦) اللشف : حجارة سود كأنها محترقة ، وهي التي ينق بها الريح في الغمامات .

قالوا : الرصاص قد يدبر فيستحيل مُردَّاسَنَجًا ^(١) . وإقليمياء النحاس يدبر فيصير ^(٢) توتياء . وجو البازهر يُفرِّق الأورام . وباليمن جبل يقطر منه ماء ، فإذا صار إلى الأرض وييس آستحال وصار شبا ، وهو هذا الشب اليماني .

حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن : ^(٣) الوركس ^(٤) والكندر ^(٥) والخطر ^(٦) والعصب . وبمصر حجر تحركه فتسمع في جوفه شيئا يتقلقل كالنواة .

حدثني شيخ لنا عن علي بن عاصم عن خالد الحذاء عن محمد بن سيرين قال : اختصم رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إني آستودعتُ هذا وديعة فإني أن يدها علي ؛ فقال له شريح : ردَّ على هذا الرجل وديعته ؛ قال : يا أبا أمية ، إنه حجر إذا رآته الحبلى ألفت ولدها ، وإذا وقع في الخل غلى ، وإذا وُضع في الثور برد ، فسكت شريح ولم يقل شيئا حتى قاما .

الجن

قالوا : الشياطين مردَّة الجن ، والجان ضَعْفُ الجن . وبلغني عن يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد قال قال — يعني إبليس عليه لعنة الله — : أُعطينا أنا نرى ولا نرى ، وأنا ندخل تحت الثرى . وأن شيخنا يرد قتي .

- (١) الإقليمياء بالكسر : نُقل يعلو السبب أو دخان . (٢) البازهر معرب بادزهر : حجر تنسب إليه قوى غريبة في مقاومة السموم ، فارسي مركب من باد ومعناه : روح أو ضد ، وزهر ومعناه : سم ؛ وله منافع ونواص ذكرها ابن البيطار في مرداته . (٣) نبات الوركس — كما في مفردات ابن البيطار — كنبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتتت منفته (وعاء ثمرته) فينتفض منه الوركس ، يبت كل سنة ويثمر ، وأجوده حديثه . وهو أنواع : بعضه يخرج صبغه أصفر خالص الصفرة ، وبعضه في صبغته حمرة . (٤) الكندر كلمة فارسية معناها : الباب . (٥) الخطر بالكسر : نبات يختضب به . (٦) العصب : صمغ لا ينبت إلا باليمن . وكتب بهامش الأصل الفتوغرافي مانصه : « قلت : وعصرنا زاد خامسا وهو القهوة » .

حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال : حدثني يعلى بن عتبة - شيخ من أهل المدينة مولى لآل الزبير - : أن عبد الله بن الزبير بات بالقفر ، فقام ليرحل فوجد رجلاً طوله شبران عظيم اللحية على الولية^(١) ، فنفضها فوق ثم وضعها على الراحلة ، وجاء وهو بين الشراخين^(٢) ، فنفض الرجل ثم شده ، وأخذ السوط ثم أتاه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا أرب قال : وما أرب ؟ قال : رجل من الجن ، قال : أفتح فاك أنظر ، ففتح فاه ، قال : أهكذا خلوقكم ! لقد شوه خلوقكم ! ثم قلب السوط فوضعه في رأس أرب حتى شقه .

حدثني خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا عمر بن يونس قال حدثنا عكرمة ابن عمار قال حدثنا إسحاق بن أبي طلحة الأنصاري قال حدثني أنس بن مالك قال : كانت بنت عوف بن عفراء مضطجعة في بيتها قائلة إذ استيقظت وزنجي على صدرها آخذاً بحلقها ، قالت : فأمسكني ما شاء الله وأنا حينئذ قد حرمت على الصلاة ، فبينما أنا كذلك نظرت إلى سقف البيت ينفرج ، حتى نظرت إلى السماء فإذا صحيفة صفراء تهوى بين السماء والأرض حتى وقعت على صدرى ، فنشرها وأرسل حلقى نقرأها ، فإذا فيها : من رب لكيز إلى لكيز ، اجتنب آية العبد الصالح إنه لا سبيل لك عليها ، ثم ضرب بيده على ركبتي وقال : لولا هذه الصحيفة لكان دم ، أى لذبحتك ، فاسودت ركبتي حتى صارت مثل رأس الشاة ، فاتيت عائشة ، فذكرت لها ذلك ، فقالت لى : يا بنسة أنعى ، إذا حضت فالزى عليك ثيابك فإنه لا سبيل له عليك إن شاء الله . لحفظها الله بأبيها وكان أسنشهد يوم بدر .

أبو يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير عن الشعبي عن زياد بن النضر أن عجوزاً سألت جنيّاً فقالت : إن بنتي عروس وقد تمرط شعرها من حمى ربع بها ، فهل

(١) في الأصل الفتور عرافى «الوية» وفي النسخة الألمانية «الوية» والتصويب عن لسان العرب ، والولية : البرذعة . (٢) شراخا الرجل : حرفاه وجانباه ، وقيل : خشبناه من وراء ومقدم . (٣) في الأصلين : «لها» والسياء يقتضى ما أثبتناه . (٤) تمرط الشعر : تساقط وتحات .

عندك دواء؟ فقال: أعجمي إلى ذباب الماء الطويل القوائم الذي يكون بأفواه الأنهار فاجعليه في سبعة ألوان من العهن^(١): أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وأسود وأخبر، ثم آجعليه في وسطه وأتيليه بأصبعك هكذا ثم أعقديه على عضدها اليسرى؛ ففعلت فكانها أنشطت من عقال.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفي في حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسخر.

وقال الأصمعي: حدثنا أبو عمرو بن العلاء قال حدثنا الثمالي^(٢) بن قهم قال: دخلت مربدا لنا فإذا فيه شيء كالعجول^(٣) له قرنان وله ريش ينظر إلى كانه شيطان.

حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سمع رجلا بأرض ليس بها أحد قائلا من تحته يقول: من يحرك شعيراتي؟ ذاك مقيل، وظل مظلي، حاشا الغزير وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يرون أن الأصمعي سمع هذا، وذلك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مس ثم ذهب عنه.

حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال أخبرنا عمر بن الهيثم عن عمير بن ضبيعة قال: بينا أنا أسير في فلاة أنا وابن ظبيان — أوريقي له آخر ذكره — عرضت لنا عجوز — كذا سمعته يقول، إن شاء الله — أو شيخ — ورأيت في كتاب محمد ابنه — وصبي يبكي؛ فقال: إني منقطع بي في هذه الفلاة فلوتحلماني! فقال صاحب عمير: لو أردفته! فحمله خلفه؛ فمكثنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنفس فخرج من فيه نار.

(١) العهن: الصوف أو المصبرغ ألوانا. (٢) كنا بالأصل الفتوراني، وفي النسخة

الألمانية «أقنله» باللفاف. (٣) في النسخة الألمانية «المناسب» وهو تحريف.

(٤) في الأصلين: فهم بالفاء، وهو تحريف، والتصويب عن تقريب التهذيب وشرح القاموس.

(٥) العجول: العل. (٦) كذا في الأصل الفتوراني، وفي النسخة الألمانية: «الغريد».

مثل نار الأتُون فاخذ له عمير السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ فكف عنه ولم يعلم صاحبه بما رأى ؛ فمكث هنيهة ثم عاد ، فاخذ له السيف ؛ فبكى وقال : ما تريد مني ؟ وبكى ؛ فتركه ولم يعلم صاحبه ؛ ثم عاد الثالثة ففغر في وجهه ؛ فحمل عليه بالسيف ؛ فلما رأى الحد وثب وقال : قاتلك الله ما أشد قلبك ! ما فعلته قط في وجه رجل إلا ذهب عقله .

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سفرة له وكانت الغول تجيء ، فشكاها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : « إذا رأيتهما فقل باسم الله أجيب رسول الله » ؛ فجاءت فقال لها ذلك ؛ فاخذها فقالت : لا أعود ؛ فأرسلها ؛ فقال له النبي عليه السلام : « ما فعل أسيرك » ؟ فأخبره ؛ فقال : « إنها عائدة » ، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا ، وقالت في آخرها : أرسلني وأعلمك شيئا تقوله فلا يضرك شيء ؛ آية الكرسي ؛ فأتى النبي عليه السلام فأخبره ؛ فقال : « صدقت وهي كذوب » .

حدثني زيد بن أنحرم قال : حدثنا عبد الصمد عن همام عن يحيى بن أبي كثير أن عامر بن عثمان كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إنا أتينا بساحرة فالفيناها في الماء فطفت ؛ فكتب إليه عمر : لست من الماء في شيء . إن قامت البينة وإلا نخل عنها .

حدثني يزيد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال حدثنا ابن جريح عن ابن أبي الحسين المكي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ الدُّخْنَةُ اللَّبَانُ وَاللَّبَانُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخْنٌ فِيهِ يَلْبَانٌ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ » .

حدثني عبد الله بن أبي سعيد قال حدثني عبد الله بن مروان بن معاوية من ولد أسماء بن خارجة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت أعرابية تقول : من

(١) ففغر في وجهه ؛ ففتح له فاه .

يشتري متى الحزأ؟ فقلت: وما الحزأ؟ قالت: يشتريه أكليس النساء للطشة والحافية والإقلايت؛ قال عبد الله: سألت ابن مَنَازِر فقال: الطشة: شئ يُصِيبُ الصبيان كالزكام. والحافية: الحزن. والإقلايت: قلة الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموت أولادها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأة مقلات.

- بلغنى عن شيخ من بني نُمير أنه قال: أضللت أبا عمر^(١) لي بالشريف فخرجت في بُغايا فلدأت أياها فأمسيت عشية بوادي موحش وقد كدّدت راحتي فاخليت لها من الشجر وأصبت لها من الماء ثم قيدتها وأضطجعت مغموما، فلما جرى وسن النوم في عيني إذ همس قدم قريبا مني، فانتبهت فزعا وإذا شيخ يتنحى وهو يقول: لا ربيعة عليك! ثم سلم وجلس، ثم جاء آخر وآخر حتى تألفوا أربعة فقالوا: ما بك أيها المسلم؟ فقلت: أضللت أبا عمر لي وأنا في طلبها منذ أيام؛ فقال لي الأول منهم: كُنْ لك ما كن، وقد ودعنا فين، وصرن حيث صرن، فلا تتعنين؛ فاجترأت على المسئلة فقلت: أئمن الحافية أتم نشدتكم باللهكم؟ قالوا: نعم وإلهنا وإلهكم واحد؛ فقلت: علموني مما علمكم الله شيئا أنتفع به؛ قالوا: إذا أردت حفظ مالك فأقرأ عليه: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى آخر ثلاث الآيات، وآية الكرسي، وإذا أمسيت في خلأ وحدك فأقرأ المعوذتين، وإن أحببت ألا يعبث بك ولا بأهلك وولدك عابث منا فعليك بالديك الأبيض؛ وأجعل في حجور صبيانك بريما، يعني خيطا من صوف أبيض وأسود، وأحتشوا بالإذخر^(٢) ينشر في الصوف، فخذوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعت.

٢٠ (١) الشريف: اسم، لبني نُمير. (٢) اخليت من الاختلاء، وهو اجتزاز الخلى وهو الحشيش تعلق به الدواب. (٣) لاربعة: لافزع، من راع يربع إذا فزع. (٤) الإذخر بالكسر: نبات مزهر طيب الرائحة.

قال المدائني : كانت وفاة زياد بالعرفة^(١) ظهرت في إصبعه ، وأشتد عليه الوجع
 فجمع الأطباء فشاورهم في قطع إصبعه ، فأشار عليه بعضهم بذلك ، وقال له رجل منهم :
 أتجد الوجع في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع ؟ قال : في قلبي وفي إصبعي ، قال :
 عيش سليما ومث سليما ، وأمره أن يغمسها في الخل ، فكان ذلك يخفف عنه بعض الوجع ،
 فمكث بذلك سبعة عشر يوما ثم مات ؛ وتسمع أهل الحبس ليلة مات قائلا يقول : أنا
 النقاد ذو الرقية قد كفيتكم الرجل . والعرب تدعو الطاعون رماح الجن . وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم «إنه ونحر من الجن» يعني الطاعون . والله أعلم .

(١) العروة : قرحة تخرج في يافس الكف .

[صورة ما جاء بخاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي]

تم كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه في الكتاب
 الخامس كتاب العلم . والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي
 وآله وصحبه وأهل بيته أجمعين .

وكتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ؛
 وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية .

الى هنا ينتهي آخر القسم المطبوع من هذا الكتاب بمدينة جوتنجن سنة ١٨٩٩ م .
 وسنعمد في مراجعة الجزء الخامس الى آخر الكتاب على الأصل الفتوغرافي وعلى
 المصادر التي يعول عليها في تصحيح الكتاب .

[جاء بعد خاتمة الجزء الرابع من النسخة الخطية

التي نقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي :]

كان سديف مولى بنى هاشم يقول : اللهم إنه قد صار فينا دولة بعد القسمة ، وإمارتنا غلبة بعد المشورة ؛ وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة ، وأشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ؛ وحكم في إظهار المسلمين أهل الذمة وتولى القيام بأمورهم فاسق كل محلة . اللهم وقد استخصد زرع الباطل ، وبلغ نهيته ، واستجمع طريده ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تبدد شمله ، وتفرق نامته ، ليظهر الحق في أحسن صوره ، وأتم نوره . والسلام .

وقيل : كانوا يتوقون ظلم السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء : « باسم الله ، إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . إخشوا فيها ولا تكلمون . » . أخذت سمعك وبصرك بسمع الله وبصره . وأخذت قوتك بقوة الله ، بيني وبينك ستر النبوة الذي كانت الأنبياء تستتر به من سطوات الفراعنة ؛ جبريل عن يمينك ، وميكائيل عن شمالك ، ومحمد أمامك ، والله مطلق عليك يحجزك مني ويمنعني منك . والسلام . »

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله : « أما بعد ، فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم ، فاذكر قدرة الله عليك ونقاده ما تأتي اليهم ، وبقاء ما يأتون إليك . والسلام . »

(١) أبشار : جمع بشر ، والبشر : الخلق والشخص يطلق على الأنثى والذكر والائنين والجمع وقد يثنى

على بشرين ويجمع على أبشار (اللسان) . (٢) النامة والنائمة : الحس والحركة وحياة النفس .

(٣) في الأصل « التي » والسياق يقتضي ما أثبتناه .

وقَدِمَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ النُّوَاحِي فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَظْلُومًا لَا يَنْتَصِرُ ، وَظَالِمًا لَا يُنْتَهَرُ ، وَالسَّلَامُ .

فِي الْحَبْسِ :

مَا يَدْخُلُ السَّجْنَ إِنْسَانٌ قَتَلَهُ * مَا بَالُ سَجْنِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

إِنَّ اللَّيَالِيَ الَّتِي سُخِّفَتْ بِهَا * غَيَّبَهَا الدَّهْرُ فِي تَقْلُبِهِ
لِلَّهِ أَمْرِي مَا مَلْتُ قَطُّ إِلَى * شَيْءٍ بِقَلْبِي إِلَّا جُعْتُ بِهِ
عَرَفْتُ حَقِّي مِنَ الزَّمَانِ فَلَا * أَلُومَ خَلْقًا عَلَى تَجَنُّبِهِ
وَكُلَّ سَهْمٍ أَعْدَدْتُهُ وَقَفْتُ * بِهِ اللَّيَالِيَ حَتَّى رُمِيتُ بِهِ

وَحَكَى أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ أَتَوْهُ بِرَجُلٍ مِنَ الْخَوَارِجِ فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَأَدْخَلَ ١٠

عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنٍ لَهُ صَغِيرٌ وَهُوَ يَبْكِي ، فَقَالَ الْخَارِجِيُّ : دَعِهِ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَرْحَبُ لَشِدْقِهِ ، وَأَصْبَحَ لِدِمَاغِهِ ، وَأَذْهَبَ لَصَوْتِهِ ، وَأُخْرَى إِلَّا تَأْبَى عَلَيْهِ عَيْنُهُ إِذَا حَفَظَتْهُ طَاعَةُ اللَّهِ فَاسْتَدْعَى عَثْرَتَهَا ، فَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِقَوْلِهِ وَقَالَ لَهُ مَتَعَجَّبًا : أَمَا يَشْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : مَا يَنْبَغِي أَنْ يُشْغَلَ الْمُؤْمِنُ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ

شَيْءٌ ، فَأَمَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ بِحَبْسِهِ ، وَصَفَّحَ عَنْ قَتْلِهِ . ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب العلم والبيان

العلم

حدثني الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد
عن الصنابحي^(١) عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الأغلوطات ، قال الأوزاعي : يعني صعاب المسائل .

حدثني سهيل بن محمد عن الأصمعي قال سمعت عمران بن حدير يحدث عن رجل
من أهل الشام قد سمّاه ، قال : قال كعب الأحبار لقوم من أهل الشام : كيف
رأيكم في أبي مسلم الخولاني^(٢) ؟ فقالوا : ما أحسن رأينا فيه وأخذنا عنه ! فقال : إن

- (١) في الأصل «الصنابحي» (بياء منناة وجيم بعد الألف) وهو تحريف ، إذ هو عبد الرحمن بن عسيلة
الصنابحي (بياء موحدة وحاء بعد الألف) ، نسبة إلى صنابج من حمير ، كما ذكر المؤلف في كتابه (المعارف)
(ص ٣١٥) طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ م والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) وتهذيب التهذيب (ج ٥
ص ٢٢٥) . (٢) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث ، لأنه لا معنى لأن ينهى النبي عن صعاب
المسائل ، والأوجه ما فسرها به الزنجشيري إذ قال في الأساس : «وهي المسائل التي يغالط بها» ؛ ويؤيد هذا
التفسير ما جاء بالعقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٤) : «وكان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها أغلوطة قال
للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك «إبليس» . (٣) هو عبد الله بن ثوب بضم المثلثة وفتح
الواو بعدها موحدة وقيل بأشباع وقيل ابن أثوب وزن أحر : عاهد رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلم
يدركه ، وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية (تقريب التهذيب) .

أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْحَاكِمِ أَهْلُهُ ، وَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ مِثْلُ الْجَاهِلَةِ تَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَيَرْغَبُ فِيهَا
الْغُرَبَاءُ ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ ، فَبَيْنَا ذَلِكَ غَارَ مَاؤُهَا ، وَأَصَابَ هَؤُلَاءِ مَنَفَعَتُهَا ، وَبَقِيَ
هَؤُلَاءِ يَتَفَكَّرُونَ ، أَيْ يَتَنَدَّمُونَ .

وفي الإنجيل أن عيسى صلى الله عليه وآله أراهم العجائب ، وضرب لهم الأمثال
والحكمة ، وأظهر لهم هذه الآيات ، قالوا : أليس هذا ابن النجار ! أَوَلَيْسَتْ أُمُّهُ
مَرْيَمَ وَأَخُوهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَشَمْعُونَ وَيَهُوذَا وَأَخَوَاتِهِ كُلَّهُنَّ عِنْدَنَا ! فَقَالَ لَهُمْ
عيسى : إِنَّهُ لَا يُسَبِّ النَّبِيَّ وَلَا يُحَقِّرُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ .^(١)

حدثنا الرياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قيل لدغفل النسابة : هم أدركت
ما أدركت من العلم؟ فقال : بلسان سؤال وقلب عقول ، وكنت إذا لقيت عالماً
أخذت منه وأعطيته . ١٠

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال حدثنا العلاء بن أسلم عن رؤية بن العجاج
قال : أتيت النسابة البكري فقال لي : من أنت ؟ فقلت أنا ابن العجاج ،
قال : قصرت وعرفت ، املك من قوم إن سكث عنهم لم يسألوني ، وإن تكلمت لم
يعوا عني ، قلت : أرجو ألا أكون كذلك ، قال : ما أعداء المروءة؟ قلت : تُخبرني ،
قال : بنو عم السوء إن رأوا حسناً ستروه ، وإن رأوا سيئاً أذاعوه ، ثم قال : إن للعلم
آفةٌ وهجنةٌ ونكدٌ ، فأفته نسيانه ، ونكده الكذب فيه ، وهجته نشره عند غير أهله .
كان يقال : لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أن قد علم فقد جهل . ١٥

(١) لعلها الجنة قال في اللسان : والجحيم : البئر الكثرة الماء ، وشربة وجعوم : كثيرة الماء .

(٢) في الأصل «ليس» بغير تاء .

(٣) في هامش الأصل الفتوغرافي عن نسخة أخرى : بيته . ٢٠

حدثني شيخنا عن محمد بن عبيد عن الصلت بن مهران عن رجل عن الشعبي
عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من تعلم العلم لأربعة دخل النار
ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يبل به وجوه الناس أو يأخذ به من
الأمراء» .

وحدثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «ما من عبد يُخلص العبادة لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة
من قلبه على لسانه» . وقرأت في حكم لقمان أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ، اغدُ عالما
أو متعلما أو مستمعا أو مجبئا ، ولا تكن الجائس قهلك .

حدثني محمد بن داود عن سويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيَّاش عن معاذ
ابن رفاعه عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا
العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين^(١) وانتحال المبطلين وتأويل
الجاهلين» .

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال قال علي عليه
السلام : كلمات لو رحلتم المطي فيهن لا تُصيبوهن قبل أن تُدركوا مثلهن : لا يرجون
عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحي إذا
سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم . وأعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة
الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان ،
وكان يقول : من حق العالم عليك إذا أتيت أنه أن تُسلم على القوم عامة وتُخصه بالتحية ، وأن

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧) طبع بولاق ١٢٠١ هـ . «به» . (٢) كذا في الأصل

ومثله في أدب الدنيا والدين . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠١) «تحريف القائلين» .

(٣) في أدب الدنيا والدين (ص ٦٧) ما نصه : «وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : نحس خذوهن
عني ، فلوركنتم الفلك ما وجدتموهن إلا عندي : ألا لا يرجون أحد إلا ربه ... الخ» .

تَجْلِسَ قُدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ ، وَلَا تَغْمِزَ بَعِينَكَ ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فُلَانٌ خِلَافًا لِقَوْلِهِ ^(١) ،
وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذَ بِشُوبِهِ ، وَلَا تُلَحَّ عَلَيْهِ إِذَا
كَسَلَ ، وَلَا تَغْرِضَ ^(٢) مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ ، فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا
شَيْءٌ . وَفِيَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا كَمِيلُ ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ يَحْرُسُكَ
وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ ، وَالْمَالُ تَنْقُصُهُ النِّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزُكُو عَلَى الْإِتِّفَاقِ . وَقَالَ : قِيمَةُ
كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسَنُ . وَيُقَالُ إِذَا أَرْذَلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
يَعْدُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَالِمًا * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِمَحْسِبٍ
وَإِنْ حَلَّ أَرْضًا عَاشَ فِيهَا بِعِلْمِهِ * وَمَا عَالِمٌ فِي بَلَدٍ بِغَرِيبٍ
قَالَ بُزْرَجِيهْرُ : مَا وَرَثَ الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْأَدَبِ ، لِأَنَّهَا تَكْتَسِبُ
الْمَالُ بِالْأَدَبِ وَبِالْجَهْلِ تُتْلَفُ فَتَقْعُدُ عُدْمًا مِنْهُمَا . قَالَ رَجُلٌ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ :
مَالِي إِذَا رَأَيْتُكُمْ تَتَذَكَّرُونَ الْأَخْبَارَ ، وَتَتَذَكَّرُونَ الْأَشْعَارَ ، وَقَعَ
عَلَى النَّوْمِ ؟ قَالَ : لِأَنَّكَ حِمَارٌ فِي مَسْلَاحٍ ^(٦) .

نَحْرَجُ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ حَاجًا وَمَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَكَانَا
بِبَعْضِ الطَّرِيقِ يَلْعَبَانِ بِالشَّطْرِ نَحْمُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ فَأَذِنَ لَهُ وَسَتَرَ

١٥ (١) عبارة العقد الفريد «حلاف قولك» . (٢) لا تغرض : لا تضجر . وفي الأصل «تغرض»
بالفاء وهو تحريف . وعبارة العقد «ولا تلح عليه في السؤال» ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال
يسقط عليك منها شيء . (٣) في الأصل : «تكميل العلم خير من المال» وهو تحريف ،
والصواب ما أثبتناه ، فقد جاء في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٠) ما نصه «عن كميل النخعي قال : أخذ
بيدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فخرج بي إلى ناحية الجبانة فلما أصبح تنفس الصعداء ثم قال :
يا كميل ، إن هذه القلوب أوعية نغيرها أوعاها فأحفظ عني ما أقول لك ... الخ» وكذلك وردت العبارة
في الإحياء (ج ١ ص ٧) طبعة بولاق . (٤) أرذله الله : لم يرض عنه . (٥) في العقد
الفريد «عاقلا» . (٦) المسلاح : الجلد .

الشَّطْرَنَجَ بِمَنْدِيلٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ فَسَأَلَهُ حَاجَتَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : أَقْرَأْتَ الْقُرْآنَ ؟
 قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! شَغَلَتْنِي عَنْهُ أُمُورٌ وَهَنَاتٌ ، قَالَ : أَفَتَعْرِفُ الْفِقْهَ ؟
 قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَرَوَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَفَعَلِمْتَ مِنْ أَيَّامِ
 الْعَرَبِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَشَفَ الْمَنْدِيلَ عَنِ الشَّطْرَنَجِ وَقَالَ : شَاهَكَ ،
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : اسْكُتْ فَمَا مَعْنَى أَحَدٍ .

وفي كتاب للهند : العالمُ إذا آغترَبَ فَمَعَهُ مِنْ عِلْمِهِ كَافٍ ، كَالْأَسَدِ مَعَهُ قُوَّتُهُ
 الَّتِي يَعْيشُ بِهَا حَيْثُ تَوَجَّهَ . وَكَانَ يُقَالُ : الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ ، وَالْمُؤَدَّةُ أَشَدُّ
 الْأَسْبَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

الْحِلْمُ وَالْعِلْمُ خَلْتَا كَرِيمَ * لِلرَّزَيْنِ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا
 صِنَوَانٌ لَا يَسْتَتِمُ حَسْنُهُمَا * إِلَّا يَجْعُ لَذَا وَذَاكَ مَعَا
 كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَاهُ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ * فَنَالِ الْعِلَاءَ وَارْتَفَعَا
 وَمِنْ رَفِيعِ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا * أَنْحَلَهُ مَا أَضَاعَ فَاتَّضَعَا

قَالَ الْأَحْنَفُ : كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا ، وَكُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَكَّدْ بِعِلْمٍ فَإِلَى ذَلِكَ
 مَا يَصِيرُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسَ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَلِكَ ،
 فَإِنَّ زَوَالَ الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا ، وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ . وَفِي بَعْضِ
 الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ» . وَكَانَ يُقَالُ :
 اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحِظِهِ مِنْهُ خَطَرًا . قَالَ يُونُسُ بْنُ
 حَبِيبٍ : عِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ : الْمُلُوكُ حُكَّامٌ
 عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .

قيل لُبْرُجِيهَر : العلماءُ أفضلُ أم الأغنياءُ؟ فقال : العلماءُ ، فقليلُ له : فما بالُ
 العلماءِ بأبوابِ الأغنياءِ أكثرُ من الأغنياءِ بأبوابِ العلماءِ؟ فقال : لمعرفة العلماءِ بفضلِ
 الغنى وجهلِ الأغنياءِ بفضلِ العلمِ . وفي الحديث : «ليس المَلَقُ من أخلاقِ المؤمنِ
 إلّا في طلبِ العلمِ» . قال ابنُ عباسٍ : ذَلَلْتُ طالبا ، فعَزَزْتُ مطلوبا ؛ وكان يقول :
 وجدتُ عامةَ علمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحى من الأنصار ، إن
 كنتُ لأَقِيلُ ببابِ أحدهم ولو شئتُ أُذِنَ لى ، ولكن أبتغى بذلك طيبَ نفسه .
 وكان يقال : أوّلُ العلمِ الصمتُ والثانى الاستماعُ ، والثالثُ الحفظُ ، والرابعُ العقلُ ،
 والخامسُ نشرُهُ . ويقال : إذا جالستَ العلماءَ فكن على أن تسمعَ أحرصَ منك
 على أن تقول . قال الحسن : مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ الله فى شبيبته لقاها الله الحكمة
 فى سِنِّه ، وذلك قوله : **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي**
الْمُحْسِنِينَ ؟ قال بعضُ الحكماء من الصحابة : تقول الحكمة : مَنْ آتَمَنى فلم يَحْسُدْنى
 فليَفْعَلْ بأحسنِ ما يعلم ، وليَتْرِكْ أقْبَحَ ما يعلم ، فإذا فَعَلَ ذلك فأنا معه وإن لم يعرفنى .
 وكان يقال : لا يكون الرجلُ عالما حتى يكونَ فيه ثلاثٌ : لا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ فى العلمِ ،
 ولا يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ ، ولا يأخُذُ على علمه ثَمَنًا . وقال ابنُ عُيَيْنَةَ : يُسْتَحَبُّ للعالمِ إذا
 عُلِّمَ ألا يُعْتَفَ ، وإذا عُلِّمَ ألا يَأْتَفَ . وفى كلامِ اغِيلان . لا تكن كعلماءِ زمنِ المَهِرَجِ^(١)
 ١٥ إن عُلِّمُوا أَيْفُوا وإن عُلِّمُوا عَنَّفُوا . وفى حكمة لُقْمان : إن العالمَ الحكيمَ يدعو الناسَ
 إلى علمه بالصَّمْتِ والوَقَارِ ، وإن العالمَ الأثَرَقَ يَطْرُدُ الناسَ عن علمه بالهَذَرِ
 والإكثار . قال إبراهيم بن المنصور : سَلْ مسألةَ الحَقِّ وأحفظَ حِفْظَ الأيكاس .
 وأنشد ابنُ الأعرابي :

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها إذا لم تُقدر
فسل الفقيه تكن فيها مثله * من يتسع في عمل بفقه يمهّر
وتدبر الأمر الذي تُعنى به * لاخير في عمل غير تدبر
فلقد يجتد المرء وهو مقصر * ويحب جده المرء غير مقصر
ذهب الرجال المقتدى بفعلهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور^(١)

وقال الشاعر^(٢) :

شفاء العمى طول السؤال وإنما * تمام العمى طول السكوب على الجهل
وقال بعضهم : خير خصال المرء السؤال ، ويقال : إذا جلست إلى عالم فسل تفقهها
ولا تسئل تعنتا ، قال الحسن : من استتر عن الطلب بالحياء لیس للجهل سر باله ، فقطعوا
سراييل الحياء ، فإنه من رقى وجهه رقى علمه ، وقال : إني وجدت العلم بين الحياء
والستر . وقال الخليل : منزلة الجهل بين الحياء والأنفة . وقال علي بن أبي طالب
عليه السلام : قرنت الهيبة بالحيية ، والحياء بالحرمان ، والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها
ولو في يدى أهل الشرك . وقال عروة بن الزبير لبنيه : تعلموا العلم فإن تكونوا صغارا
قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فياسوءتأ ماذا أقبح من جهل بشيخ ! وكان
يقال : علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
وحفظت ما علمت .

فيسل لبزر جيهنر : بم أدركت ما أدركت من العلم ؟ فقال : يسكوب كسكوب
الغراب ، وحرص كحرص الخنزير ، وصبر كصبر الحمار . وقال الحسن : طلب العلم
(١) معور من أعور الشيء ، إذا بدت عورته . (٢) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين

(ص ٤٩ طبعة بولاق) وبعد البيت :

فكن سائلا عما عناك وإنما * دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل

في الصغر كالنقش في الحجر، وطلب العلم في الكبر كالنقش على الماء. ويقال: التفقه
تلى غير علم يحمار الطاحونة يدور ولا يبرح. وفي الحديث المرفوع «ارحموا عزيزا ذل
ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال» ويقال: أحق الناس بالرحمة عالم
يموز عليه حكم جاهل.

قال المسيح عليه السلام: يا بني إسرائيل لا تُلْقُوا اللُّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ، فَإِنَّهَا
لَا تَصْنَعُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ،
وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا شَرٌّ مِنَ الْخَنَازِيرِ. قال ديمقراط: عالمٌ معاندٌ خيرٌ من مُنْصَفٍ جاهلٍ.
وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنْصَفًا، وقد يكون العالم معانداً. قال سُفْيَانُ: تَعَوَّدُوا^(١)
بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ. قيل للحسن: الحِرْفَةُ فِي أَهْلِ الْعِلْمِ؛
وَلِغَيْرِهِمُ التَّوَرُّةُ، فَقَالَ: إِنَّكَ طَلَبْتَ قَلِيلًا فِي قَلِيلٍ فَأَعْجَزَكَ، طَلَبْتَ الْمَالَ وَهُوَ قَلِيلٌ
فِي النَّاسِ، فِي أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُمْ قَلِيلٌ فِي النَّاسِ. وقال الخزيمي:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ * إِنَّ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ

وقال آخر:

مَا أَزْدَدْتُ مِنْ أَدَبٍ حَرْفًا أُسْرِبُهُ * إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا تَحْتَهُ سُوءٌ
إِنْ الْمُقْسَدُ فِي حِذْقٍ بَصْنَعْتَهُ : أَلَى تَوَجُّهِ مِنْهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ

وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالََةَ أُمُّهَا * وَلَوْ أَنَّ الْعِلْمَ جَذَاءٌ حَائِلٌ^(٢)
^(٣)

(١) في الأصل: «العالم» وظاهر أنه تحريف.

(٢) جذاء: من الجذ وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل.

(٣) الحائل: كل أنثى لا تحمل.

قال الثوري^(١) : مَنْ طلب الرياسة بالعلم سريعا فاته علم كثير، وقال : يَهْتَف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . قال بعض أهل العلم : يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْبًا قبل أن يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ وَاحِدٌ . قال بلال بن أبي بردة : لَا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَقْبَلُوا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ . وقال الخليل بن أحمد :

إِعْمَلْ بِعِلْمِي وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عَمَلِي * يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي ٥

كتب رجل إلى أخ له : إِنَّكَ قَدْ أَوْتَيْتَ عِلْمًا فَلَا تُطْفِئْ نَوْرَ عِلْمِكَ بِظُلْمَةِ الذُّنُوبِ فَتَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ يَوْمَ يَسْعَى أَهْلُ الْعِلْمِ بِنُورِ عِلْمِهِمْ .

وقال بعض الحكماء : لَوْلَا الْعِلْمُ لَمْ يُطْلَبِ الْعَمَلُ ، وَلَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ يُطْلَبِ الْعِلْمُ ، وَلَئِنْ أَدْعَ الْحَقُّ جَهْلًا بِهِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَدْعَهُ زُهْدًا فِيهِ . وقال مالك بن دينار : إِنْ الْعَالِمُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصِّفَا^(٢) . ونحوه قول زياد : إِذَا خَرَجَ الْكَلَامُ مِنَ الْقَلْبِ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ ، وَإِذَا خَرَجَ مِنَ الْإِسَانِ لَمْ يُجَاوِزِ الْآذَانَ .

ويقال : الْعِلْمَاءُ إِذَا عِلِمُوا عَمِلُوا ، إِذَا عَمِلُوا شُغِلُوا ، إِذَا شُغِلُوا فَقِدُوا ، إِذَا فَقِدُوا طَلَبُوا ، إِذَا طَلَبُوا هَرَبُوا . قال الحسن : مَا أَحْسَنَ الرَّجُلَ نَاطِقًا عَالِمًا وَمُسْتَمَاعًا عَامِيًا وَوَاعِيًا عَامِلًا . وقال ابن مسعود : إِنِّي لَا أَحْسِبُ الرَّجُلَ يَتَنَسَّى الْعِلْمَ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا . وقال ابن عباس : إِذَا تَرَكَ الْعَالِمُ قَوْلًا لَا أَدْرَى أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ . وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك :

إِذَا مَا تَحَدَّثْتُ فِي تَجْلِيسٍ * تَنَاهَى حَدِيثِي إِلَى مَا عَلِمْتُ

وَلَمْ أُعِيدْ عِلْمِي إِلَى غَيْرِهِ * كَانَ إِذَا مَا تَنَاهَى قَصَرْتُ

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٦٩ طبعة بولاق) وفي الأصل : "نهيف" وظاهر أنه تحريف . (٢) ورواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢١١) «اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي» وفي أدب الدنيا والدين «اعمل بقولي...» (٣) الصفا جمع صفاة، وهي الحجر الصلد الضخم لا يثبت .

وقال آخر^(١):

إذا ما انتهى علمي تناهيتُ عنده * أطال فأملّي أم تناهي فأقصرا
ويُخبرني عن غائب المرء فعلمه * كفى الفعل عما غيب المرء مخبرا

قال عمر بن الخطاب: لا أدركتُ لأنا ولا أنت زمانا يتغير الناس فيه على العلم
كما يتغيرون على الأزواج . قال سلمان : علمٌ لا يُقال به ككثرة يُنفق منه .
وفي الحديث المرفوع : « العلم علمان علمٌ في القلب فذلك العلم النافع وعلمٌ على اللسان
فذلك حجة الله على ابن آدم » قال عمر بن عبد العزيز : ما قرين شيءٌ إلى شيءٍ أحسن
من حلم إلى علم ومن عفو إلى قُدرة : قال أبو الدرداء : من يزدد علما يزدد
وجعا .

قال أفلاطون : لولا أني في قولٍ لا أعلم سبباً لأنّي أعلم لقلتُ إنّي لا أعلم .
وقال آخر : ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنّي لستُ أعلم .

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة : رجلٌ يدرى ويدري أنه يدرى فسأوه ،
ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناسٌ فذكروه ، ورجل لا يدرى ويدري أنه
لا يدرى فذلك مسترشد فعلموه ، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك
جاهل فافضوه .

كتب كسرى إلى بُزرجيمهر وهو في الحبس : كانت ثمرة علمك أن صرتَ بها
أهلاً للحبس والقتل ، فكتب إليه بُزرجيمهر : أما ما كان معي الجَدّ فقد كنتُ أنتفعُ
بثمرة العلم فالآن إذ لا جدّ فقد صيرتُ . أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنتُ فقدتُ كثيرَ
الخير فقد استرحت من كثير الشر .

(١) هو زيادة بن زيد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٦٦) .

قال بزرجمهر : من صلح له العمر صلح له التعلم . وقيل لبعض الحكماء :
أحسن بالرجل أن يتعلم ؟ فقال : إن كانت الجهالة تقبح به فإن العلم يحسن به .
ويقال : التودد زين العلم .

قال عمر بن الخطاب : ما من غاشية أدوم أرقاً ، وأبطأ شبعاً من عالم . قال
مالك بن دينار : من طاب العلم لنفسه فالقيل منه يكتفى ، ومن طابه للناس
خوائج الناس كثيرة .

قال إبقراط : العلم كثير ، والعمر قصير ، والصنعة طويلة ، والزمان جديده ،
والتجربة خطأ .

قال المسيح عليه السلام : إلى متى تصفون الطريق للبدلين ، وأتم مقيمون مع
المتحيرين ، إنما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير . قال سلمان : لو حدثت الناس
بكل ما أعلم لقالوا رحم الله قاتل سلمان . كان يقال : لا تقل فيما لا تعلم فتتهم فيما تعلم .
وكان يقال : العلم قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإذا كان قائد بلا سائق بلدت
وإذا كان سائق بلا قائد عدت يمينا وشمالا ، فإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها . قال
أيوب : لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يعرف الاختلاف . ويقال : غريزة
العقل أنثى وما يستفاد من العلم ذكر ولن يصلحا إلا معا .

قال المسيح عليه السلام : إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحب الله كره بالمغييب ،
ويوسع له في المجالس ، ويدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزاد ، بحق أقول لكم : إن
أولئك قد أخذوا أجورهم في الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

(١) العاشية : الشؤال الذين يفتنون يرجون فصلك ومعرفتك . (٢) وفي العقد الفريد

(ج ١ ص ١٩٨) : «وقد قالت الحكماء : نمد قائد والعقل سائق والنفس ذرد إن كان قائد بلا سائق
هككت ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا وإذا اجتمعا أنابت طوعا وكرها» .

(٣) المزاد جمع مزود كمنبر وهو رعاء الزاد .

لما دُلِّيَ زيد بن ثابت في قبره قال ابن عباس : من سرَّه أن يرى كيف ذهب العلمُ فهكذا ذهابُ العلم .

ويقال : إذا أردت المحبة من الله فكن عالماً بجاهل . وقال بعض الشعراء في تَلَّاقِي العلماء :

إذا تَلَّاقَى الْفُيُوكُ^(١) وَأَزْدَحَمْتُ * فكيف حالُّ الْبُعُوضِ فِي الْوَسَطِ

وقال ابن الرِّقَاع :

ولقد أصبتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً * وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا

وعلمتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِماً * عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكَ أَرْزَادَهَا

ويقال : أربعٌ لَا يَأْتِفُ مِنْهُنَّ الشَّرِيفُ : قِيَامُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ لِأُيُوبٍ ، وَخِدْمَتُهُ لَضَيْفِهِ ، وَقِيَامُهُ عَلَى فَرَسِهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَائَةٌ عَبْدٍ ، وَخِدْمَتُهُ الْعَالِمَ لِأَخَذٍ مِنْ عِلْمِهِ .

قيل لعطاء بن مُضْعَب : كيف غَلَبَتْ عَلَى الْبِرَامِكَةِ وَعِنْدَهُمْ مَنْ هُوَ آدَبُ مِنْكَ؟ قال : لَيْسَ لِلْقُرَبَاءِ ظَرَفَةُ الْغُرَبَاءِ ، كُنْتُ بَعِيدَ الدَّارِ ، غَرِيبَ الْأَسْمِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، صَغِيرَ الْجُرْمِ ، كَثِيرَ الْإِلْتِوَاءِ ، شَجِيحاً بِالْإِمْلَاءِ ، فَقَرَّبَنِي إِلَيْهِمْ تَبَاعُدِي مِنْهُمْ ، وَرَغَبَهُمْ فِي رَغْبَتِي عَنْهُمْ .

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ^(٢) : تَلَقَّانِي سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : أَدُورُ لَعَلِّي أَسْمَعَ حَدِيثًا حَسَنًا ، ثُمَّ تَلَقَّانِي أَنَسُ بْنُ أَبِي شَيْخٍ فَقُلْتُ : أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : عِنْدِي حَدِيثٌ حَسَنٌ فَأَنَا أَطْلُبُ لَهُ إِنْسَانًا حَسَنَ الْفَهْمِ حَسَنَ الْإِسْتِمَاعِ ، قُلْتُ : حَدَّثْنِي بِهِ قَالَ : أَنْتَ حَسَنُ الْفَهْمِ سَيِّئُ الْإِسْتِمَاعِ ، وَمَا أَرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا إِسْمَاعِيلَ بْنَ غَرْوَانَ . وَقَالَ الطَّائِيُّ فِي نَحْوِ هَذَا :

(١) جمع فيل . (٢) هو إسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب الخُرَيْمِيُّ [بالراء المهملة] كما ذكره المؤلف في كتابه : «الشعر والشعراء» (ص ٥٤٢) طبع . مدسة «لندن» سنة ١٩١٢ م .

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قُنُوعٍ * تَعَوَّضَهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُولٍ^(١)
فِيصْرَتْ أَذَلٌّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ * بِهِ قَفَرٌ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ

كان يقال : إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم ، وإذا أردت أن تكون أدبيا فخذ من كل شيء أحسنه . قال إبراهيم بن المهدي :

قد يُرْزَقُ المرءُ لم يَتَّعِبْ رَوَاحِلَهُ * وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبٍ
مَعَ أَنِّي وَاحِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٌ * الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
وَخَلَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي * الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ^(٢)
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ طَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ * الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْحَرْبِ

قال أنوشروان الموبذ : ما رأسُ الأشياءِ؟ قال : الطبيعة النقية تكتفى من الأدب برائحته ، ومن العلم بالإشارة إليه ، وكما يذهب البذر في السَّابِخ ضائعا ، كذلك الحكمة تموت بموت الطبيعة ، وكما تغلب السَّابِخُ^(٣) طيبَ البذر إلى العفن ، كذلك الحكمة تفسد عند غير أهلها ، قال كسرى : قد صدقتَ وبحق قلَّدناك ما قلَّدناك .

قال بعضُ السلف^(٤) : يكون في آخر الزمان علماء يُزهدون في الدنيا ولا يزهدون ، ويُرغبون في الآخرة ولا يرغبون ، يَنهَوْنَ عن غِشْيَانِ الْوَلَاةِ ولا يَنْتَهَوْنَ ، يُقَرَّبُونَ

(١) كذا في الأصل الفتوغرافي ، وفي نسخة ديوان أبي تمام الخطبة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٦ أدب ص ٢٣٤ وفي ديوانه المطبوع : «عن جهول» .
(٢) كذا في المحاسن والأضداد لمجاhez : (ص ١٣٤ طبع مدينة ليدن) والسبب : الحبل .
وفي الأصل الفتوغرافي : «نسب» .

(٣) الموبذ بضم الميم وفتح الباء ومثله الموبذان : فقه الفرس وحاكم المجوس .
(٤) السَّابِخ جمع سبخة محرَّكة ومسكة وهي الأرض ذات النَّزْرِ والملح .
(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٥ طبع بولاق) «قال عيسى بن مريم عليه السلام سيكون... الخ» .

الأغنياء ويُباعِدون الفقراء^(١)، وَيَنْقَبِضُونَ عند الحُقَرَاءِ، وَيَنْبَسُطُونَ عند الكِبَرَاءِ^(٢) :
أولئك الجَبَّارُونَ أعداءُ الرحمن^(٣) .

نافع عن ابن عُمر قال : العلم ثلاثة : كتاب ناطق ؛ وسنة ماضية ؛ ولا أدري .

الْكُتُبُ والحِفْظُ

٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنِي قُرَيْشُ بْنُ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدَ يَقُولُ : إِسْلَمْ مِنَ الْوَحْدَةِ . فَقِيلَ لَهُ : قَدْ جَاءَ فِي الْوَحْدَةِ مَا جَاءَ ، فَقَالَ : مَا أَفْسَدَهَا لِلْجَاهِلِ ! . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي قَوْمٍ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَلَا يَعْلَمُونَ :

زَوَامِلٌ لِلْأُسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ ، يَجِيْدُهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْآبَاعِ^(٤)
لِعَمْرُكَ مَا يَذَرِي الْمِطْيُ إِذَا غَدَا * بِأَحْمَالِهَا أَوْرَاحَ مَا فِي الْفَرَائِرِ^(٥)

١٠ قَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : النَّاسُ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ ، وَيَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَكْتُبُونَ ، وَيَتَحَدَّثُونَ بِأَحْسَنِ مَا يَحْفَظُونَ . قَالَ الشُّعْبِيُّ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَفِظَ مَا تَسَيَّيْتُ كَانَ عَالِمًا ، وَوَصَفَ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ يَغْلَطُ فِي عِلْمِهِ مِنْ وَجْهِهِ أَرْبَعَةٌ : يَسْمَعُ غَيْرَ مَا يُقَالُ لَهُ ، وَيَحْفَظُ غَيْرَ مَا يَسْمَعُ ، وَيَكْتُبُ غَيْرَ مَا يَحْفَظُ ، وَيُحَدِّثُ بغير ما يَكْتُبُ .

١٥ قِيلَ لِأَبِي نُؤَاسٍ : قَدْ بَعَثُوا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ لِيُجْمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ : أَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَإِنْ أَمَكَّنُوهُ مِنْ شَقَرِهِ^(٦) قَرَأَ عَلَيْهِمْ أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ ؛ وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَبَابِلٌ فِي قَفْقِصٍ يُطَرَّبُهُمْ بَنَفَاتِهِ .

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « وَيُعَدُّونَ » . (٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « وَيَنْبَسُطُونَ لِلْكِبَرَاءِ ، وَيَنْقَبِضُونَ

عَنِ الْحُقَرَاءِ » . (٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ « أُولَئِكَ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ وَأَعْدَاءُ الرَّحْمَنِ » . (٤) زَوَامِلُ جَمْعُ

زَامِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا . (٥) الْفَرَائِرُ جَمْعُ غَرَارَةٍ بِالْكَسْرِ وَهِيَ مَا يَحْمِلُ فِيهِ النَّبْتُ وَنَحْوُهُ .

(٦) الشَّقَرُ نَصْرَدٌ : الْكُذْبُ . وَفِي الْمَثَلِ : « جَاءَ بِالشَّقَرِ وَالْبَقَرِ » أَيِ جَاءَ بِالْكَلَامِ الْمَغْيَرِ عَنْ وَجْهِ الصِّدْقِ .

القرآن

- حدثني الزياتي قال : حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن الجريزي عن عبد الله
ابن شقيق قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون بيع المصاحف
ويروونه عظيمًا ، وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم الغلمان شيئًا .
- حدثني محمد بن عبد العزيز عن خالد الكاهلي عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي
عليه السلام قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها
طيب ؛ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ؛
ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الریحانة ريحها طيب وطعمها مر ؛ ومثل الفاجر
الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها .
- وحدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أمية
وليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا تُسافروا بالقرآن إلى أرض العدو فإنني أخاف أن يتآله العدو » .
- حدثني أبو سفيان الغنوي قال حدثنا عمير بن عمران العلاف قال : حدثنا خزيمة
ابن أسد المرّي قال : كان سعيد بن المسيّب يستفتح القراءة (بسم الله الرحمن الرحيم)
ويقول : إنها أول شيء كتبت في المصحف ، وأول الكتب ، وأول ما كتب به
سليمان بن داود إلى المرأة^(٢) .

(١) ورد في الأصل « أبيه » وهو تحريف لأن إسماعيل بن أمية المذكور من روى عنه « أبو إسحاق

الفزاري » ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي إسحاق الفزاري أيضا فنعين ما ورد
في الأصل أن « أبا إسحاق » هو المقصود في هذه الرواية راجع تهذيب التهذيب (ج ١ ص ٢٨٣ ،

ج ١٠ ص ٢١٥) . (٢) هي بلقيس بكسر الباء والقاف : ملكة سبا وفصتها معروفة .

وحدثني أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال : حدثنا رجل عن عمران بن حدير قال : قرأت على أعرابي آخر سورة « براءة » فقال : كان هذا من آخر ما نزل . قالوا : كيف ؟ قال : أرى أشياء تُقضى وعهوداً تُبذل . قال : قرأت عليه سورة الأحزاب فقال : كأنها ليست بتامة .

حدثني محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قال ابن مسعود : (حم) ديباج القرآن . قال : وزاد فيه مسعر ، قال عبد الله : إذا وقعت في آل (حم) وقعت في روضات دمنات أتناق فيهن .^(١)

حدثني شيخ لنا عن الحارثي قال : حدثنا بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن الحسن قال : قرأ القرآن ثلاثة : رجل آتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر ، يطلب به ما عند الناس ، وقوم حفظوا حرفه ، وضيعوا حذوده ، وأستدروا به الولاء ، وأستطالوا به على أهل بلادهم — وقد كثرت الله هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرتهم الله — ورجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه ، فسهر ليله وهملت عيناه ، تسربلوا الخشوع ، وآرتدوا بالحزن ، وركدوا في محاريبهم ، وجثوا في برانسهم ، فبهم يسقى الله الغيث ، ويُنزل النصر ، ويرفع البلاء ، والله لهذا الضرب

- (١) هو مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري الرؤاسي ، أحد الأعلام (راجع تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١١٣) . (٢) في النهاية لابن الأثير مادة « دمت » : إذا قرأت « آل حم الخ » . وفي مادة « أنق » : إذا وقعت « في آل حم الخ » . (٣) دمنات : سهلة لينة . (٤) بالمعجمة والنون آخره سين مهملة مصغرة كذا في تهذيب التهذيب والتعريب والخلاصة . وفي الأصل « خنيس » بالمعجمة في آخره وظاهر أنه تحريف . (٥) كذا في الأصل بياض الجملة والمقام يقتضي الإفراد لقوله : « ورجل قرأ القرآن... الخ » ويؤيد هذا ما ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٩٠ : « طبة بولاق » ونصه : «... ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليله وهملت عيناه وتسربل الخشوع وآرتدى الوقار واستشعر الحزن رواقه... الخ » . (٦) في الأصل : خثوا . (٧) البرانس جمع برنس بالضم وهو قلسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام ، وكل ثوب رأسه ملتزق به .

في حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر . رَوَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبَرٌ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلُ هُوَ الَّذِي لَا تُرِيدُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَقْضِي عَجَائِبُهُ هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ بَجَائِرِ قَصَمِهِ اللَّهُ وَمَنْ أَبْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ وَالَّذِي كَرَّ الْحَكِيمُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ » ؛ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ .

الْحَارِثِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مَيْغُولٍ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَأَمُونَ ، وَيَحْزَنُهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَيَبْكَاؤُهُ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ ؛ وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ عِلْمًا حَكِيمًا لِنَا مُسْتَكِينًا .

وَكَيْعٌ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدِينِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِكْرَامَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِكْرَامَ حَامِلِ الْقُرْآنِ » . قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : (سَاصِرُفٌ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) أَحْرِمُهُمْ فَهَمُ الْقُرْآنُ .

- (١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٠٩ طبعة بولاق) «على» . (٢) ورد في الأصل «معدل» بالعين المهملة وهو تحريف . وصوابه بالمعجمة كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .
- (٣) في الأصل «سكيناً» وما أثبتناه من الإحياء (ج ١ ص ٢٦٠) طبعة بولاق ، وعبارة الإحياء عن ابن مسعود «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون ، وبهزاه إذا الناس يفرطون ، ويحزنه إذا الناس يفرحون ، ويبكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ؛ وبخشوعه إذا الناس يخنلون ، وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً لينا ، ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا ماريّاً ولا صياحاً ولا صخاباً ولا حديداً» . (٤) ذكره ابن حبان في الثقات وقال : كل ما يجي في الأخبار «كريز» يعني بضم الكاف إلا هذا تهذيب .

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقْرَأُ (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْقَذَهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقِيهِه .

الحديث

- ٥ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ الشَّهِيدِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءٍ يَجْمَعُ صِبْيَانَ الْكُتَّابِ فَيُحَدِّثُهُمْ كَيْلًا يَنْسَى حَدِيثَهُ . وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الشَّهِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ : قَالَ لِي حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا حَدَّثَنِي عَنْكَ بِحَدِيثٍ مَا بَالَيْتُ أَنْ أُرْوِيهِ عَنْكَ .
- ١٠ حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : أَلْفٌ عَنْ أَلْفٍ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ عَنْ وَاحِدٍ إِنْ فَلَانَا عَنْ فَلَانٍ يَنْتَرِعُ السُّنَّةَ مِنْ أَيْدِيكُمْ .
- حَدَّثَنِي الرِّيَاشِيُّ قَالَ : رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ مُعْتَمِرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُنْقَذٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : وَيُحْيِي : رَحْمَةً .
- حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ قَالَ : رَوَى رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُمَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ ؛ قَالَ رَبِيعَةُ : ثُمَّ ذَا كَرْتُ سُهَيْلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ فَلَمْ يَحْفَظْهُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْوِيهِ عَنِّي عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .
- حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ شُعْبَةَ قَالَ : كَانَ قَتَادَةُ إِذَا حَدَّثَ بِالْحَدِيثِ الْجَدِّ ثُمَّ ذَهَبَ يَجِيءُ بِالثَّانِي غُدْوَةً .

بلغنى عن ابن مهدي قال: سئل شعبة: من الذى يترك حديثه؟ فقال: الذى يُتهم بالكذب، ومن تكثر بالغلط، ومن يُخطئ فى حديث يُجمع عليه فلا يَتَّهم نفسه ويُقيم على غلطه، ورجل روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون.

وعن مالك أنه قال: لا يُؤخذ العلم من أربعة: سفيه معلى بالسفه، وصاحب هوى، ورجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تَهمه فى الحديث، ورجل له فضل وتعفف وصلاح لا يعرف ما يحدث.

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي^(١) أنه رأى سفيان بن عيينة فقال:
 قَلْبِكَ سَفِيَانٌ بَاغَى سُنَّةَ دَرَسَتْ * وَمُسْتَبَيَّتٌ أَثَارَاتِ^(٢) وَآثَارِ^(٣)
 وَمُبْتَغَى قُرْبِ إِسْنَادٍ وَمَوْعِظَةٍ * وَأَفْقِيُونَ^(٤) مِنْ طَارٍ وَمِنْ طَارِ
 أَمْسَتْ بِجَالِسِهِ وَحَشًا مُعْطَلَةً * مِنْ قَاطِنِينَ وَنُجَّاجٍ وَغُمَّارِ
 مَنْ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ حِينَ تَوَى * أَوَّلَ الْأَحَادِيثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ^(٥)
 لَوْ يَسْمَعُونَ بَعْدَهُ مَنْ قَالَ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْلِ بَدْيٍ أَوْ بِإِحْضَارِ
 لَا يَهْنَأُ النَّاسُ مِنَ الْمُسْرُورِ مَضْرَعُهُ * مِنْ مَارِقِينَ وَمِنْ بُحَّادٍ أَقْدَارِ^(٦)

- (١) قال ابن خلكان: كان إماماً عالماً ثبتاً زاهدا ورعا مجتهداً على صحة حديثه وروايته؛ توفى آخر يوم من جمادى الآخرة سنة ١٩٨ هـ (٢) المستبيت: الفقير، والمراد به هنا الطالب. (٣) جمع أثارة وهي البقية من العلم تؤثر. (٤) جمع أئروءو الخبر. (٥) أفقيون جمع أفقي أو أفقي (نسبة إلى الأفق أو إلى الأفق). (٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من أصحابه وروى عنه جماعة من الأئمة. منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري. توفى سنة ١٢٤ هـ لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان (راجع ابن خلكان). (٧) هو عمرو بن دينار المكي. كان من أشد الناس إتقاناً للحديث روى عن ابن عباس وابن الزبير وأبي هريرة؛ توفى سنة ١٢٥ هـ أو ١٢٦ هـ.

وَمِنْ زَنَادِقَةٍ ، جَهَنَّمُ يَقُودُهُمْ * قَوْداً إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
وَمُلْحِدِينَ وَمُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا * بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَاراً بِأَهْتَارِ^(٢)

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه :

يَأْتِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَذِي التَّقَى وَعِزُّ سُلْطَانِ التَّقَى * فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا محمد بن سوار قال حدثنا هشام بن حسان قال :
كان الحسن يُحدثنا اليوم بالحديث ويرده الغد ويزيد فيه وينقص إلا أن المعنى
واحد .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا ميمون قال حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه قال :
قال حذيفة بن اليمان : إنا قومٌ عَرَبٌ فنقدم ونؤخر ونزيد وتنقص ، ولا نريد
بذلك كذباً .

أبو معاوية قال : قال أبو إسحاق الشامي : لو كان هذا الحديث من الخبر نقص .
أبو أسامة قال : قال مسعر : من أبغضني بفعله الله محذنا . أبو معاوية قال :
سمعت الأعمش يقول : والله لأن أتصدق بكسرة أحب إلي من أن أتحدث
بستين حديثاً .

أبو أسامة قال : سمعت سُفْيَانَ يَقُولُ : لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا قُطِعَتْ مِنْ هَامَتِي ، وَأَوْمَأَ
إِلَى الْمُنْكَبِ ، وَأَنَّى لَمْ أَشْمَعْ مِنْهُ شَيْئاً .

(١) هو جهنم بن صفوان صاحب الجهمية وهو من الجبيرة الخالصة ظهرت بدعته بترمه وقتله سالم
ابن أحرز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء ذكرها
الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٦٠) .
(٢) جمع هترو وهو السقط .

قال ابن عيينة : ما أحب لمن أحب أن يكون أحفظ الناس للحديث . قال بعضهم : إني لأسمع الحديث عطلا فأشقه وأقرطه وأقلده فيحسن ، وما زدت فيه معنى ، ولا نقصت منه معنى .

أبو أسامة قال : سأل حفص بن غياث الأعمش عن إسناد حديث فأخذ يحلقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا إسناده .

وحدث ابن السكك بحديث فقال له رجل : ما إسناده ؟ فقال : هو من المرسلات عرفا . وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمن قال وما يصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته ، وقامت عليك حجته .

يعلى قال : قال الأعمش : إذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أضعفه .

ابن عيينة قال : قال الأعمش : لولا تعلم هذه الأحاديث كنت كبعض بقالي الكوفة .

ازدحم الناس يوماً على باب ابن عيينة أيام الموسم وبالقرب منه رجل من حاج نخراسان قد حط بجملته فديس وكسر ما كان معه وأتته كعكه وسويقه : فقام يسير إلى سفيان ويدعو ويقول : إني لا أحل لك ما صنعت ؛ فقال سفيان : ما يقول ؟ فقال بعضهم : يقول لك : زدنا في السماء رحمك الله .

أنشدني أبو حاتم عن الأصمعي للعلاء بن المنيhal الغنوي^(١) في شريك :

(١) هو أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي . تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي

ثم عزله موسى الهادي ، وكان عالماً فقيهاً فهما ذكيا فطنا . توفي سنة ١٧٧ هـ (ابن خلكان ج ١ ص ٣١٧ طبعة باريس سنة ١٨٣٨) . وقد ورد هذان البيتان مع أبيات أخرى للنهال قالها في شريك أيضا في المجلد الأول من هذا الكتاب (ص ٦٧ و ٦٨) .

(١) لَيْتَ أبا شَرِيكَ كَانَ حَيًّا * فَيُقَصِّرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرَكَ مِنْ تَدْرِيهِ عَلَيْنَا (٢) * إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَا

وقال آخر :

تَحْتَزُّ سُفْيَانٌ وَفَرَّ بَدِينِهِ * وَأَمْسَى شَرِيكَ مُرْصَدًا لِلدَّرَاهِمِ

وقال آخر في شهر بن حوشب :

لَقَدْ بَاعَ شَهْرُ دِينِهِ بِخَرِيطةٍ * فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بِعَدْلِكَ يَا شَهْرُ

وذلك أنه كان دخل بيت المال فسرَقَ خَريطةً، ورافق رجلا من أهل الشام
فَسَرَقَ عَيْتَهُ . وقال ابن مناذر (٣) :

(١) هكذا وردت في الأصل ، وفي اللسان (ج ١ ص ٦٦) و (ج ٢٠ ص ٧١) ووردت في المجلد
الأول من هذا الكتاب (ص ٦٨) : « طبت » . ١٠

(٢) في الأصل : « تدرّبه » بالذال المعجمة والياء الموحدة وهو تحريف والتصويب عن اللسان
(ج ١ ص ٦٦ و ج ٢٠ ص ٧١ و ٧٢) وجاء في اللسان (ج ١ ص ٦٦) « قال ابن سيده : إنما أراد
من تدرّبه (أي من تطاوله وتكبره) فأبدل الهمزة إبدالاً صحيحاً حتى جعلها كأن موضوعها الياء وكسر الراء المجاورة
هذه الياء المبدلة كما كان يكسرها لو أنها في موضوعها حرف علة كقولك : تقضيها وتخليها ، ولو قال : من
بدره لكان صحيحاً ، لأن قوله : تدرّبه مفاعلتان ؛ قال : ولا أدري لما فعل الغلاء هذا مع تمام الوزن
ويخلص تدرّبه من هذا البطل الذي لا يجوز مثله إلا في الشعر ، اللهم إلا أن يكون الغلاء هذا
لغة البطل » . ١٥

(٣) في شرح القاموس مادة « نذر » مانصه : « وابن مناذر بالفتح ممنوع من الصرف و يضم فيصرف
قال الجوهري : هو محمد بن مناذر شاعر بصريّ فن فتح الميم منه لم يصرفه ويقول إنه جمع منذر لأنه محمد
ابن المنذر بن المنذر ومن ضمنه صرفه » اه . وقد ورد ما يؤكد أنه بالضم لا غير فقد جاء في معجم
البلدان لبانموت (ج ٤ ص ٦٤٤ طبع مدينة « ليدن ») مانصه : « ذكر المبرد أن محمد بن مناذر
الشاعر كان إذا قيل ابن مناذر يفتح الميم بغضب ويقول أنا مناذر الكبير أم مناذر الصغير وهي كورتان من
كور الأهواز ، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر ناذر فهو مناذر مثل ضارب فهو مضارب » وقد ورد
في المشتية في أسماء الرجال للذهبي (ص ٥٧ طبع مدينة ليدن) بالضم أيضا . ٢٠

ومن يبيع الوصاة فإن عُنْدِي * وصاة للكُهول وللشباب
خُذُوا عن مالك وعن ابن عَوْنٍ * ولا تَرَوْوا أحاديثَ ابن دَابَّ^(١)

عبد العزيز بن أبان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال : طابنا هذا الأمر
وما لنا فيه نية ، ثم إن النية جاءت بعدد ؛ فقال سفيان : قال زيد بن أسلم : رأيتم
رجلا مَدَّ رجله فقال : اقطعوها سوف أجبرها . قيل لرقبة : ما أكثر شكك ! فقال :
محاماة عن اليقين . وقال بعضهم : سأل شعبةُ أيوب السَّخْتِيَّاني عن حديث فقال :
أنا أشكُّ ، فيه فقال : شكك أحب إلي من يقين سبعة .

حدثني زيد بن أنحزم قال : سمعت عبد الله بن داود يقول : رأيت الانعمش يضم
كفيه ثم يضرب بهما صدره ويقول : اسكن .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثني بعض الرواة قال : قلت للشرقي بن^(٢)
قُطَامَى : ما كانت العرب تقول في صلاتها على موتاهم ؟ فقال : لا أدري ، فأَكْذِب
له ؛ فقلت : كانوا يقولون :

ما كنتُ وَكُؤَاكَا وَلَا يَزُونُكَ * رُوَيْدَكَ حَتَّى يَبْعَثَ الْحَقُّ بِإِئْتِهِ^(٣)

وَكُؤَاكَ : غليظ ، وزونك : قصير ؛ قال : فإذا أنا به يُحَدِّثُ به في المقصورة يوم
الجمعة ؛ قال أبو نُوَّاس :

١٥

(١) ابن داب الذي يقصده الشاعر هو عيسى بن يزيد كان يضع الحديث بالمدينة كما في تهذيب التهذيب
(ج ٩ ص ١٥٣) ضبع الهند واستشهد بالبيت .

(٢) في الأصل «لشرقي بن القطامي» وما أثبتناه عن المشتبه للذهبي وشرح القاموس والخلاصة .

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب في مادة «زك» هكذا :

٢٠

ولست بوسكواك ولا يزونك * مكانك حتى يبعث الخلق بآعته

(١) حَدَّثَنِي الْأَزْرَقُ الْمَحْدَثُ عَنْ * عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ
لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ غَيْرُ كَافِرِهِ * وَكَافِرٍ فِي الْجَحِيمِ مَصْفُودٍ
حَدَّثَنِي مِهْيَارُ قَالَ : حَدَّثَنِي هُدَيْبُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ أَطْرَى
يَوْمًا أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَرُوفٍ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ : لَا تُطْرِهِ بِمَرُوفٍ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ
ذَلِكَ ؛ فَقَالَ شَقِيقُ : قَدْ مَدَحَهُ مُسَاوِرُ الشَّاعِرِ فَقَالَ :

إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَالُوا * بَأَيْدِيهِ مِنَ الْفُتَيَّا ظَرِيفَةً
أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ * تِلَادٍ مِنْ طِرَازِ أَبِي حَنِيفَةَ
إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاَهَا * وَأَثْبَتَهَا بِحَبْرِ فِي صَحِيفَةٍ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَجَابَهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا :

إِذَا ذُو الرَّأْيِ خَاصَمَ فِي قِيَاسٍ * وَجَاءَ بِدَعَاةٍ هَنَاءٍ بِخَفِيفَةٍ
أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا * وَأَثَارِ مَبْرُزَةٍ شَرِيفَةٍ
فَكَمْ مِنْ قَرْجٍ مُحْصَنَةٍ عَفِيفٍ * أَحَلَّ حَرَامَهُ بِأَبِي حَنِيفَةَ
أَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بَنَتْ صُلْبٍ * تَكُونُ مِنَ الزَّانَا عُرْسًا صَحِيحَةٍ

سَمِعَ رَجُلٌ مَنَادِيًا يُنَادِي : مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ ؟ فَقَالَ : مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ
شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ ؛ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ فَقَالَ : هَذَا شَيْخٌ ضَالٌّ نَحْنُ نَحْمَدُ بِهِ ؛
وَكَانَ يُشْرِيقُ قَوْلَ بَخَلَقِ الْقُرْآنِ .

الآهواء والكلام في الدين

قَالَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضِيِّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : بِمَ تَدْعُونَ هَذَا الْأَمْرَ ؟

قَالَ : بِقَرَابَةِ عَلِيٍّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِقَرَابَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ فَقَالَ

(١) لم نجد هذين البيتين في ديوانه المطبوع بمصر سنة ١٨٩٨ م . (٢) كذا في الأصل بمعنى

« جاحده » ولعلها « حافره » . لأن الخفر معناه نقض العهد والغدر به وهو يتفق والسياق .

المأمون : إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة ففي خَلَف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أهل بيته مَنْ هو أقرب إليه من عليٍّ ، وَمَنْ هو في القرابة مثله ؛ وإن كان بقرابة
فاطمة من رسول الله ، فإنَّ الحقَّ بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعليٍّ في هذا الأمر
حقٌّ وهما حيَّان ؛ وإذا كان الأمر على ذلك ، فإن عليًّا قد آبَرهما جميعا وهما حيَّان
صحيحان ، وأستولى عليٌّ على ما لا يجبُ له ؛ فما أحرَّ عليٌّ^(١) بن موسى نطقا .

حدثنا الرياشي قال سمعت الأصمعيَّ ينشد :
وإني لأغنى الناس عن مُتَكَلِّمٍ * يرى الناس ضلَّالًا وليس بمُهْتَدِي
وأنشدني أيضا الرياشي :
وعاجزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ لُفْرَصَتِهِ * حتى إذا فات أمرُ عاتبِ القَدَرِ
وقال آخر :

١٠

إذا عيروا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ * وما العارُ إلا ما تَجَرُّ المقاديرُ
وأنشدني سهلٌ عن الأصمعيَّ :
يا أيها المُضْمِرُ هَمًّا لَا تُهَمُّ * إنَّكَ إن تُقَدِّرْ لَكَ الحُمَّى تُحَمُّ
ولو غَدَوْتَ شَاهِقًا من العِلْمِ^(٢) * كيف تَوَقَّيكَ وقد جَفَّ القَلَمُ
وأنشدني غيره :

١٥

هيَ المقاديرُ فَلَمَّني أو فَدَّرْ * إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرُ
قال أبو يوسف : مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام تَزَنَّدَقَ ، وَمَنْ طَلَبَ المالَ بالكَيْمِيَاءِ
أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الحديثِ تَذَبَّ . كان مُسْلِمٌ بنُ أَبِي مَرْيَمَ - وهو

(١) ما أحرار نطقا : ما رَدَّ جوابا .

(٢) العلم : الجليل ، والشامق : ما أرفع منه .

٢٠

مَوَّلَى لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ حُمِلَ عَنْهُ الْحَدِيثُ ^(١) — شَدِيدًا عَلَى الْقَدَرِيَّةِ ^(٢)، عَائِبًا لَهُمْ وَلَكَلَّاهُمْ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فَتَرَكَهَا وَلَمْ يَجْبُرْهَا، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: يَكْسِرُهَا هُوَ وَأَجْبُرُهَا أَنَا! لَقَدْ عَانَدْتَهُ إِذَا. قَالَ رَجُلٌ لِهَاشِمِ بْنِ الْحَكَمِ: أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَعَدْلِهِ كَلَّفَنَّا مَا لَا نَطِيقُ ثُمَّ يُعَذِّبُنَا؟ فَقَالَ هِشَامُ: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ.

حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالَ: صَاحَبَ رَجُلٌ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا فِي سَفَرٍ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ: يَا مَجُوسِي، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ؟ قَالَ: حَتَّى يَشَاءَ اللَّهُ! قَالَ: قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ، قَالَ الْمَجُوسِيُّ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا.

اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ وَعَدًا وَأَوْعَدَ إِبْعَادًا وَإِنَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَنْتَ أَعْجَمُ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَعْجَمُ اللِّسَانِ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمُ الْقَلْبِ! أَمَا تَعْلَمُ، وَيَحْكُ! أَنْ الْعَرَبَ تَعُدُّ إِنْجَازَ الْوَعْدِ مَكْرُمَةً، وَتَرْكُ إِبْقَاعِ الْوَعِيدِ مَكْرُمَةً؟ ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

وَيَأْتِي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ * لِلْخُلْفِ إِبْعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي ^(٤)

- (١) فِي الْأَصْلِ: «تَشْدِيدًا». (٢) الْقَدَرِيَّةُ — مَحْزَكَةٌ — جَاوِدُ الْقَدَرِ، وَهِيَ كَلْبَةٌ مَوْلُودَةٌ. قَالَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِيهِمْ: لَا يَلِزُنَا هَذَا الْقَلْبُ لِأَنَّا نَنْفِي الْقَدَرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ أَثْبَتِهِ فَهَوَّاءُ رُلْ بِهِ. قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: وَهَذَا تَمْوِيهِ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَثْبُتُونَ الْقَسْدَ لِأَنفُسِهِمْ، وَلِذَلِكَ سَمَوْا قَدَرِيَّةً (رَاجِعْ شَرْحَ الْقَامُوسِ). (٣) فِي الْمَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٥٥) «إِنْ أَدْنَى اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ كَانَ» وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِي حَدِيثِ جَرَى بَيْنَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَبَيْنَ مَجُوسِي رَكِبَ مَعَهُ سَمِيَّةٌ بِصِغَةِ تَخَالُفٍ بَعْضُ الْمَخَالَفَةِ مَا هُنَا وَمَا فِي الْمَقْدِ الْفَرِيدِ (رَاجِعْ ص ٥١ مِنَ الْمَجْمُوعَةِ رَقْمُ ٣٥٢ تَوْحِيدُ بَدَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ).
- (٤) عِبَارَةٌ كِتَابِ الْمَنِيَّةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (ص ٧؛ طَبْعَةُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِمِحْدَرِآبَادٍ) وَرَوَى أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ [الْجَبَّارِي] نَظَرَ بَعْضَهُمْ فِي الْإِرْجَاءِ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالزُّبَيْرِ حَاضِرَانِ فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: إِنَّ أَبَا عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ لَقِيَ عَمْرُو بْنَ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَمَّانَ، إِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ، وَلَسْتُ بِأَعْجَمِيٍّ اللِّسَانِ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمِيٌّ الْفَهْمِ، إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا وَعَدَتْ أَنْجَزَتْ وَإِذَا أَوْعَدَتْ أَخْلَفَتْ؛ وَأَنْشَدَ =

حبیب بن الشہید قال : قال یاس بن معاویة ^(١) : ما کلمتُ أحداً بعقلی کله
إلا صاحبَ القدر ^(٢) ؛ قلت : ما الظلمُ فی کلام العرب ؟ قال : هو أن يأخذ الرجلُ
ما لیس له ؛ قلت : فإن الله له کلّ شیء .

وفی کتاب للهند : یقینُ بالقدر لا یمنعُ الحازمُ توفی المہالك ، ولیس علی أحدٍ
النظرُ فی القدر المغيّب ، ولكن علیہ العمل بالحزم ، ونحن نجمع تصدیقا بالقدر وأخذاً
بالحزم .

حدثنی خالد بن محمد الأزدي قال حدثنا شابة بن سوار قال : سمعتُ رجلاً
من الرافضة يقول : رَحِمَ الله أبا لؤلؤة ! فقلت : تترحم على رجلٍ مجوسی قتل عمر
ابن الخطاب رضی الله عنه ! فقال : كانت طعنته لعمر إسلامه .

١٠ = وإني وإن أوعده الخ البيت ، مقال أبو علي : إن أبا عثمان أجابه بالمسكت ، قال له : إن الشاعر قد يكذب
و يصدق ، ولكن حدثني عن قول الله تعالى عز وجل : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) إن
ملاها أفتقول صدق ؟ قال : نعم ، قال : فإن لم يملأها أفتقول صدق ؟ فسكت أبو حنيفة . (١) هو
الذي يضرب به المثل في الذكاء ، توفي رحمه الله سنة ١٢٢ هـ . (٢) عبارة المقد الفريد : « كلمت
الفرق كلها ببعض عقل ، وكلمت القدر بعقل كله ، فقلت له : دخولك فيما ليس لك ظلم منا . قال : نعم ،
قلت : فإن الأمر كله لله »

١٥ (٣) الرافضة : فرقة من الشيعة بإيعاز زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : كانا
وزيري جدي . فتركوه ورفضوه ؛ قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٢٩٩ هـ في كتابه
«الفرق بين الفرق» (ص ٢٥ طبع مطبعة المعارف بالقاهرة) ما نصه : « كان زيد بن علي قد بايعه على
إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على وإلى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي عامل
هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي قالوا له : إنا ننصرك
على أعدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلمنا جتك على بن أبي طالب ، فقال زيد : إني
لا أقول فيما إلا خيراً ، وما سمعت أبي يقول فيما إلا خيراً ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي
الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم ردوا بيت الله بحجر المنجنيق والتار ، فقارتوه عند ذلك حتى
قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة » .

حدثني أحمد بن الخليل قال حدثنا الأصمعي قال أخبرني عاصم بن محمد
العمري قال: كنت جالساً عند أمير من أمراء المدينة فأتني رجل شتم أبا بكر وعمر
فأسلمه حجّاماً حتى حنق .

وقال بعض شعراء الرافضة في محمد بن الحنفية ^(١) :

ألا قل للوصي قدتلك نفسي * أطلت بذلك الجبل ^(٢) المقاما
أضرّ بمعشير والوك ^(٣) منا * وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك عنهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق ^(٤) شعب رضوى * تراجع الملائكة ^(٥) الكلاما ^(٦)

وقال كثير عزة فيه وكان رافضياً يقول بالرجعة :

ألا إن الأئمة من قريش * ولأه الحق أربعة سواء
على الثلاثة من بنيه * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فيسبط يسبط إيمان وير * ويسبط غيبة كربلاء

(١) هو السيد الحميري . كما ذكر صاحب الأغاني (راجع ج ٨ ص ٣٢ طبعة بولاق) . (٢) هو
أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والحنفية أمة ، وهي خولة بنت جعفر بن قيس ، وقيل
بل كانت من سبي الإمامة وصارت الى علي ، وقيل بل كانت سندية سوداء وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن
منهم ، الى آخر ما ذكر ابن خلكان ؛ توفي رحمه الله في أول المحرم سنة ١٨١ هـ وقيل ١٨٣ هـ ودفن
بالقيع ، وقيل دفن ببلاد أيلة . (٣) هو جبل رضوى ، وكان قوم من القائلين بإمامة محمد بن الحنفية
يزعمون أنه حي لم يمت وأنه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من النار يأخذ منهما رزقه ، وعن
بنيه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائهم الى وقت نروجه (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٧) .

(٤) كذا في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) والفرق بين الفرق (ص ٣٠) . وفي الأصل : « واروك » .

(٥) كذا في الأصل ، ومثله في الأغاني (ج ٨ ص ٣٢) وفي الفرق بين الفرق : « يجري » .

(٦) في الأصل « الكراما » وما أثبتناه عن الأغاني .

وَسِبْطٌ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى * يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا الْآسَافُ
تَغِيبُ - لَا يُرَى - عَنْهُمْ زَمَانًا * بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وهم يذكرون أنه دخل شعبا باليمن في أربعين من أصحابه فلم ير لهم أثر.

قال طلحة بن مصرف لرجل : لولا أنى على وضوء لأخبرتكم بما تقول الشيعة .

قال هارون بن سعد العجلي وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّافِضِينَ تَفَرَّقُوا * فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ قَالَ مُنْكَرًا
فَطَائِفَةٌ قَالُوا إِلَهُ^(١) وَمِنْهُمْ * طَوَائِفٌ تَمْتَنُ النَّبِيَّ الْمُطَهَّرَا
فَإِنْ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعْفَرٌ * فَأِنِّي إِلَى رَبِّي أَفَارِقُ جَعْفَرَا
وَمَنْ تَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَعْفَرِهِمْ^(٢) * بَرِثْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مَنْ تَجَفَّرَا
بَرِثْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ * بِصِيرِي بَابَ الْكُفْرِ، فِي الدِّينِ أَعُورَا
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بِدْعَةِ مَضَى * عَلَيْهِا وَإِنْ يَمْضُوا عَلَى الْحَقِّ قَصْرَا
وَلَوْ قَالَ إِنَّ الْفِيلَ ضَبُّ لَصَدَّقُوا * وَلَوْ قَالَ زَيْجِيُّ تَحَوَّلَ أَحْمَرَا
وَأَخْلَفَ مِنْ بَوْلٍ الْبَعِيرُ فَإِنَّهُ^(٣) * إِذَا هُوَ لِلْإِقْبَالِ وَجْهٌ أَذْبَرَا
فَقُبِّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفِرْيَةٍ^(٤) * كَمَا قَالَ فِي عَيْسَى الْفِرْيَ مَنْ تَنَصَّرَا

- ١٥ (١) في الأصل «إمام» وما أثبتناه عن كتاب «الفرق بين الفرق» ويستأنس له بما جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٣٦) طبع ليسج سنة ١٩٢٣ م : «زعم أبو الخطاب (محمد بن أبي زينب الأجدع) أن الأئمة أنبياء ثم آله وقال بأهلية جعفر بن محمد وأهلية آتاه وهم أبناء الله وأحباؤه» .
- (٢) في كتاب «الفرق بين الفرق» (ص ٢٣٩) «ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفر الصادق قد أودعهم جندا فيه علم كل شيء، فيجاءون به من الغيب ويسموا ذلك الجند جفرا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم» اهـ .
- ٢٠

(٣) في الأصل «قول» ولعله تحريف من التامع .

(٤) وفي الأصل «بقرية» وهو تحريف .

سمعت بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل
للشعر، فإنه قال يوما : ما سمعتُ بكذب من بني تميم ! زعموا أن قول القائل :
بَيْتٌ، زُرَّارَةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَاسِهِ * وَجُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ

إنما هو في رجال منهم ؛ قيل له : ما تقول أنت ؟ قال : البيت بيت الله ، وزُرَّارَةٌ
الحجر ؛ قيل له : فجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ؛ قيل له : فأبو الفوارس ؟
قال : أبو قبيس ؛ قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشد ، وفكر ساعة ثم قال : نعم ،
نهشل ! مصباح الكعبة طويل أسود فذاك نهشل ! .

قال أعشى همدان يذكر قتل الرافضة الناس :

إِذَا سِرْتَ فِي عَجَلٍ فِيسْرِ فِي صَحَابَةٍ * وَكِنْدَةَ فَاحْذَرُهَا حَذَرَكَ لِلْحَسَنِ

وَفِي شَيْعَةِ الْأَعْمَى زِيَادٌ وَغِيْلَةٌ * وَلَسَبَّ وَإِعْمَالُ بَلْدَةِ الْقَذْفِ

الأعمى هو المغيرة . وزِيَادٌ يعني الخنق . وَاللَّسَبُ : السِّمُّ ؛ وإِعْمَالُ بَلْدَةِ الْقَذْفِ :
يريد رخصتهم رموس الناس بالحجارة . ثم قال :

(١) في المقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠) وردت هذه العبارة باختلاف في كثير من الألفاظ

نبتنا هنا لوضوحها ، ونصبا : « قال الشعبي » : ما شئت تأويل الرافض في القرآن إلا بتأويل رجل
مضغوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال للشعبي : ما عندك في تأويل هذا
البيت ؟ فإن بني تميم يفلطون فيه يزعمون أنه مما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر (ورواه هكذا) :

بَيْنَا زُرَّارَةٌ مُحْتَبٌ بِفَنَاسِهِ * وَجُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلٌ

(وظاهر تحريفه) فقلت له : وما عندك أنت ؟ قال : البيت هو هذا البيت ، وأشار بيده إلى الكعبة .

وزرارة : الحجر زرد حول البيت ؛ فقلت له : فجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء . قلت : فأبو الفوارس ؟

قال : هو أبو قبيس جبل مكة . قلت : فنهشل ؟ ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة

طويل أسود وهو النهشل . (٢) الأحناء يد أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بنوب يجمعهما به

مع ظهره ويشده عليهما . (٣) كذا في المقد الفريد . وفي الأصل « الحجبي » وهو تحريف .

(٤) في آداب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٩) « خناق » . (٥) يقال : قتله غيلة إذا خدعه

فذهب به إلى موضع فقتله .

وَكُلُّهُمْ شَرٌّ عَلَى أَنْ رَأَسَهُمْ * حَمِيدَةٌ ^(٢) وَالْمِيلَاءُ حَاضِنَةُ الْكِسْفِ ^(٣)
 وَالْكِسْفُ هَذَا هُوَ أَبُو مَنْصُورٍ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: فِي نَزَلٍ: زَوَانٍ
 يَرَوْنَ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا، وَكَانَ يَدِينُ بِمُخْتَقِ النَّاسِ وَقَتْلِهِمْ. ثُمَّ قَالَ:
 مَتَى كُنْتُ فِي حَيٍّ بِجَمِيلَةٍ فَاسْتَيْعَ * فَإِنَّ لَهُمْ قَصْفًا يَدُلُّ عَلَى حَتِيفٍ
 كَانَ الْمَغِيرَةُ بِجَمِيلًا مَوْلَى لَهُمْ
 إِذَا أَعْتَرَبُوا يَوْمًا عَلَى قَتْلِ زَائِرٍ * تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بِالنَّبَاحِ وَبِالْعَرْفِ ^(٥)
 وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يُنْشِدُ:
 إِذَا مَا سَرَّكَ الْعَيْشُ * فَلَا تَأْخُذْ عَلَى كِنْدَةٍ ^(٦)
 يَرِيدُ أَنْ اخْتَلَفَيْنِ مِنَ الْمَنْصُورِيَةِ أَكْثَرُهُمْ بِالْكُوفَةِ مِنْ كِنْدَةٍ، مِنْهُمْ أَبُو قُطَيْبَةَ ^(٧)
 الْخَنَّاقُ.

١٠

- (١) في الأصل «رأس» وما أثبتناه عن كتاب الحيوان لملاحظ (ج ٦ ص ١٣٠). (٢) حميدة
 فانت من أصحاب لى الناعطة ولها رياسة في الغالية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين
 غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية. (راجع الملل والنحل
 ص ١٣٢ طبع ليبسج، والحيوان ج ٦ ص ١٣٠. ومفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٣٠ طبع أوربا).
 (٣) الميلاء حاضنة أبي منصور العجل صاحب المنصورية الذين استحلوا خنثى مخالفيهم. (٤) هو
 أبو منصور العجلي أحد الذين آدعوا الإمامة، وزعم أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه
 وقال له: يا بني، ازل فبلغ عني؛ ثم أهبطه الى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء. وقد وقف
 يوسف بن عمر الثقفى والى العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه (راجع
 الملل والنحل ص ١٣٦). (٥) قال صاحب كتاب الحيوان: (ج ٦ ص ١٣٠): «وذلك أن الخنثاقين
 لا يسيرون إلا معا ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك؛ فإذا عزم أهل دار على خنثى إنسان كانت السلامة
 بينهم الضرب على دُفٍّ أو طبل على ما يكون في دور الناس، وعندهم كلاب مربطة، فإذا تجاوزوا بالعزف
 ليختنى الصوت ضربوا تلك الكلاب فنبحت، وربما كانت منهم معلم يؤدب في الدرب، فإذا سمع تلك
 الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب» أ. (٦) في كتاب الحيوان «تمرر».
 (٧) كانت دار أبي قطبة الخنثاق بالكوفة في كندة وقد قتل وصلب (راجع الحيوان ج ٦ ص ١٢٩).

٢٠

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي عن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم:
أخذ خالد بن عبد الله المغيرة فقتله وصلبه بواسط عند منظر العاشر، فقال الشاعر:
طال التجاور من بيان واقفا * ومن المغيرة عند جذع العاشر^(١)
يأليه قد شال جذعا تحلة * بأبي حنيفة وأبن قيس الناصر^(٢)
وبيان هذا هو بيان التبان وكان يقول: إلى أشار الله إذ يقول: : هذا بيان^(٣)
للناس وهو أول من قال بخلق القرآن .

(١) في الأصل «خلف» وظاهر أنه تحريف (راجع الطبري ص ١٦١٩ — ١٦٢١ ج ٦ من القسم
الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٩ م، والكامل لأبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م،
والكامل للبردج ١ ص ٢٠ طبع ليسج سنة ١٨٦٤ م) .

(٢) واسط: اسم مدينة بالعراق اختطها الحجاج بن يوسف في سنتين .

(٣) المنظر: الموضع الذي ينظر منه وقد يعلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق
وفيه؛ اتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دحّن أهل قزوين دحّنت المناظر إن
كان نهارا وإن كان ليلا أشعلوا نيرانا (راجع معجم البلدان لباقوت ج ٤ ص ٨٨٦ طبع ليسج) .

(٤) هويسان بن سميان التميمي الذي زعم أن مبعوده إنسان من نور على صورة الإنسان في أعضائه
وأنه يفتي كله إلا وجهه، وتأول على زعمه قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) وقوله تعالى:
(كُلٌّ مِنْ عِلْيَاهَا فَإِنْ رَئَيْتَ وَجْهَ رَبِّكَ) وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم، وأنه يهزم به العساكر؛ وأنه يدعو
به الزهرة فتجيبه، رفع خبره إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فأحتال عليه حتى
ظفر به وصلبه سنة ١١٩ هـ وقال له: ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فأهزم به أعوانك
(راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ — ٢٢٨ والكامل لأبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن
سنة ١٨٧٠ م) .

(٥) هو المغيرة بن سعيد العجلي زعم أنه هو المهدي المنتظر، وزعم أن مبعوده رجل من نور على رأسه تاج
من نوره أعضائه وقلب تنبع منه الحكمة، وأن أعضائه على صور حروف الهجاء؛ سمع خالد بن عبد الله
القسري بخبره وضاللاته فطلبه وقتله سنة ١١٩ هـ (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٣١ والملل والنحل
ص ١٣٤ والكامل لأبن الأثير ج ٥ ص ١٥٤ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٧٠ م) .

(٦) التبان: بائع التبغ .

وأما المغيرة فكان مولى لبجيلة وكان سبائياً وصاحب نيرنجات^(٢) . قال الأعمش : قلت للمغيرة : هل كان عليُّ يُحبي الموتى؟ فقال : لو شاء لأحباً عاداً وثمود وقروناً بين ذلك [كثيراً]^(٣) .

بلغني عن أبي عاصم عن إسماعيل بن مسلم المكي قال : كنت بالكوفة فإذا قوم من جيرانى يكثرُونَ الدخول على رجل ، فقلت من هذا الذى تدخلون عليه؟ فقالوا : هذا علي بن أبي طالب ، فقلت : أَدْخُلُونى معكم فمضيت معهم وخبأت معى سوطاً تحت ثيابى فدخلت فإذا شيخٌ أصْلَعُ بَطِينٌ ، فقلت له : أنت علي بن أبي طالب؟ فأَوَّأَ برأسه : أى نعم ، فأخرجتُ السوطَ فما زلتُ أَقْنَعُهُ وهو يقول : لتأوى لتأوى ، فقلتُ لهم : يا فُسَّقَةَ! علي بن أبي طالب نَبِطِيٌّ! ثم قلتُ له : وَيْلَكَ! ما قَصَّكَ؟

(١) فى الأصل « سبائيا » [بما بين موحدتين بينهما ألف] وفى مفاتيح العلوم للخوارزمى (ص ٣١) طبع «سبائيا» وكذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧) وشرح القاموس مادة «سبأ» وهم أتباع عبد الله بن سبأ (صاحب السبائية) الذى غلا فى عليّ رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة ، وذهب بعضهم فى عليّ مذهب النصارى فى المسيح ، وفيهم يقول السيد الخميني :

١٥ قوم غلّوا فى عليّ لا إله إلا الله * وأجشعوا أنفسهم فى حبه تعباً
قالوا هو الإبرجل الله خالقنا * من أن يكون له ابن أو يكون أبا
رفع خبرهم الى عليّ رضى الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم فى حفرتين حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :
لترم فى الحوادث حيث شئت * إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن علياً رضى الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شتاة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فبنى ابن سبأ الى سباط المدائن (راجع الفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والمثل والنحل ص ٣٢ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧) . (٢) النيرنجات : أُنْبُجَات - ليست بحقيقتها إنما هى تشبيه وتليس (معربة) .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٧)

(٤) يقال : قنع رأسه بالسوط : علاه به .

(٥) النبطي نسبة الى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق .

قال : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ أَخَذَنِي هَؤُلَاءِ فَقَالُوا : أنت عليّ ابن أبي طالب .

حدثني رجل من أصحاب الكلام قال : دخل هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ عَلَى بَعْضِ [الوَلَاةِ] (٣) الْعَبَّاسِيِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ لِلْعَبَّاسِيِّ : أَنَا أَقَرُّ هِشَامًا بِأَنْ عَلِيًّا كَانَ ظَالِمًا ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَلَكَ كَذَا ؛ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا نَازِعَ الْعَبَّاسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَأَيُّمَا كَانَ الظَّالِمَ لِمُصَاحِبِهِ ؟ فَتَوَقَّفَ هِشَامٌ وَقَالَ : إِنْ قُلْتُ الْعَبَّاسَ خِفْتُ الْعَبَّاسِيَّ (٤) ، وَإِنْ قُلْتُ عَلِيًّا نَاقَضْتُ قَوْلِي ، ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا ظَالِمٌ ، قَالَ : فَيَخْتَصِمُ أَثْنَانِ فِي أَمْرٍ وَهُمَا مُحِقَّانِ جَمِيعًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، آخِثَصِمُ الْمَلِكُ إِلَى دَاوُدَ وَلَيْسَ فِيهِمَا ظَالِمٌ إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يُنَبِّهَاهُ عَلَى ظُلْمِهِ ، كَذَلِكَ آخِثَصِمُ هَذَانِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيُعْرِفَاهُ ظُلْمَهُ [فَاسْكَتِ الرَّجُلُ وَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ لَهُشَامَ بِصِلَةٍ] (٥) .

قال حسان بن ثابت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما :
ثَلَاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمْ * نَضَرَهُمْ رَبِّهِمْ إِذَا نُشِرُوا (٦)
عَاشُوا بِلاَ فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ * وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذْ قُورُوا
فَلَيْسَ مِنْ مُسْلِمٍ لَهُ بَصَرٌ * يُنْكِرُ مِنْ فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا (٧)

(١) السَّوَادُ : قرى العراق . (٢) ورد هذا الخبر في العقد الفريد باختلاف في بعض الكلمات لا يخرجها عن المعنى المراد هنا (راجع ج ١ ص ٢٧٠) . (٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٤) في العقد الفريد « الخليفة » . (٥) الملكان هما اللذان بهما الله تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانين ؛ وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في سورة « ص » في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً . الْآيَةَ) وشرحها المفسرون . (٦) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٠) . (٧) نَضَرَهُمْ رَبِّهِمْ : نعمهم وحسنهم . (٨) هذه الأبيات لم ترد في ديوانه المطبوع بمدينة لندن سنة ١٩١٠ م ولا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦ أدب ش ولا في ترجمته بالأعاني (ج ٤ ص ٢ — ١٧ طبع بولاق) ولا في كتب الأدب التي تحت أيدينا .

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر :

إليك ابن خير الناس إلّا محمداً * وإلا أبا بكرٍ نروح ونفتدي

وقال أبو طالب في سهيل بن بيضاء ، وكان أسيراً فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ، لأنه كان مسلماً مكرهاً على الخروج :

وهم رجعوا سهل بن بيضاء راضياً * وسرّ أبو بكرٍ بها ومحمد

وقال عبيد الله بن عمر :

أنا عبيد الله يميني عمر * خير قرين من مضى ومن غبر
بعد رسول الله والشيخ الأغر * مهلاً عبيد الله في ذلك نظر

وقال حسان بن ثابت يرثي أبا بكرٍ رضي الله عنه :

إذا تذكّرت شجواً من أحيى ثقة * فاذكّر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً
خير البرية أتقاه وأعدّها * بعد النبي وأوفاه بما حملاً
والثاني الصادق المهود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسل
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلاً^(٢)

حدثني ميثاق الرازي قال : قال جرير بن علقمة : حصرت شيطانا مرة فقال :

أرفق بي فإني من الشيعة ، فقلت : فمن تعرف من الشيعة ؟ قال : الأعمش ،

نخلت سبيله . قال أبو هريرة العجلي لمحمد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

أبا جعفر أنت الولي أحبه * وأرضى بما ترضى به وأتابع
أنتنا رجال يحملون عليكم * أحاديث قد ضاقت بهن الأضالع
أحاديث أفشاها المغيرة فيهم * وشر الأمور المحدثات البدائع

(١) ورد في الأصل «الثنائي الثاني ... الخ» وما أثبتناه عن ديوانه المطبوع وكذا المخطوط .

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع ولا المخطوط وورد فيهما بدله هذا البيت :

عاش حمداً لأمر الله منها * بهدى صاحبه الماضي وما أنتقلا

حدثني هارون بن موسى عن الحسن بن موسى الأشيب عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنْقِيلِ . قال :

مَاضِرٌ مَنْ أَصْبَحَ الْمَأْمُونُ سَائِسَهُ * إِنْ لَمْ يَتُسَّهْ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

الرد على الملحدين

قال بعض الملحدين لبعض أصحاب الكلام : هل من دليل على حدوث العالم؟
[قال : الحركة والسكون] فقال : الحركة والسكون من العالم ، فكأنك إذا قلت :
الدليل على حدوث العالم العالم ؛ فقال له : وسؤالك إياي من العالم ، فإذا جئت
بمسئلة من غير العالم جئتك بدليل من غير العالم .

قال المأمون لثنوي يناظر عنده : أسألك عن حرفين قط ، خبرني : هل نديم
مسيء قط على إساءته ؟ قال : بلى ؛ قال : فالندم على الإساءة إساءة أو إحسان ؟
قال : بل إحسان ؛ قال : فالذي ندم هو الذي أساء أو غيره ؟ قال : بل هو الذي
أساء ؛ قال : فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر ، وقد بطل قولكم ، إن الذي ينظر
نظر الوعيد هو الذي ينظر نظر الرحمة ؛ قال : فإني أزعج أن الذي أساء غير الذي
ندم ؛ قال : فنديم على شيء كان من غيره أو على شيء كان منه ؟ فأستكتمه .

(١) في الأصل «حدث» . (٢) زيادة يقتضها السياق .

(٣) الثنوي واحد الثنوية وهم أصحاب الاثنين الأزليين . يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان
بمخلاف المحسوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه ؛ وهذا لا قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما
في الباهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأدب . من والأبدان والأرواح (راجع الملل والنحل ص ١٨٨) .

(٤) كذا في الأصل . وفي الحيوان للمأخذ (ج ٤ ص ١٤١) « فقط » وعبارة العقيد الفريد
(ج ١ ص ٢٥٥) « عن حرفين لا أزيد عليهما » .

(١) الموبد : فقيه الفرس وحاكم الجوس كقاضى القضاة لسلمين . (٢) فى الأصل :
« هشام بن عبد الحكم » بزيادة « عبد » وهو خطأ . وهشام بن الحكم صاحب « المشامة »
كان من مشايخ الرافضة . زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل
عرضه مثل عمقه ، ولم يثبت طولاً غير الطويل ولا عرضاً غير العريض ، وقال : ليس ذهابه فى جهة الطول
أزيد على ذهابه فى جهة العرض . وزعم أيضاً أنه نور ساطع بلا لؤلؤ كالسبكة الصافية من النقطة وكالؤلؤة
المستديرة من جميع جوانبها . وزعم أيضاً أنه ذو لون وطعم ورائحة ومحنة ، وأن لونه هو طعمه ، وطعمه هو
رائحته ، ورائحته هى محنته . ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحريك فحدث مكانه
بحركته فصار فيه ، ومكانه هو العرش . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٨ — ٥١ والملل والنحل
ص ١٤١ — ١٤٢) وكتاب الانتصار فى الرد على ابن الروندى لمجايد المعتزلى ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧

وجاءه رجلٌ مُلحدٌ فقال له : أنا أقول بالاثنتين وقد عرفتُ إنصافك فلستُ أخاف
مُشاغبتك ؛ فقال هشامٌ وهو مشغول بثوبٍ ينشره ولم يُقبل عليه : حَفِظَكَ اللهُ ، هل
يَقْدِرُ أحدهما أن يَخْلُقَ شيئاً لا يَسْتَعِينُ بصاحبه عليه ؟ قال : نعم ؛ قال هشامٌ ^(١) :
فما تَرجو من آئين ! واحدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَصَحُّ لك ! فقال : لم يُكَلِّني بهذا أحدٌ قبلك .

قال المأمون ^(٢) لمرتدٍّ إلى النصرانية : خَبَرْنَا عن الشيء الذي أوحَشَكَ من ديننا بعد
أنْسِكَ به وأَسْتَبَحَشَكَ مما كُنْتَ عليه ؛ فإن وجدتَ عندنا دَوَاءَ دَائِكَ تعالجتَ به ،
وإن أخطأ بك الشِّفاءُ ونَبَأَ عن دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قد أعذرتَ ولم تَرجِعْ على نفسك
بلائمةً ، وإن قتلناك قتلناك بِحُكْمِ الشريعة ، وتَرجِعْ أنت في نفسك إلى الاستبصار
والثقة وتَعلَّمْ أنك لم تُقَصِّرْ في آجتِهَادٍ ولم تُفَرِّطْ في الدخول من باب الحزم ؛ قال المرتدُّ :
أوحشني ما رأيتُ من كثرة الاختلافِ فيكم ؛ قال المأمون : لنا اختلافان : أحدهما
كالإختلاف في الأذان ، والتكبير في الجناز ، والتشهد ، وصلاة الأعياد ، وتكبير
التشريق ، ووجوه القراءات ، ووجوه الفُتيا ، وهذا ليس باختلافٍ ، إنما هو تَخْيِيرٌ
وسعةٌ وتخفيفٌ من المِحنة ^(٣) ، فمن أَدَنَ مَثْنًى وأقام مَثْنًى لم يُخْطِئْ من أَدَنَ مَثْنًى وأقام
فُرَادًى ، ولا يَتَعَايَرُونَ بذلك ولا يَتَعَايَبُونَ ، والاختلافُ الآخرُ كُنُحُو اختلافنا في تأويل
الآية من كتابنا ، وتأويل الحديث مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عَيْنِ
الخبَرِ ، فإن كان الذي أوحَشَكَ هذا حتى أنكرتَ هذا الكتاب ، فقد ينبغي أن يكونَ
اللفظُ بجميع التوراة والإنجيل مُتَّفَقًا على تأويله كما يكون مُتَّفَقًا على تنزيله ، ولا يكون

(١) ورد في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٥) أن هذه القصة وقعت مع المأمون لا مع هشام بن الحكم .

(٢) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢٥٥) « قال المأمون للمرتد الخراساني الذي أسلم على يديه وحمله

معه إلى العراق فارتد عن الإسلام : أخبرني... الخ » وقد ورد فيه هذا الخبر بزيادة عن الأصل مع

اختلاف في العبارة . (٣) كذا في الأصل . وفي العقد الفريد : « السنة » .

بين جميع اليهود والنصارى اختلافٌ في شيءٍ من التأويلات؛ وينبغي لك ألا ترجع
إلا إلى لغةٍ لا اختلافٍ في تأويل ألفاظها؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام
أنبيائه وورثته رُسُلِهِ لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئا من الدين والدنيا
دُفِعَ إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت
المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. قال المرتد:
أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبْدٌ، وأن محمدا صادق، وأنت أمير المؤمنين حقا.

الإعراب والمحسن

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: سمعتُ مؤلّي لآلِ عمر بن الخطاب يقول:
أخذَ عبدُ الملك بن مروان رجلا كان يرى رأى الخوارج رأى شيب، فقال له:
ألستَ القائل:

وَمِنَّا سُوَيْدٌ وَالبَطِينُ وَقَعْنَبٌ * وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ^(١)

فقال: إنما قلتُ: «ومنا أمير المؤمنين شيب» بالنصب، أي يا أمير المؤمنين
فأمر بتخيلة سبيله.

(١) هو شيب بن يزيد الخارجي صاحب الشيبية، كان من أصحاب صالح بن مسرج التميمي ثم تولى
الأمر بعدده على جنده وبايعه أتباعه إلى أن خالف صالحا في شيء واحد وهو أنه مع أتباعه أجازوا إمامة
المرأة منهم إذا قامت بأمرهم ونرجحت على محالقيهم. وزعموا أن غزالة أم شيب كانت الإمام بعد قتل
شيب إلى أن قتلت؛ وأستدلوا على ذلك بأن شيبا لما دخل الكوفة سنة ست وسبعين هجرية أقام أمته على
منبر الكوفة حتى خطبت.

كان من أهل القوة البالغة والبأس الشديد والمعة التامة بأمر الحروب؛ انتصر على جيوش الحجاج
الكثيفة وبارقواها بحسن تدبيره؛ وكان يصيح في جنات الجيش فلا يلوى أحد على أحد. وفيه
يقول الشاعر:

إن صاح يوماحسبت الصخر منعدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم =

حدثني عبد الله بن حيان قال : كتب ربيع^(١) بن سلمة المعروف بدماذ إلى أبي عثمان النحوي :

تَفَكَّرْتُ فِي النُّحُو حَتَّى مَلَّشْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنُ
وَأَتَعَبْتُ بِكُفْرًا وَأَصْحَابَهُ * بطول المسائل في كل فن
[فِنْ عَلَيْهِ ظَاهِرٌ يَبِينُ * وَمِنْ عَلَيْهِ غَامِضٌ قَدْ بَطُنَ]^(٣)
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا ، وَكُنْتُ بِغَائِبِهِ ذَا فِطْنِ
خَلَا أَنِّي بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا * ءُ لِلْفَاءِ يَالَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَاللَّوَاوِ بَابٌ إِلَى جَنْبِهِ * مَنْ الْمَقْتُ أَحْسَبُهُ قَدْ لُعِنَ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقْتَالُ لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِينِ
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا * عَلَى النِّصْبِ قَالُوا لِإِضْمَارِ أَنْ^(٥)

٥

١٠

== وسويد بن سليم ، والبطين بن قعنبة ، وقعنبة بن سويد ، كانوا من رؤساء جيش شبيب وقادة جنده وأهل الرأي فيهم . ينزلون إلى الميقات في شجاعة الأسد ، وبأس الحديد ، ومضاء السيف ، ومروق السهم ، وانقضاء النسر ، وآلهاب النار ، مع سعة العلم بتدبير الحروب والتميز على أعمالها ، وتمام الخبرة بحيلها ومكايدها . (راجع أخبار شبيب والخوارج في الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٣١٧ — ٣٥٠ طبع مدينة ليدن سنة ١٨٦٩ والمقدّم الفريد ج ١ ص ٤٤ والفرق بين الفرق ص ٨٩ — ٩٢ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٤ ص ٨٨١ — ٩٧٥ من القسم الثاني طبع مدينة ليدن سنة ١٨٨٥ ولمنص تاريخ الخوارج للرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم طبع مصر سنة ١٩٢٤ م) .

١٥

(١) في الأصل : « غسان بن ربيع » وما أثبتناه عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) طبع مطبعة دار الكتب المصرية . والكامل للبرد (ج ١ ص ٢١٤) طبع ليبسج سنة ١٨٦٤ م وكنيته « أبو غسان » كما في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) .

٢٠

(٢) في أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) : « يعني بيكر أبا عثمان المازني ، فبلغ ذلك المازني فقال : والله ، أحسب أنه سألني قط فكيف أتبعني » . (٣) الزيادة عن أمالي القالي (ج ٣ ص ١٨٦) .
(٤) رواية القالي في أماليه : إذا قلت هاتوا لما قيل ذا ، فليست تأتيك أو تأتيين
(٥) رواية القالي في أماليه : بما نصروه أينسوه لي ، فقالوا جميعا بإضمام أن

[وما إن رأيتُ لها موضعا * فأعريف ما قيل إلا يظنُّ
فقد خفتُ يا بكر من طول ما * أفكر في أمرٍ «أن» أن أجنُّ]

قال ابن سيرين : ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة ، ولا على امرأة
أحسن من شحم .

وقال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، ويصغر
في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية ، فإنها تُجريك على المنطق وتُدنيك
من السلطان . ويقال : النحو في العلم بمنزلة الملح في القدر والرائك في الطيب .
ويقال : الإعراب حلية الكلام ووشية . وقال بعض الشعراء :

النحو يتسط من لسان الأتكن * والمرء تُكرمه إذا لم يلحرن

وإذا طلبت من العلوم أجلتها * فأجلتها منها مُقيم الألسن

قال رجل لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ - يريد كيف أهلك - فقال
الأعرابي : صلبا ؛ ظن أنه سأل عن هلكته كيف تكون .

وقيل لأعرابي : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إني إذا لرجل سوء ؛ قيل له : أتجر
فلسطين ؟ قال : إني إذا لقوي . وقيل لآخر : أتهمز القارة ؟ فقال : الحيرة تهمزها .

وقيل : كان بشر المريسي يقول لأصحابه : قضى الله لكم الحوائج على أحسن
الوجوه وأهنؤها ؛ فقال قاسم التمار : هذا كما قال الشاعر :

(١) الزيادة من ماضي القالي .

(٢) الرامك : شيء أسود كالقار يخلص بالمش . (٣) هو إسحاق بن خلف الهرازي كما في الكامل

للبرد (ج ١ ص ٢٣٩) . (٤) الصلب : قنلة معروفة وهي أن يشد الرجل من يديه ورجليه على

جذع . (٥) «قالوا : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الحمير إلا الضفط والعصر» . كذا في كتاب

الصاحي لابن فارس ص ٨ صبعة القاهرة .

إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهُ يَكْفُؤُهَا * ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا^(١)

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ مُؤَدَّنًا يَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ بِنَصَبِ رَسُولٍ ، فَقَالَ :
وَيَحْكُ ! يَفْعَلُ مَاذَا ؟ .

قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْجُدَرِيِّ فِي الْوَجْهِ . وَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ التَّفْتِيقِ فِي الثَّوْبِ النَّفِيسِ . قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :
إِنِّي لِأَجِدُ لِلْحَنِ تَعْمَزًا كَتَمَزِ الْحَمِّ .

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : أَتَشَدَّنِي أَعْرَابِيٌّ :

وَلِإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ : وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَالِهَا الْعَشِيرِ^(٢)

فَجَعَلْتُ أُعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ : عَشْرُ أَبْطُنٍ حِينَ أَنْتَ لِأَنَّهُ عَنَى الْقَبِيلَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عَجَبِي
مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : أَلَيْسَ هَكَذَا قَوْلُ الْآخَرِ :

فَكَانَ يَجْنِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى * ثَلَاثَ شُخُوصٍ كَاعِبَانَ وَمَعْصِرٍ^(٣)

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٦) وَفِي الْمَحَاسِنِ وَالْأَسْدَادِ ص ٩ طَبْعُ مَدِينَةِ لَيْدِنَ
سَنَةِ ١٨٩٨ م وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ١١٠ طَبْعُ مَعْرِسَةِ ١٣٣٢ هـ) . وَرَوَايَةُ الْأَصْلِ :
ظَلْتُ . وَجَاءَ فِي الْعَقْدِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ : "وَبَشَّرَ الْمَرِيضَى رَأْسَ فِي الرَّأْيِ ، وَقَاسَمَ التَّارَ مُتَقَدِّمًا فِي أَصْحَابِ
الْكَلَامِ وَاحْتِجَاجَهُ لِبَشَرٍ أُعْجِبَ مِنْ لَحْنِ بَشَرٍ" . وَعِبَارَةُ الْمَحَاسِنِ وَالْأَسْدَادِ وَالْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ : «فَكَانَ احْتِجَاجُ
الْقَاسِمِ أَطْيَبَ مِنْ لَحْنِ بَشَرٍ» ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ كَانَ مُضْحَكًا لَخُلُوعِ الْبَيْتِ مِنَ الشَّاهِدِ الْمُرَادِ . (٢) كَذَا بِالْعَقْدِ
الْفَرِيدِ ، وَالَّذِي بِالْأَصْلِ : «النَّقْشُ» . (٣) قَائِلُ الْبَيْتِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِلَابٍ يُسَمَّى «النَّوَّاحُ» كَمَا
فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ (ج ٤ ص ٤٨٤) . (٤) قَائِلُ الْبَيْتِ هُوَ عَمْرِو بْنُ أَبِي رِبْعَةَ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ مِنْهَا :
فَلَمَّا قَدَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأَطْفَنْتُ * مَصَابِيحَ شَبَّتْ بِالْعِشَاءِ وَأَنُورُ

(٥) رَاجِعِ الْكَامِلَ لِلْبُرْدِ ص ٣٨١ — ٣٨٥ .

(٥) الْحُجْنُ : التَّرْسُ . وَالْمُرَادُ فِي هَذَا الْبَيْتِ قَوْلُهُ «ثَلَاثَ شُخُوصٍ» حَيْثُ أَنْتَ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِالشَّخْصِ
الْفَخْرَ وَكَاعِبَانَ مَثْنً كَاعِبٍ وَهِيَ الَّتِي يَدُونُ ثَدْيَهَا لِلنُّوْدِ ، وَكَاعِبَانَ مَرْفُوعٍ عَلَى أَنَّهُ خَبَرٌ لِمَبْنَدٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ هُنَّ
كَاعِبَانَ وَمَعْصِرٌ ، وَالْمَعْصِرُ هِيَ الَّتِي دَخَلَتْ عَصْرُ شَبَابِهَا وَبَلَغَتْ . (رَاجِعِ شَرْحَ الْعَيْنِ بِهَا مَشْ خَزَانَةِ الْأَدَبِ
لِلْبَغْدَادِيِّ ج ٤ ص ٤٨٣) .

قال رجل من الصالحين : لئن أُعْرِبْنَا في كلامنا حتى ما نَلْحَنَ لقد لَمْنَا في أعمالنا حتى ما نُعْرِبُ ^(١) .

دخل أعرابيُّ السوقَ فسمعهم يَلْحَنُونَ ، فقال : سبحانَ الله ! يَلْحَنُونَ وَيَرْيَحُونَ ونحن لا نَلْحَنَ ولا نَرْيَحُ ! .

دخل رجل على زيادٍ فقال له : إنَّ أَيْلَنَا هَلَكٌ ، وإنَّ أَخِينَا غَضَبْنَا على ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضيَّعتَ من نفسك أكثرُ مما ضاع من مالك ^(٢) .

قال الرياشي عن محمد بن سلام عن يونس قال قال بلالٌ لشبيب بن شيبَةَ وهو يستعدي على عبدِ الأعلى بن عبد الله بن عامرٍ قال : أَحْضَرْنِيهِ ، قال : قد دعوته لكُلِّ ذلك يأبى ، برفع كلِّ ، قال بلال : فالذنبُ لكلِّ . قال بعض الشعراء :

١٠ إِمَّا تَرَيْنِي وَأَنْوَابِي مُقَارِبَةً ^(٣) * لَيْسْتُ بِخَزُولٍ مِنْ نَسِجٍ كَتَّانٍ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَاتِي وَفِي لُغَتِي « عُلُوبِيَّةٌ وَلِسَانِي غَيْرُ حَنَّانٍ

وقال فيل مولى زيادٍ لزيادٍ ^(٤) : أَهْدُوا لَنَا هِمَارَ وَهْشٍ ^(٥) ، فقال : ماتقول ؟ وَيَلْكُ !
فقال : أَهْدُوا لَنَا أَيْرَابًا ^(٦) فقال زياد : الأَوَّلُ خَيْرٌ .

(١) رواية البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٤) : «وقال بعض النساك : أعربنا في كلامنا ، فأنلحن حرقا ولحنا في أعمالنا فما نعرب حرقا» . (٢) عبارة البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٥ طبع القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ) «الذي أضعت من لسانك أضعت عليك ، ما أضعت من مالك» . (٣) مقاربة بكسر الراء ، أى ليست بنفسية . (٤) هو زياد بن أبي سفيان ، كما في القاموس . (٥) فى الأصل «أهدوا لنا همار جهش» وما أبتناه من البيان والتبيين (ج ٢ ص ١١٠) ونهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ٣٩٢ طبع دار الكتب المصرية) يريد «أهدوا لنا حمار وحش» وفى نهاية الأرب «أهدوا» بابدال الهاء حاء ، وهذا الإبدال يعرف بالكسنة وهى بحمة فى اللسان وعى . (٦) يريد عيرا وهو الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا وقد غلب على الوحش .

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَمَّا مَلَكْتَ بِقَدَرٍ .
وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ ﴿ وَلَا تُشْكِرُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾ [بفتح تاء تشكروا]
فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَبِيحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ ! فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَحَنَ ،
وَالْقِرَاءَةُ ﴿ وَلَا تُشْكِرُوا ﴾ فَقَالَ : قَبِّحَهُ اللَّهُ ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ
اللَّهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي جَارِيَةٍ لَهُ :

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ * تَذَكِيرُهَا الْأُنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكَرِ
* وَالسُّوءَةُ السُّوءَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ *

قَالَ الْحِجَّاجُ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَجَمِ نَحَّاسٍ : أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيْبَةَ مِنْ [جند] السُّلْطَانِ ؟
فَقَالَ : « شَرِيكَاتِنَا فِي هَوَازِهَا وَشَرِيكَاتِنَا فِي مَدَائِنِهَا وَكَمَا تَجِيءُ تَكُونُ » فَقَالَ الْحِجَّاجُ :
مَا تَقُولُ ؟ فَفَسَّرُوا لَهُ ذَلِكَ ؛ فَضَحِكَ وَكَانَ لَا يَضْحَكُ .

أَمَّ الْحِجَّاجُ قَوْمًا فَقَرَأَ ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ
بَنَصْبٍ أَتٍ ، ثُمَّ تَنَبَّهَ عَلَى الْإِلَامِ فِي نَحْيِيرِ وَأَنَّ « إِمَّ » قَبْلُهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةً فَحَذَفَ
الْإِلَامَ مِنْ نَحْيِيرِ ، فَقَرَأَ ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ ﴾ .

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : قُلْتُ لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ : لِمَ قَالُوا فِي تَصْنِيفِ وَاصِلٍ أَوْ يُصِلُ وَلَمْ
يَقُولُوا وَوَصِلَ ؟ فَقَالَ : كَرِهُوا أَنْ يُشَبَّهَ كَلَامُهُمْ بِذِي الْكَلَابِ .

- (١) رواية البيان والتبيين ونهاية الأرب « أكثر » . (٢) السوءة السوءاء : الخلقة القبيحة .
(٣) لأنها كانت إذا أرادت أن تقول : « القمر » قالت : « الكمر » والكمر جمع كمره وهي حشفة الذكر ؛
وهذا الإبدال يعرف بالثقة وهي أن تعدل الحرف إلى حرف غيره . (٤) هو أبو الجهم الخراساني
النحاس كما في البيان والتبيين والنحاس : بياض الدواب والريق . (٥) الزيادة عن البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠) . (٦) كذا في البيان والتبيين (ج ١ ص ٩٠) ؛ وفي الأصل : « شريكاتنا في هواز
ومدائنها وكما تجيء يكون » وقد أثبتنا عبارة البيان والتبيين لوضوحها . (٧) جاء في البيان والتبيين
(ج ١ ص ٩٠) « فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك .
يقول شركاؤنا بالأهواز والمدائن يبعثون إلينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها » .

التشادق والغريب

- حدثني سهل عن الأصمعي قال : كان عيسى بن عمر لا يدع الإعراب لشيء .
 وخاصم إلى بلال بن أبي بردة في جارية اشتراها مَصَابَةً ، فقال : لَأَن يذهب بعضُ
 حقِّ هذا أحبَّ إليه من أن يلحنَ ؛ فقال له : ومن يعلم ما تقول ؟ فقال : ابن
 طرنوبة .^(١) وضربه عمر بن هبيرة ضربا كثيرا في ودعة أودعها إياه إنسان فطلبها ،
 فما كان يزيد على أن يقول : والله إن كانت إلا أثيابا في أسيفاط قبضها عشاروك .^(٢)
 تبع أبو خالد الثميري صاحب الغريب جارية متتقة فكلمها فلم تكلمه ، فقال :
 يا خريدة ، لقد كنتِ عندى عروبا أتمقك وتشتينينا !^(٣)
 وقال سهل بن هارون لجارية له رومية أعجمية : إن أقل ما ينطوي عليه ضميري
 من ريسيس حبك لأجل من كل جليل ، وأكثر من كل كثير .^(٤)
 وقال مالك بن أسماء في جارية له :
 أمغطى مني على بصرى للثحب أم أنت أكل الناس حسنا ؟^(٥)

- (١) كذا في الأصل ولم نوفق إلى معرفة هذا الأسم في الكتب التي بين أيدينا . (٢) أثياب :
 جمع ثوب مع تصغير لفظ الجمع . (٣) الأسيفاط : جمع سَفَط بالتحريك وهو الذي يعي فيه الطيب
 وما أشبهه من أدوات النساء . (٤) عشاروك : جمع عشار وهو آخذ العشر وجا به وملتزمه .
 (٥) الخريدة : الحية . (٦) العروب : الحسنة التبعيل . وقيل المرأة المتحبة إلى زوجها .
 (٧) تمقك : تحبك . وتشتينينا : تبغضينا . وفي الأصل «ولشتينينا» وهو تحريف . والتصويب عن
 الكامل للبزد (ص ١٨ طبعة ليبسج) وقد وردت هذه العبارة فيه هكذا : «لقد كنت أحسبك عروبا ، فما
 بالناتمقك وتشتينينا ! فقالت : يا ابن الحديثة أتجمشني !» أي أتغازلني وتلاعبنى . (٨) ريسيس الحب :
 بقيته وأثره . (٩) كذا في خطبة هذا الكتاب في المجلد الأول من هذه الطبعة ، والبيان والبيان
 (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) . وفي الأصل ها :

أينطى مني على بصرى بالثحب أم أنت أكرم الناس حسنا

وَحَدِيثُ اللَّهِ هَسَوِيًّا . يَشْتَبِي النَّاعْتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا^(١)
مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا * نَا وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

قال ابن دُرَيْدٍ : استثقل منها الإعراب .

دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال له : أَمَتَّ اللهُ بِكَ ، إِنِّي أَكَلْتُ مِنْ لَحُومِ
هَذِهِ الْجَوَازِلِ فَطَسِئْتُ طَسَاءً^(٢) ، فَأَصَابَنِي وَجَعٌ مَا يَبِينُ الْوَابِلَةَ إِلَى دَائِيَةِ الْعُنُقِ^(٣) فَلَمْ يَزَلْ
يَرْبُو وَيَتِمِّي حَتَّى خَالَطَ الْخَلْبَ^(٤) وَالشَّرَاسِيْفَ^(٥) ، فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ ؟ فَقَالَ أَعْيَنُ : نَعَمْ ،
خُذْ خَرْبِقًا وَشَلْفَقًا^(٦) وَشَبْرَقًا^(٧) فَزَهْرِقْهُ^(٨) وَزَقْرِقْهُ^(٩) وَأَغْسِلْهُ بِمَاءِ رَوْثٍ وَأَشْرِبْهُ ، فَقَالَ
أَبُو عَلْقَمَةَ : لَمْ أَفْهَمْ عَنْكَ ، فَقَالَ أَعْيَنُ : أَفْهَمْتُكَ كَمَا أَفْهَمْتَنِي . وَقَالَ لَهُ يَوْمًا آخَرَ :
إِنِّي أَجِدُ مَعَمَّةً فِي بَطْنِي وَقَرْقَرَةً^(١٠) ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا الْمَعَمَّةُ فَلَا أَعْرِفُهَا ، وَأَمَا الْقَرْقَرَةُ
فَهِيَ ضَرَّاطٌ لَمْ يَنْضَجْ .

- (١) كَذَا بِالْأَصْلِ هُنَا فِي الْمَقْدَمَةِ ، وَفِي أَمَالِي الْقَالِي : « تَشْتَبِي النَّاعْتُونَ » وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ١ ص ٨٢ و ١٢٧) : « يَمَتُّ النَّاعْتُونَ » . (٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ (ج ١ ص ٢٩٩) .
وَفِي الْمَحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْمُحَافِظِ (ص ١٤ طَبْعَةُ لَيْدِن) وَالْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي لِلْبَيْهَقِيِّ (ج ٣ ص ٤٧٠ طَبْعَةُ
لَيْبَسِيغ) : « الْجَوَازِيُّ » . وَالْجَوَازِلُ : فَرَاخُ الْحَمَامِ ، وَقِيلَ يَمُوجُ الْجَوَازِلُ نَوْعُ الْفَرَاخِ . (٣) طَسِئٌ : اتَّخَمَ
مِنَ الطَّعَامِ . (٤) الْوَابِلَةُ : طَرَفُ الْعَضْدِ فِي الْكَتِفِ . (٥) الدَّائِيَةُ : قَرْقَرَةُ الْعُنُقِ . (٦) الْخَلْبُ :
حِجَابٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَسَوَادِ الْبَطْنِ . (٧) الشَّرَاسِيْفُ : جَمْعُ شُرُوفٍ وَهُوَ رَأْسُ الضِّلَعِ مِمَّا يَلِي الْبَطْنَ .
(٨) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) وَفِي الْأَصْلِ : « خَرْقًا » بِالتَّوْنِ وَالْخَرْقُ بِكَتْفِهِ : ضَرْبٌ
مِنَ الْأَدْرِیَةِ وَنَبْتُ كَالسَّمِ يَعْنِي عَلَى أَكْلِهِ وَلَا يَقْتُلُهُ ؛ وَقِيلَ : نَبَاتٌ كَلْسَانُ الْحُلِّ أَبْيَضٌ وَأَسْوَدٌ يَنْفَعُ
الصَّرْعَ وَالْجَنُونَ وَالْهَيْقَ وَالْقَالِجَ . (٩) هَكَذَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ « شَلْفَقًا » بِالشَّيْنِ وَالْقَاءِ وَالْقَافِ بَعْدَ
الْلامِ وَلَمْ تَقَفْ لَهَا عَلَى مَعْنَى . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) وَالْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي لِلْبَيْهَقِيِّ « سَلْفَقًا »
وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ : « سَلْفَقًا » . (١٠) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ . وَالشَّبْرَقُ كُزْبَرَجٌ :
نَبْتُ مِنْ جِنْسِ الشُّوكِ إِذَا كَانَ رَطْبًا فَهُوَ شَبْرَقٌ فَإِذَا يَبَسَ فَهُوَ الضَّرِيعُ . فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ١٤٢) :
« جَرْقًا » وَفِي الْمَحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْمُحَافِظِ « سَرْبَقًا » .

أتى رجل الهيم بن العريان بن غريم له قد مظهره حقه فقال : أصلح الله الأمير، إن لي على هذا حنفا قد غلبني عليه ؛ فقال له الآخر : أصلحك الله ، إن هذا باعني عنجدا^(١) وأستنساه حولا وشرطت عليه أن أعطيه مشاهرة فهو لا يلقاني في لقيم^(٢) إلا آقتضاني ؛ فقال له الهيم : أمن بنى أمية أنت ؟ قال : لا ؛ قال : فمن بنى هاشم ؟ قال : لا ؛ قال : فمن أكفائهم من العرب ؟ قال : لا ؛ قال : ويلى عليك ! انزع ثيابه يا جلواز^(٣) ، فلما أرادوا نزع ثيابه قال : أصلحك الله ، إن إزارى مرعبل^(٤) ؛ قال : دعوه ، فلو ترك الغريب في وقت لتركه في هذا الوقت .

ومر أبو علقمة ببعض الطريق بالبصرة فهاجت به مرة فسقط ووثب عليه قوم^(٥) فأقبلوا يعصرون إبهامه ويؤذنون في أذنه ، فأفلت من أيديهم وقال : ما لكم تتكاثرون^(٦) علي كما تتكاثرون على ذى جنة ! افرقعو عني ؛ فقال رجل منهم : دعوه فإن شيطانه هندی ، أما تسمعون به يتكلم بالهندية . وقال لحجامة يحجمه : أنظر ما أمرك به فاصنعه ، ولا تكن كمن أمر بأمر فضيعة ، أتني غسل المحاجم وأشدد قصب الملازم^(٧)

(١) العنجد بكسر العين وفذ وجندب : الزبيب .

(٢) استنساه : سآه أن ينسئديه ، أى يؤخره . (٣) فى المحاسن والأضداد لملاحظ (ص ١٥)

والمحاسن والمسارى للبيهى (ج ٣ ص ٤٧٠) : « مباومة » .

١٥

(٤) اللقم محركة وكسر د : الطريق أو وسطه .

(٥) الجلواز : الشرطى .

(٦) مرعبل : ممزق .

(٧) كذا فى المحاسن والمسارى للبيهى والمحاسن والأضداد لملاحظ . وفى الأصل : « الطريق » .

٢٠

(٨) فى المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمسارى « يعصون » .

(٩) تتكاثرون : تجتمعون . افرقعو : تفرقوا .

(١٠) الملازم جمع ، لزم بكسر الميم : خشبتان مشدود أو ساطهما بجديدة تجعل فى طرفها ذآحة

(مفتاح معوج طويل) فتلزم ما فيها لزوما شديدا ، تكون مع الصياقلة والآبارين ومجلدى الكتب وغيرهم .

وَأَرِيفُ ظُبَاتِ الْمَشَارِطِ وَأَسْرِعُ الْوَضْعِ وَعَجَلُ التَّرْعِ، وَلِيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَرًا، وَمُصْكُ نَهْزًا، وَلَا تُكْرِهَنَّ آبِيَا، وَلَا تُزِدَنَّ آتِيَا؛ فَوْضِعُ الْجَتَامُ مُحَابِمُهُ فِي جُؤْنَتِهِ وَمَضَى ^(٤).

سَمِعَ أَعْرَابِيَّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَلَقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ الْأَسْتِسْقَاءِ :
اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَمَوْلَانَا صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا يَا اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ بِنَا سُوءًا فَأَحِطْ ذَلِكَ
السُّوءَ بِهِ كَإِحَاطَةِ الْقَلَانِدِ عَلَى تَرَائِبِ الْوَلَانِدِ، ثُمَّ أَرِيخْنِهِ عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوحِ السَّجِيلِ،
عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفِيلِ يَا اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيئًا مُجْلَجِلًا مُسَحْنَفَرًا هَزِجًا سَحَا
سُقُوحًا طَبَقًا غَدَقًا مُثَعِّجَرًا، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا خَلِيفَةُ نُوحٍ [هَذَا] الطُّوفَانُ وَرَبُّ
الْكَعْبَةِ، دَعْنِي آوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

أَبُو الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ غَلَامٌ يَقَعُّ فِي كَلَامِهِ، فَأَتَى أَبَا الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيَّ يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ؛
فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ : مَا فَعَلَ أَبُوكَ ؟ قَالَ : أَخَذَتَهُ الْحُمَّى فَطَبَخْتُهُ طَبْخًا وَفَضَخْتُهُ ^(١٦).

- (١) أَرِيفٌ : حَذَدٌ (٢) ظُبَاتُ جَمْعُ ظَبَّةٍ ذَنْبَةٌ . وَهِيَ حَذُّ السَّيْفِ أَوِ السَّانِدِ وَنَحْوُهُ .
(٣) فِي الْحَاسَنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْجَاحِطِ (ص ١٥) وَالْحَاسِ وَالْمَسَاوِي لِلْيَقِي (ح ٣ ص ٤٧١) :
« وَخَفَفَ » . (٤) الْجَوْنَةُ بَضْمُ الْجَلِيمِ : سَلِيلَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ الْعَطَارِينَ . (٥) فِي الْعَقْدِ
الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « بِأَعْنَاقِ » . (٦) السَّجِيلُ : حِجَارَةٌ كَالْمَدْرَةِ وَقِيلَ هُوَ حَجَرٌ مِنْ طِينٍ .
دَخَلَ مَعْرَبٌ مِنْ « سَنَكٍ وَكُلِّ » أَيْ حِجَارَةٍ وَطِينٍ . (٧) الْمُجْلَجِلُ مِنَ السَّحَابِ : الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرِّعْدِ .
(٨) قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الْمُسَحْنَفَرُ : الْكَثِيرُ الصَّبِّ الْوَاسِعُ . (٩) الْهَزِجُ مِنَ الْهَزَجِ وَهُوَ صَوْتُ
الرِّعْدِ . (١٠) طَبَقٌ : نَاطِمٌ وَاسِعٌ . (١١) الْغَدَقُ : الْمَطَرُ الْكَثِيرُ . (١٢) الْمُنْعَسِرُ :
السَّبِيلُ الْكَثِيرُ . وَفِي الْأَصْلِ « مُثَعِّجَرًا » . (١٣) الزِّيَادَةُ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) .
(١٤) يَقَعُّ فِي كَلَامِهِ : يَنْشَدُّ وَيُنْكَتَمُ بِأَقْصَى حَلَقِهِ . (١٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْبَيَانُ وَالْتَبْيِيرُ
(ج ١ ص ٢٠١) . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢٩٩) : « وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ لِأَبِي تَلْقَةَ :
مَا حَالُ أَبْنِكَ ... الْخِ » . (١٦) فَضَخْتُهُ : دَفَعْتُهُ .

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا * إِذَا لَنَفَذْتُ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
فَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ * تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

(٢) قال رؤبة بن العجاج : خرجت مع أبي ، نريد سليمان بن عبد الملك ، فلما صرنا
في الطريق أُمِدِدِي لَنَا جَنْبٌ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ كَرَأْفُ الشَّحْمِ وَخَرِيطَةٌ مِنْ نَكَاةٍ (٣) وَوُطْبُ (٤)
مِنْ لَبَنٍ فَطَبَخْنَا هَذَا بِهَذَا ، فَمَا زَالَ ذِفْرِيَّ (٦) تَنْتَحَنُ مِنْهُ (٧) إِلَى أَنْ رَجَعْتُ . (الكَرَأْفُ :
الطبقات ، وكذلك كَرَأْفُ السحاب) .

وصايا المعلمين

(٨) قال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده : لِيَكُنْ إِصْلَاحُكَ بَنِي
إِصْلَاحُكَ نَفْسِكَ ، فَإِنْ عُيُوبُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْنِكَ ، فَالْحَسَنُ عَنْدهُمْ مَا اسْتَحْسَنْتَ ،
وَالْقَبِيحُ مَا اسْتَقْبَحْتَ ، وَعَالَمُهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ ، وَأَخْلَاقُ الْأَدْبَاءِ ، وَتَهْدِذُهُمْ بِي وَأَدَبُهُمْ
دُونِي ، وَكَنْ لَهُمْ كَالطَّيِّبِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالْإِدْوَاءِ حَتَّى يَعْرِفَ الدَّاءَ ، وَلَا تَتَكَلَّنْ عَلَى عُذْرِ
مَنِّي ، فَإِنِّي قَدْ أَتَكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ .

قال المجتاج لمؤدب بنيه : عَلَّمَهُمُ السَّبَاحَةَ قَبْلَ الْكِتَابَةِ ، فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يَكْتُبُ
عَنْهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَسْبَحُ عَنْهُمْ .

- ١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٩) : « لرسمت » . (٢) كذا في الكامل للبيري (ص ١٤٠)
طبعة ليبسج سنة ١٨٦٤) وفي الأصل : « يزيد » . (٣) الخريطة : رعاء من آدم وغيره .
(٤) النكاة : نبات لا ساق له ولا عرق ، لونه إلى الغيرة ، يوجد في الربيع تحت الأرض ، وهو عديم اللحم
يؤكل نيئه ومطبوخه . (٥) الوطب : سقاء اللبن . (٦) ذفر ياء تثنية ذفرى ، وهو العظم الشاخص
خلف الأذن . (٧) كذا في الكامل للبيري (ص ١٤٠) : « وتنتحان » : ترتفع بالعرق .
٢٠ وفي الأصل « يشجان » . (٨) وردت هذه العبارة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٥) طبعة القاهرة
سنة ١٣٣٢ هـ وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) بزيادة عما هنا واختلاف يسير في بعض التراكيب لا يخرجها
عن المعنى المراد ؛ إلا أنها تنسب في العقد الفريد لعمر بن عتبة .

وقال عبد الملك لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ؛ وجنبهم السفلة^(١) فإنهم أسوأ الناس رعة^(٢) وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة ؛ وأخف شعورهم تغلظ رقابهم ، وأطعمهم اللحم يققوا ؛ علمهم الشعر يحدوا ويتجدوا ، ومُرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا ولا يعبوه عبا ؛ وإذا احتجت إلى أن نتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهنونوا عليه .

وقال آخر لمؤدب ولده : لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن أصطكالك العلم في السمع وأزدحامه في الؤهم مضلة للفهم .

وكان لشريح ابن ياعب بالكلاب ، فكتب شريح إلى معلمه :

ترك الصلاة لأكل^(٣) يسمي بها * طلب الهراش مع الفؤاة الرجس^(٤)
فإذا خلوت فعضه بسلامة * وعظنه وعظك للأريب الكيس^(٥)
وإذا هممت بضربه فبدرة * وإذا بلغت بها ثلاثا فأحيس
وأعلم بأنك ما فعلت فنفسه * مع ما يجرعني أعز الأنفس

وقال آخر لرجل ياعب بالكلاب :

أيها المبتلى بحب الكلاب * لا يحب الكلاب إلا العازب
لو تعريت وسطها كنت منها * إنما فقتها بلبس الثياب^(٦)

(١) يقال : فلان سي الرعة إذا كان قليل الورع .

(٢) أحفى الرجل رأسه أو شاربه : بالغ في قصه .

(٣) في المحاسن والمسارئ للبيهقي (ج ٣ ص ٦٢١) : « الزواح » .

(٤) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « يبغي » .

(٥) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٧٧) « أتاك » .

(٦) كذا في الأصل ، وفيه الإقراء ، وهو اختلاف حركة الروي في الإعراب . ولو ورد هكذا :

لا يحب الكلاب غير الكلاب ، لخلا من هذا العيب .

وقال آخر :

لَبَّيْكَ يَا أَحْمَدَ قِرْدَةً * وَكَلْبُ هَرَّاشٍ وَدَيْكَ صَدُوحُ
وَطَيْرٌ زَجَّالٌ وَقُمْرِيَّةٌ * هَتُوفُ الْعِشَى وَكَبْشٌ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن النُّكَلِيِّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المزني قال : سمعت
أبي يقول قال لقمان : ضربُ الوالدِ ولده كالسَّهَادِ للزَّرع .

حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن المبارك عن
أسامة بن زيد عن مكحول قال : كتب عمر إلى أهل الشام : علِّموا أولادكم السَّباحةَ
والرَّميَّ والفُرُوسِيَّةَ .

وكانت العرب تُسمِّي الرجل ، إذا كان يكتب ويُحسِّن الرَّميَّ ويُحسِّن العَومَ
وهي السَّباحة ويقول الشعر، الكامل .

البيان

حدَّثني عبدة بن عبد الله قال حدَّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن الأعمش عن
عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : "إن من البيان سحرًا" فاطلبوا الصلاة وأقصروا الخطب . وقال العباس :
يا رسول الله ، فيم الجمال؟ قال : "في اللسان" .

وكان يقال : عقلُ الرجل مدفونٌ تحت لسانه .

وقال يزيد بن المهلب : أشكره أن يكون عقلُ الرجل على طرف لسانه . يريد أنه
لا يكون عقله إلا في الكلام . وقال الشاعر :

(١) القمرية : ضرب من الحمام . (٢) بعض الروايات : «لسحرا» باللام .

كَفَى بِالْمَرْءِ حَيًّا أَنْ تَرَاهُ * لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بِزَيْنٍ ^(١) * إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحَسَنَ الْبَيَانُ

وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك، فإنه كان يَقْرِي العَيْنَ جَمَالًا، والأُذُنَ
بَيَانًا . وقال النُّمَيْرُ بْنُ تَوَلَّبٍ :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصْرِ وَعِي * وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجُهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجِبٍ نَفْسِي فَأَعْصِمْنِي * فَإِنْ لَمْ تُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا

وصف أعرابيًّا رجلًا يَتَكَلَّمُ فَيُحْسِنُ فَقَالَ :

* يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ ^(٢) *

ومثله قولهم : فَلَنْ يُجِيدَ الْحَزَّ، وَيُصِيبَ الْمَفْصِلَ؛ وربما قالوا : يُقِلُّ ^(٣) الْحَزَّ .

وقال معاوية في عبد الله بن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ * لِيَعِيَ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا آتَتْحَى * وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّغِيرِ

وقال حسان فيه :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بِلَتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فُصْلًا

(١) كذا في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ طبعة بولاق) . وفي الأصل : «لها» .

(٢) الهِنَاءُ : القِطْرَانُ . والنَّقَبُ : جمع نَقْبة وهي أَزَلْ ما يدور من الجُرب . أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب

فيه الكلام ، مثل الطالِ الرقيق الذي يضع الهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ (راجع العقد الفريد ج ١ ص ٢١٤) .

(٣) هذا وما قبله من الأمثال التي تضرب في البلاغة ، ذلك أنهم شبهوا البليغ الموجه الذي يقلِّ

الكلام ويصيب المعاني ، بالجزار الرقيق يقل حزامهم ويصيب مفاصله (راجع العقد الفريد ج ١

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَّعْ * لَدَى إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا
 سَمَوَتْ إِلَى الْعَلِيَّاءِ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ ٥ فَنِلَتْ ذُرَاهَا لَا دَنْيًّا وَلَا وَغْلًا^(١)
 ويقال : الصمتُ منامٌ والكلامُ يَقْظَةٌ . ويقال : خير الكلام ما لم يُحتجَّ بعده
 إلى الكلام .

٥ ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً فقال : ألفاظه قوالِبٌ معانيه . ومدح
 أعرابي رجلاً فقال : كلامه الوَبْلُ^(٢) على المحل^(٣) ، والعَدْبُ البَارِدُ على الظَّمَا .
 وقال الخطيئة :

وَأَخَذْتُ أَقْطَارَ الْكَلَامِ فَلَمْ أَدَّعْ * ذِمًّا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ

وكان الخطيئة يقول : إنما شِعْرِي حَسَبُ مَوْضِعٍ ٥ فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ
 فقال : كَذَبَ ، تَرَجَّهَ^(٤) اللَّهُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ التَّقْوَى . ١٠

قيل لعمر بن عُبيد : ما البلاغة ؟ فقال : ما تَأَغَتْ الْجَنَّةُ ، وَعَدَلْ بَكَ عَنِ النَّارِ
 [قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : فَـ] مَا بَصَرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ ، وَعَوَاقِبَ
 غَيْبِكَ ٥ قَالَ السَّائِلُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : مَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنِ
 الْقَوْلَ ٥ قَالَ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ٥ « إِنَّا مَعْشَرُ
 الْأَنْبِيَاءِ بَكَاءٌ » ٥ وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ ٥ قَالَ : لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ ، قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ [وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ ٥]
 ١٥

(١) في الأصل : «وعلا» بالعين . وما أثبتناه عن ديوان حسان (ص : ٧ طبعة ليدن سنة ١٩١٠ م)

وهو الأنسب للقام : والوعل : الضعيف المذل . الساقط المقتصر في الأشياء . (٢) الوبل : المطر الشديد .

(٣) المحل : الجذب . (٤) تَرَجَّهَ الله : أحرته ونقصه . (٥) الزيادة عن العقد الفريد

(ج ١ ص ٢١٣) . وفي الأصل : «وما بصرك ...» بالواو عطفًا على ما قبله . (٦) بَكَاءٌ جمع بَكَى ،

وهو ما قل كلامه خلقة . (٧) كذا في البيان والتبيين (ح ١ ص ٦٣) . وفي الأصل : «يكرهون» .

(١) فتنة السكوت [ومن سَقَطَات الصَّمْت؛ قال : ليس هذا أريد؛ قال : فكأنك إنما تريد تحيّر اللفظ في حسن إفهام] قال : نعم؛ قال : إنك إن أردت تقرير حُجَّة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المَثُونَة على المستمعين ، وتزوين تلك المعاني في قلوب المرئدين ، بالألفاظ المُستَحْسَنَة في الآداب ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سُرعة استجابتهم ، ونفى الشواغل عن قلوبهم ، بالمَوْعِظَة الحسنة من الكتاب والسنة ، كنت قد أُوتيتَ فصلَ الخطاب ، وأستوجبتَ على الله جزيلَ الثواب .

قال بعضهم : ما رأيت زيادًا كإسراء إحدى عينيه واضعًا إحدى رجليه على الأخرى يُخاطب رجلاً إلا رحمتُ المُخاطَب . وقال آخر : ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحسن إلا أحببتُ أن يَصُمْتُ خوفاً من أن يُسِيءَ إلا زيادًا فإنه كلما زاد زاد حُسناً ، وقال :
وقبلَكَ ما أعيتُ كإسراءَ عينه . زيادًا فلم تُقَدِّرْ على حَبَائِلُهُ

قال محمد بن سلام : كان عمرُ بن الخطاب إذا رأى رجلاً يُجَلِّج في كلامه قال : خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ! .

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق ، فقال عبد الملك : لقد رجوتُ عَثْرَتَهُ لما تكلم ، فأحسن حتى خَشِيتُ عَثْرَتَهُ إن سكت .

(١) التكلة عن البيان والتبيين (ج ١ ص ٦٣) والمعقد الفريد . (٢) في البيان والتبيين والمعقد الفريد : « المتكلمين » . (٣) قائل هذا البيت الفرزدق ، قاله لحرير من قصيدة تقع في ثلاثة وتسعين بيتاً مبنية في كتاب النقائض (طبع مدينة « ليدن » سنة ١٩٠٨ م ص ٦٠٠ — ٦٢٩) وبعده البيت :

فأقسمت لا آتية سبعين حجة . ولو نشرت عينُ القُبَاع وكاهله
والقُبَاع : لقب الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وكان أميراً على البصرة لقبه أهلها به ، وذلك أنه مرَّ بقوم يكلون بقرية فقال : إن فتيكم لقُبَاع . أي كبير واسع (راجع النقائض ص ٦٠٧) .
(٤) لعل « ما » هنا مصدرية أو زائدة . (٥) كذا في النقائض والبيان والتبيين (ج ١ ص ١١٠) . وفي الأصل : « تعلق » .

أبو الحسن قال : قال معاوية لُصْحَارَ الْعَبْدَى : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ فقال :
 شيءٌ تَجِيْشُ به صُدُورُنَا ثُمَّ تَقْدِفُهُ عَلَى أَلْسِنَتِنَا ؛ فقال رجلٌ من القوم : هؤلاء بِالْبَسْرِ أَبْصَرُ ؛
 فقال صُحَّارٌ : أَجَلٌ ، واللهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ تُلْقِحُهُ وَأَنَّ الْبَرْدَ يُعْقِدُهُ وَأَنَّ الْقَمَرَ يَصْبِغُهُ
 وَأَنَّ الْحَزْنَ يُنْضِجُهُ ؛ فقال معاوية : ما تُعْدُونَ البلاغة فيكم ؟ قال : الإيجاز ؛ قال :
 وما الإيجاز ؟ قال : أن تُجِيبَ فلا تُبْطِئَ ، وتَقُولَ فلا تُخْطِئَ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ،
 حسن الإيجاز ألا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ .

أبو الحسن قال : وقد الحسن بن عليّ على معاوية الشام ، فقال عمرو بن العاص :
 إِنَّ الْحَسَنَ رَجُلٌ أَفْقَهُ فَلَوْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ فَتَكَلَّمَ فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ ؛ فَأَمَرَهُ
 فَصَعِدَ الْمَنْبَرِ فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ طَلَبْتُمْ أَبْنَاءَ لَنَبِيِّكُمْ
 مَا بَيْنَ جَابِرِ بْنِ جَابَلٍ (٥) لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أُخَى وَإِنْ أُذِرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى
 حِينٍ . فساء ذلك عَمْرًا وَأَرَادَ أَنْ يَتَمَطَّعَ كَلَامَهُ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنْتَعِ الرُّطْبَ ؟
 فقال : أَجَلٌ ، تُلْقِحُهُ الشَّمَالُ وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ ؛ قَالَ :
 يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، هَلْ تَنْتَعِ الْحِرَاءَ (٧) ؟ قَالَ : نَعَمْ ، تُبْعِدُ الْمَشْيَ فِي الْأَرْضِ الصَّحْصَحَ (٨) حَتَّى

- (١) كلمة «البسر» مضمومة في الأصل وأُسنِما على معرفتها بما في البيان والبيان الذي وردت فيه العارة
 هكذا : «فقال له رجل من عرض القوم : يا أمير المؤمنين ، بالبسر والرضب أبصر منهم بالخطب... الخ» .
 والبسر : الترقيل لإرطابه وذلك إذا لَوْنٌ ولم يبيض . (٢) يعقده : يغلظه .
 (٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) بعد قوله فلا تبطئ ولا تخطئ : «أقلنى يا أمير المؤمنين ؛ قال :
 قد أقلتك ، قال : لا تبطئ ولا تخطئ» . قال أبو حاتم : استطال الكلام الأول فاستقال وتكلم بأوزمه .
 (٤) كذا في الأصل والعقد الفريد . والأوصاف الخلقة الظاهرة أكثر ما تجي . على «أفعل» والذي في كتب
 اللغة أن الوصف من الفهامة (وهي العى في المنطق) ؛ فه كضخم وفيه وفهفه . (٥) جابر بن : مدينة
 بأقصى المشرق . (٦) جابلق : مدينة بأقصى المغرب . (٧) الحراءة بالكسر : التخل والقعود
 للحاجة . (٨) الصحصح بصادين مهملين : ما أسنوى من الأرض مع الاتساع . وفي الأصل :
 «الصحصح» بصادين معجمتين .

تَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرْهَا، وَلَا تَسْتَنْجِ بِالرَّوْثَةِ وَلَا الْعَظْمِ،
وَلَا تُبُولَ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ، وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ .

وكان يقال : كلُّ شَيْءٍ ثَنِيَّتُهُ يَقْصُرُ مَا خِلاَ الْكَلَامِ، فَإِنَّكَ كَلَّمَا ثَنِيَّتَهُ طَالَ . قال
الحسن : الرجال ثلاثة : رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله .

تَكَلَّمَ صَعَصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ؛ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ الْقَوْلُ !
فَقَالَ صَعَصَعَةُ : إِنَّ الْحَيَاةَ نَضَاحَةٌ لِلْمَاءِ .

ويقال : أبلغُ الكلامِ ما سبقَ معناه لفظه .

وفي كتاب للهند : أوَّلُ الْبَلَاغَةِ أَجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ
الْجَأَشِ^(١)، سَاكِنَ الْجَوَارِحِ قَلِيلَ اللَّحْظِ مُتَحَيِّرًا لِلْفِظِ، لَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأُمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ،
وَلَا الْمُلُوكَ بِكَلَامِ السُّوقَةِ، وَيَكُونُ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ، وَلَا يُدَقِّقُ
الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْفِينِ، وَلَا يُنْقِصُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيحِ وَلَا يُصَفِّيها كُلَّ انْتِصَافِهَا [وَلَا يُهْدِّبُهَا
غَايَةَ التَّهْذِيبِ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصَادِفَ حَكِيمًا أَوْ فِيلَسُوفًا عَلِيمًا] وَيَكُونُ قَدْ تَعَوَّدَ
حَذَفَ فُضُولَ الْكَلَامِ وَإِسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ، قَدْ نَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنِطِقِ
عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ وَالْمُبَالَغَةِ لَا عَلَى جِهَةِ الْإِعْتِرَاضِ وَالتَّصْفِيحِ .

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكي وقيل له : ما البيان ؟ فقال : أن يكون
الاسم يُحِيطُ بِمَعْنَاكَ وَيُحْكِي عَنْ مَعْنَاكَ^(٢)، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الشَّرْكَهَةِ وَلَا تَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِالْفِكَرِ^(٣)،
وَالَّذِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ سَلِيًّا مِنَ التَّكْلِيفِ، بَعِيدًا مِنَ الصَّنْعَةِ، بَرِيًّا مِنَ التَّعَقُّدِ،
غَنِيًّا عَنِ التَّأْوِيلِ .

(١) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الغضب . (٢) الزيادة عن البيان والتبيين (ج ١

ص ٥٢) . (٣) عبارة البيان والتبيين : «ومن قد تعوَّد ... الخ» . (٤) في البيان والتبيين

(ج ١ ص ٥٨) : «يجلي» . (٥) هكذا في الأصل . وفي البيان والتبيين : «والذي لا بد منه ... الخ» .

قال الأصمعي : البليغ من طبق المفضل وأغناك عن المفسر .

قال المدائني : كتب قتيبة بن مسلم الى الحجاج يشكو قلة مرزئته من الطعام وقلة غشيانه النساء وحصره على المنبر فكتب إليه : استكثر من الألوان لتصيب من كل صنف شيئا ، واستكثر من الطرؤقة^(٢) تجذبك قوّة على ما تريد ، وأنزل الناس بمثيرة رجل واحد من أهل بيتك وخاصتك ، وأرم ببصرك أمامك تبلغ حاجتك .

قال بعض الشعراء :

إن كان في العبي آفات مقدرة * ففي البلاغة آفات تساويها

تكلم رجل عند معاوية فهذر^(٣) ، فلما أطل قال : أأسكت يا أمير المؤمنين؟ قال : وهل تكلمت !

ويقال : أعيا العبي بلاغة يعي^(٤) ، وأقبح اللحن لحن بآعراب .

وقال أعرابي : الحظ للراء في أذنه ، والخط لغيره في لسانه .

ويقال : رب كلمة تقول دعني .

ويقال : الصمت أبلغ من عي ببلاغة . ونحوه قول الشاعر :

أرى الصمت أدنى لبعض الصواب * وبعض التكلم أدنى ليعي

وقال جعفر البرمكي : إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تفصيلاً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً .

(١) المرزئة من الطعام : الإصابة منه . (٢) الطرؤقة : زوجة الرجل ، وأنثى الفحل .

(٣) هذر في كلامه : خلط وتكلم بما لا ينبغي . (٤) في الأصل : « أعيا التي بلاغة يعي » .

(٥) يريد أن حظ الرجل في أذنه لنفسه لأنه بها يسمع ما يتمال ، والخط في لسانه لغيره لأنه إذا تكلم

فإنما الخط والفائدة فيه لغيره .

قال ابن السكّات : العرب تقول : العيُّ الناطق أعيّا من العيِّ الصامت .

قال أنوشروان لبزرجهر : متى يكون العيُّ بليغاً ؟ فقال : إذا وصّف حبيباً .

قال يونس بن حبيب : ليس لعيٍّ مروة^(١) ، ولا لمنقوص البيان بهاء^(٢) ، ولو بلغ يافوخه أعنان السماء . قال بعض الشعراء :

نَجِبْتُ لِإِدْلَالِ الْعَيِّ بِنَفْسِهِ ، وَصِمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا
وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْعَيِّ وَإِنَّمَا ، صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

قال سعيد بن العاص : موطنان لأستحي من العيِّ فيهما : إذا أنا خاطبت جاهلاً ، وإذا أنا سألت حاجةً لنفسى .

ذكر أعرابي رجلاً يعياً فقال : رأيت عورات الناس بين أرجلهم ، وعورة فلان بين فكّيه .

وعاب آخر رجلاً فقال : ذاك من يتأمى المجلس ، أبلغ ما يكون في نفسه أعيّا ما يكون عند جلسائه .

قال ربيعة الرأبي : الساكت بين النائم والأخرس .

تذاكر قوم فضل الكلام على الصمت وفضل الصمت على الكلام ، فقال أبو مسهر : كلاً ! إنَّ النّجم ليس كالأقمر ، إنك تصف الصمت بالكلام ، ولا تصف الكلام بالصمت .

(١) يافوخ : هو الموضع الذي يتوق فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . (٢) أعنان السماء : نواحيها .

وذم قوم في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم غفراً، إن من تكلم فأحسن قدر أن يصمت فيحسن، وليس من صمت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن .

قال بكر بن عبد الله: طول الصمت حُبسة^(١)، ونحوه قول عمر بن الخطاب: ترك الحركة عقلة .

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت، وإذا خرج من عندها تكلم؛ فقالت له: أما عندي فتطرق، وأما عند الناس فتنتطق! فقال: أدق^(٢) عن جليلك وتجلين عن دقيق .

وفي حكمة لقمان: يا بُني، قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت .
قال ابن إسحاق: الناس خلق بالعين لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها، وأهل العين يصطادونهم؛ فخرج قوم في صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحداً فعقروه وذبحوه وتوارى آثان في الشجر، فقال الذي ذبحه: إنه لسمين، فقال أحد الاثنين: إنه أكل ضرراً، فأخذه وذبحوه، فقال الذي ذبحه: ما أتعص الصمت! قال الثالث: فهأنا الصميت فأخذه وذبحوه . (الصبر: حبة الخمر) .

كان يقال: إذا فاتك الأدب فالزم الصمت .

(١) في البيان والنبين (ج ١ ص ١٥٠) والعقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤): «حوسة» . والحبسة

بالضم: اسم من الاحتباس وهو تعذر الكلام عند إرادته . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٦):

«قال: إني أجل عن دقيقك، وتدقن عن جليلي» . (٣) وردت هذه الحكاية في كتاب الحيوان

للدميري (ج ٢ ص ١١٥) باختلاف يسير في بعض ألفاظها لا يخرجها عن المعنى المراد . (٤) كذا

في حياة الحيوان . وفي الأصل: «ينقر» .

وقال بعضهم : لا يَجْتَرِئُ على الكلام إلا فَائِقٌ أو مَائِقٌ^(١) .

وقال الشاعر يمدح رجلا :

صُمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيْنَ أهله * وَفَتَّاقٌ أَبْكَارِ الكلامِ الْمُخَسِّمِ^(٢)

قال أبو الدرداء : أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِنْ فَيْكَ ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ [اثنتان]^(٣) وفم واحدٌ ، لَتَسْمَعَ أَكْثَرُ مَا تَقُولُ .

حَضَرَ قُشَيْرِيُّ مَجْلَسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ الصَّمْتَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : بِحَقِّ سُمِّيْتَ خُرْسَ الْعَرَبِ ؛ فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ : يَا أَخِي ، إِنَّ حَظَّ الرَّجُلِ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ ، وَحَظَّهُ فِي لِسَانِهِ لغيره .

وقال بعضُ الحكماء : أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ تَكُنْ مُسْئِلًا فَإِنَّ قُوَّةَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ ؛ وَإِذَا نَارَعْتَكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ ، فَأَذْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ وَجَلِ الْخَطَا وَفَضَائِحِ الْمُقْصِرِينَ .

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلَسِ الْهَيْثِمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَا ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْثِمُ : يَا هَذَا ، بِكَلَامِ مِثْلِكَ رُزِقَ أَهْلُ الصَّمْتِ الْحَبَّةَ . وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ * وَأَمِضْ عَنْهُ بِسَلَامٍ

مُتَبَدِّاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ * لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ

إِنَّمَا السَّالِمُ مِنَ الشَّجَمِ فَاهُ بِالْجَامِ^(٤)

(١) الفائق : الأديب العالم . والمائق : الخالك حقا وغبارة .

(٢) في الأصل « المحبّر » وهو تحريف . لأن القافية ميمية ؛ وهذا البيت لعبد الله بن المبارك صاحب

الرقائق برئ مالک بن أنس المدني كما في العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ١ ص ٢٩٣) وبعده :

وعى ما رعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب بالحم والدم

(٣) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٣) . (٤) في البيان والبيان (ج ١ ص ١٤٩) :

« السلم » .

وقال آخر:

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ * إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا
حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا صَاحِبٌ لَنَا عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ
قَالَ : لَوْ كَانَتِ الصُّحُفُ مِنْ عِنْدِنَا لَأَقْلَلْنَا الْكَلَامَ .

وقال الأصمعيّ : إِذَا تَنَظَّرَ الْعَرَبِيّ كَثْرَ كَلَامِهِ ، وَإِذَا تَنَظَّرَ الْفَارِسِيّ كَثْرَ
سُكُوتِهِ .

قال حاتم طيء : إِذَا كَانَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَهُ انْتَرَكُهُ فَاتْرَكَهُ .

قال عبد الله بن الحسن لأبيه : اسْتَعْنِ عَلَى الْكَلَامِ بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي
تَدْعُوكَ فِيهَا نَفْسُكَ إِلَى الْقَوْلِ ، فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ فِيهَا الْخَطَا وَلَا يَنْفَعُ فِيهَا
الصُّوَابُ .

وقال إياس بن قتادة :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْتَلُمُ رَأِينَا * وَنَسْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَاكِ يَوْمًا وَجَارِيَةً لَهُ تَسْمَعُ كَلَامَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهَا قَالَ : كَيْفَ رَأَيْتِ
كَلَامِي ؟ قَالَتْ : مَا أَحْسَنَهُ لَوْلَا أَنَّكَ تُكْثِرُ تَرَدَّادَهُ ! قَالَ : أَرَدَدَهُ حَتَّى يَفْقَهُمَهُ مَنْ
لَمْ يَفْقَهُمَهُ ؛ قَالَتْ : إِلَى أَنْ يَفْقَهُمَهُ مَنْ لَمْ يَفْقَهُمَهُ قَدْ مَلَّاهُ مَنْ فَهَمَهُ ! .

قال عيسى بن مريم : مَنْ كَانَ مَنَاطِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرٍ فَقَدْ لَغَا ، وَمَنْ كَانَ نَظَرُهُ
فِي غَيْرِ آعْتِبَارٍ فَقَدْ سَمَّاهُ ، وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .

(١) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبَعِ (ج ٦ ص ٦) وَحَاسَةُ أَبِي تَمَامٍ شَرَحَ التَّبْرِيزِي (طَبْعُ مَدِينَةِ بَنْ) : « وَتَجْهَلُ
أَيْدِينَا ... الخ » وَنَسَبَ الْيَتَّ فِيهِمَا إِلَى مَعْبُدِ بْنِ طَلْقَمَةَ . وَنَسَبَ فِي أَدَبِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ (ص ٢٥٣) إِلَى
إِيَّاسِ بْنِ قَتَادَةَ ، كَمَا فِي الْأَصْلِ هُنَا .

كان العباس بن زُفر لا يُكَلِّمُ أحداً حتى تَبَسَّطَ الشَّمْسُ، فإذا أَنْفَلَتْ^(١) عن صلاته ضَرَبَ الأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الأَيْدِي والأَرْجُلَ . وكان جَرِيرٌ لا يَتَكَلَّمُ حتى تَبْزُغَ الشَّمْسُ ، فإذا بَزَغَتْ قَذَفَ الْمُحَصَّنَاتَ .

قال قتادة : مكتوب في التوراة : لا يُعاد الحديث مرتين .

قال الزُّهْرِيُّ : إعادَة الحديث أشدُّ من وَقَع الصَّخْرُ .

وفي كتب العجم : أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقالوا كلُّهم كلمة واحدة كأنها رميةٌ بسهم : ملك فارس ، وملك الهند ، وملك الروم ، وملك الصين . قال أحدهم : إذا تكلمتُ بالكلمة مَلَكْتَنِي ولم أَمْلِكْهَا . وقال آخر : قد نَدِمْتُ على ما قُلْتُ ولم أُنْدَمْ على ما لم أَقُلْ . وقال آخر : أنا على ردِّ ما لم أَقُلْ أقدرُ منِّي على ردِّ ما قُلْتُ . وقال آخر : ما حاجتي إلى أن أتكلّم بكلمة ، إن وقعتُ على ضُرَّتَنِي ، وإن لم تقع على لم تنفعني .
قال زُبَيْدُ اليامي^(٢) : أسكتتني كلمةُ ابن مسعود عشرين سنة : مَنْ كان كلامه لا يوافق فعله فإِذَا يُوجَّعُ نفسه .

وفي كتاب كَلِيْلَة ودمنة : ثلاثة يؤمرون بالسكوت : الرائي في جبل طويل ، وآكل السمك ، والمُرَوِّى في الأمر الجسيم . قال بعض الشعراء^(٤) :

قد أفلح السالم الصُّمُوتُ : كَلَامٌ واعى الكلام قوتُ

(١) انفلت عن صلاته : انصرف عنها . (٢) كذا في الأنساب للسعدي ؛ وتهذيب التهذيب ؛ وناج العروس . وهو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامي نسبة إلى يام بطن من همدان . وفي الأصل «زبيد النامي» بالنون وهو تحريف . (٣) المروى : من روى في الأمر ويقال روى (بالهمزة) إذا نظره فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب . (٤) هو محمد بن أبي العتاهية كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذکور أيضاً في ديوان والده أبي العتاهية (ص ١٤ طبع بيروت) .

ما كُلُّ نُطْقٍ لَهُ جَوَابٌ * جَوَابُ مَا يُكْرَهُ السَّكُوتُ
يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٌ * مُسْتَقِيرٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عَوْن عن الحسن قال : جلسوا عند معاوية فتكلموا
وصمت الأحنف ، فقال معاوية : يا أبا بجر، مالك لا تتكلم ؟ قال : أخافكم إن
صدقتكم ، وأخاف الله إن كذبت .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا الحميدي قال حدثنا أبو الحكم مروان بن
عبد الواحد عن موسى بن أبي درهم عن وهب بن منبه قال قال ابن عباس :
كفى بك ظالماً ألا تزال تُخاصمها ، وكفى بك آثماً ألا تزال تُماريها ، وكفى بك كاذباً
ألا تزال تُحدثنا بغير ذكر الله تعالى .

وقال بعضهم :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ : وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ^(١)
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ . وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْبَلَاغَةِ ، فَقَالَ : مَنْ أَخَذَ مَعَانِيَ كَثِيرَةً فَأَذَاهَا بِالْفَظِّ
قَلِيلَةٍ ، أَوْ أَخَذَ مَعَانِيَ قَلِيلَةً فَوَلَّدَ فِيهَا الْفَظًّا كَثِيرَةً .

بلغني عن أبي إسحاق الفزاري قال : كان إبراهيم يُطِيلُ السَّكُوتَ ، فإذا تكلم
أنبسط ، فقلت له ذات يوم : لو تكلمت ! فقال : الكلام على أربعة وجوه . فمنه
كلامٌ ترجو منفعتَه وتُخْشِي عَاقِبَتَهُ ، فالفضلُ منه السلامة ؛ ومنه كلامٌ لا ترجو منفعتَه
ولا تُخْشِي عَاقِبَتَهُ ، فأقلُّ مالِكَ في تركه خِيفَةُ الْمُؤُونَةِ عَلَى بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ ؛ ومنه كلامٌ

(١) هَذَا مِنَ الْبَيْتِ لِلْجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي طَالِبٍ ، كَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ

لا ترجو منفعتَه وتخشى عاقبته، وهذا هو الداءُ العُضالُ؛ ومن الكلام كلام ترجو منفعتَه وتأمِنُ عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نشرُه؛ قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

(١١) الاستدلال بالعين والإشارة والنسبة

يقال: رُبَّ طَرَفٍ أفصح من لسان. قال أعراجى:
إِن كَأْتَمُونَا الْقِلَّ نَمَّتْ عِيُونُهُمْ * وَالْعَيْنُ تُظْهِرُ مَا فِي الْقَابِ أَوْ تَصِفُ
وقال آخر:

إِذَا قُلُوبٌ أَظْهَرَتْ غَيْرَ مَا * تُضْمِرُهُ أَنْبَتَكَ عَنْهَا الْعُيُونُ

آخر:

أَمَّا بُبُصْرٌ فِي عَيْنِي * عَنْوَانٌ الَّذِي أُبْدِي

وقال ذو الرمة:

نَعَمْ هَاجَتْ الْأَطْلَالُ شَوْقًا كَفَى بِهِ * مِنَ الشَّوْقِ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَمَا زِلْتُ أَطْوِي النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّهَا * بِذِي الرِّمِّثِ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ ذَاكَ
حَيَاءً وَإِسْفَاقًا مِنَ الرِّكْبِ أَنْ يَرَوْا * دَلِيلًا عَلَى مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ

وقال الحارثى يذكر ميتا:

أَتَيْنَاهُ زُرَّارًا فَأَجْمَدَنَا قِرَى * مِنَ الْبَثِّ وَالْدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ
وَأَوْسَعَنَا عِلْمًا بَرْدَ جَوَابِنَا * فَأَعْجَبَ بِهِ مَنْ نَاطِقٍ لَمْ يُجَاوِرِ

(١) النسبة بالضم: هي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيئة بغير اليد (عن البيان والتبيين ج ١ ص ٤٥).

(٢) أطوى النفس: أضمرها على شيء من حب مية. وذو الرمث: اسم راد لبني أسد.

(٣) أجمدنا: أشبعنا. (٤) البث: النعم والحزن، وقيل أشده.

ومثل هذا قول القائل^(١) : سَلِ الْأَرْضَ قَلِّ لَهَا : مِنْ شَقِّ أَنْهَارِكَ ، وَغَرَسِ
 أَشْجَارَكَ ، وَجَنِّ ثِمَارَكَ ، فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حَوَارًا ، أَجَابَتْكَ أَعْتَابَارًا . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٢) :
 وَللْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ * دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
 وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ * مَقَائِلٌ وَأَشْبَاهُ
 يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ * إِذَا مَا هُوَ مَا شَاءُ
 وَفِي الْعَيْنِ غِنًى^(٣) لِلْعَيْنِ أَنْ تَشِطَّقَ أَفْوَاهُ

الشعر

يقال : خَيْرُ الشَّعْرِ مَا رَوَّاهُ نَفْسُهُ . وَيُقَالُ : خَيْرُ الشَّعْرِ الْحَوْلِيُّ الْمُنْقَحُ الْمُحَكَّمُ .
 سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا يُنْشِدُ شِعْرًا لِنَفْسِهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى ؟ قَالَ : سُكَّرَ
 لَا حَلَاوَةَ لَهُ . قِيلَ لِبَعْضِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ : أَرَأَيْتَ الشَّاعِرِينَ يَجْتَمِعَانِ عَلَى الْمَعْنَى الْوَاحِدِ
 فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ : عُقُولُ رَجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا .

قَالَ بَشَّارٌ يَصِفُ نَفْسَهُ :

زُورُ مُلُوكٍ عَلَيْهِ أُمِّيَّةٌ * يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبِهِ^(٤)
 اللَّهُ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ * مِنْ لُؤْلُؤٍ لَا يَنَامُ عَنْ طَلَبِهِ^(٥)
 يَخْرُجُنْ مِنْ فِيهِ فِي النَّدَى كَمَا * يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ هَبِّهِ^(٦)

(١) القائل هو الرقاشي كما في الصنائع لأبي حلال العسكري (ص ١١ طبعة الآسنة سنة ١٣١٩ هـ) .
 (٢) الحوار بكسر الحاء : من حاوره إذا جاء به وواجهه في الكلام . (٣) لم نجد هذه الأبيات في ديوان
 أبي العتاهية المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٨ م . (٤) في البيان والتبيين (ج ١ ص ٤ : طبعة القاهرة
 سنة ١٣٣٢ هـ) : «لله» . (٥) الزور : الزائر . (٦) كذا في الأصل ، وفي ديوان بشار
 (ص ١٠٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٥ م) : «يخرج ... للندي ... الخ» .

تَرْفُو إِلَيْهِ الْحُدَاثُ غَادِيَةً * وَلَا تَمَلُّ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
(١) تَلْعَابُهُ تَعَكُّفُ الْمُلُوكِ بِهِ * تَأْخُذُ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهِ
يَزْدِجِمُ النَّاسَ كُلَّ شَارِقَةٍ * بِيَابِهِ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

وقال الطائي يذكر الشعر :

٥ إِنْ الْقَوَائِيَّ وَالْمَسَاعِيَّ لَمْ تَزَلْ * مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا
هِيَ جَوْهَرٌ تَرْتَفِئُ فَإِنْ أَلْفَتْهُ * بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَانِدًا وَعُقُودَا
مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى * يَدْعُونَ هَذَا سُؤْدُدًا مَجْدُودَا (٢)
وَتَبْدُو عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا عُلَا * جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَرِيضِ قَبُودَا (٣)

وقال أيضا :

١٠ وَلَمْ أَرْكَ الْمَعْرُوفَ تُدْعَى حُقُوقُهُ * مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وَإِنْ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ بَيْنَهَا * لِكَلِّ الْأَرْضِ غُفْلًا لَبَسَ فِيهَا مَعَالِمُ (٤)
وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسِيرُ فَيَغْتَدِي * لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ
يَرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ * وَيُقْضَى بِمَا يَقْضَى بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ (٥)
وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَنِ الشَّعْرِ مَا دَرَى * بُغَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ (٦)

- ١٥ (١) رَجُلٌ تَلْعَابُهُ بِكسر التاء : كثير المزح والمداعبة .
(٢) فِي ديوان أبي تمام المطبوع (ص ٩٠) : « الْجَمَان » .
(٣) فِي ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٦ أدب (ص ٨) : « ديوانه المطبوع أيضا (ص ٩٠) : « محدودا » بالحاء المهملة .
(٤) الْمَرْبِيعُ مِرَّةً : وَالْأَصْلُ فِي الْمِرَّةِ طَاقَةُ الْخَبْلِ .
(٥) رِوَايَةُ الْدِيَّانِ (ص ٢٨٦) : « وَلَا كَالْعُلَا مَا لَمْ يَر... فَكَالْأَرْضِ ... الخ » .
(٦) النَّفْلُ مِنَ الْأَرْضِ : مَا لَا عِلَامَةَ فِيهِ .
(٧) كَذَا فِي ديوانه . وَفِي الْأَصْلِ « تَرَى » .
- ٢٠

وقال عُمر بن بَلْحَمٍّ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ؛ قال : ولمَ ذلك ؟ قال :
لأنِّي أقولُ البيتَ وأخاه ، ولأنك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .

قيل لعقيل بن عُلفة : ألا تُطِيلُ الهِجَاءَ ؟ فقال : يَكْفِيكَ من القِلَادَةِ ما أحاط
بالعُنُقِ .

وقال بعضهم : خيرُ الشعرِ المُطِيعُ .

قيل لكثيرٌ : يا أبا صَخْر ، كيف تصنع إذا عَسُرَ عليك قولُ الشعرِ ؟ قال :
أطوفُ بالرباعِ المُخْلِيةِ^(١) والرباعِ المُعِشبةِ ، فيسْمُلُ على أرضه ويُسرِعُ إلى أحسنه .
ويقال : إنه لم يُسْتَدْعَ شَارِدُ الشعرِ بمثلِ الماءِ الجارى ، والشَّرَفِ العالى ،
والمكانِ الخَضرِ الخالى أو الخالى .

وقال عبدُ الملك بن مَرْوانَ لأَرْطَاةَ بنِ سُهَيْبَةَ : هل تقول الآن شعرا ؟ قال :^(٥)
ما أشرب ، ولا أطرب ، ولا أغضب ؛ وإنما يكون الشعرُ بواحدة من هذه .

(١) عبارة العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مالك لا تطيل ... الخ» .

(٢) كذا في كتاب الشعر والشعراء للزُّلْف (ص ١٨ طبعة لندن سنة ١٩٠٢) والمُخْلِية : الخالية
من السكان ؛ يقال : حلت الدار وأخلت . وفي العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « بالرباع المخيلة »
وهي التي أنت عليها أحوال فغيّتها . وفي الأصل : المخيلة بالخاء المعجمة .

(٣) كذا في الشعر والشعراء (ص ١٨) والعقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٢) وفي الأصل : « لم يُسرِع » .
(٤) الخالى هو الخالى من الضوضاء . وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣)
بدون الكلمة « الخالى » ثم قال صاحب العقد : « تأول بعضهم « الخالى » يريد الخالى من النوار يعنى الرياض
وهو توجيه حسن » . وأما « الخالى » بالمهملة فهو المتخل بالنوار ، ومنه قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهرى

(ج ٢ ص ٨٩ من ديوان الحامسة لأبي تمام طبعة مصر سنة ١٣٢٢هـ) :

ولما نزلنا منزلا طله الندى « أَيْقًا وبُستانًا من النور حاليًا

(٥) في الشعر والشعراء (ص ١٨) : « قال كيف أقول وأنا ما أشرب ... الخ » .

(١١) وقيل لكثير : ما بقي من شعرك ؟ فقال : ماتت عزة فما أطرب ، وذهب الشباب فما أنجب ، ومات ابن ليلى فما أرغب — يعنى عبد العزيز بن مروان — وإنما الشعر بهذه الحلال .

(٢١) وقيل لبعضهم : من أشعر الناس ؟ فقال : أمرؤ القيس إذا ركب ، والباغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب .

وقيل للعجاج : إنك لا تحسن الهجاء ، فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم ، وهل رأيت بانيلاً لا يحسن أن يهدم ! .

وقلت في وصف الشعر : الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتها ، وديوان أخبارها ، ومستودع أباها ، والسور المضروب على مآثرها ، والخنثى المحجور على مفاخرها ، والشاهد العدل يوم النصار ، والنجمة القاطعة عند الحصاص ، ومن لم يقيم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيت منه ، شدت مساعيه وإن كانت مشهورة ، ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً ، ومن قيدها بقوافي الشعر ، وأوثقها بأوزانه ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر ، والمعنى اللطيف ، أخذها على الدهر ، وأخلصها من التجدد ، ورفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود .

وهذا جاء في الشعر كثير . وقد أفردت للشعراء كتاباً ، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب . وذكرت هذه التثنية في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون .

(١) رواية الأمازي (ج ١ ص ٣٠ طبع مطبعة دار الكتب المصرية) : « قيل لكثير : مالك لا تقول الشعر ! أجبت ؟ قال : والله ما كان ذلك ، ولكن فقدت الشباب فما أطرب ، ورزئت عزة فما أنس ، ومات ... الخ » وفسر أبو علي القالي : « أجبت » بقوله : « أجبت » ، أى انقطعتم عن قول الشعر .
أخذه من قولهم : أجبل الحافر إذا انتهى إلى جبل فلم يمكنه الحفر . (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٤٣) : « وقالوا : أشعر الناس ، الباغية إذا رهب ، وزهير إذا غنم ، وحرير إذا رعب » .

حُسن التشبيه في الشعر

من ذلك قولُ آبن الزُّبير الأَسديّ في الثُّرَيّا :

(١) وقد لاح في الغور الثُّرَيّا كأنما * به رايةٌ بيضاءُ تُخَفِّقُ للطَّعِنِ

شبه الثُّرَيّا حين تدلّت للغيّب برايةً بيضاء خَفَقَتْ للطعن .

ومن ذلك قولُ عنترة في الدُّباب :

(٢) وخَلَا الدُّبابُ بها فليس بنازِج * هَزَجًا كَفَعِلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

(٣) غِرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ * فِعْلَ الْمِكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

شبه حَكَّهُ يَدَهُ بيده برَجُلٍ مقطوع الكَفَيْنِ يَمْدَحُ النارَ بَعُودَيْنِ .

ومن ذلك قولُ أعرابي في العِنَب :

(٤) يَحْمِلُنْ أَوْعِيَةَ السَّلَافِ كأنما * يَحْمِلُنَهَا بِأَكَارِعِ النَّغْرَانِ

أَوْعِيَةَ السَّلَافِ : العنب ، جعله ظرفًا للخمرة ، وشبه شُعَبَ العناقيد التي تَحْمِلُ

الحَبَّ بِأَرْجُلِ النَّغْرَانِ . (والنَّغْرُ : طائر مثل الصَّعُورِ أحمرٍ أبيضٍ) .

(١) كذا في ما هاء التنصيص ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ، ونسخة خطية من الأخطى

محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨ م في أخبار أبي قيس بن الأسَد . وفي نسخة خطية أخرى من

الأخطى رقم ١٢٦١ : « تخفض » بدل « تخفق » وفي طبعة بولاق م (ح ١٥ ص ١٦٦) « وقد لاح

في القور ... » بالقاف . وفي الأصل هنا :

وقد حرم الغور الثر يا كأنها * له راية بيضاء تخفض للطعن

وفيه أيضا « خفضت » في تفسير المؤلف للبيت بدل خفقت التي أثبتتها ، تبعاً للرواية التي آثرناها

في البيت . (٢) يروى هذا البيت في شرح المعلقات للزوزني (طبع القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ) :

« ... فليس يبارح . غردا » يروى البيت الذي بعده « هزجا يحك ... قدح المكب » .

(٣) الضمير في « بها » يعود على الروضة . في تصدّى عنترة لوصفها في معلقته . (٤) هزج ككتف :

مصوت . (٥) غرد : من غرد الطائر إذا رفع صوته في غنائه وطرب . (٦) المكب : من

أكب على الشيء : أقبل عليه ولزمه . (٧) الأجدم : المقطوع اليد ؛ وقيل الذاهب الأنامل .

(٨) في اللسان مادة « نغر » : « يحمل أنفاق المدام ... بأخاف ... الخ » .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال الآخر، وكان غَشِيَّ عَيْنَيْهِ بياضٌ أو نَزَلَ فِيهِمَا ماءٌ :

يقولون ماءٌ طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ * وما ماءٌ سُوءٌ خَانَ عَيْنِي بِطَيِّبٍ

ولكنه أزمانَ أَنْظَرُ طَيِّبٌ * بَعْنِي غَدَايِي ^(١) عَلَا فَوْقَ مَرَقَبٍ

كَأَنَّ أَبْنَ جَحْلٍ ^(٢) مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ * عَلَى مَاءِ إِنْسَانَيْهِمَا الْمُتَغَيِّبِ

شبهه ما علا الحَذَقَةُ بِجَنَاحِ فَرَّخٍ مِنْ فِرَاحِ الزَّائِرِ قَدْ مَدَّ عَلَى نَاضِرِهِ .

ومن ذلك قولُ امرئ القيس وذَكَرَ الْعُقَابَ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا * لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ ^(٣) الْبَالِي

شبهه الرُّطْبَ بِالْعُنَابِ، وَالْيَابِسَ بِالْحَشَفِ . وشبهه شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ .

ومن ذلك قولُ أَوْسَ بْنِ حَجَرَ وَذَكَرَ السِّيفَ :

كَأَنَّ مَدَبَ النَّمْلِ يَلْتَمِسُ الرُّبَى * وَمَدْرَجٌ ^(٤) ذَرَّ خَافَ بَرْدًا فَاسْهَلَا

شبهه فِرْنَدَ السِّيفِ بِمَدْرَجِ الذَّرِّ وَمَدَبِ النَّمْلِ ^(٥) .

ومن ذلك قولُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي الْبَازِي :

وَمَنْسِرٌ ^(٦) أَكْلَفُ فِيهِ شَغَا * كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمَانِينَ ^(٧)

(١) الغدافي : الشديد السواد، نسبة إلى الغداف وهو الغراب وفي الأصل : «بعني غدافيا» .

(٢) الجمل بتقديم الجيم على الحاء : العسوب العظيم ، وهو في خلق الجرادة إذا سقط لا يضم جناحه ،

والجمع جحول وجحلان . (٣) العناب كرماتان : شجر معروف ، حبه كحب الزيتون في شكله .

(٤) الحشف : ما ليس من التمر، ولم يكن له طعم ولا نوى . (٥) الذر : صغار النمل ، واحدة

ذرة . (٦) فِرْنَدُ السِّيفِ بكسر الفاء والراء : جوهره ووشبهه وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل .

(٧) الشَّغَا : زيادة في المنقار الأعلى على الأسفل مع تَعَقُّفٍ وانعطاف ، ولذا سميت العقاب بالشغواء .

(٨) شبه منسر البازي الذي فيه الشغا بعقد ثمانين على طريقة حساب العرب أيام جادلهم ؛ وصفة عقد

الثمانين : أن يجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام . (راجع بلوغ الأرب للأوسى طبعة بغداد ج ٣

ومن ذلك قول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّي له عمدا لتقتله * فلم ير الناس وجدا مثل ما وجدا

بيد آدم لم تعقيد قلائده * وناهد مثل قلب الظبي ما نهدا

فظل كالحائم الهائم ليس له * صبر ولا يأمن الأعداء إن وردا

شبه تديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا نعلم أحدا شبه الثدي بقلب الظبي غيره .

ومن ذلك قول جحدر العكلى في امرأة :

على قدم مكنونة اللوي رخصة * وكعب كذفرى جودر الرمل أدوما

شبه كعبها بأصل أذن الجودر، وهو الصغير من أولاد البقر .

ومن ذلك قول حميد بن ثور يصف قرخ القطاة :

كان على أشداقه نور خنوة * إذا هو مد الجيد منه ليطما

ومن ذلك قول دحبل يهجو امرأة :

كانت التاليل في وجهها * إذا سقرت يبدد الكشمش

لها شعر قرد إذا أزيلت * ووجه كبيض القطا الأبرش

(١) يقال : غلب آدم إذا أشرب لونه بياضا . (٢) الحاتم : العطشان الذي يحوم حول الماء .

(٣) الهيمان : العطشان . (٤) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . (٥) كعب أدوم :

مسنو . (٦) كذا رواه المؤلف في كتابه « الشعر والشعراء » (ص ٢٣٠) . والخنوة بالقصع : نبات

مهلى طيب الريح . وفي الأصل « خنوة » بانحاء وهو تحريف . (٧) في شرح حماسة أبي تمام

للبريزي (ص ٨٢١ طبع مدينته بن سنة ١٨٢٨) : « أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي الفطرس

الحنفى » . (٨) التاليل جمع ثلول وهو الحبة تظهر في الجلد كاللمعة فادونها . (٩) البدد

جمع بدّة وهي القطعة . (١٠) الكشمش بكسر الكاف والميم : العنب الصغير .

(١١) كذا في ديوان الحماسة ، وفي الأصل : « إذا زيلت » . (١٢) الأبرش : ما به برش ،

والبرش كالبرص وزنا ومعنى .

ومن ذلك قولُ أبي نُؤاس في وصف البط :

* كَأَنَّمَا يَصْفِرُونَ مِنْ مَلَأَقٍ ^(١) *

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجَّاز في جارية سوداء :

كَأَنَّهَا وَالْكُحْلُ فِي مِرْوَدِهَا * تَكْمُلُ عَيْنُهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا

ومن ذلك قولُ الجَعْدِيّ في فرس :

خَيْطٌ عَلَى زَفْرَةٍ قَمَّ وَلَمْ * يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضِيمٍ ^(٢)

يقول هو متفخح الجَنَيْنَيْنِ، فكأنه زَفَرٌ فانتفخ جنباه ثم خيَّط على ذلك .

ومن ذلك قول الطَّرِمَاح يصف الثَّور :

يَتَدَوُّ وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ * سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ ^(٣)

ومن ذلك قول النابغة للنعمان :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي * وَإِنْ خِلْتُ أَنْ الْمُتَّأَى عَنْكَ وَاسِعٌ ^(٤)

ومن ذلك قوله في المرأة :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ

يقول : نظرت إليك ولم تقدر أن تشكلم، كما ينظر المريض إلى وجه عواده

وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ .

(١) مجزه كما في الشعر والشعراء ص ٥٢٠ :

* صرصة الأتلام في المهارق *

(٢) كذا في اللسان مادني «زفر» و «هضم» وفي الأصل «الجعفرى» . (٣) زفرة الفرس :

وسمى ، يقال للفرس إنه لعظيم الزفرة ، أى عظيم الجوف . (٤) كذا في اللسان . وفي الأصل

«ولا هرم» والهمضم : استقامة الضلوع ودخول أعاليها ، وهى من صيوب الخيل التى تكون خلقة .

(٥) كذا في «الشعر والشعراء» ص ٨٠ وفي الأصل «ريضد» . (٦) كذا في ديوان النابغة

طبع باريس واللسان مادة «نأى» وفي الأصل «قلت» . (٧) يريد بالمرأة المتجردة زوج النعمان .

ومن ذلك قول طرفة :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتي * لكألطول المرتضى وثنياه باليد^(١)

ومن ذلك قول بعض الضبيين يصف أباريق الشراب :

كأن أباريق الشمول عشيّة * إوز بأعلى الطف عوج الحناجر^(٢)

ونحوه قول أبي الهندي^(٣) :

سئني أبا الهندي عن وطيب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد^(٤)
مفدّة قزاً كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد^(٥)

ومن ذلك قول نصيب في عبد العزيز بن مروان :

وكلك أنس بالمعتفين * من الأم بأبنتها الزائرة

ومن ذلك قول عدي بن الرقاع في الظبية :

ترجي أغن^(٦) كأن إبرة روقه^(٧) * قلم أصاب من الدواة مدادها^(٨)

ومن ذلك قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم^(٩) * وأسياقنا ليل تهاوى كواكب^(١٠)

(١) الطول : الحبل الطويل تشد به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترمي .

(٢) القائل لهذا البيت هو شبرمة الضبي كما في اللسان مادة « برق » . (٣) الطف : ما أشرف

من أرض العرب على ريف العراق . (٤) لذا في اللسان وهو المناسب ، لأن المراد عوج

الرقاب . وفي الأصل : « المناخر » بإثاء المعجمة . وأصلها « المناحر » بالحاء المهملة ، جمع منحرو وهو موضع

النحر من الخلق . (٥) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في اللسان مادة « وضر » .

(٦) الوضر : ربح الدم واللبن . (٧) المقدم : الإبريق الذي على فيه فدام وهو خرقة من قز

أو غيره . (٨) يريد بنات الماء الإوز وما يشابهها من طيور الماء . (٩) ترجى :

تسوق . (١٠) الأغن من الظباء : ما في صوته غنة . (١١) الروق : القرن .

(١٢) كذا في الأصل والشعر والشعراء . وفي التلخيص للقرظي « فوق رؤوسنا » وهي الرواية المشهورة .

ومن ذلك قوله :

جَفَّتْ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى * كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ

ومن ذلك قول الآخر :

وَمَوْلَى كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا لَيْسَ مِنْ أَعَاتِبُهُ

يقول : لا أقدرُ على النظرِ إليه من بغضه ، فكأن الشمس بيني وبينه .

ومن ذلك قول الآخر :

كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ فِي كُلِّ مَنَزِلَةٍ * مُصَبَّغَاتٌ عَلَى أَرْسَانِ قِصَارِ^(٢)

الناس يستحسنون هذا ، وأنا أرى أن أقول : الأولى أن يُسَبَّه المصبغات

بالنيران ، لا النيران بالمصبغات .

الآيات التي لا مثل لها

١٠

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا معتمر عن ليث عن طاوس عن ابن عباس

قال : إنها كلمة نبي :

سَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : أبرع بيت قالته العرب قول أبي ذؤيب :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا * وَإِذَا تُرِّدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

١٥

وأحسن ما قيل في الكبر قول حميد بن ثور الهلالي :

أَرَى بَصِيرِي قَدْ رَآخِي بَعْدَ صِحَّةٍ * وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصْبَحَ وَتَسْلَمَا

(١) المصبغات : الثياب التي مُصِبَت ولُوْنَت بالصِّبْغ .

(٢) الأرسان جمع رَسَن بالتحريك وهو الحبل .

(٣) القصار : الذي يُحَوِّر الثياب ويدقها بالقصرة ، وهي قطعة من الخشب .

٢٠

- وأحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر في قوله :^(١)
 أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا * إِنَّ الَّذِي تَكْرِهِينَ قَدْ وَقَعَا^(٢)
 وأغرب من ابتداء قصيدة النابغة في قوله :
 كَلِّبْنِي لَهْمٌ يَا أُمِّمِيَّةَ نَاصِبٍ * وَلَيْلِ أَفَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ
 حدثني الخنعمي الشاعر قال : أحسن بيت قيل في الجبن قول نهشل^(٣)
 ابن حري :
 فلو كان لي نفسان كنتُ مُقاتلاً * بإحداهما حتى تموت وأسلما
 قال : وبيت الخبيل في قساوة القلب :
 يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ * لَنَحْنُ أَعْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
 قال : وبيت عبيد في الاستعفاف :
 مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يُحْرِمُوهُ : وَسَأَلِ اللَّهَ لَا يَنْجِبُ
 قال : وبيت متجوف بن مرة السلمي في الاحتفاظ بالمال :
 وَأَدْفَعُ عَنِ مَالِي الْحَقُوقَ وَإِنَّهُ * لَجُمُ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمُّ مَصَائِبُهُ
 قال : وبيت الحطيئة في إكرام النفس :
 وَأَكْرِمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ * وَيَقْنِي الْحَيَاءُ الْمَرْءَ وَالرَّيْحُ شَاجِرُهُ^(٤)
 (١) في الأصل : «وأحسن من ابتداء مرثية قول أوس بن حجر» . (٢) في الشعر
 والشعراء (ص ٧) «تخزين» . (٣) في الأصل : جرى بالجيم . وما أثبتناه عن الأعاني (ح ٨
 ص ١٥٩) وطبقات الشعراء للجمع ص ١٣٠ طبعة ليدن سنة ١٩١٣ م . (٤) في الأصل :
 «شاجر» وما أثبتناه عن ديوان الحطيئة (طبع ليبسج سنة ١٨٩٣ ص ٦٤) ورواية الديوان : وأكرمت
 نفسي ... الخ . قني الحياء (وزان فرح) : لزمه . والبيت من قصيدة يذكر فيها الزبرقان ويمدح آل
 شماس مطمها :
 عفا مسحلان من سليمي فغامره * تمشي به ظلماته وجآذره

قال : وقول كعب في الإقدام ^(١) :

نَصَلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِمُحْطُونَا * قُدِّمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

قال : وبيت عمرو بن الإطنابة في الصبر :

وَقَوْلِي كُلُّمَا جَشَّاتُ وَجَاشْتُ * مَكَانِكَ تُجَحِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري : ^(٢)

وَقَوْلِي كُلُّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي * مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي

فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ * عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي ^(٣)

قال : وبيت مسكين الدارمي في الجود : ^(٤)

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ

قال : وفي حسن الجوار قوله :

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ * وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُزَلُّ الْقِدَرُ

مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ * إِلَّا يَكُونُ لِبَابِهِ سِتْرُ

قال : وممن رضى بالقليل جميل ، قال :

أَقْلَبُ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لِعَلَّهُ * يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ

(١) هو كعب بن مالك ، كما في الكامل للبرد طبع (ربا (ص ٦٦) والأغاني (ج ١٥ ص ٢٠) وورد

فيه «يوما» بدل «قدم» . (٢) روى هذا المصراع في حاشية أبي تمام هكذا :

أَقُولُ خُبْرًا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعًا * مِنَ الْأَبْطَالِ ... الخ

(٣) كذا في نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٢٧) وحاشية أبي تمام . وفي الأصل : «... حياة...»

من الأجل ... الخ » وفي المعتمد الفريد : «... حياة... سوى الأهل...» (٤) في شرح

حاشية أبي تمام للتبريزي : «قال عنبه بن بجير ، وقيل إنه لمسكين الدارمي» . وروى البيت

فيه هكذا :

لَخَافِي خَافُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ * وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالُ مُقْنَعٍ .

(١)
وقول الآخر :

أليس الليل يُليْسُ أمَّ عمرو * وإيانا فذاك بنا تداني
تَرى وَصَحَّ النهار كما أراه * ويعلوها النهار كما علاي

قال : وبيت عمرو بن كلثوم في الجهل :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

قال : وبيت النابغة في ترك الإلحاح :

فأستبقِ ودَّكَ للصديق ولا تكن * قَتَبًا^(٢) يَعْضُ بفأربٍ ملِّحاً

قال : وفي إدراك الثارقول مهلهل :

لقد قتلت^(٣) بني بكرٍ برهبهم * حتى بكيت وما يبكي لهم أحدٌ

قال : وبيت عروة بن الورد في تبليغ العذر في الطلب :

لِتُبْلِغْ عُدْرًا أو تُفِيسِدْ غَنِمَةً * ومُبْلِغُ نفسِ عُدْرَها مثلُ مُنْجِجٍ

قال : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى :

كُلُّوا اليومَ من رزقِ الإلهِ وأبشِروا * فإنَّ على الرحمنِ رِزْقُكمُ غدا

قال : وفي الشجاعة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكَتِيبَةِ لا أبالي * أحتفي كان فيها أم سواها

(١) هو المملوط كما في كتاب الشعر والشعراء للأولف (ص ٢٦٧) ويروى فيه صدر البيت الثاني هكذا :

* بل وترى السماء كما أراها *

(٢) القَتَب : رجل صغير على قدر السن . وفي أساس البلاغة : « ومن المجاز فرهم للتح : هو قتب

يَعْضُ بالغارب ، وقت ملِّح » ثم ساق بيت النابغة مستشهدا به على ذلك . (٣) في خزنة الأدب

البغدادى (ج ١ ص ٢٠٣) : « أكثر قتلى ... الخ » . (٤) رواية ديوان عروة بن الورد

طبع المطبعة الأهلية بيروت (ص ٨) : « ... أو تصيب رغبة ... الخ » .

قال : وبيت المتأسس في المال وتثنيه ^(١) :

قليل المال تُصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير على الفساد

وأخبرنا ديعيل بن علي الشاعر قال : أهجى بيت قيل قول الطير ماح في تميم :
تميم بطريق اللؤم أهدى من القطا * واوسلكت طروق المكارم ضلت

قال : وكذلك قول الأخطل :

قوم إذا استنبح الأضياف كلهم * قالوا لأهمهم بولى على النار

قال : وكذلك قول الخطيئة للزبرقان في قصر الهمة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

قال غيره : وقول الطير ماح في القلة والنحول :

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو أسد

ونحوه قول الآخر :

وأنت تليخ كلهم الحوا * ر لا أنت حلو ولا أنت مرء ^(٢)

وكذلك قول جرير في التيم ^(٣) :

(١) كذا في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٩ طبعة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ) والشعر والشعراء للزلف

(ص ٨٨) ، ونهاية الأرب للنوري (ج ٣ ص ٦٤) ، ويروى صدر البيت في الأغاني والشعر
والشعراء : « وإصلاح ثقليل يزيد فيه ... الخ » ، ويروى في نهاية الأرب : « ... مع الفساد » .
وفي الأصل نسب البيت « لعبد » . (٢) تليخ : لا طعم له ، وخصه بعضهم بلحم الحوار الذي يمر
حين يقع من بطن أمه فلا يوجد له طعم . (٣) وقد ورد البيتان في ديوان جرير المخطوط المحفوظ
بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥١٥ ، ضمن قصيدة طويلة مطلعها :

ألا زارت وأهل بني هجود * ولبت خيالها بمنى يعود

ويروى في الديوان : « ... أو تقيت ... أيهم ... الخ » ، ويروى : « ... ولا يستامرون ... الخ » .

وقد عزا صاحب الأمانى « ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق » البيت الأول مع بيت آخر من القصيدة إلى الأخطل .

وإنك لو رأيت عبيد تيم * وتيمًا قلت أيهما العبيد
ويُقضى الأمر حين تغيّب تيم . ولا يستأذنون وهم شهود

وأحسن ما قيل في الهية :

يُغضى حياءً ويُغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتيسر

وأغرب ما قيل في مصلوب قول محمد بن أبي حمزة مؤلف الأنصار :

لعمري لئن أصبحت فوق مشذب^(١) * طویل تعفك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مرزاً^(٢) * وعُوفيت عند الموت من ضغطة القبر
وأفليت من ضيق التراب وعمه * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر

وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابي :

شهدت عليك بطيب المشاش^(٣) * وأنت بحر جواد خضم

وأنت سيّد أهل الجحيم * إذا ما تردّيت فيمن ظلم^(٤)

ومن أغرب ما قيل في دعى قول إبراهيم بن إسماعيل النبوى :

لو أن مؤتى تميم كلها نُسروا * وأثبتوك لقليل الأمر مصنوع

مثل الحديد إذا ما زيد في خلق^(٥) * تبين الناس أن الثوب مرقوع

ونحوه قول الآخر :

أجارتنا بأن الخليلط^(٦) فابشرى : فما العيش إلا أن يبين خليلط

أعاتبه في عريضه ليصونه * ولا علم لي أن الأمير لقيط

(١) جذع مشذب : مقشر مما عليه من الشوك . (٢) مرزاً : كريم يصيب الناس حبه .

(٣) في أساس البلاغة نديم محشرى : « ومن المجاز : فلان طيب المشاش » . وبه لكريم المشاش إذا

كان برا . (٤) كذا بالأصل . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري المخطوط المضمون

بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب : « النبوى » بتقديم النون على الراء ولم نوفق في المظان التي

بين أيدينا إلى استنباطه . (٥) في ديوان المعاني : « إن الحديد ... الخ » . (٦) الخليلط :

القوم الذين أمرهم واحد .

ونحوه قولُ دَعْبِلَ في مالِك بن طَوَّق :
 الناسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ * ما بين ذِي فَرَجٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ
 ومالِكٌ ظَلَّ مشغولاً بِنِسْبَتِهِ * يَرْمِي^(١) مِنْهَا خَرَاباً غَيْرَ مَرْمُومٍ
 يَبْنِي بِسَوْتِ خَرَابٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا * ما بين طَوَّقٍ إلى عَمْرٍو بن كُثُومٍ

التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض

٥. حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : تَرَكَ عَقِيلٌ عَلِيًّا وَذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ؛ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، مَا ظَنُّكُمْ بِرَجُلٍ لَمْ يَصْلُحْ لِأَخِيهِ ؟ فَقَالَ عَقِيلٌ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنْ أُنْحِيَ خَيْرٌ لِنَفْسِهِ وَشَرٌّ لِي ، وَإِنْ مُعَاوِيَةُ شَرُّ لِنَفْسِهِ وَخَيْرٌ لِي . قَالَ : وَقَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنْ عَمَّ هَذَا أَبُو هَلَبٍ ؛ فَقَالَ عَقِيلٌ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، إِنْ عَمَّ هَذَا حَمَّالَةُ الْحَطَبِ ؛ وَكَانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ أَمْرَأَةً أَبِي هَلَبٍ وَهِيَ بِنْتُ حَرْبٍ .
١٠. وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو هَلَالٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ لَقَيْسُ بْنُ عَبَادٍ : مَا تَقُولُ فِيَّ فِي الْحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ : أَغْنَيْني عَنْكَ اللَّهُ ! فَقَالَ : لَتَقُولَنَّ ؛ قَالَ : يَحْيَى أَبُوهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُشْفَعُ لَهُ ، وَيَحْيَى أَبُوكَ فَيُشْفَعُ لَكَ ؛ قَالَ : قَدْ عَلِمْتُ غَشَّكَ وَخُبْنَكَ ، لَنْ فَارِقْتَنِي يَوْمًا لِأَضَعَنَّ بِالْأَرْضِ أَكْثَرَ شَعْرًا .
١٥. قِيلَ لِمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : كَيْفَ رِضَاكَ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى^(٢) ؟ قَالَ : نِعَمَ الْمَرْءِ عَمْرُوَ آبَنِ مَيْمُونٍ .

مرَّ عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ بِالصَّبِيَّانِ وَفِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ ، فَفَقَرَا وَوَقَفَا ؛ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو : مَا لَكَ لَمْ تَفْتَرِمْ مَعَ أَصْحَابِكَ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَمْ أَرِمْ فَأَخَافُكَ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّرِيقِ ضَيْقٌ فَأَوْسَعَ لَكَ .

(١) رَمَ الحَانِطَ وَغَيْرَهُ : أَصْلَحَهُ . (٢) عَبْدُ الْأَعْلَى هَذَا هُوَ ابْنُ مَيْمُونٍ أَخُو عَمْرٍو .

حدثني الفضل بن محمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة قال : قال عبد الله
ابن طاهر ذات يوم لرجل أمره بعمل : احذر أن تُخطئ فأعقبك بكذا (لأمر عظيم)
قلت له : أيها الأمير، من كانت هذه عقوبته على الخطأ فما ثوابه على الإصابتة ! .

رأى رجل من قريش رجلاً له هيئة رثة^(١)، فسأل عنه ، فقالوا : من تغلب ، فوقف
له وهو يطوف بالبيت ، فقال له : أرى رجلين قلما وطئتا البطحاء ؛ فقال له :
البطحاوات ثلاث : بطحاء الجزيرة^(٢) ، وهي لى دونك ؛ وبطحاء ذى قار^(٣) ، وأنا أحق
بها منك ؛ وهذه البطحاء وسواء العاكف فيه والبادي .

حدثني سهل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره : أن معاوية عرّض
فرساً على عبد الرحمن بن حسان فقال : كيف تراه ؟ قال : أراه أجش^(٤) هزيماً .
يريد قول النجاشي^(٥) :

ونجى ابن حرب^(٦) ساج ذو علالة^(٧) « أجش هزيم والرماح دواني

حدثني محمد بن عبد العزيز قال حدثنا أبو سامة عن حماد بن سامة قال أخبرنا
داود بن أبي هند عن محمد بن عباد المخزومي أن قريشاً قالت : قبضوا^(٨) لأبي بكر

- (١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات . (٢) بطحاء ذى قار : موضع قريب من ذى قار
الذي كانت فيه الوثبة المشهورة بين العجم والعرب وانتصرت فيه العرب (راجع ما يقول عليه في المضاف
والمضاف إليه) . (٣) يريد بطحاء مكة . (٤) يقال : فرس أجش إذا كان غليظ
الصهيل ، وهو مما يحمى في الخيل . والهزيم من الخيل : الشديد الصوت . (٥) هو قيس
ابن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب . (٦) لما بلغ معاوية أن النجاشي قال فيه هذا البيت
رفع مندوبيه (تنبيه شدة وهي للرجل بمنزلة الندى للرأة) وقال : لقد علم الناس أن الخيل لا تجرى بملى
فكيف قال هذا ! راجع الشعر والشعراء للزلف (ص ١٨٩) . (٧) العلالة بضم العين : بقية
جرى الفرس . (٨) قبضوا : هيئوا وأتخذوا له .

رجلا يأخذه، فقيضوا له طلحة بن عبيد الله؛ فأتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر قم إلى؛ قال: إلّا أم تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى؛ قال أبو بكر: من اللات؟ قال بنات الله، قال: فمن أمتهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيئوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا أبا بكر، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم.

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن أبي إسحاق عن عبيد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قنديل^(١)؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، مأوها وشل^(٢)، وتمرها دقل^(٣)، وليصها بطل؛ إن كان بها الكثير جاعوا، وإن كان بها القليل ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحد بعثته إليها أبداً.

حدثني أبو حاتم قال حدثنا الأصمعي قال: مريض زياد فدخل عليه شريح، فلما خرج بعث إليه مسروق^(٤) [بن الأجدع يسأله] كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، فقال [مسروق]: إن شريحاً صاحب تعريض فسأله^(٥) [فسأله]؛ قال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء. ومات ابن شريح ولم يشعر به أحد، فغدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبح من يصل يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن علز^(٦)ه ورجاه أهله.

(١) كذا في معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري، هي مدينة بالسد. وفي الأصل: «قنديل» بالفاء.

(٢) الوشل بالتحريك: الماء القليل والكثير ضد. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدقل بالتحريك: أردأ التمر.

(٤) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١).

(٥) كذا في العقد الفريد وفي الأصل: «... صاحب عريض الخ».

(٦) العلز بالتحريك: القلق والكرب عند الموت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني بعض الأعراب قال : هَوِيَ رجلٌ امرأةً ثم تزوجها ، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزِقَّامنَ نَحْمٍ ، فشرب الرسولُ في الطريق بعضَ النحر وذبح شاةً ، فقالت للرسول لما أراد الانصراف : اقرأْ علي مولاك السلام ، وقل له إن شهرنا نقص يوماً ، وإن سُحِبَ راعي شائنا أتنا مرثوماً^(١) . فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقر .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : خطب أعرابي إلى قوم ، فقالوا : ما تبذل من الصَّدَاقِ؟ وأرتفع السَّجْفُ^(٢) فرأى شيئاً كَرِهَهُ ، فقال والله ما عندي نقد ، وإني لأكره أن يكون علي دين .

حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال : قال سلم بن قتيبة للشَّعْبِيِّ : ما تشتهي ؟ قال : أعزّ مفقود ، وأهون موجود ؛ قال : يا غلام أسقه ماء .

المدائني قال : كان لابن عَوْنِ بْنِ عَمٍّ يُؤْذِيهِ ، وَلَاحَاهُ^(٣) يوماً فقال له ابن عون ، لما بلغ منه : لتسكتن أولأشتين مُسَيِّمَةً . فشهد بعد ذلك عند عبيد الله بن الحسن ، فردَّ شهادته .

المدائني قال : قال المغيرة بن شُعْبَةَ : ما خَدَعَنِي أَحَدٌ قطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب ، فإني ذكرت امرأة منهم ، فقال : أيها الأمير ! لا خير لك فيها ، إني رأيت رجلاً قد خلا بها يقبلها ، ثم بلغني بعدُ أنه تزوجها ، فأرسلت إليه فقلت : ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ فقال : بلى ! رأيت أباهاً يقبلها .

(١) مرثوم : مكسور ، يقال : رُمَّ أنف فلان أو فوه إذا كسر حتى تقطر بالدم .

(٢) السجف بفتح السين وكسرهما : السر .

(٣) لاحاه : نازعه .

قال المدائني : أتى شريحاً القاضى قومٌ برجل ، فقالوا : إن هذا خَطَبَ إلينا :
فسألناه عن حرفته فقال : أبيع الدوابَّ ، فلما رُفِعَتْه ، فإذا هو يبيع السنانير ؛ قال :
أفلا قَلَمَ أىَّ الدوابَّ تبيع ! وأجاز ذلك .

المدائني قال : دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابنُ شُبْرَمَةَ ، فقال له :
أتعرفه ؟ [وكان رُمي عنده بريئة] قال : نعم ، إنَّ له بيتاً وشرقاً وقَدَمًا ، [نَحَلَّ سبيله] .
فلما نرج قال له أصحابه : أعرفته ؟ قال : لا ، ولكنى أعلم أن له بيتاً يأوى إليه ،
وشرفه أذناه ومنكباه ، وقدمه هى قدمه التى يمشى عليها .

المدائني قال : سئل الشعبي عن رجل ، فقال : إنه لنا فذ الطُّعنة ، رَكِين القعدة ،
يعنى أنه خَيَّاط [فأتوه فقالوا : غَرَرْتما ، فقال : ما فعلت ! وإنه لَكما وصفت] .

المدائني قال : أتى العُريَانُ بن الهيثم بشابٍّ سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :
أنا ابنُ الذى لا ينزل الدهرُ قَدْرُهُ * وإِن نزلت يوماً فسوف تعودُ
تري الناس أفواجا إلى ضوءِ ناره * فمنهم قيامٌ حولها وقعودُ
فظنَّ أنه من بعض أشراف الكوفة فخلَّاه ، ثم ندم على ألا يكون سألَه مَنْ هو ،
فقال لبعض الشرط : سَلْ عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابنُ بَيَّاعِ الباقِلِ .

دخل حارثةُ بن بدر الغُدَّاني على زياد ، وكان حارثة صاحب شرابٍ وبوجهه أثر ،
فقال له زياد : ما هذا الأثر بوجهك ؟ فقال حارثة : أصْلَحَ الله الأمير ، رَكِبْتُ فرسا

(١) الزيادة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩١) . (٢) فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣

ص ١٥٨) : « رَكِين الجلسة » . وفى البيان والتبيين (ج ١ ص ١٨٣) : « رَزِين المجلس » .

(٣) الزيادة عن نهاية الأرب . (٤) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠) : « الأرض » .

(٥) فى الأصل : « فقال زياد » وهو سهو من النسخ .

لى أشقر فحملنى حتى صدم بى الحائط ؛ فقال زياد : أما إنك لو ركبت الأشهب
لم يُصَبِّك مكروه . عني زيادُ اللبن ، وعني حارثةُ النبيذ .

١١
قعد قوم على نبيذ فسقط ذباب فى قدح أحدهم ، فقال رجل منهم : غُطَّ التيمى ،
فقال آخر : غُطَّه فإن كان تيمياً رَسَبَ ، وإن كان أزدياً طَفَا ؛ قال ربّ المنزل :
ما يسرنى أنه كان [قال] بعضكم حرفاً . وإنما عني أن أزدَ عُمانَ ملاحون .
٥

المدائنى قال : رأى رجل فى يد امرأة كانت تأتية خاتم ذهب ، فقال لها :
إدفعى إلىّ خاتمك أذكرك به ؛ فقالت : إنه ذهب ، وأخاف أن تذهب ، ولكن
خذ هذا العود لعلك تعود .

حدثنى الزيادى قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن صهيب
عن أنس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة مُردِّفاً أبا بكر شيخاً يُعرَفُ ،
ورسول الله شاب لا يُعرف ، فالتقى الرجلُ أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، مَنْ هذا
[الرجل الذى] بين يديك ؟ فيقول : [هذا الرجل] يهدينى السبيل ؛ فيحسب
السامع أنه يهديه الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير .

١٠
كان سنان بن مَكَلٍّ النيرى يسير أبناً هُبيرةً يوماً وهو على بغلة ، فقال له عمر بن
هُبيرة : غَضُّ من بغلتك ؛ قال : كلا ! إنها مكتوبة . أراد أبناً هُبيرة قول الشاعر :
١٥

(١) ورد هذا الخبر فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع السامى) بتفصيل عما هنا .
وملخصه أن القوم كانوا من الأزد ومعهم رجل عدول يتعصب لأصحابه من تميم . فلما رأى القوم
يهينون تيمياً عرض بأنهم ملاحون تعبيرا لهم . (٢) زيادة من كتاب الحيوان للجاحظ .
(٣) فى الأصل : «نقصكم» وهو تحريف . وفى كتاب الحيوان : «بعضهم» . (٤) الزيادة من
صحيح البخارى فى باب الهجرة . (٥) كذا فى الأصل والعقد نفريد (ج ١ ص ٢٩١) .
وفى نهاية الأرب للنويرى (ج ٣ ص ١٦١) : « قال عمر بن هُبيرة الفزارى لأيوب بن ظبيان
النيرى ... الخ » . وفى كتاب الكنايات للثعالبي (ص ٢٠٧) المطبوع بمطبعة الجواب سنة ١٣٠١ هـ :
«ساير شريك بن محمد النيرى عمر بن هُبيرة الفزارى على بغلة تجاوزت البغلة عمر فقال له : أغضض بغلتك ؛
فقال شريك : إنها مكتوبة ... الخ » . (٦) هو جرير .

١٠

١٥

٢٠

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُنِيرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابًا
وأراد سنان قول الآخر^(١) :

لَا تَأْمَنْتَ فَرَارِيًّا خَلَوْتَ بِهِ * عَلَى قَلُوصِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي^(٢) قال : قال معاوية للأحنف : يا أحنف ، ما الشيء
الملفّف في البجاد ؟ فقال : هو السّخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ * فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ بَغْيٌ بَزَادٍ
بُحْبُزٍ أَوْ يَمُرَّ أَوْ يَسْمِينِ * أَوَالِشَيْءُ الْمَلْفِيفِ فِي الْبِجَادِ^(٣)

وأراد الأحنف أن قريشا تُعِيرُ بِأَكْلِ السخينة .

المدائني قال : سأل الحرّسيّ أبا يوسف القاضي عن السواد ؛ فقال : النور

في السواد . يعني نور العينين في سواد الناظر .

المدائني قال : لقي شيطان الطّاق^(٤) خارجي فقال : ما أفارقك أو تبرأ من عليّ ،

فقال : أنا من عليّ ومن عثمان برىء . يريد أنه من عليّ ، وبرىء من عثمان .

سمع عمر بن الخطّاب امرأة في الطّواف تقول :

فَمَنْهُمْ مَنْ تُسْقَى بِعَسْبٍ مُبَرَّدٍ * تُفَاخِجُ فَلَكَمْ عِنْدَ ذَلِكَ قَرَّتِ^(٥)
وَمِنْهُمْ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرٍ آجِنٍ * أَجَاجٍ وَلَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ فَرَّتِ^(٦)^(٧)

١٥

(١) هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء للزّلف (ص ٢٣٧ والكامل للبرد ص ٨١) وخرانة

الأدب للبندادي (ج ١ ص ٨٥٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) . (٢) السخينة : طعام يتخذ

من دقيق ومن وكانت قريش تكثر من أكلها فعيّرت بها حتى سمّوها سخينة . (٣) البجاد : كساء

مخطط من أكسية الأعراب . (٤) الطاق : حصن بطبرستان سكن به محمد بن النعمان أبو جهمر

الأحول الملقب بشيطان الطاق ؛ واليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة . (٥) النفاخ : الماء البارد

العذب الصافي . (٦) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون . (٧) ماء أجاج : شديد الملوحة والمرارة .

٢٠

فعلم ما تشكو ، فبعث الى زوجها فوجده متغير القم ، فخير بين خمسمائة درهم
أو جارية من الفئ على أن يطلقها ، فاختار خمسمائة . فأعطاه وطلقها .

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال : كنت واقفا بهذا المكان ، وأقبلت
امرأة من هذه الناحية ، وغلām من الناحية الأخرى أبيض الوجه رائعه ، ونظرت
إليه المرأة ، فلما ألتقيا قالت له : ما أسمك يا فتى ؟ قال : محمد ؛ قالت : ابن من ؟
قال : ابن زانة ، وتبسم عن ثغرا فليج مختلف قبيح ؛ فقالت : واحرباه على ما قال !
فقلت لها : قد وقعت لك عليها ؛ قالت : من أين ؟ قلت : من كنية أبي الخير
النصراني كاتب سعيد الحاجب . أراد أن الياء إذا نقلت عن أبي الخير الى زانة ، صار
هذا أبا الخير ، وصار هذا ابن زانية .

مر ابن أبي علقمة يجلس بنى ناجية فبكأ حماره لوجهه فضحكوا ؛ فقال :
ما يضحكم ! إنه رأى وجوه قریش فسجد .

قال عمرو بن بحر قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده : يا أبا جعفر ، إنى
رجل منخريق الكف لا أليق^(١) درهما ، ويدي هذه صنّاع في الكسب ولكنها في الإنفاق
تخرقاء ، كم من مائة ألف درهم قسمتها على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك !
أسألك بالله يا أبا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول ؛
قال : فلم يرض أن حضرت حتى آتشتهدنى ، ولم يرض إذ آتشتهدنى حتى
آتحتلفنى .

(١) أفليج : متباعد ما بين الأسنان .

(٢) ناجية : قبيلة ، وهم بنو ناجية بن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك . (ياقوت) .

(٣) هو الجاحظ وقد ورد هذا الخبر في كتابه « البغلاء » (ص ١٤٨ طبع مدينة « ليدن »

سنة ١٩٠٠ م) . (٤) يقال : فلان ما يليق درهما : أى ما يمسك .

قال المدائني : بعث يزيد بن قيس الأرحبي . وكان واليا لعل^١ ، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرفه من الولاية وترك ابن الحنفية ، فضرب علي^٢ — عليه السلام — على جنب ابن الحنفية وقال :

وما شرّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذي لا تصبحينا^(١)

فرجع يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنية .

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني موسى بن محمد قاضي المدينة ، قال : مرّ رجل بأعرابي يوقد في أصل ميل^(٢) ، فقال : كم على الميل ؟ فقال : لست أقرأ ، ولكن كتابه فيه ؛ قال : وما كتابه ؟ قال : ^(٣) محجن وحلقة سمط وثلاثة أطباء وحلقة مذبذبة (يعني صورة خمسة) .

قال أبو اليقظان : إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرّع العصا * وما علم الإنسان إلا لعلما^(٤)

وذلك أن سعد بن مالك كان عند بعض الملوك ، فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا ينزله ، فبعث بعمرو فأبطأ عليه ، فألى الملك لئن جاء ذامًا أو حامدًا ليقتلنه ؛ فلما جاء عمرو وسعد عنده ، قال سعد للملك : أتاذن لي فأكلمه ؟ قال : إذا أقطع لسانك ؛ قال : فأشير إليه ؛ قال : إذا أقطع يدك ؛ قال : فأومئ إليه ؛ قال : ١٥ أقطع حنوء عينك ؛ قال : فأقرع له العصا ؛ قال : أقرع . فأخذ العصا فضرب بها

(١) كذا في معلقة عمرو بن كلثوم ؛ وفي الأصل « لا تصحينا » ومعنى لا تصبحينا : لا تسفبه

الصوح . (٢) يريد بالمحجن : رأس الخاء ؛ وبحلقة سمط : الميم ؛ وبثلاثة أطباء : السين ، وبحلقة مذبذبة : الهاء . والأطباء جمع طبي بكسر الطاء وتضم : حبات النضر التي فيها اللبن من ذرات

الحافر والسباع . (٣) ورد هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧) مع اختلاف

في الألفاظ . (٤) هو النعمان الأكبر كما في الأغاني . (٥) حنوء العين : يجأجها وهو

العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزَّها بين يديه، فلَقِنَ عمرو، فقال: أَيْتَتِ
اللَّعْنُ! أَيْتُكَ من أرض زائرِها واقف، وساكنُها خائف، والشَّيْبَى بها نائمة،
والمهزولة ساهرةٌ جائعة، ولم أرِ خصباً محلاً، ولا جدباً مزلاً^(٢).

لما حُكِّم أبو موسى وقَدِمَ ليحكم، دَسَّ معاويةً إلى عمرو رجلاً ليُعلم علمه
وينظر كيف رآيه؛ فأناه الرجل فكلمه بما أمره به؛ فعَضَّ عمرو على إبهامه ولم
يُجِبْه؛ فنَهَضَ الرجل فأتى معاويةً فأخبره؛ فقال: قاتله الله! أراد أن يُعلمنى أنى
فَرَرْتُ قَارِحاً^(٣).

حدَّثني أبو حاتم قال حدَّثني الأصمعي قال حدَّثنا عيسى بن عمر قال: سأل
النجاج جبر بن حبيب عن رجل، وكره أن يعاقبه إن دلَّ عليه، فقال: تركته والله
جسداً يُحَرِّكُ رأسه يُصَبُّ في حلقه الماء، والله لئن حِمَلَ على سرير لِيَكُونَنَّ عليه
عورةٌ؛ قال: فتركه.

حدَّثني القاسم بن الحسن عن خالد بن خَدَّاش عن حماد عن مجاهد عن عُمَيْرِ
ابن رُوذَى قال: خَطَبْنَا عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل
عثمان لا أدخلها ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا أدخلها؛ فقيـل له:

(١) لقن كفرج: بهم. (٢) كذا في الأصل. وورد الخبر في مجمع الأمثال للبدائي
(ج ١ ص ٣٢ طبعة بولاق): «... فأقبل عمرو حتى قام بين يدي الملك فقال له: أخبرني، هل حدثت
خصباً أرذمت جدباً؟ فقال عمرو: لم أذم هزلاً، ولم أحمد بطلا؛ الأرض مشكلة، لا خصبها يعرف،
ولا جدبها بوصف. رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف؛ قال الملك: أولى لك». وورد
هذا الخبر في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٥ طبع مدينة ليدن) كما ورد في مجمع الأمثال وفيه «لم أذم جدباً»
بدل «لم أذم هزلاً». (٣) فز الدابة فزا وفرارا: كشف عن أسنانها ليعرف ما سنها.
والقارح من ذى الحافر: الذى طلع نابه وهو بمنزلة البازل من الإبل. والمراد هنا أنه اختبر محنكا.
(٤) كذا في الأصل. ولم نعث على هذا الاسم. (٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٧٠):
«لا دخلتها أبنا».

ما صنعت! فزقت الناس! نخطبهم فقال: إنكم قد أكثرتم في قتل عثمان، ألا وإن الله قتله وأنا معه؛ قال: فحدثنا خالد عن حماد عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن سيرين قال: كلمةٌ عربيةٌ لها وجهان، أي وسيقتلني معه.

سأل زيادُ رجلاً بالبصرة: أين منزلك؟ فقال: وأسط، قال: مالك من الولد؟^(١)

- قال: تسعة. فلما قام، قيل لزياد: كذبتك في كل ما سألتك، ما له إلا ابنٌ واحد، وإن منزله بالبصرة. فلما عاد إليه، قال: ذكرت أن لك تسعة من الولد، وأن منزلك بواسط؟ قال: نعم؛ قال: خبرتُ بغير ذلك؛ قال: صدقتُ وصدقوك، دفنتُ تسعةً بنين فهم لي، ولي اليوم ابن واحد ولست أدري أيكون لي أم لا؛ وأما منزلي فإلى جانب الجبان بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأى منزل أوسط منه!
- قال: صدقت.

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال قال المختار لجنده: يا شرطة الله، أخرجني إلى قريب على الكعبة الحرام دابةً^(٢) له ست قوائم وله رأس بلا عنق، ثم آلتفت إلى رجل إلى جانبه فقال: أعني العسوب.

كان إبراهيم إذا لم يعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس إلى.

- بلغني عن معاوية بن حيان عن المبارك بن فضالة عن عبد الله بن مسلم بن يسار، قال: كان أبي إذا غضب على البهيمة، قال: أكلت سماً قاضياً.

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «كم لك من الولد».

(٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٠): «... إلى تسعة من الولد قدمت منهم ثمانية فهم لي وبق معي واحد، فلا أدري ألي يكون أم على».

(٣) الجبان والجبانة بالتشديد: المقبرة. (٤) تقع الدابة على المذكور المثلث؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

حدثني زيد بن أنحزم^(١) قال حدثنا أبو قتيبة قال حدثنا أبو المنهال البكر^(٢) قال :
كان الحسن إذا أخذ من لحيته شيء ، قال : لا يكن بك سوء .

وقيل للحسن : أتى رجل صاحباً له في منزله وكان يصلي ، فقال : أدخل ؟ فقال
في صلاته : (أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ) ؛ فقال : لا بأس .

كان محمد بن علي إذا رأى مبتلي أخفى الاستعانة : وكان لا يسمع من دأره
ياسائل بورك فيك ، ولا ياسائل خذ هذا ؛ ويقول : سمّوهم بالحسن الجميل عباد
الله ، فتقولون : يا عبد الله بورك فيك .

قيل لعلّ بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة^(٣)
مستجابة . قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم (يعني للشمس) .
كان رشم^(٤) عمر بن مهران الذي يرثم به على طعامه : اللوم أحفظه ممن يحطّفه .

خرج رجل من بني أسد بإبل له يسقيها ، ومعه أبنه له جميلة عاقلة ، حتى دفع
إلى ماء لبنى فزارة ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله ؛ فقالوا : على ألا تجأجئ بها ،
قال : فإذا لا تشرب شرب خير ؛ قالوا : إن رضىت وإلا فأنصرف ؛ فقالت له
الجارية : اشطّ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك ؛ فأخذ الدلو ، وجعلت الجارية ترمي
وتقول :

(١) هو بمجمعين كما في تهذيب التهذيب ، وفي الأصل «أنحزم» باخاء المهملة وهو تحريف .

(٢) البكرأوى بفتح الباء وسكون الكاف بعدها الراء المهملة منسوب إلى أبي بكر الثقفي وهو من
الصحابه الذين تزاوا البصرة رضى الله عنهم كما في كتاب الأنساب للسمعاني .

(٣) في العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٥) : «مسيرة ساعة لدعوة مستجابة» .

(٤) الرشم : ختم الحنطة بالروشم ، والروشم لوح منقوش تحتم به البيادر .

(٥) جأجأ بالإبل : دعاها لورود الماء لتشرب بقوله : جى ، جى .

جارية شَبَّتْ شبابَ السُّلجِ * ذاتُ وشاحينِ وذاتُ دُمْلجٍ^(١)
وذاتُ تَغِيرٍ أَشْنِبٍ مُفْلَجٍ * وذاتُ خَلْقٍ مُسْتَبٍ مُدَجٍ^(٢)

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رَوَيْتُ من غير أن جأجا بها .

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازراً ولا يتنحج ، فلما شربه^(٣)
[و]تَقَطَّعَ في حلقه ؛ قال : كَبَشُ أُمْلَجٍ ؛ فقال صاحبه : فَعَلَهَا وَرَبَّ الكعبة ! فقال :
مَنْ فعلها فلا أفلح . وكان ما تبايعا عليه كبشا .

قال الأصمعي : قلت لأعرابي معه شاةٌ : لمن هذه الشاة ؟ فقال : هي لله عندي .

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عمارة بن زاذان قال حدثنا
أبو الصهباء قال : قال الحجاج لسعيد بن جبير : اخْتَرْتُ أَيَّ قِتْلَةٍ شِئْتَ ؛ فقال له :
بل اخترت أنت لنفسك ، فإن القصاص أمانك .

ولي هَرْتُمَةُ الحرس مكان جعفر بن يحيى ، فقال له جعفر : ما آتيتك عنى نعمة
صارت إليك .

أمر الحجاج ابن القريّة أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ، ويمنعها^(٤)
بعشرة آلاف درهم ؛ فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك : كنت فينت ، وهذه
عشرة آلاف مُنعة لك ؛ فقالت : قل له : كما فما حَمَدنا ، وبنا فما نَدِمنا ؛ وهذه
العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي .

(١) السُلج : النصف "ناعم" . والدُمْلج : ما يشتد على العبد من الخلق .

(٢) الثغر الأشنب : ما فيه رقة وصفاء . ومستتب : مستقيم . ومدجج : مكثّر غير مسترخ .

(٣) اللبن الحازر : الحامض .

(٤) زيادة يقتضيه الكلام .

(٥) ورد هذا الخبر في المحاسن والأضداد للمحافظ (ص ٢٤٠) بتبسطة عما هنا .

سئل سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ قَوْلِ طَاوُسٍ فِي ذِكَاةِ السَّمَكِ أَوْ الْجُرَادِ؛ فَقَالَ ابْنُهُ عَنْهُ : ذَكَاتُهُ صَيْدُهُ .

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة ، فقام رجل من عُذْرَةٍ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ الْمُقَنِّعِ ، وَآخَرُطٌ مِنْ ^(١) سَيْفِهِ شَبْرًا ، ثُمَّ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَإِنْ يَهْلِكَ فِهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى يَزِيدَ ، فَمِنْ أَبِي فِهَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَنْتَ سَيِّدُ الْخَطْبَاءِ .

قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجِجَارِ لِأَبْنِ شُبْرَةَ : مِنْ عِنْدِنَا نَخْرَجُ الْعِلْمُ؛ قَالَ ابْنُ شُبْرَةَ : ثُمَّ لَمْ يَعُدَّ إِلَيْكُمْ .

قَالَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ مُعَاوِيَةُ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ ^(٢) : أَتُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَأَتُمْ يَا بَنِي أُمِيَّةٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . وَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : مَا أَبِينَا الشَّبَقَ فِي رِجَالِكُمْ ! فَقَالَ : هُوَ فِي نِسَائِكُمْ أَبِينَا .

أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ : قَالَ ابْنُ ظَبْيَانَ التَّيْمِيُّ لِرُزْعَةَ بْنِ صَمْرَةَ : ائْتِدْ طَلَبْتِكَ يَوْمَ الْأَهْوَازِ وَلَوْ ظَفِرْتُ بِكَ لَقَطَعْتُ مِنْكَ طَائِقًا سُبْحًا ؛ قَالَ : أَفَلَا أَدْلُكَ عَلَى طَائِقٍ هُوَ أَسْخَنُ وَأَحْوَجُ إِلَى الْقَطْعِ ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَ : بَطْرَيْنَ إِسْكَنْتِي أَمْكُ .

أَبُو الْيَقْظَانِ قَالَ : بَعَثَ الْجَجَّاجُ إِلَى الْفُضَيْلِ بْنِ بَزْوَانَ الْعَدَوَانِي ، وَكَانَ خَيْرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُؤَلِّكَ ، قَالَ : أَوْ يُعْنِي الْأَمِيرُ ؟ فَأَبَى وَكَتَبَ عَهْدَهُ ، فَأَخَذَهُ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَرَمَى بِالْعَهْدِ وَهَرَبَ ، فَأَخَذَ وَأَتَى بِهِ الْجَجَّاجُ ، فَقَالَ : يَا صَدِيقَ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : لَسْتُ لَكَ وَلَا لِلْأَمِيرِ بَعْدُ ؛ قَالَ : أَلَمْ أَكْرَمَكَ ! قَالَ : بَلَى أَرَدْتُ أَنْ تُبَيِّنَنِي ؛ قَالَ : أَلَمْ أَسْتَعْمَلْكَ ! قَالَ : بَلَى أَرَدْتُ أَنْ تَسْتَعْبِدَنِي ؛ قَالَ :

٢٠ (١) أى اسئلته من غمده بمقدار شبر . (٢) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٣٣) «عقيل» مكان «ابن عباس» .

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) الآية ؛ قال : ما استوجبت واحدةٌ منهم ؛ قال : كل ذلك قد استوجبت بخلافك . وأمر رجلاً من أهل الشام أن يضرب عنقه .

سليمان بن أبي شيخ قال حدثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير قال :
 (١) كان في مجلس زياد ، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة ، في أربع زوايا كتاب
 بقلم جليل : "الوالى شديد في غير عنف ، لين في غير ضعف ؛ الأعطية لإبائهما ،
 والأرزاق لأوقاتهما ؛ البعوث لا تُجبر ؛ المحسن يُجزى بإحسانه ، والمسيء يُؤخذ على يديه"
 كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها .

قال سليمان وحدثنا أبو سفيان الحميري قال : أبلى أبو جهم بن كنانة يوم الراوية ،
 فقال له الججاج : من أنت ؟ قال : أنا أبو جهم بن كنانة ، قال له الججاج : قد زدناك
 في أسمك ألفاً ولما فانت أبو إلهم ، وزدنا في عطائك ألفاً .

العباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : قال معاوية
 لشداد بن أوس : يا شداد ، أنا أفضل أم علي ؟ وأينا أحب إليك ؟ فقال : علي أقدم
 هجرة ، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقاً ، وأشجع منك قلباً ، وأسلم منك نفساً ؛
 وأما الحب فقد مضى علي . فأنت اليوم عند الناس أرحى منه .

قال الأحنف لمعاوية في كلام : أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره ، وسره
 وعلايته ، فلا تلقمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة .

(١) ورد هذا الخبر في العقد الهريدي (ج ٣ ص ٤) هكذا : « كان في مجلس زياد مكتوب : الشدة
 في غير عنف ، واللين في غير ضعف ؛ المحسن يجازى بإحسانه ، والمسيء بمساوئته ؛ الأعطيات
 في أيامها ؛ لا احتجاب عن طارق ليل ، ولا صاحب ثغر » . (٢) تجير البعوث : جمعهم في الثغور
 وحبسهم عن العود إلى أهلهم . ومنه حديث الهرمزان : إن كسرى جرح بعوث فارس . وروى الربيع أن
 الشافعي أنشده :

وبجرتنا تجير كسرى جنوده ، ومنيتنا حتى نسيبنا الأمانيا

خطب الجحاج فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامع المحاربين: ^(١) أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شئتوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك، فدع ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية فيمن دونك تُعطى من فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعيدك؛ فقال الجحاج: والله ما أراى أردني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف؛ فقال: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار؛ قال الجحاج: الخيار يومئذ لله؛ قال: أجل! ولكك لا تدري لمن يجعله الله؛ فقال: يا هناه، إنك من محارب! فقال جامع:

ولمحرب سميًا وكنا محاربًا * إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرًا

فقال الجحاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك؛ فقال له يا حجاج: إن صدقناك أغضبك، وإن كذبتناك أغضبنا الله، فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

قال الأصمعي أخبرنا شيخ من قضاة، قال: ضلنا مرة الطريق فاسترشدنا عجوزًا؛ فقالت: استبطن الوادي وكن سيلاً حتى تبلغ.

ابن الكلبي قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت يهودي ^(٣) ابن يهودي، إن ظفیر أحب الثريقين إليك عزلك واستبدل بك، وإن ظفیر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وترقوسه ورمى غرضه، فأكثر الخز وأخطأ

(١) في الأصل «لنفسك» وقد أثبتنا ما في البيات والتبيين (ج ٢ ص ٦٨) لمنع التكرار مع قوله «لذات نفسك» (٢) هن: كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان، فإذا ناديت، لمذكرًا بغير التصريح باسمه قلت: يا هن أقبل. وقد تزداد الألف والهاء فيقال للرجل: يا هناه أقبل، بضم الهاء على تقدير أنها آخر الاسم، وبكسرهما لاجتماع الساكنين. (انظر اللسان مادة هنا). (٣) وردت هذه الحكاية بكتاب الكامل للبرد ص ٢٩٨ طبع مدينة ليسيج وكتب عليها بأسفل الصحيفة ما نصه «هذه حكاية غير صحيحة».

(٤) في الكامل: «إلى قيس بن سعد وهو والي مصر لعل بن أبي طالب».

الْمَفْصِلُ، نَخَذْلَهُ قَوْمُهُ، وَأَدْرَكَهُ يَوْمُهُ؛ ثُمَّ مَاتَ طَرِيدًا بِحَوْرَانَ؛ وَالسَّلَامُ. فَكَتَبَ
إِلَيْهِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَنْتَ وَثْنٌ^(١) ابْنُ وَثْنٍ، دَخَلْتَ فِي الْإِسْلَامِ كَرَهَا
وَنَحَرَجْتَ مِنْهُ طَوْعًا، لَمْ يَقْدَمْ إِيْمَانُكَ وَلَمْ يَحْدُثْ تَفَاقُكَ، وَقَدْ كَانَ أَبِي وَتَرْقُوسُهُ
وَرَمَى غَرَضَهُ، وَشَغَبَ^(٢) عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْ كَعْبَهُ وَلَمْ يُشَقَّ غُبَارُهُ، وَنَحْنُ أَنْصَارُ الدِّينِ
الَّذِي نَحَرَجْتَ مِنْهُ، وَأَعْدَاءُ الدِّينِ الَّذِي نَحَرَجْتَ إِلَيْهِ؛ وَالسَّلَامُ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ: شَعَرْتَ
أَنْ مِثْلَكَ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِحَتَّى يُقَالَ عِنْدَ مِثْلِ الْأَعْمَشِ؛ فَقَالَ خَالِدٌ: صَدَقْتَ،
مِثْلُ حَمَامٍ عَنْتَرَةٍ، وَيُقَالُ وَرْدَانٌ وَيَبِيطَارٌ (حِيَانٌ).

قَالَ الرَّبِيعُ لِشَرِيكَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَهْدِيِّ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ خُنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَقَالَ
شَرِيكَ: لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لِأَتَاكَ نَصِيئُكَ.

قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ: أُرِيتُ الْبَارِحَةَ فِي مَنَامِي كَأَنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ جَمِيعَ
مَا فِيهَا مِنَ الْقُصُورِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذِهِ؟ فَقِيلَ: لِلْعَرَبِ؛ فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ مِنَ
الْمَوَالِي: أَصْعَدْتَ الْغُرْفَ؟ قَالَ: لَا؛ قَالَ: فَتِلْكَ لَنَا.

وَكَتَبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بْنِ ظَبْيَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ عَشِمْتُ
أَعَشَى الشَّجَرَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ ظَبْيَانَ: مِنْ ذَلِكَ الشَّجَرِ كَانَ يَرْبِطُ^(٤) أَيْبُكَ. يَعْنِي
مُسْلِمُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ مَغْنِيًّا لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ.

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْبَيَانُ وَالْتَبْيِينُ (ج ٢ ص ٤٣ طبع مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ)
وَالْكَامِلُ لِلْبَدِيدِ (ص ٢٩٨) وَبَطَلُهَا: وَثْنٌ ابْنُ وَثْنٍ، نِسْبَةٌ إِلَى الْوِثْنِ وَهُوَ الصَّمُّ. (٢) شَغَبَ عَلَيْهِ
(بِالتَّشْدِيدِ): حَبَّجَ عَلَيْهِ الشَّرَّ. (٣) كَذَا بِالْأَصْلِ، وَلَمْ نَوْفُقْ إِلَى تَحْقِيقِهِ أَوْ فَهْمِ التَّعْرِيفِ مِنْهُ.
(٤) الْبَرْبِطُ بِكَعْفَرٍ: الْعُودُ مِنْ آلَاتِ الْمَوْسِيقَى، وَقِيلَ هُوَ مَعْرَبٌ «بَرْبِطٌ» بِكسر الراء، كَمَا هُوَ مُضْبُوطٌ
فِي الْأَصْلِ هُنَا، وَمَعْنَى بَرْبِطٍ بِالْفَارْسِيَّةِ: صَدْرُ الْإِوْزِ، أُطْلِقَ عَلَى الْعُودِ لِشَبَهِهِ بِهِ.

قال بَحْرُ بْنُ الْأَحْنَفِ لِحَارِيَةِ أَبِيهِ زَبْرَاءَ : يَا فَاعِلَةٌ ؛ فَقَالَتْ : لَوْ كُنْتُ كَمَا تَقُولُ أَتَيْتُ أَبَاكَ بِمِثْلِكَ .

وقال رجل لأَبْنَسِهِ : يَا بَنُ الْفَاعِلَةِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ صَدَقْتَ مَا فَعَلْتَ حَتَّى وَجَدْتُكَ فُحْلَ سَوَاءٍ .

٥ أنت ابنةُ الْخُسِّ عُكَّاطٌ ، فَأَنَاهَا رَجُلٌ يَمْتَحِنُ عَقْلَهَا وَيَمْتَحِنُ جَوَابَهَا ، فَقَالَ لَهَا :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ ؛ قَالَتْ : هَاتِ ، قَالَ : كَادَ ؛ فَقَالَتْ : الْمَتَعِلُ يَكُونُ رَاكِبًا .

قَالَ : كَادَ ؛ قَالَتْ : الْفَقِيرُ يَكُونُ كُفْرًا . قَالَ : كَادَ ؛ قَالَتْ : الْعَرُوسُ تَكُونُ مَلِكًا .

قَالَ : كَادَ ؛ قَالَتْ : النَّعَامَةُ تَكُونُ طَائِرًا . قَالَ : كَادَ ؛ قَالَتْ : السَّرَارُ يَكُونُ سَحْرًا .

ثُمَّ قَالَتْ لِلرَّجُلِ : أَسْأَلُكَ ؟ قَالَ : هَاتِي ، قَالَتْ : عَجِبْتُ ؛ قَالَ : لِلسَّبَاحِ لَا يَنْبَغُ

١٠ كُلُّوْهَا وَلَا يَجِفُ ثَرَاهَا . قَالَتْ : عَجِبْتُ ؛ قَالَ : لِلْحِجَارَةِ لَا يَكْبُرُ صَغِيرُهَا وَلَا يَهْرَمُ

كَبِيرُهَا . قَالَتْ : عَجِبْتُ ؛ قَالَ : لَشَفْرِكَ لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ وَلَا يُمَلَأُ حَفْرُهُ .

المدائني قال : كَانَ عُرَامُ بْنُ شَيْثَرٍ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَأَتَى إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ خَاتَمَهُ

وَفَضَّهُ أَخْضَرَ ، فَعَقَدَ عُرَامُ فِي الْخَاتَمِ سَيْرًا . أَرَادَ عُمَرُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَقَدْ زَرَقْتُ عَيْنَاكَ يَا بَنُ الْمُكْغَبَرِ ، كَمَا كُلُّ ضَبٍّ مِنَ اللَّثُومِ أَزْرُقُ

١٥ وَأَرَادَ عُرَامُ :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًا خَلَوْتَ بِهِ . عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتَنَبَهَا بِأَسْيَارِ

قال جرير للأخطل : أَزَقْتُ نَوْمَكَ ، وَاسْتَهْضَمْتُ قَوْمَكَ ؛ قَالَ الْأَخْطَلُ :

قَدْ أَزَقْتُ نَوْمِي ، وَلَوْ نِمْتُ كَانَ خَيْرًا لَكَ .

(١) كَذَا فِي الطَّبَرِيِّ (طَبْعُ أَوْرُوبَا ص ١٢٠٣ — ١٢٠٤ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي) . وَفِي الْأَصْلِ :

٢٠ "عَذَامٌ" بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ . (٢) كَذَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ "زُرُقٌ" وَالْأَعْيَانُ (ج ١٩ ص ٤٩ طَبْعُ

بُورْلَاق) وَفِيهِ يَنْسَبُ الشُّعْرُ إِلَى سُورَيْدِ بْنِ أَبِي كَاهِلٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « كَمَا ظَلَّ ظِي ... » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أراد معاوية أن يخطب بصفتين فقال له عمرو بن العاص : دعني أتكلم ، فإن أتيت على ما تريد وإلا كنت من وراء ذلك ، فأذن له ، فتكلم بكلمات : قال : قدموا المستلثة^(١) وأخروا الحسر ، كونوا مقصّ الشارب ، أعيرونا أيديكم ساعة ، قد بلغ الحق مَفْصَلَهُ ، إنما هو ظالم أو مظلوم .

- ٥ حدثني أبي سعد عن محمد بن الحسن التميمي عن عبد الله بن أحمد بن الوضاح ، قال : دخل أعرابي على عبد الملك بن مروان^(٢) ، فقال له : يا أعرابي صف الخمر فقال : شمول إذا شجبت وفي الكأس مرة * لها في عظام الشارين ديب تريك القدي من دونها وهي دونه * لوجه أخيها في الإناء قطوب فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد آتتهك عندي حسن صفتك لها ، قال : يا أمير المؤمنين وآتتهك عندي معرفتك بحسن صفتي لها .
- ١٠

مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

- لو أخطأت سبيل إرشادك ، لما أخطأت سبيل حسن النية فيما بيني وبينك .
لو خطر ذلك ببالي من فعلك ، ما عرضت ستر الإخاء للهتك بيني وبينك .
قد أحسنت في كذا قديما . وفعلك كذا إحدى الحسنيين بل أطفهما موقعا .
أنت رجل لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك . فقَدَمَ^(٣) على نفسك من قَدَمِكَ على نفسه . الله يعلم أنك ما خطرت ببالي في وقت من الأوقات إلا مثل الذي كَرَمَكَ لي محاسن تزيدني صباغة إليك وضنا بك واعتباطا بإخائك . لعل الأيام
- ١٥

(١) المستلثة : الطائفة التي عليها اللأم وهي الدرء .

(٢) الذي في الأغانى (ج ٦ ص ١٢٧ طبع بولاق) : «دخل ابن الأثير على الوليد بن يزيد...» .

«ورود فيه الشطر الأول من البيت الأول هكذا : «كبت اذا شجبت وفي الكأس وردة» .

٢٠

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤١) . وفي الأصل : «اتهم على نفسك ...» .

أَنْ تُسَهِّلَ لِأَخِيكَ السَّبِيلَ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ نَفْسُكَ مِنْ بَرَكَ وَمُعَاوَضَتِكَ بِبَعْضِ مَا سَلَفَ لَكَ .

ما هذا الغَبَا العجيب الذي إلى جانبه فِطْنَةٌ لطيفة . حَكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ حَكْمِ الْإِصْرَارِ .

٥ من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يُؤْخَذُ^(٢) بالعين، كان حَرِيًّا أَنْ يُحْطَى في باطن دينه وفيما يُؤْخَذُ بالعقل .

ومن أَوَّلَ مَا أُحِبَّ أَنْ أُؤَثِّرَكَ بِهِ وَأَقِضِي فِيهِ وَاجِبَ حَقِّكَ، تَنْبِيهُكَ عَلَى عَظِيمِ مَا لَكَ عِنْدَكَ ، وَحَثُّكَ عَلَى الْإِزْدِيَادِ مِمَّا يَزِيدُكَ .

١٠ من كان بمثل موضعك بجمع له حمدُ إخوانه ورضا مُعَايِلِيهِ والاستقصاءُ مع ذلك لمن استكفاه، فقد عَظُمَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِ، وَلَا أَعْلَمُ بِمَا أَسْمَعُ فِيكَ إِلَّا أَنَّكَ كَذَلِكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد، وأحوجَه إلى ما يجد به طعمَ الحمد !
قد حَسَدَكَ مِنْ لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ^(٣)، وَطَلَبَكَ مِنْ لَا يَقْصِرُ دُونَ الظُّفْرِ، [فَأَشَدُّ حَيَازِيْمَكَ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ] ^(٤) .

١٥ أَنْتَ تَتَجَنَّى عَلَى مَا لَكَ لِتُتْلَفَهُ بِأَسْبَابِ الْعِلَالِ، كَمَا يَدْفَعُ عَنْ مَالِهِ الْبَخِيلُ بِوَجْهِهِ الْإِعْتِلَالِ . أَنْتَ طَالِبُ مَغْنَمٍ، وَأَنَا دَافِعُ مَغْرَمٍ ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا لِمَا مَضَى ، فَاعْذِرْ فِيمَا بَقِيَ . مَكْرُكَ حَاضِرٌ، وَوَفَاؤُكَ مُتَأَخِّرٌ . أَنَا رَاضٍ بِعَفْوِكَ، بِأَنْزِلُ لِلْمَجْهُودِي .

نَوَائِبُ الْأَيَّامِ رَمَتْ بِهِ نَاحِيَتَكَ ؛ وَإِذَا رَأَيْتَهُ أَنْبَأَكَ ظَاهِرَهُ عَنْ بَاطِنِهِ وَدَعَاكَ إِلَى مَحَبَّتِهِ قَبُولُهُ ، وَهُوَ فِي الْأَدَبِ بِمَحِثِ الْمُسْتَغْنَى عَنِ النَّسَبِ ^(٥) .

٢٠ (١) فِي الْأَصْلِ "وَمُعَارَضَتِكَ" . (٢) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . فِي الْأَصْلِ : "وَفِيَا تَوْحِيدًا..." .

(٣) فِي الْأَصْلِ : "السَّفَا" . (٤) زِيَادَةٌ عَنِ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . (٥) فِي الْأَصْلِ : "السَّبَبُ" .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلا يكون غيرك فيما يبلغك أوثق من نفسك فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاك على رقة من حاله وبعيد من شقته ، فنشدتك الله أن تقدم شيئاً على تصديق ظنه وسد خلته وبلى ما يتست هذه النكبة من أديمه ، فإنه غدى نعمة وخدين مروءة .

أنا أسأل الله أن ينجزلى ما لم تزل الفراسة تعذنيه فيك . الحرية نسب . فهمت ما اعتذرت به في تأثرك ، وغضضت به منى طرفاً طامحاً إليك ونفساً تواقاً الى قربك .

وصل كتابك فكان موقعه موقع الروح من البدن . فإن أمير المؤمنين يحب ألا يدع سبيلاً من سبل البر وإن عفا ودثر إلا أناره وأوضح محجته ، ولا خلة من خلال الخير لا أول لها إلا آهبل الفرصة^(١) في إنشائها ، واختيار مكرمة ابتدائها ، لتجيب له مساهمة الفارط^(٢) في أجره ، ويكون أسوة الغابر في نوابه .

لولا وجوب تقديم العذر لصاحب السلطان ، في الدهول عن مواصلة من يجب عليه مواصلته ، بما يستولى عليه من الشغل بعمله ، إذا لكثرة العتب .

إنك لكل حسن أبلته ، ومعروف أسديته . وجميل أتيتته ، وبلاء كان لك ربيته ، أهل في الدين والحسب القديم .

لك — أعزك الله — عندي أياد تشفع لي الى محبتك ، ومعروف يوجب عليك الرب^(٣) والإتمام .

(١) آهبل الفرمة : اغتنمها . (٢) الفارط : السابق . (٣) الرب : الزيادة .

وفي العقد الفريد «الود والإتمام» .

أفعال الأمير مختارة كالأماني، متصلة عندنا كالأيام، ونحن نختار الشكر لكرم فعله، ونواصل الدعاء والذكر مواصلةً بَرّه .

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقفتي نوائب الأيام، وثمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استعباد مَن الرجال، وبَسَطَتْ لي الأمل في بلوغ ما ناله بك مَن رفعت خسيسته ونوهت بذكره، وأعانتني على اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم عن أيدي غيركم، حتى خَلَصْتُ لهم منكم فعزوا، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم حين سَكروا، ولم يحتملوا صنعة لسواكم لما اعتدوا، ولم تشعبهم الدنيا عنكم إذ اضطروا .

إِنَّ اللَّهَ أَحْلَكَ^(١) مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مَحَلًّا نَزَاكَ بِهِ عِوَضًا مِنَ الْغَائِبِ، وَخَلَقًا مِنْ هَالِكِ، وَنَجَدَكَ مَخْصُوصًا بِضَرَائِنَا إِذْ كُنْتَ وَلِيَّ سَرَائِنَا، وَكَذَا لَكَ كَالْجَوَارِحِ نَأْلَمُ لِكُلِّ مَا أَلَمَ مِنْهَا .

نحن نعوذ بالله من سَخَطِكَ، ونستجير به من غَضَبِكَ، ونسألك النظر فيما كتبنا به صادقين، كما سمعتَ قَصَصَ الْكَاذِبِينَ، فإنا على سلامةٍ مِمَّا رَقَّوهُ^(٢) .

كتبي — أعزك الله — تأتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب الدواعي، وإن كان حَقُّكَ يُكْزِمُنِي إِلَّا تُغْبِكَ، لولا ما أتذكر من زيادتها في شُغْلِكَ .

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل موَدَّتِهِ، الصابر على ما ناب من حقوقهم .

كنتُ أمِسَ — أكرمك الله — عليلًا، وركبتُ اليوم على ظِلْعِ ظَاهِرِ وَرِقَّةٍ^(٣) شديدة، فلما أنصرفتُ أمرتُ بإغلاق الباب للتودع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقك بما يستدعي عَثْبَكَ عليه وعتبه عليك ما وافق .

(١) في الأصل : «أهلك ...» . (٢) أي رموه اليك من الأخبار الكاذبة .

(٣) في الأصل : «ضلع» .

لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب اليك في الحاجة ، فأتوقف أحيانا توقف
 المبقى عليك من المؤونة ، وأكتب أحيانا كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على
 المقة ؛ لا أعدمتنا الله دوام عزك ، ولا سلب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصنع
 [الله] على يدك وفي كتفك ، فإننا لا نعرف إلا نعمتك ، ولا نجد للحياة طعما وندي إلا
 في ظلك .

إن كان هذا مما ترضاه لي ، فليست ألتبس أكثر منه ، وقوفا بنفسى عند الحظ
 الذى رضىته لي .

أنا والله أراك في رتبة المنعم إجلالا ، وبحل الشقيق من القلب محبة وإخلاصا .
 أما شكرى فمقصود على سالف أياديك ، وبه قصور عنه فكيف يتسع
 لما جددته ! .

الله عندك نعيم جسام تقاضاك الشكر . وقاك الله شر نفسك ، فإنها أقرب
 أعدائك إليك .

ولم أزل ورجلا من حادثة كذا عليك ، إذ كان ما ينالك — لا أنا لك الله سوءا —
 متصلا بى ومُدخلا الضرر على فى ركنى منك أعتمد عليه ، وكنت لك أستدري به .

وصل الى كتاب منك . فما رأيت كتابا أسهل فنونا ، ولا أملس متونا ، ولا أكثر
 عيونا ، ولا أحسن مقاطع ومطالع ، ولا أشد على كل مقصلي حزا منه ؛ أنجزت فيه
 عدة الرأى وبشرى الفراسة ، وعاد الظن بك يقينا ، والأمل فيك مبلوغا .

لا غيبك الله عن مواطن العز والصنع ، وأشهدك إياها بعلويدك ، وهبوب
 ريحك ، واستفادة جميع أهلها بزمام طاعتك .

(١) كذا وردت هذه الجملة من هذا الفصل فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٨) وفى الأصل :
 « لا أزال قد سلت الكتاب ... الخ » وهو غير مستقيم . (٢) فى العقد الفريد : « الخفف
 عنك ... » . (٣) الزيادة مأخوذة من العقد الفريد .

(١) قد رميت غرض الحق بسهم الباطل وحللت عقال الشر .

(٢) كنت سالما إن سليت من عتبك .

أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك ، وأسألك بحق صبري على ظلمك لما أسعفت
بما سألتك .

ليس ينبغي لك أن تستبطئ فهمي وقد أسأت إلهامي .

من أبعده من البر من مريض لا يؤتى في دائه إلا من جهة دوائه ، ولا في علته
إلا من قبل حيمته ! .

(٣) لست في حال يقيم عليها حراً ويرضى بها كريم ، وليس يرضى بهذا الأمر إلا من
لا ينبغي لك أن ترضى به .

١٠ قد شئت في ذراك وهرمت في ظلك ، فإما رددت على شبابي وأعدت إلى
قوتي ، وإما دفعت إلى ما ينوب عن الشباب ويجهز الضعف ، ولا بد من أحدهما ،
فاختر لنفسك وأخرج إلينا من هذا الدين ؛ فقد أمسكنا عن التقاضى ما أمكن ،
وصبرنا على المواعيد ما صلب ؛ ودعنا من الحوالة فإن الصنية لا تتم بالحوالة ؛ وإن
جاز أن نقيم لنا زعيماً بالنعمة ، جاز أن نقيم لك زعيماً بالشكر ؛ وإن جاز أن تؤمك
١٥ ويحقق آمالنا غيرك ، جاز أن نشكر غير المنعم ونأمل غير المصطنع .

ما استعظم أن تسبق إلى حسن بل استعظم أن تسبق إليه وتغلب عليه .

(٤) لأن كنت جاوزت بي قدرى عندك لما بلغت بك أمل فيك .

لا يقبضك عن الأئس بي تقصيرك في البر .

(١) كذا وردت هذه الجملة في الأصل . وظاهر أن فيها تبديلاً ونقصاً . ولعل صوابها : قد رميت

٢٠ عرض الباطل بسهم الحق ، وحللت عقال الشريد الخير . (٢) في الأصل : "كنت ..." .

(٣) في الأصل : «ولا يرضى بها ...» وهو غير مستقيم . (٤) في الأصل «إن كنت ...» .

بلغتني عِلَّتُكَ فَنالني من أَلَمِها ، وغالني مما مَسَّكَ فيها حسبُ حَقِّكَ وما يُخَصِّنِي
من كلِّ حالٍ تصرَّفتُ بك .

أُعذِّرُ إِيَّاكَ من تَأَنُّرِ كَتَبِي عَنْكَ بِتَرَامِي الثَّقَلَةِ وَتَقَادُفِ الْغُرْبَةِ وَعَدَمِ الطَّمَأْنِينَةِ ،
فَإِنِّي مِنْذُ فَارِقَتُكَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

وَكُنْتُ قَدَاةَ الْأَرْضِ وَالْأَرْضِ عَيْنُهَا * تَلْجُلُجُ شَخْصِي جَانِبًا بَعْدَ جَانِبٍ ٥
إِنِّي — أَعَزُّكَ اللَّهُ — عَلَى تَشَوُّقِكَ مَتْرِيدًا ، فَمَا أُحَاشِي بِكَ أَحَدًا ، وَلَا أَقْفُ
لَكَ عَلَى حَسَنَةٍ يَوْمًا إِلَّا أَنْتَنِيَهَا لَكَ فَضْلُهُ غَدَهُ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْأَمِيرَ مَعْقُودَ الْبَيَّةِ بِطَاعَتِهِ ، مَطْوِيَّ الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصَحَتِهِ ،
مَشْهُودَ السِّيفِ عَلَى عَدُوِّهِ ، ثُمَّ وَهَبَ لَهُ الظَّفَرَةَ وَدَوَّخَ لَهُ الْبِلَادَ ، وَشَرَّدَ بِهِ الْعَدُوَّ ،
وَصَخَّصَهُ بِشَرَفِ الْفَتْوحِ الْعِظَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَبَرًا وَبَحْرًا . ١٠

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو شِدَّةَ الْوَحْشَةِ لَقَيْتِكَ ، وَقِرْطَ الْجَزَعِ مِنْ فِرَاقِكَ ، وَظُلْمَةَ الْأَيَّامِ
بَعْدَكَ ؛ وَأَقُولُ كَمَا قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَهَا ، فَلَمَّا تَعَشَّرْتُ فَقَدْتُ لِلشَّمْسِ حَتَّى تُغِيَّبَا
وَرَدَ كِتَابُكَ ، فَيَالَهُ وَارِدًا بِالرَّيِّ عَلَى ذِي ظَمًا ! مَا أَنْقَعَهُ لِلْغَلِيلِ . وَأَعَلَّ تَهَادُّتَهُ
لَكَ بِكْرَمِ الْعَقْدِ ، وَصِدْقِ الْوَدِّ ، وَحُسْنِ الْمَغِيبِ ، وَرِعَايَةِ حَقِّ التَّحَرُّمِ ، وَبُعْدِ الشِّيمَةِ ١٥
مَنْ يَشِيمُ أَهْلَ الزَّمَانِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ . وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وَلِلَّهِ أَبْوَالُكَ لَقَدْ أَوْجَدَاكَ .

قَدْ أَجَلَّ اللَّهُ خَطَرَكَ عَنِ الْإِعْتِدَارِ ، وَأَغْنَاكَ فِي الْقَوْلِ عَنِ الْإِعْتِلَالِ ، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا
أَنْ نَقْنَعَ بِمَا فَعَلْتَ ، وَنَرْضَى بِمَا أَتَيْتَ وَصَلْتَ أَوْ قَطَعْتَ . إِذْ وَثِقْنَا بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَنَقَاءِ
طَوِيَّتِكَ ، وَأَلْزَمْنَا أَنْ نَأْخُذَ أَنْفُسَنَا لَكَ بِمَا لَا نُحْمَلُكَ مِثْلَهُ ، وَلَا نَلْتَمِسُ مِنْكَ مِقَابِلَةً بِهِ .

ما أتحركتني عنك إلا ما أنا عليه من إيثار التخفيف بقطع الكتب، إلا عند
حق يقع فأقضيه، أو نعمة تحدث فأهني بها، والقصد للزيادة في البر بالزيارة
في الغيب، وأستدعاء دوام الوداد بانتهاز فرص الوصل.

وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

أما شكرى للأمير على سالف معروفه فقد غار وأنجد . وأما آبتها إلى الله
في جزائه عني بالحسنى فلإخلاص النية عند مظان القبول . وأما أملى فأحياء على
بعد العهد بلاؤه عندي، إذ كان ما تقدم منه شافعا في المزيد، وفسحة وعده إياي
عند مفارقتي له، إذ كان مؤذنا بالإيجاز . وأما زللى في التأخر عما أوجب الله عليّ له،
فمقرون بالعقوبة فيما حرّمته من عزّ رياسته، ونباهة صحبته، وعلو الدرجة به، وإن
كنتُ سائرا أيام انقطاعي عنه مُعتلقا بسبب لا خيار معه . مكاتبتك - أعزك الله -
وأنا مجاورك ببلد دون السعي إليك مجالا لقدرك مما أكبر . لائقك بكابى هذا فلان،
وله على حقان : حق عم المسلمين فلزمني بلزومه لهم، وحق خصني بالحرمة والعشرة .
فرايك في كذا إن سهل السبيل إلى ذلك ورّحّب، وإن يعق عائق فلست على جميل
رأي عندي بمثّهم .

للتفضل أن يُخصّ بفضلته من يشاء، والله الحمد ثم له فيما أعطى، ولا حجة عليه
فيما منع .

مُسْتَعْفِي السَّاطَانِ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ : رَجُلٌ آثَرَ اللَّهَ وَمَا عِنْدَهُ، وَأَسْأَلَ اللَّهَ تَوْفِيقَهُ،
وَرَجُلٌ عَجَزَ عَنْ عَمَلِهِ خَافَ بِعَجْزِهِ عَوَاقِبَ تَقْصِيرِهِ، وَأَسْتَعِينَ اللَّهَ، وَرَجُلٌ سَمَتْ بِهِ
نَفْسُهُ عَنْ قَلِيلٍ هُوَ فِيهِ إِلَى كَثِيرٍ أَمَلَهُ . وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ أُدْثَسَ نِعْمَةً اللَّهُ بِكَ عَلَى

وعلى سألنى قبل بالتصدي لمن لا يشبه دهره يومك ، ولا أكثر جهده في المعروف
أقل عفوكم .

كن كيف شئت ، فإنني واحد أمرى خالصة سريري ، أرى ببقائك بقاء
سروري ، وتمام النعمة عليك تمامها عندي ، فإنه ليس من نعمة يُجدها الله
لأمير المؤمنين في نفسه خاصة إلا اتصلت برعيته عامة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم
بلاء الله عندهم فيها ، ووجب [عليهم] شكره عليها ، لأن الله جعل بنعمته تمام
نعمتهم ، وبسلامته هدوئهم واستقامتهم ، وبتيديده صلاح أمورهم وأمنهم ، وبذبه
عن دينهم حفظ حريمهم ، وبحياطته حقن دمائهم وأمن سبلهم ، وبرعيته آتساقهم
وأنظامهم ؛ فإطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيدا بالنصر ، معزا بالتمكين ، موصول
الطلب بالظفر ، ومدة البقاء بالنعيم المقيم .

١٠

فهمت كتابك ولم تند في وعدك ووعيدك سبيل الراغب في رب عارفته ، المحامي
على سالف بلائه ، المؤثر لاستتمام صنيعته . وإنني لأرجو أن أكون على غاية ما عليه
ذونية حسنة في شكر مصطنعه ، وعناية بأداء ما يلزمه لولي نعمته ، ومراقبة لرئيسه
في سر أمره وعلايته . وإثارة للقليل من جميل رأيه على كثير المنافع مع سخطه .
وليس مذهبي فيما أشرحه من العذر وأطيل بذكره الكتب ، مذهب من يمؤه
بالاحتجاج ويحتال في الاعتذار ، ومن تطمعه نفسه في سلامة النعمة مع فساد النية ،
وفي مجود العاقبة مع شره النفس ، وفي زيادة الحال مع التفريط في العمل . ولو
كنت ممن سؤلت له نفسه ذلك سائر دهره ، لقد وجب إلى أن يضطروني إلى

١٥

(١) زيادة عن العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٢) . (٢) في الأصل : « وبذبه عن دينهم
ومفظ ... » بزيادة الوار ، وقد وردت هذه العبارة في العقد الفريد بخذفها . (٣) في الأصل :
« وغنايه ... » . (٤) في الأصل : « ولقد وجب ... » ولا معنى لذكر الوار مع اعتبار هذه
الجملة جوابا للو ، كما هو ظاهر السياق ، على أن في جعل « لقد » جوابا « للو » نظرا .

٢٠

التزوع عنه تأديبك وتقويمك . وإني لمجتهد أن [يكون^(١)] أثرُ فعلِي هو المخبر عني دون
قولي، وأن يكون ما أُمْتُ به اليك ظاهراً كفايتي دون ذِمّامي .

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول
الخلل، وعلمي بأن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الأمير، وأنه لا فرق عنده بين
الخان على السلطان وعليه، لكننتُ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره، مُكبراً لسُخطه،
وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إثارة الحق والعمل به، وتقديم الروية قبل
الإيقاع، والاستثناء بمن وَصَحَ ذنبه وظهر جُرمه دون من وقعتُ الشبهة في أمره،
ما أمتني بادرة غَضَبه ونازل سَطوته .

لم أكن أحسبني أحلّ عندك محلّ مَنْ جَهِلَ حظّه، وعَدِمَ تمييزه، وغَيَّبَ عَمّا عليه
وعَمّاله، إذ توهمتُ على آتِي أبيح خطيراً من رضاك، ونقيساً من رأيك، وشرفاً باقياً
على الأيام بطاعتك، وعُدّة للنوائب أستظهر بها من نصرتك، بالثمن البخس الحقيق
من كذا، أو أن أستبدلَ بما أنا ذوفاقة إليه من عزّ كَنَفِكَ ومنيع ذَرّاك، ما قد
وهب الله الغني عنه بحمده .

كان ورودك وشخصك في وقتين أنطويا عني، وكان مقامك في حالٍ شغلٍ منك
ومني، ولذلك فقدتني في القاضين لحقك والمثابرين على لقائك .

ورد كتابك مضمناً من برك وتطوّلك ما حسن شكرى، وأثقل ظهري، وأرتج عن
مضاهاتك بمثله قولي، فذكرت به — إذ تحيرت دون تأمله، وضعتُ عن تمحله،
وتجّزتُ عن الشكر عليه عند تمحله — قول القائل^(٢) :

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الاستثناء : الاستنار . (٣) هو أبونواس .

٢٠ وقد ورد في ديوانه (المطبوع بالمطبعة العمومية بمصر سنة ١٨٩٨ م ص ٧١) : "جللني" بدلا من
"أوليتني" و "لا تسدين" بدلا من "لا تحلثن" .

أنت أمرؤ أوليتني نِعْمًا * أوهمت قُوى شكرى فقد ضعُفا
لا تُحْدِثَنَّ الِى عارِفَةً * حتى أقومَ بِشكر ما سَلَفَا

ألفاظ تقع في كتب الأمان

هذا كتاب من فلان لفلان : إني أمتك على دمك ومالك وموآليك وأتباعك ،
لك ولهم ذمّة الله الموفى بها ، وعهده المسكون إليه ، ثم ذمّة الأنبياء الذين أرسلهم برسالاته
وأكرمهم بوحيه ، ثم ذمّة النجباء من خلائفه : بحقن دمك ومن دخل اسمه معك
في هذا الكتاب ، وسلامة مالك وأموالهم وكذا وكذا ، فأقبلوا معروضه ، وآسكنوا
الى أمانه ، وتعلقوا بحبل ذمته ، فإنه ليس بعد ما وُكِّدَ من ذلك مُتَوَقِّعٌ لداخلٍ في أمان
إلا وقد اعتلقتُم بأوثق عُمرَاه ، ولجأتم الى أحرز كهوفه ، والسلام .

١٠

وفي كتاب آخر :

هذا كتاب من فلان : إن أمير المؤمنين ، لِمَا جعل الله عليه نيته في إقالة العاثر
وأستصلاح الفاسد ، رأى^(١) أن يتلافك بعفوه ، ويتغمد زلاتك برُحمه ، ويبسط لك
الأمان على ما خرجت إليه من الخلاف والمعصية : على دمك وشعرك وبشرک
وأهلك وولدك ومالك وعقارك ؛ فإن أنت أتيت وسمعت وأطعت ، فأنت آمن بأمان
الله على ما أمتك عليه أمير المؤمنين ، ولك بذلك ذمّة الله وذمّة رسوله ، إلا
ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد ، والله بذلك راع وكفيل ، وكفى
بالله وكلاء .

(١) في الأصل «ورأى ...» بزيادة الواو . ولعله سهو من الناسخ .

وفي كتاب آخر :

إن فلانا أستوهب أمير المؤمنين ذنبك ، وسأله أن يقبل توبتك وإنابتك ،
ويؤمنك على دمك وشعرك وبشرتك وأهلك وولدك ومالك وعقاراتك ، على أن
تسمع وتطيع وتُشايح ، وتُوالى أوليائه ، وتُعاضى أعداءه ، فأجابه أمير المؤمنين الى
ذلك ، لرأيه في العفو والصفح وما يحتسب في ذلك من الثواب والأجر ، فأنت آمن
بأمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك ، ولا تتبع فيه بمكروه ما أقمت
على الوفاء ولم تُحدث حدثاً تفسخ به أمانك وتجعل به سبيلاً على نفسك ، والله لك
بذلك راع كفيلاً ، وكفى به شهيداً .

ألفاظ تقع في كتب العهود

أمره بتقوى الله فيما أسند اليه وجعله بسبيله ، وأن يؤثر الله وطاعته آخذاً ومُعطياً ،
وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجازيه عليه ، وأنه خارج من دنياه خروجه من
بطن أمه إماماً مغبوطاً محموداً ، وإماماً مذموماً مسلوباً ، فليعتبر بمن كان قبله من الولاة
الذين ولّوا مثل ما ولي ، أين صار بهم مرّ الليل والنهار ، وما أنقلبوا به من أعمالهم
الى قبورهم ! ويتروّد لنفسه الزاد النافع الباقي (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) .

وفي فصل آخر :

وقد ولّاك أمير المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيته ، وأشركك فيما أشركك فيه من
أمانته ، ثقةً بك ، رجاءً لمتابعتك وإيثارك الحق وأهله ، ورفضك الباطل وأهله ،
وعهّد إليك في ذلك بما إن أخذت به أعانك الله وستدك ، وإن خالفته خذلك
وعاقبك .

وفي الحج :

(١) فإن أمير المؤمنين قد أختارك من إقامة الحج لوَفَدَ الله وزُورَ بيته ، الأمر العظيم قدره ، الشريف منزلته ، فعليك بتقوى الله ، وإيثار مُراقبته ، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلّ والسيرة الجميلة التي تُشبه حالك .

فصل — فإن الله نزه الإسلام عن كل قبيحة ، وأكرمه عن كل رذيلة ، ورفعَه عن كل دنية . وشرفه بكل فضيلة ، وجعل سيما أهله الوقار والسكينة .

فصل — وإن أحق الناس بالازدياد في طاعته ومناصحته وأداء الأمانة في عمله مَنْ عَظُمَ حَقُّ الأمير عليه في الخاصة بفضل الصنعة من الأمير عنده . مع حق الله عليه في العامة بحقّ الولاية .

فصل — وكنت سيفاً من سيوف الله ، ونكلاً من أنكاله لأهل الشقاق ، وشجياً لمن آبتني غير سبيل المؤمنين ، قد أحكتك التجاربُ وضرسك الأمور ، وفُرِرتَ عن الذكاء وحلبت الدهرَ أشطره .

فصل — أنت ابن الحرية والمرقة ، ومن لا يلحقه عار أبوة ولا بُتوة .

فصل — قد آلمستُ مواجعتك بشرك ووصف ما أُجِنُّ لك وأخلص من ودك وأجل من قدرك وأعتد^(٣) من إحسانك ، فلفتني عن ذلك تعذُّر الخاوة مع آتقباض وحشمة .

(١) كذا في الأصل واختيار المنظوم والمثور لابن طيفور (النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم ١٨٦٠ أدب ص ٣٣٣) ولعلها : « في الحج » .

(٢) في الأصل : « فان الله بحمده الإسلام ... » .

(٣) في الأصل : « واعتيد ... » .

فصل — قد أغنى الله بكرمك عن ذريعة اليك ؛ وما تُنازعني نفسى إلى
استعانة عليك إلا أبى ذلك حسن الظن بالله فيك ، وتأميلُ تُجمع الرغبة إليك دون
الشفعاء عندك .

فصل — مثلك تقرب الى الله بالتواضع لنعمته ، والإغاثة لمستغيثه ، والعائدة^(١)
على راجيه بفضله .

فصل — تبا لمن يأتى رأيك ! وقبحا لعزوب عقلك ، وأقن تديرك ! ما أبعد^(٢)
مذهبك فى الخطأ ، وأسوأ أثرك على السلطان ، وأقصر بأعك عن النهوض ! جزالة^(٣)
تعقدك ، ومهانة تُضريك ، وزهو يعلوك ، ونخوة يُسمخ لها عرينك . لقد آنصرف^(٤)
رأى أمير المؤمنين عنك ، ودعوت له عتبك ، وكشفت له عن قناع سترك ، واجتررت
إليك سخطته وعطفت لحوك موجدته ، وكنت على نصيبك منه والضن بمنزلتك عنده
أولى تقدما وأقرب رُشدا . والله الغنى الحميد .

أصحاب السلطان ثلاثة : رجلٌ يجعل الدنيا نُصبَ عينه ، ينصب فيها للخاصة
مكايد ، ويرفع عن مصلحة العامة همته ، يذهله عن التقوى الهوى ، وتُنسيه أيام القدرة
العثرة ، حتى تتصرم مدته وتنقضى دولته ، لم يرتن بدنياه شكرا ولا قدم بها الى معاده
ذُخرا ، ورجلٌ لا يحفل^(٥) مع صلاح الخاصة مادخل من الخلل فى أمور العامة ، ولا مع^(٦)
وفور حظه ما أدخل النقص فى حظ رعيته . ورجلٌ حاول فى ولايته إرضاء من ولى
له وعليه ، وأعانته النية وخذلت الكفاية . وقد جمع الله لك الثقة والرضا بمن فوقك ،

(١) العائدة : اسم من عاده بمعرفته اذا قبل . (٢) كذا فى الأصل وفيها ضعف لعدم

اتساقها فى السياق مع ما بعدها . (٣) الأفن : بالتحريك : ضعف الرأى والتدبير .

(٤) كذا فى الأصل . (٥) فى الأصل «لا يحفل...» وهو تحريف . وحمله وبه : بالاه .

(٦) فى الأصل : «مع وفور خطر...» .

والانقياد والمحبة ممن دونك ، وأعاد الى الناس بك عهد السلف الماضي وعمر بك آثارهم ، حتى كأنهم بك أحياء لم تحترمهم منية ، وجميع لم تنصدهم بينهم فرقة ، فليهنئك أن من تقدمك من أهل الفضل في السيرة غير متقدم لك ، ومن معك مقصر عنك ، ومن دونك مقتف لا ترك . فلا زالت الأيام لك ، ولا زالت النعم عنك ، ولا أنتقلت عرى الأمور وأزقتها عن يدك .

فصل — أبي طبع الزمان أن يسمح لنا بك ، كما أبي ذلك في مثلك ، فلم يزل حتى أعترض بمكروهه دونك ، وكم من نعمة ذهلت عنها النفس حين أدبرت بخيرك ، فإن تعلق القلب بك على قدرك في مواهب الله وقديرها عندك .

فصل — ولم تأت في جميع ما عدت من أياديك شيئا ، وإن كان متناها إلى الغاية ، مختارا كالأمنية ، متجاوزا للاستحقاق ، إلا وأنت فوقه والمأمول للزيادة فيه .

وفي كتاب — إن كان ما خبرني به فلان عن هزل فقد أحوجنا هزلك إلى الجلد ، ووقفنا موقف المعتذرين من غير ذنب ، وإن كان عن حقيقة فقد ظهر لنا من ظلمك وتحريفك ما دل على زهدك منا في مثل الذي رغبنا منك فيه .

فصل في كتاب العيد — كتابي إلى الأمير يوم كذا بعد خروجي فيه ومن قبل من المسلمين إلى المصلي وقضائنا ما أوجب الله علينا من صلاة العيد ، ونحن بنخير حال اجتماع عليها فريق من المسلمين في عيد من أعيادهم وتجمع من مجامعهم ، وكان نخرجنا إلى المصلي أفضل تخرج ، ومنصرفنا عنه أفضل منصرف ،

(١) في الأصل : « رآزمنك ... » . (٢) في الأصل « ولم يأت » .

بما وهب الله من سكون العائمة وهدوئها وألفتها، وأحتشاد الجند والشاكرية^(١) بأحسن الزيّ والهيئة، وأظهر السلاح والعُدّة . فالحمد لله على كذا، وهنّا الله الأمير كذا .

فصل — القلب قرينٌ وَلِيّ حليفٌ حَيَّةٌ ، أنظرُ بعينٍ كَلِيلَةٍ^(٢) وأحضرُ بقلبٍ غائبٍ : إلى ورود كتابك بما تعترمه . فاما النوم فلو مثل لعيني لنفرتُ إلفاً للشهاد .

فصل في كتاب بيعة — فبايعوا الأمير المؤمنين ولقلائٍ بعده على اسم الله وبركته وصنع الله وحسن قضائه لدينه وعباده ، بيعةً منبسطةً لها أكثفكم ، منشرحةً بها صدوركم ، سليمةً فيها أهواؤكم ، شاكرين لله على ما وفق له أمير المؤمنين .

عُدّد معاويةً على الأحنف ذنوباً ؛ فقال الأحنف : يا أمير المؤمنين ! لم تردّ الأمور على أعقابها ! أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لعلّ عَوَاتِقُنَا ؛ ولئن مَدَدْتُ [لنا]^(٤) بشبر من غدِرٍ ، لتمدّت إليك باعاً من خُتْرٍ^(٥) ، ولئن شئت لتستصفين كدّر قلوبنا بصفو حلمك ؛ قال معاوية : فإني أفعل .

تقدّم رجل إلى سوار، وكان سوار له مُبَغْضَا ، فقال سوار في بعض ما يكلمه به : يَا بَنَ الْخَنَاء ! فقال : ذاك خَصْمِي ؛ فقال له الخصم : أَعِدْنِي^(٦) عليه ، فقال له الرجل : خذ له بحقه وخذ لي بحقي ؛ ففهم ، وسأله أن يغفر له ما فرط منه إليه ، ففعل .

الأوزاعي قال : دخل نُحْرَيْمُ بْنُ فَاتِكٍ على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أَيْ سَاقَيْنِ ، لو كاتتا على جارية عاتق ! فقال له نُحْرَيْمُ^(٧) : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين .

(١) الشاكرية : المستخدمون . (٢) في الأصل «بعين جليّة...» . (٣) في الأصل «يعترّم...» . (٤) زيادة من لسان العرب (مادة ختر) . (٥) الختر (بالفتح) : الخديعة والغدر . (٦) أعدني عليه : انصرفني عليه وقوّني . (٧) العاتق : الجارية أوّل إدراكها ؛ وقيل هي التي لم تزوّج .

الخطب

- لَتَبَعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدْتُ أَوَائِلَ أَكْثَرِهَا: «الحمد لله بحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له». ووجدت في بعضها: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعته». ووجدت في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: «أيتها الناس إن لكم معالِمَ فانتهوا إلى معالِمكم، وإن لكم نهايةً فانتهوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين غافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشببية قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار». ووجدتُ كلَّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن يترى عن المنبر أربع عشرة تكبيرة.

خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

- حدثني أبو سهل قال حدثني الطنّافسي عن محمد بن فضيل قال حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

- (١) في الأصل «عبد الله بن عظيم» بالطاء المعجمة بدل الكاف وبالحديث في كتب التراجم ورواة الحديث لم نجد «عبد الله بن عظيم» فلعل ما في الأصل تحريف عما أثبتنا: قال في التهذيب: «عبد الله بن عكيم الجهني أبو محمد معبد الكوفي» قال: قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرض جهينة. وروى عن أبي بكر وعمر وحذيفة بن اليمان وعائشة... الخ وفي الخلاصة: «عبد الله ابن عكيم بضم أوله وفتح الكاف... الخ». وإذا كان عبد الله بن عكيم ممن روى عن أبي بكر رضي الله عنه ترجح لدينا أن ما في الأصل محرف عنه.

أما بعد ، فإنى أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تُثَنُوا عليه بما هو أهله ، وتَحْلُطُوا
 الرغبة بالرهبة ، والإحاف بالمسئلة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : (إِنَّهُمْ
 كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) . ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه
 أنفسهم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، وأشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي . هذا
 كتاب الله فيكم لا تَفَنِّي عَجَائِبُهُ وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ ، فَصَدَّقُوهُ وَأَنْتَصِحُواهُ وَأَسْتَضِيئُوا مِنْهُ
 ليوم الظلمة . ثم أعلموا أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ علمه عنكم ، فإن
 أستطعتم ألا ينقضَ إلا وأتم في عملٍ لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله .
 فسابقوا في مهل ؛ فإن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنها كم أن تكونوا
 أمثالهم ، والوَحَا الْوَحَا ، والنجاء النجاء ! فإن من ورائكم طالبا حثيثا مره ، سريعا
 [سسيه]^(١) .

وفي غير هذه الرواية : أين من تعرفون من إخوانكم ! قد آتته عنهم الأعمال ،
 ووردوا على ما قدموا وحلوا عليهم بالشقوة والسعادة . أين الجبارون الذين بنوا
 المدائن وحصنوها بالحوائط ! قد صاروا تحت الصخر والآكام .

خطبة لأبي بكر أيضا رضى الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القارئ^(٢) .

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :

(١) النكبة من العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٠) . وقد وردت فيه هذه الخطبة باختلاف في بعض
 الكلمات عما هنا . (٢) كذا في الأصل . وهي غير مستقيمة المعنى وذلك من تحريف النساخ .
 وصواب العبارة نقلا عن تاريخ ابن جرير الطبري (قسم أول ص ١٨٤٧ طبع ليدن) : « أين من
 تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد آتته بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة
 فيما بعد الموت » . (٣) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢١) وهو ما تؤيده كتيب التراجم
 كأَنساب السمعاني وأسد الغابة : وفي الأصل : « من ولد زيد القارئ » .

- إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك . فرفع الناس رؤوسهم ؛ فقال : ما لكم يا معشر الناس ! إنكم لَطَعَانُونَ عَجَلُونَ ، إن المَلِكَ إذا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللهُ فيما في يده ، ورَغِبَهُ فيما في يَدَيْ غَيْرِهِ ، وأَنْتَقَصَهُ شَطْرَ أَجَلِهِ ، وأَشْرَبَ قَلْبَهُ الإِشْفَاقَ ، فهو يَحْسُدُ على القليل ، ويتسخط الكثير ، ويسأم الرخاء ، وتتقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القسبي^(١) والسراب الخادع ، جَدَلُ الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ونَصَبَ عَمْرُهُ وَصَحَّ ظِلُّهُ ، حَاسِبَهُ اللهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ وأَقْلَّ عَفْوَهُ . أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ ، وخير الملوك من آمن بالله ، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومُفَرِّقٌ مَحْجَةٌ ، وسَتْرُونَ بَعْدَى مُلْكٍ عَصُوضٍ ، وأُمَّةٌ شَعَاعًا ، ودَمَا مُفَاحًا . فإن كانت للباطل تَزَوُّةٌ ، ولأهل الحق جَوَلَةٌ ؛ يعفوها الأثر ، وتموت السنن ، فالزُمُوا المساجد ، وآسْتَشِيرُوا القرآن ، والزُمُوا الجماعة . وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أي بلادكم خرسة فإن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها .

خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

- أراد عمر الكلام . فقال له [أبو بكر] : على رِسْلِكَ . نحن المهاجرون أوّل الناس إسلامًا ، وأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وأَكْرَمُهُمْ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وُجُوهًا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ ، وَأَمْسَهُمْ رَجْمًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ
- (١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ١٥٩) : «البقاء» . وَفِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢١) : «الباءة» . (٢) الْقَسْيَ مِنَ الدَّرَاهِمِ : الزَانِف . (٣) وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَصَبَ عَمْرُهُ ، وَصَحَّ ظِلُّهُ : كُلُّ مِنْهَا نَحَايَةٌ عَنِ الْمَوْتِ . (٤) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢١) . وَفِي الْأَصْلِ : «... أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ ، لَا مِنْ آمَنَ ...» . (٥) مُلْكٌ عَصُوضٌ : فِيهِ اسْتِبْدَادٌ وَعُسْفٌ . (٦) شَعَاعًا : مُتَفَرِّقَةٌ . (٧) الدَّمُ الْمَفْنَحُ : الْمَرِاقُ . (٨) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ . وَهُوَ نَوَاقِصٌ إِلَى تَصْوِيرِهَا أَوْ تَنْسِيرِ صَحِيحِهَا .

وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَأَتَمَّ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا فِي الْفَقْرِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعُسْدِ ، أَوْثَمُ وَوَأَسَيِّمُ^(١) ، بِخَزَاكِمِ اللَّهِ خَيْرًا ، نَحْنُ الْأَمْراءُ ، وَأَتَمُّ الْوُزراءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَتَمُّ مُحَقِّقُونَ إِلَّا تَنَفَّسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مَا سَأَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ .

خطبة لأبي بكر رضى الله عنه

الْهَيْثُمْ عَنْ مُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : لَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَتَرَلَّ مِرْقَاةً مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
إِنِّي وَلِيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِ التَّقَى ، وَأَنَّ أَحَقَّ الْحَقِّ الْفُجُورُ ، وَأَنَّ أَقْوَامَكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى أَخْذَ لَهُ بِحَقِّهِ ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى أَخْذَ مِنْهُ الْحَقَّ ، إِنَّمَا أَنَا^(٢) مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ زُغْنْتُ فَقُومُونِي . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ .

خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ :
مَا كَانَ اللَّهُ لِيَرَانِي أَرَى نَفْسِي أَهْلًا لِمَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْ مَجْلِسِهِ مِرْقَاةً ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : اقْرَءُوا الْقُرْآنَ تُعَرِّفُوا بِهِ ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .
إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقُّ ذِي حَقٍّ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . أَلَا وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالٍ

(١) كَذَا فِي الْمَقْدُودِ (ج ٢ ص ١٥٨) : فِي الْأَصْلِ : «وَأَسَلَّمْتُ» .

(٢) كَذَا فِي إِيجَازِ الْقُرْآنِ لِلْبَاقِلَانِيِّ (ص ٦٥ طبع مصر سنة ١٣١٥) : فِي الْأَصْلِ : «أَمَّا» .

الله بمزلة وإلى اليتيم : إن آستغنيئت عَفَفْتُ وإن افتقرتُ أَكَلْتُ بالمعروفِ ^(١) تَقَرَّمُ
البَّهْمَةُ الأعرابية : الْقَضَمَ لا الخَضَمَ .

خطبة لعثمان بن عفان رضى الله عنه

قال : ولما ولي عثمان صعيد المنبر فقال :

- رحمهما الله ، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بَأْسٍ ، بفلس على ذروة
المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إن أولَ مركبٍ صعبٌ ، وإن مع اليوم أياماً ،
وما تُكِنُّا خُطباءً ، وإن نَعِشْ لكم تأتكم الخطبةُ على وجهها إن شاء الله تعالى .

خطبة لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه

خطب فقال :

- ١٠ أما بعدُ ، فإن الدنيا قد أَدْبَرَتْ وأَذْنَتْ بَوْدَاعَ ، وإن الآخرة قد أَقْبَلَتْ فأشْرَفَتْ
باطِّلاعَ ، وإن المِضْمَارَ اليوم وغدا السَّباقي . ألا وإنكم في أيام أَمَلٍ من ورائه أَجَلٌ ،
فمن قَصَّرَ في أيام أَمَلِهِ قبل حضور أَجَلِهِ فقد خَسِرَ عَمَلَهُ . ألا فاعْمَلُوا لله في الرِّغْبَةِ كما
تَعْمَلُونَ له في الرِّهْبَةِ . ألا وإِنِّي لم أَرَ كالجَنَّةِ نَامَ طالِبُهَا ، ولا كالنارِ نَامَ هَارِبُهَا .
ألا وإنه مَنْ لم يَنْفَعِهِ الحَقُّ ضره الباطلُ ، ومن لم يَسْتَقِمْ به المُلْدَى جَارَ به الضلالُ .
١٥ ألا وإنكم قد أَمِرتُمْ بالظَّنِّ ، ودُلِّتُمْ على الزادِ ، وإن أخوفَ ما أخافُ عليكم آتِباعُ
الهوى وطولُ الأملِ .

(١) تَقَرَّمُ الصَّبِيّ والبهيم : أكل أكلاً ضعيفاً ، وذلك أول ما يأكل . والقضم : الأكل بأطراف
الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . يريد بهذا بيان الأكل بالمعروف وأنه الأكل الخفيف
الذى تدفع إليه حاجة الحياة .

خطبة علي عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس ، كتاب الله وسنة نبيكم . لا يدعى مدع إلا على نفسه . شغل من الجنة والنار أمامه . سابع نجا ، وطالب يرجو ، ومقصر في النار : ثلاثة ، واثنان : ملك طار يمنأحيه ، ونبي أخذ الله بيديه ، لاسادس . هلك من أقتحم ، وردي من هوى . اليمين والشمال مضلة ، والوسطى الجادة : منهج عليه باقي الكتاب وآثار النبوة .
 إن الله أدب هذه الأمة بأديين : السوط والسيف ؛ فلا هوادة فيهما عند الإمام . فاستتروا بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ؛ والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور ملثم على فيها ميلة لم تكونوا عندى محمودين ولا مصيبين . والله أن لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . أنظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتكم فأروا . حق وباطل ، ولكل أهمل . والله لئن أمر الباطل لقديم فعل ؛ ولئن أمر الحق لرُبَّ ولعل . ما أدبر شئ فاقبل .^(٢)

خطبة أيضا لعلي رضي الله عنه^(٣)

خطب علي حين قُتل عامله بالأنبار فقال في خطبته :

يا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم وفشلهم عن حَقِّكم ! يُقْبِحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى ، يُغارُ عليكم ولا يُغيرون ، وتُغزَّون ولا تُغزون ، ويعصى الله وترضون .

(١) أمر (بالبناء للجهول والضعيف) : سلط . والمضى في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٢) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٢٤ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) : « ... رائ قل الحق ... » وعلى ما ورد فيها يكون معنى « أمر الباطل » : كثر « أمر » وزان فرج . (٢) في العقد الفريد .

« ولعلها أدبر ... » . (٣) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٦) ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٦٤) باختلاف في بعض الكلمات وزادات عما هنا .

إن أمرتكم بالمسير إليهم في الحر قلم : حمارة القَيْظ^(١)، أمهلنا^(٢) [حتى] ينسلخ^(٣) الحر،
 وإن أمرتكم بالمسير إليهم في الشتاء قلم : أمهلنا^(٢) [حتى] ينسلخ^(٣) الشتاء هذا أو أن^(٣) قر،
 كل هذا فرارا من الحر والقر، فأتهم والله من السيف أقر، يا أشباه الرجال ولا رجال !
 أحلام الاطفال وعقول ربّات المجال، أفسدتكم على رأي بالعصيان والخذلان، حتى
 قالت قريش : ابن أبي طالب شجاع [ولكن] لا علم له بالحرب . لله أبوهم ! هل
 منهم أحد أشد لها مراسا وأطول تجربة^(٤) مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
 فهانا الآن قد نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع .

خطبة لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شعيب بن صفوان قال : خطب معاوية فقال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن شديد ، يعد فيه المحسن
 سيئا ، ويزداد الظالم فيه عتوا ، لا ننتفع بما علينا ، ولا نسأل عما جئنا ، ولا نتخوف
 قارعة حتى تحل بنا . فالناس أربعة أصناف : منهم من لا يمنع من الفساد
 في الأرض إلا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض وفره^(٥) ، ومنهم المصلت لسيفه^(٦)
 والمجلب بخيله ورجله والمعلن بشره^(٧) ، قد أشرط نفسه وأوبق دينه^(٨) لحطام يتهمزه

١٥ (١) حمارة القَيْظ : شدته . (٢) زيادة عن العقد الفريد والبيان والتبيين . (٣) القَرْ بضم
 القاف : البرد الشديد . (٤) كذا في العقد الفريد والبيان والتبيين ، بزيادة كلمة « هذا » بعد كلمة
 « أطول » في البيان والتبيين . وفي الأصل : « هل منهم أحد لها أشد مراسا ولا أطول تجربة مني » .
 (٥) في الأصل : « رضيض » وما أثبتناه من البيان والتبيين والعقد الفريد وإعجاز القرآن . ونضيض ،
 وفره : قلة ماله . (٦) في الأصل : « بسيفه » بالباء . (٧) أشرط نفسه لكذا : أعدّها وقدها .
 (٨) أوبق دينه : أهلكه .

أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ أَوْ مَنبَرٍ يَفْرَعُهُ^(٢)، وَلِبَاسٍ الْمَتَجَرَّانِ تَرَاهُمَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا عِنْدَ اللَّهِ
عِوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ [وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا]^(٤)
قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَرَّ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَحَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ،
وَاتَّخَذَ سِرًّا لِلَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمَلِكِ ضُؤُولُهُ^(٥)
فِي نَفْسِهِ وَأَنْقَطَاعُ مِنْ سَبَبِهِ، فَقَصَّرَ بِهِ الْحَالُ عَنْ أَمَلِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ
بِلِبَاسِ الزُّهَادِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَايِجٍ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رَجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ
ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمُحْشَرِّ فِهِمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ، وَخَائِفٍ مُنْقِمٍ^(٦)،
وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ، وَدَايِجٍ مُخْلِصٍ، وَمُوجِعٍ نَكَلَانٍ، قَدْ أَنْحَلَتْهُمْ التَّقِيَّةَ، وَشَمِلَتْهُمْ
الدَّلَّةُ^(٧)، [فِهِمْ] فِي بَحْرِ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحةٌ، قَدْ وُعِظُوا حَتَّى
مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ
الْقَرْظِ وَقُرَاضَةِ الْجَلْمِ، وَأَتَمِظُوا بَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ،
وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّمَا قَدْ رَفَضْتُ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال : إِنْ مَعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ حَبَالِ اللَّهِ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ، ثُمَّ
قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنْ بَعْدِهِ، [وَلَا أَرْجِيهِ عِنْدَ^(١٠)

(١) المِقْنَبُ بكسر الميم : الجماعة من الخيل . (٢) يَفْرَعُهُ : يعلوه . وفي الأصل : « يترعه »
وهو تحريف . (٣) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ . وفي الأصل : « وليس المتجران تراهما ... الخ »
وهو تحريف . (٤) الزيادة عن العقد الفريد والبيان وإيجاز القرآن .
(٥) طامن من شخصه : خفض . (٦) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (ج ٢ ص ٢٩) وفي الأصل :
« على حاله ... » . (٧) النَادِ : النافر الذاهب على وجهه . (٨) منقِم : مستخف .
(٩) الزيادة مأخوذة من البيان والتبيين والعقد الفريد وإيجاز القرآن للباقلاني . (١٠) الزيادة
عن العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٣) .

ربه وقد صار اليه [فإن يعف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبه فبذنبه . وقد وليت الأمر بعده ، ولست أعتذر من جهل ولا أشتغل بطلب علم . وعلى رسلكم ! إذا كره الله أمرا غيره .

خطبة لعنبة بن أبي سفيان

أبو حاتم عن العنبي قال : احتبست كُتُب معاوية حتى أرجف أهل مصر بموته .
ثم ورد كتابه بسلامته ، فصعد عتبة المنبر والكتاب في يده فقال :

يا أهل مصر ! قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وظببات السيوف حتى صرنا شجى في لهواتكم ما تُسيغنا حلوقكم ، وأقذاء في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم .
نحن آشتت عرى الحق عليكم عقدا ، وأسترخت عقد الباطل منكم حالا ، أرجفتم بالخليفة وأردتم توهين السلطان ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدم عهدكم به حديثا !
فأرجفوا أنفسكم إذ خسرتم دينكم ، فهذا كتاب أمير المؤمنين بالخبر السار عنه والعهد القريب منه . وأعلموا أن سلطانتنا على أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا ما ظهر ، نكلكم إلى الله فيما بطن ، وأظهروا خيرا وإن أسررتم شرا ، فإنكم حاصدون ما أتم زارعون . وعلى الله تتوكل وبه نستعين .

خطبة لعنبة أيضا

وهذا الإسناد أن عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال :

يا أهل مصر ، خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تفعلونه ، وذم الباطل وأتم تأتونه ، كالحمار يحمل أسفارا أثقله حملها ولم ينفعه علمها . وإني والله لا أداوى

(١) في العقد الفريد : « ولا آسى على طلب علم » . (٢) أرجف : خاض في الأخبار التي

أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسَّوط، ولا أبلغ السوط ما كفتني الدَّرة، ولا أبطئ
عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى ^(١) * ناجزا بناجر، ومن حذر كمن بشر ^(٢) *
فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم الذي ليس فيه ^(٣)
عقاب، ولا بعده عتاب .

خطبة لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتِل أخوه مُصْعَب فقال :

الحمد لله الذي يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء . إنه لن يذلّ من كان الحقّ معه
وإن كان فردًا ، ولن يعزّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام . أنا
خبر من قبل العراق أجزعنا وأفرحنا : قتل مُصْعَب رحمه الله . فأما الذي أحرّتنا من
ذلك فإن لفراق الحميم لَذعة يجدها حميمه عند المصيبة به ثم يَرعوى بعدها ذُور الرأى
إلى جميل الصبر وكريم العزاء . وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلّمنا أن قتله شهادة، وأن
ذلك لنا وله الحيرة . ألا إن أهل العراق أهل الشقاق والنفاق باعوه بأقلّ ثمن كانوا
يأخذونه به . إنا والله ما نموت حبجًا ولا نموت إلاقلا، قَمَصًا بالرماح تحت ظلال
السيوف، ليس كما تموت بنو مروان ؛ والله إن قُتِل رجلٌ منهم في جاهليّة ولا إسلام .

(١) كذا في الأصل، ولعلها : «على الأخرى» .

(٢) هذه الجملة التي بين النجمتين وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) في أثناء خطبة أخرى
لعتبة . وفي العقد : «والله ما انطلقت بها ألسنتنا حتى عقدت عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها
لكم ناجزا بناجر، ومن حذر كمن بشر...» .

(٣) في العقد الفريد : « قبله » .

(٤) الصحيح : أن يأكل البعير لحاء العرج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . قال في اللسان بعد أن ذكر
كلام ابن الزبير : « يعرض بنو مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة...»
رقعه (من باب قطع) : قتله مكانه .

ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى [الذى لا يبيد ذكره ولا يبدل سلطانه] فإن تقبل
على لا أخذها أخذ البطر الأشر، وإن تدبر عني لا أليك عيها بكاء الخريف المهتر^(٢).
ثم نزل .

خطبة زياد البتراء^(٣)

- ٥ حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي عن أبي بكر بن أبي عاصم ببعضها، وحدثني
أبي عن الهيثم بن عدي، قال : لما قدم زياد أميراً على البصرة فنظر إلى أبياتها،
قال : رب فريح بامارتى لن تنفعه ، [و] كاره لها لن تضره ، فدخل وعليه قباء
أبيض ورداء صغير، فصعد المنبر، فخطب الناس خطبة بتراء : لم يصل فيها على
النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من خطبها، ثم قال :
- ١٠ أما بعد، فقد قال معاوية ما قد علمتم . وشهدت الشهود بما قد سمعتم ، وإنما
كنت أمراً حفظ الله منه ما ضيع الناس ، ووصل ما قطعوا^(٤) . ألا وإنا قد ولينا وولينا
الوالون، وسئنا وسائنا السائسون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدة في غير
عنف، ولين في غير ضعف . وآيم الله ما من كذبة أكبر شاهدًا من كذبة إمام على منبر،
فإذا سمعتموها مني فاعتمروها في ، وأعلموا أن عندي أمثالها ، وإذا رأيتموني أمر

- ١٥ (١) الزيادة من العقد الفريد : (ج ٢ ص ١٨٣) . (٢) الخرف : الذي فسد عقله من
الكبر . والمهتر : من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن . وفي العقد الفريد : «بكاء الخرق المهين» .
(٣) وردت هذه الخطبة في النوادر لأبي علي القالي (ص ١٨٥ - ١٨٦ طبع دار الكتب المصرية) كما
هنا ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة . ووردت في الكامل لابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٤ طبع ليدن
سنة ١٨٦٨ م) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٣) بزيادات كثيرة عما هنا
وبتقديم وتأخير في بعض الجمل والكلمات . (٤) لم ترد هذه القطعة في الخطبة البتراء في مصدر آخر
من المصادر التي بين أيدينا إلا في النوادر لأبي علي القالي . وقد وردت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٤)
في خطبة أخرى لزياد .

فيكم بالأمر فأنفذوه على أذلاله^(١) . وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل
 أمرئ منكم أن يكون من صرعى . وأيم الله لأخذت البريء بالسقيم، والمطيع
 بالعاصي، والمقبل بالمدبر، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل : «أنج سعد^(٢)
 فقد قُتِل سعيده» . فقام إليه عبد الله بن الأهم التميمي، فقال : أيها الأمير، أشهد
 أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب؛ فقال له : كذبت، ذلك نبي الله داود . ثم
 قام إليه الأحنف، فقال : إنما المرء بجسده، والسيف بحته، والجواد بشته؛
 وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء،
 وأنا لا نثني حتى نبتلي . ثم قام إليه مرداس بن أدية، فقال : قد سمعنا مقالتك
 أيها الأمير، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذي أديته، قال
 الله تعالى : (الْأَتَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)^(٣) ؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البريء

- (١) على أذلاله : على طريقه ووجهه . واحده ذل بكسر الذال، وهو ما مهد من الطريق وذلل .
 (٢) قال في اللسان مادة «سعد» بعد أن ذكر هذا المثل : «هذا مثل سائر؛ وأصله : أنه كان لضبة
 ابن أديان : سعد وسعيد فخرجا يطلبان إبلاهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد؛ فكان ضبة إذا رأى سوادا
 تحت الليل قال : سعد أم سعيد ! هذا أصل المثل ؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار ما يتشابه به، وهو يضرب
 مثلا في العناية بذى الرحم، ويضرب في الاستخبار عن الأمرين : الخير والشر أيهما وقع . وقال الجوهري
 في هذا المكان : وفي المثل ، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء أهو مما يحب أو يكره .
 (٣) كننا في ابن الأثير (ج ٣ ص ٣٧٦ طبع ليدن والبيان والتبيين والعقد الفريد .
 وفي الأصل : «نعم بن الأهم» وقد آثرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف
 يقتضى شجاعة وجراءة، وفي عبد الله بن الأهم منها حظ موفور . أما نعيم بن عمرو بن الأهم، وعبد الله
 هذا عمه، فكان كما يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٤٠٢) : «فيه تأنيث ...» . وفي النوادر
 لأبي علي القالي : «صفوان بن الأهم» وصفوان هذا ابن عبد الله بن الأهم . (٤) وردت هذه
 الجملة في ابن الأثير والعقد الفريد والبيان والتبيين والنوادر لأبي علي القالي باختلاف عما هنا ونصها
 في ابن الأثير : «فقام إليه أبو بلال مرداس بن أدية، وهو من الخوارج، وقال : أنبأنا الله بغير ما قلت،
 قال الله تعالى : (وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) الخ...» .

بالسقيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدبر؛ فقال له : أسكت ، فوالله ما أجد
إلى ما أريد سبيلاً ، إلا أن أخوض إليه الباطل خوفاً . ثم نزل .

وقال في خطبة له أخرى^(١) :

حَرَامٌ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَذِمًا وَإِحْرَاقًا . إِيَّايَ وَدَجَّ
الليل ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْبِجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَإِيَّايَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ
أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وقد أحدثتم أحداثاً ، وأحدثنا لكل ذنب عقوبة ؛
فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَّقْنَاهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْنَاهُ ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْتُ عَنْ قَلْبِهِ ،
وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا ، فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتَكُمْ أَكُفِّ عَنْكُمْ . وقد كانت
بيني وبين أقوام منكم أشياء قد جعلتها ذبراً ذنى وتحت قدسي ، فمن كان محسناً
فليزدَدْ ، ومن كان مسيئاً فليزِعْ . إني لو علمتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَ السَّلَّ مِنْ بُغْضِي
لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْطِكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ
أُنَظِرْهُ ، فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا أَمْرَكُمْ .

خطبة للحجاج حين دخل البصرة^(٢)

دخل وهو متقلد سيفاً متنكب قوساً عربية ، فعلا المنبر فقال :

أَنَا ابْنُ جَلَّ وَطَّلَاعِ الشَّيْءِ * مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

(١) هذه الخطبة وردت في المصادر المتقدمة ، ما عدا النوارذلي على القالي ، في شأيا خطبته

البراء . (٢) وردت هذه الخطبة في كثير من كتب الأدب والتاريخ كالكمال للبريد (ص ٢١٥

طبع لبسج) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ١٦٤) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٧) والكمال لابن الأثير

(ج ٤ ص ٣٠٤ طبعة لندن) مع بعض الاختلاف : بزيادة أو نقص أو تغيير في بعض الكلمات .

إن أمير المؤمنين نكَّبَ عِيْدَانَهُ بين يديه ، فوجدني أمرها عوداً وأصلبها
مكسراً ، فوجهني إليكم . ^(١) أَلَا فَوَاللَّهِ لَا عَصِيْبَتَكُمْ عَصَبَ السَّيِّئَةِ ، وَلَا لِحْوَتَكُمْ لِحْوَةَ الْعُودِ ،
وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبَ غِرَائِبِ الْإِبْلِ ، ^(٢) حَتَّى تَسْتَقِيمَ لِي قَنَاتُكُمْ ، وَحَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ :
«أُنْجِ سَعْدٌ فَقَدْ قُتِلَ سَعِيدٌ» . ^(٣) أَلَا وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الشُّفَعَاءُ وَالزَّرَافَاتُ ، ^(٤) فَإِنِّي لَا أُوتَى
بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ فِي زَرَّافَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ . هَكَذَا حَدَّثَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ
أَبِي عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ . وَقَالَ لِي غَيْرُهُ : هُوَ إِيَّايَ وَهَذِهِ الشُّفَعَاءُ
وَالزَّرَافَاتُ . وَقَدْ فَسَّرْتُ الْحَدِيثَ فِي كِتَابِي الْمَوْئَلَفِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

خطبة للحجاج أيضاً

أَرْجَفَ النَّاسُ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ ، نَخِطَبُ فَقَالَ :

إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، تَزَعَّ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالُوا :
مَاتَ الْحَجَّاجُ وَمَاتَ الْحَجَّاجُ ! فَمَهْ ! وَهَلْ يَرْجُو الْحَجَّاجُ الْخَيْرَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ! وَاللَّهِ
مَا يَسِّرُنِي إِلَّا أَمُوتَ وَأَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ! وَمَا رَأَيْتُ اللَّهَ رِضَى بِالتَّخْلِيدِ إِلَّا لِأَهْوَنِ
خَلَقَهُ عَلَيْهِ إِبْلِيسُ . وَاقْدِرْ دَعَا اللَّهَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ فَقَالَ : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا
لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ . فَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ أَيْهَا الرَّجُلُ !

(١) نكَّبَ عِيْدَانَهُ : طَرَحَهَا . (٢) عَصَبُهُ : قَطْعُهُ . وَالسَّلْبَةُ : وَاحِدَةُ السَّلْمِ ، وَهُوَ شَجَرٌ مِنَ
الْعُضَاءِ يَتَّخِذُ مِنْهُ الْقَرْطُ الَّذِي يَدْبَغُ بِهِ ، وَهُوَ شَجَرُ السَّنَطِ . وَلِهَا الْعُودُ : قَشَرُهُ . (٣) كَانَتْ الْإِبِلُ
الْغَرِيبَةُ إِذَا وَرَدَتْ مَعَ إِبِلِ قَوْمٍ ضَرِبَتْ وَطَرَدَتْ . ضَرْبُهُ الْحَجَّاجُ مَثَلًا فِي التَّهْدِيدِ وَالْإِنْذَارِ . (٤) تَقْدِمُ
شَرْحُهُ فِي خُطْبَةٍ زِيَادَ . (٥) فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ «سَقْفٍ» : «وَأَمَّا قَوْلُ الْحَجَّاجِ : (إِيَّايَ وَهَذِهِ الشُّفَعَاءُ)
فَلَا يَعْرِفُ مَا هُوَ؟ وَحَكِي ابْنَ الْأَثِيرِ عَنِ الزُّنْخَشَرِيِّ قَالَ : قِيلَ وَهُوَ تَصْغِيفٌ ، قَالَ : وَالصَّوَابُ شَفَعَاءُ جَمْعُ
شَفِيعٍ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ إِلَى السُّلْطَانِ فَيُشْفَعُونَ فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ فَتُهَامُ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كُلُّ رَاحِدٍ مِنْهُمْ
يُشْفَعُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي قَوْلِهِ : إِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ » . وَمِنْ هَذَا يَعْلَمُ مَا يَرَى إِلَيْهِ الْمُؤَلَّفُ
بِالتَّعْقِيبِ بِالرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ .

وكلكم ذلك الرجل ! . كَأَنِّي وَاللَّهِ بِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ مَيِّتًا ، وبكل رطبٍ يابسًا ، وتُقِلُّ في ثيابٍ أكفانه إلى ثلاثِ أذرعٍ طُولًا في ذراعٍ عَرْضًا ، وأَكَلَتِ الْأَرْضُ لَحْمَهُ وَمَصَّتْ صَدِيدَهُ . وانصرف الحبيبُ من ولده يَقْسِمُ الخبيثُ من ماله ؛ إن الذين يَعْقِلُونَ يَعْلَمُونَ مَا أَقُولُ ، ثم نزل .

خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال : أيها الناس إني أريد الحج ، وقد استخلفت عليكم ابني هذا ، وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه [وسلم] في الأنصار ؛ إن رسول الله أوصى أن يُقْبَلَ من مُحْسِنهم ، وأن يُتَجَاوَزَ عن مُسِيئهم ؛ وإني أُمِرْتُ ألا يَقْبَلَ من محسنكم ولا يُتَجَاوَزَ عن مسيئكم . ألا وإنكم ستقولون بعدى مقالة لا يمنعكم من ... إظهارها إلا مخافتي ، ستقولون بعدى : لا أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ الصَّحَابَةُ ! ألا وإني مُعَجِّلٌ لَكُمْ الْجَوَابَ : لا أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ الْخِلَافَةَ ، ثم نزل .

خطبة للحجاج أيضا

خطب فقال في خطبته : سَوَّطِي سَيْفِي ، فَنَجَّادُهُ فِي عُنُقِي ، وَقَائِمُهُ فِي يَدِي ، وَذُبَابُهُ قِلَادَةٌ لِمَنْ اغْتَرَبَنِي ! فقال الحسن : بؤسًا لهذا ! ما أغرَّه بالله ! .
(١)
وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار ، ثم أتى امرأته فمنعته نفسها ؛ فأتى ابنَ سِيرِينَ يستفتيه ؛ فقال : يَا بَنَ أُنْحَى ، إِمِضْ فَكُنْ مَعَ أَهْلِكَ ، فَإِنَّ الْحَجَّاجَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي النَّارِ لَمْ يَضُرَّكَ أَنْ تَرَى .
(٢)

(١) نجاد السيف : حمائله . وقائمه مقبضه . وذبابه : طرفه الذي يضرب به .

(٢) في الاصل : خلف رجل

خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه^(١)

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شبيب بن صفوان عن رجل من آل سعيد بن العاص، قال :

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولن تُتركوا سُدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، نخاب وخيسر من نخرج من رحمة الله وحريم جنة عرضها السموات والأرض . ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر اليوم وخاف ، وباع نافداً بباقي ، وقليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وستكون من بعدكم للباقيين كذلك ، حتى تُردَّ^(٢) إلى خير الوارثين ! ثم إنكم في كل يوم تُسيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبّه ، حتى تُغيّبوه في صدع من الأرض في بطن صدع غير مؤسد ولا ممهد ، قد فارق الأحباب و باشر التراب وواجه الحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك فقيراً إلى ما قدم . فاتقوا الله قبل انقضاء مواقبته ونزول الموت بكم ! أما إني أقول هذا وما أعلم أن عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ، فاستغفر الله وأتوب إليه . ثم رفع طرفه يدائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله .

خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال : كنت كذلك ما شئت أن تكون ، لا أعلم كيف أنت إلا أنت ، ثم ارتأيت أن تخلق الخلق ، فماذا جئت به من عجائب صنْعك ،

(١) وردت هذه الخطبة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٠) والمقدّميريد (ج ٢ ص ١٧٥)

٢٠ بزيادة عما هنا . (٢) في الأصل : «وباع نافداً...» بالقاف وهو تحريف . (٣) في الأصل : «وسيكون... حتى يرد...» .

والكبير والصغير من خلقك ، والظاهر والباطن من ذرك : من صُنُوف أفواجه
وأفراده وأزواجه ، كيف أدمجت قوائم الذرة والبعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من
الأشباح التي امتزجت بالأرواح ! .

وخطب يوما فسقطت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجراد
من خلقه ، أدمج قوائمها ، وطوقها جناحها ، ووشى جلدها ، وسلطها على ما هو
أعظم منها .

خطبة للحجاج

خطب فقال : أيها الناس ، احفظوا فروجكم ، وخذوا الأنفس بضميرها ، فإنها
أسوئ شيء إذا أُعطيت ، وأعصى شيء إذا سُئلت . وإني رأيت الصبر عن محارم
الله أيسر من الصبر على عذاب الله .

خطبة سليمان بن عبد الملك

خطب فقال : إن الدار دار غرور ومنزل باطل ، تضحك بايكا وتبكي
ضاحكا ، وتخيف آمنة وتؤمن خائفا ، وتفقّر مثرى وتثرى مُقترا ، مبالغة غرارة لعبانة
بأهلها ! عباد الله ! اتخذوا كتاب الله إماما ، وارتنضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ،
فإنه ناسخ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده . اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يحلو
كبد الشيطان كما يحلو ضوء الصبح إذا تنفس ، ظلام الليل إذا عسعس .

(١) أسوئ : أضعف ، من ساء الرجل إذا مثى مشيا ضعيفا .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٤) ، وفي الأصل : « دبار الليل ... » . وتنفس

الصبح : تطلع رأسه . وعسعس الليل : أظلم .

خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حميد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا
 حرصاً على الدنيا ولا رغبةً في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ، وإني لظَلُّومٌ لها إن
 لم يرحمني الله ، ولكن خرجت غَضَباً لله وبينه ، داعياً إلى الله وإلى سنة نبيه ، لما
 هُدمت معالم الهدى ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظَهَرَ الجبار العنيد ، المستحل لكل
 حرمة ، والراكب لكل بدعة ، الكافر بيوم الحساب ، وإنه لأبْنُ عَمِّي في النَّسَبِ
 وكَيْفِي في الحَسَبِ ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله في أمره وسألته ألا يَكَلِّني إلى
 نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ،
 وطهر منه البلاد ، بحوله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ، إنَّ لكم على ألا أضَع حجراً على حجر ، ولا لينةً على لينة ، ولا أشكري^(١)
 نهراً ، ولا أكثرَ مالا ، ولا أعطيه زوجاً ولا ولداً ، ولا أنقله من بلد إلى بلد حتى
 أسدَّ نتر ذلك البلد وخصاصة أهله ، فإنَّ فضلَ فضل نقلته إلى البلد الذي يليه .
 ولا أبحركم في بُعوثكم فافتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغلق بابي دونكم فياكل قوِيكم^(٢)
 ضعيفكم ، ولا أحيل على أهل جزيتكم ما أجلبهم به عن بلادهم وأقطع به نسلهم .
 ولكم على إدرار العطاء في كل سنةٍ والرزق في كل شهر ، حتى يستوي بكم الحال فيكون^(٣)
 أفضلكم كأدناكم . فإن أنا وقَّيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة^(٤)
 والمكائفة ، وإن لم أفِ لكم [فلكم] أن تخلعونني * إلا أن تستتيبوني ، فإن أنا تبت^(٥)

(١) كرى النهر : حفره . (٢) تجميع المساكر : حبسهم في بلاد العدو أو الثغور . دون أن يرجعوا

إلى أهلهم . وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠) : « ولا أبحركم في نفورك » . (٣) المكائفة :

المعاونة . (٤) التكلفة مقولة من البيان والتبيين . (٥) كذا في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٧٠)

وفي الأصل تستتيبوني ، إن تبت

قبلتم مني ، وإن عرفتكم أحدا [يقوم مقامى ممن] يُعرف بالصَّلاح يُعطىكم من نفسه
مثل الذى أعطيتكم فاردتم أن تُبايعوه ، فأنا أولُ من بايعه ودخل في طاعته .

أيها الناس ، إنه لا طاعةَ لمخلوق في معصية الخالق . وأقول قولى هذا وأستغفر
الله العظيم لى ولكم .

فلما بُويج مروانُ نبَّشه وصلَّبه . وكانوا يقرعون فى الكتب : يامبذر الكنوز
ويا سجاداً بالأشجار، كانت ولايتك لهم رحمةً وعليهم حجةٌ ، أخذوك فصلبوك .

خطبة أبي حمزة الخارجي^(٢)

خطب أبو حمزة الخارجي بمكة فذكر رسول الله صلى الله عليه [وسلم] ، ثم أبا بكر
وعمر رضى الله عنهما بما هم أهله ، ثم قال : وولى عثمانُ فسارست سنين بسيرة صاحبه
وكان دونهما ، ثم سار فى الست الأواخر بما أحبط [به] الأوائل ، ثم مضى لسبيله .
وولى على فلم يبلغ من الحق قصداً ولم يرفع [له] منارا ، ثم مضى لسبيله . ثم ولى معاوية
لعين رسول الله وابن أعمى ، اتخذ عباد الله خوفاً . وهال الله دولا ، ودينه دغلا ، ثم
مضى لسبيله ، فالعنوه لعنه الله . ثم ولى يزيد بن معاوية ، يزيد الخمر ، ويزيد القُرود ،
ويزيد الفهود ، الفاسق فى بطنه والمأبون فى قرحه . ثم اقتصم خليفته خليفة . فلما
انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عن ذكره . ثم ذكر يزيد بن عبد الملك فقال :
يا كل الحرام ، ويا بس الحلة بالف دينار . قد ضربت فيها الأبرار ، وهتكت الأستار ،
حباية عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه . حتى إذا أخذ الشراب فيه كل مأخذ
قد نوبه ثم التفت الى أحدهما فقال : ألا أظير ! نعم ! طر الى النار . ثم ذكر أصحابه

(١) الزيادة منقولة من البيان والتبيين . (٢) وردت هذه الخطبة كاملة فى البيان والتبيين

فقال : شبابٌ واللهِ مُكْتَلُونَ في شَبَابِهِمْ ، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أَعْيُنُهُمْ ، ثَقِيلَةٌ عن الباطلِ أَرْجَاهُهم ، أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ ، وَأَطْلَاحٌ سَهْرٌ^(١) ، يَنْظُرُ اللهُ اليهم في جوف الليلِ مُنْحَنِيةً أصْلَابُهُم على أجزاء القرآن ، قد أَكَلَتِ الأرضُ رُكَبَهُم وأَيْدِيَهُم وَجَبَاهَهُم ، وَاسْتَقَلُّوا ذلك في جَنبِ اللهِ ، حتى إذا رَأَوْا السَّهَامَ قد فُوقَتْ ، والرَّمَاحَ قد أَشْرَعَتْ ، والسيوفَ قد انْتَضَيْتْ ، وَأَرَعَدَتِ الكَتِيبَةُ بصواعق الموت ، مضى الشابُّ منهم قُدُمًا ، حتى اختلفت رجلاه على عُتْقِ فرسه ، وتَحَضَّبَتْ محاسنُ وجهه بالدماء ، فأسرعت إليه سباعُ الأرض وانحطَّت إليه طيرُ السماء ، فكم من عَيْنٍ في مِثْقَالِ طَائِرٍ طَالِمًا بَكَى صاحبها في جوف الليل من خوف الله ! وكم من كَفٍّ زَالَيْتْ مَعْصَمُهَا طَالِمًا اعْتَمَدَ عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله ! ثم قال : أَوْهَ أَوْهَ وبكى ثم نزل .

خطبة لقطري الخارجي^(٤)

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ، فَقَالَ : حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُجْبَانَا ، وَأُتْرِأُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانَا ، وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانَا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانَا ، وَمِنَ الرِّفَاتِ جِيرَانَا ، فَيُحْمِلُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ صَيًّا ، إِنْ

- (١) أَنْضَاءُ : جمع نصر ، وهو الخفيف اللحم من النعب . وَأَطْلَاحٌ : جمع طلح (بكسر الطاء) وهو المهزول . (٢) في الأصل « طارما » وهو تحريف . والتصويب من البيان والتبيين والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٧) . (٣) أَوْهَ : كلمة معناها التحزن . وفيها لغات وهي : آؤه (بالماء وسكون الهاء) وآؤه بضم الهاء وآووه (بالماء وواوين) وآؤه (بكسر الهاء) خفيفة وآؤه (بفتح الهاء وسكون الواو فيها) وآه (بالماء وكسر الهاء) . (انظر اللسان مادة آؤه) . (٤) وردت هذه الخطبة كاملة في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٩٥) . (٥) في البيان والتبيين والعقد الفريد « وجعل لهم... أجنان » ولعل روايتهما أكثر استقامة . (٦) أجنان : جمع جنن ، والجفن (بالتحريك) : القبر .

أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، أَوْ أَخْطَوْا لَمْ يَقْنَطُوا؛ جَمِيعٌ أَوْحَادٌ، وَجِيْرَةٌ أَبْعَادٌ، لَا يُزُورُونَ وَلَا يُزَارُونَ . فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ .

وفي خطبة ليوسف بن عمر :

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ! فَمَنْ مُؤْمِلٌ أَمَلًا لَا يَبْلُغُهُ، وَجَامِعٌ مَالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٌ مَاسُوفٌ يَتْرُكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمَنْ حَقَّ مَنَعُهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَوَرَّثَهُ عَدُوًّا، إِحْتَمَلُ إِصْرُهُ وَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَاهِقًا، قَدْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .

وفي خطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار: سمعته على المنبر يقول: ^(٢) إِمْرَأٌ زَوَّرَ عَمَلَهُ إِمْرَأٌ حَاسَبَتْ نَفْسَهُ، إِمْرَأٌ فَكَّرَ فِيمَا يَقْرَأُهُ فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ، إِمْرَأٌ كَانَ عِنْدَ هَوَاهُ زَاجِرًا، وَعِنْدَ هَمِّهِ آمِرًا، أَخَذَ بَعْنَانَ قَلْبِهِ كَمَا يَأْخُذُ بِخِطَامِ جَمَلِهِ، فَإِنْ قَادَهُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَبِعَهُ، وَإِنْ قَادَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ كَفَّهُ .

خطبة للمنصور

خطب المنصور بمكة فقال : أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا سُلْطَانُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، أَسْوَؤُكُمْ بِتَوْفِيقِهِ وَتَسْلِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ وَتَبْصِيرِهِ، وَخَازِنُهُ عَلَى فَيْئِهِ أَعْمَلُ فِيهِ بِمَشِئَتِهِ، وَأَقْسَمُهُ بِإِرَادَتِهِ، وَأَعْطِيهِ بِإِذْنِهِ . قَدْ جَعَلَنِي عَلَيْهِ قُفْلًا إِذَا شَاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي لِإِعْطَائِكُمْ وَقَسَمَ أَرْزَاقَكُمْ فَتَحَنِي، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يُقْفِلَنِي عَلَيْهَا أَقْفِلَنِي . فَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ وَأَسْأَلُوهُ

(١) الإصر : الثقل . (٢) في العقد « أمرؤ... » بالرفع . وزور عمله : حسنه .

(٣) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٦) وفي الأصل « عند قلبه... » (٤) كذا في العقد الفريد

وفي الأصل : « بنان عمله ... » . (٥) كذا في العقد الفريد، وفي الأصل : « بشيته ... » .

في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه ، اذ يقول :
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) أن يوفقني
للصواب والرشاد . ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم . ويفتحني لإعطائكم وقسم
أرزاقكم بالعدل عليكم .

خطبة لداود بن علي

خطب فقال : أحرز لسان رأسه ، اتعظ أمرؤ بغيره ، اعتبر عاقل قبل أن يعتبر
به ، فامسك الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله . ثم أخذ بقائم سيفه فقال :
إن بكم داء هذا دوائه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع .

خطبة لداود بن علي أيضا

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستحيا ١٠
فلم يتكلم ، فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر ، فقال المنصور : فقلت في شيخنا
وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليه آثان ، فانتضيت سيفي وغطيت ثوبي
وقلت : إن فعل ناجزته ، فلما رقي عتبا استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس ، ثم
قال : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ، ولأثر الفعل عليكم
أجدي من تشقيق المقال ، وحسبكم بكتاب الله ممثلا فيكم . وابن عم رسول الله ١٥
خليفة عليكم . والله قسما برا لا أريد إلا الله به ما دام هذا المقام أحد بعد رسول
الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمر المؤمنين هذا ، فليظن نساكم وليهمس
هامسكم . قال أبو جعفر : ثم نزل وشمت سيفي .

(١) تشقيق الكلام ، إنراحه أحسن مخرج . (٢) شام سيفه : أغمدته ، ويستعمل بمعنى

خطبة لأعرابي^(١)

أما بعد، فإن الدنيا دارُ بلاءٍ والآخرة دارُ بقاءٍ، فخذوا أيها الناس لمقترنكم من ممتزكم، ولا تبتكروا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، ففى الدنيا أحييتم ولغيرها خلقتكم. أقول قولى هذا، والمستغفرُ الله، والمدعوُّ له الخليفةُ ثم الأميرُ جعفر بن سليمان .

خطبة المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجب على خلقه، أحمدُه وأستعينُه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجز لوعده، والخوف لوعيده، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأبتاعوا ما بقى بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جد بكم، واستعدوا للوت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صيغ بهم فانتبهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن يتزل به . وإن غاية تنقضا اللحظة وتهديمها الساعة الواحدة جلدية بقصر المدة^(٢)، وإن غائباً يحذوه الحديدان الليل والنهار حريئاً بمرعة الأوبة، وإن قادماً يحل بالفوز أو بالشقوة مستحق لأفضل العدة، فاتق عبدُ ربِّه، ونصيح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكل به : يُزين له المعصية ليركبها . ويمنيه التوبة ليسوفها، حتى تهجم

(١) وردت هذه الخطبة فى الأمالى لأبى على آلئال (ج ١ ص ٢٥٤ طبع دار الكتب المصرية)

بريادة عما فى الأصل هنا . (٢) لذا فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) . وفى الأصل : «جلدي» .

عليه منيته أغفل ما يكون عنها . فيا لها حسرة على ذى غفلة : أن يكون عمره عليه
حجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة ! نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ،
ولا تقصّره عن طاعته غفلة ، ولا تُحلّ به بعد الموت ^(١) قرصة ؛ إنه سميع الدعاء ، وبيده
الخير ، وإنه فعّال لما يريد .

وفي خطبة المأمون يوم الأضحي بعد التكبير الأول :

إنّ يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرّمته ، ووفّق
له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خليفه ، وفدى فيه من الذّبح نبيه ، وجعله خاتم
الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدّم الأيام المعدودات من النّقر؛ يوم حرام من أيام
عظام في شهر حرام ، يوم الحجّ الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن
بتعظيمه ، قال الله جلّ وعزّ : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) الآيات ؛ فتقربوا إلى الله
في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله واجعلوها من طيب أموالكم وبصحة
التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : (لَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ لِحُومَهُمَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَازِلُ
التَّقْوَى مِنْكُمْ) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد
ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدارين وارتفع جزاء العاملين وطالت مدة الفريقين
الله الله ! فوالله إنه الحشد لا اللَّعب ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت
والبعث والميزان والحساب والقيصاص والضّراط ثم العقاب والثواب ، فمن نجا
يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب . الخير كله في الجنة ، والشر كله
في النار .

(١) كذا بالعقد الفريد ، وفي الأصل « سرعة » .

(٢) كذا في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠) والمراد بالعملين عمل الخير وعمل الشر . وفي الأصل :

« العالمين » .

وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول :

- إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٌ وَابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ . يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، بِفَعْلِهِ خَاتَمَةَ الشَّهْرِ وَأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَنَفِّلًا قِيَامَكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فَأَطْلَبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لَتَفْرِيطِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ . ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذِكْرُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى .
- ثُمَّ قَالَ : فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي اعْتَدَلَ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، وَلَمْ يَحْتَضِرِ الشُّكُّ^(١) فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ ، وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ . وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَلَزِهِ وَكُرْبِهِ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ ، وَفَالَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يَحَابُّ إِلَيْهِ ، وَبَدَّلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مُنِعَهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْمَهْلَ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ .
- وَاحْدَرُوا مَا حَدَّرَكُمْ اللَّهُ ، وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعِ مَوَازِينِكُمْ ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْخَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ . فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مَا يَثْقُلُ بِهِ ، وَمَا يُمِيلُ فِي صَحِيفَتِهِ الْخَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ ، فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمَفْرُطُونَ عِنْدَهَا إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْهَا ، قَالَ : ﴿ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ الْآيَةُ . وَقَالَ : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . وَلَسْتُ أَنهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَعْظَمِ مِمَّا نَهَيْتُكُمْ

٢ . (١) احتضر : مثل حصر . (٢) العزب بالتحريك : ما يصيب المريض عند حشيرة الموت من رعدة واضطراب . (٣) في العقد الفريد : « الأجل » . (٤) يُمِيلُ : يُبْلَى .

الدنيا عن نفسها ، فإنه كل ما لها ينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو الى غيرها . وأعظم
 مما رآته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتاب الله لها ونهى الله عنها ، فإنه يقول : (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) وقال : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الآية .
 فانتفعوا بمعرفتهم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أنَّ قوما من عباد الله أدركتهم
 عصمة الله فحذروا مصارعها ، وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها . فأدركوا
 الجنة بما تركوا منها .

كلام من أرتج عليه

حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثنا عيسى بن عمر قال : خطب أميرٌ مرّةً
 فانقطع فجعل ، فبعث الى قوم من القبائل عابوا ذلك وأفهمهم ، وفيهم يربوعي جلد ،
 فقال : اخطبوا ، فقام واحدٌ ثم في الخطبة ، حتى اذا بلغ "أما بعد" قال : أما بعد
 أما بعد ، ولم يدري ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أريد أن أجمع اليوم
 فمنعني ، وخطب آخر ، فلما بلغ "أما بعد" بقى ونظر فإذا إنسان ينظر اليه ، فقال : لعنك
 الله ! ترى ما أنا فيه وتلمحن ببصرك أيضاً ! . قال وقال أحدهم : رأيتُ القراقرير من
 السُّنن تجري بيني وبين الناس . قال : وصعد اليربوعي فخطب فقال : أما بعد
 فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ؛
 فقال : الزيت مبارك ، فكلوا منه وآدِهِنُوا . قال : فهو قولُ الشُّطَّارِ اليوم اذا قيل :
 لم فعلت ذا ، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت .

ولما أتى يزيد بن أبي سُفيان الشام والياً لابی بكر رضى الله عنه ، خطب فأرتج
 عليه ، فعاد الى الحمد لله فأرتج عليه ، فعاد الى الحمد لله ثم أرتج عليه ، فقال : يا أهل

٢٠ (١) لفهم : جمعهم . (٢) في الأصل : «أحدهما» . (٣) القراقرير : السمن العظيمة ،
 واحدها قرقور . (٤) الشُّطَّار : جمع شاطر ، وهو من أعيان أهله خبثاً ، والمراد بالشُّطَّار هنا : أهل
 الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتكيت والمضحكات .

الشَّامُ عسى الله أن يجعل من بعد عُثْرٍ يُسْرًا، ومن بعد عِيٍّ بَيَانًا، وأتم إلى إمام عادل^(١)
أخرجُ منكم إلى إمام قائل . ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعيد ثابت قُطْنَةُ منبراً بسجستان فحمد الله ثم أرتج عليه، فنزل وهو يقول :
فَإِلَّا أَكُنْ فِكمْ خَطِيبًا فَإِنِّي : بسيفي إذا جَدَّ الوَغَى نَحَطِيبُ

فقيل له : لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس .

وأرتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أَصْحَى ، فمَكَثَ ساعة ثم قال : والله
لا أجمعُ عليكم عِيًّا وَلَوْ مَا، من أخذَ شاةً من السوق فهي له وثمنها على .

وأرتج على خالد بن عبد الله القسري فقال : إن هذا الكلام يبيء أحياناً ويعزُبُ
أحياناً، وربما طُلبَ فَأَبَى، وكُوِّرَ فَعَسَا، فَالْتَأَى لِحْيَهُ، أيسرُ من التَّعَاطَى لأَبِيهِ، وقد
يَخْتَلِطُ من الجريء جَنَانُهُ، وينقطعُ من الذَّربِ لِسَانُهُ، فلا يُنْطَرُهُ ذلك ولا يَكْسِرُهُ،
وسأعودُ إن شاء الله .

وأرتج على معن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال : "فَقَى حُرُوبٍ لَا قَى مَنَابِرٍ".

وكان عبد ربه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله
وأرتج عليه فسكت، ثم قال : والله إني لأكون في بيتي فتجىءُ على لساني ألف كلمة،
فإذا قمتُ على أَعْوَادِكُمْ هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرِي، ولقد كنتُ وما في الأيام
يومٌ أحبُّ إلى من يوم الجمعة، فِصْرْتُ وما في الأيام يومٌ أبغضُ إلى من يوم الجمعة،
وما ذلك إلا لخطبتكم هذه .

(١) في المصادر التي بين أيدينا : « إلى أمير فاعل ... » . (٢) قطنة لقب ثابت هذا لقب به

لأن عينه أصيبت بسهم فند، فكان يحشوها بالقطن . وصحت إضافة ثابت إلى قطنة لأن الأسماء تصح

إضافتها إلى ألقابها . (٣) صا : اشتد وصعب .

صَعِدَ رَوْحُ بْنُ حَاتِمِ الْمَنْبَرِ، فَلَمَّا رَأَى جَمَعَ النَّاسِ حَاصِرًا، فَقَالَ : نَكَّسُوا رُءُوسَكُمْ وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَنَعْتُ. وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ .

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيُخْطَبَ فِي نِكَاحٍ فَخِصِرَ، فَقَالَ : لَتَقْنُوا مَوَاتَكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضَرَتْ : أَلْهَذَا دَعُونَاكَ ! أَمَا تَاكَ اللَّهُ ! .

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : نِعِمَّ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْهَرِيدِ وَالتَّشْرِيفُ لِلْخُطْبِ .
قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : تَجَلَّ عَلَيْكَ الشَّيْبُ ؛ فَقَالَ : كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أُعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ .

وَوُفِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرَفُ بِاللَّدُنْدَانِ بِحُرَايِمَةٍ . فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرُ أُرْتِجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : حَيَّا اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهُ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا ، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفَتِي بِاللَّيْلِ إِلَّا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَنَا نِي بِهِ وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ . ثُمَّ نَزَلَ .

المنابر

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ إِنَّهُ الْمَنْبَرُ . وَقَالَ :
الشَّاعِرُ :

لَنَا الْمَسَاجِدُ نَبْنِيهَا وَنَعْمُرُهَا * وَفِي الْمَنَابِرِ قَعْدَاتٌ لَنَا ذُلُّ

فَلَا تَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ نَرْكَبُهَا * وَلَا لَهْنٌ لَنَا مِنْ مَعْشَرٍ بَدَلُ

وَقَالَ الْكُمَيْتُ يَذْكُرُ بَنِي أُمَيَّةَ :

يُصِيبُ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ . لَمَّا قَالَ فِيهَا ، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ

يُسَبِّحُهَا الْأَشْبَاهَ وَهِيَ نَصِيْبُهُ ٢ . لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَا كَلُ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالْمَقْدُ الْهَرِيدُ . وَقَوَاعِدُ اللَّغَةِ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ : « وَلَوْ كُنْتُ أَنَا إِيَّاهُ » .

(٢) نَصِيْبٌ لِلدُّنْيَا .

وقال بعض المحدثين

فما منبرٌ دَنَسَتْه بَاسِتٌ "أفكلي" * بِزَاكِ وَلَوْ طَهَّرْتَهُ بِابْنِ "طَاهِرٍ"
ومر الأقيشر بمطر بن نَاجِيَةِ اليربوعي حين غَلَبَ على الكوفة في أيام الضحَّاك
ابن قيس الشَّارِي ومَطَرٌ يَخْطُبُ ، فقال :

أخي تَمِيمُ مَا لِمَنْبَرٍ مُلْكُكُمْ ٥ لَا يَسْتَمِيزُ قَعُودُهُ يَتَمَرَّمُ^(١)
إِنَّ الْمَنَابِرَ أَنْكَرْتُ أَشْبَاهَكُمْ^(٢) * فَادْعُوا نُزَيْمَةَ يَسْتَقِزُ الْمَنْبَرُ
خَلَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَايَعُوا * مَطَرًا لِعَمْرُكَ بَيْعَةً لَا تَظْهَرُ
وَأَسْتَخْلَفُوا مَطَرًا فَكَانَ كَقَائِلٍ * بَدَلٌ لِعَمْرُكَ مِنْ أُمَيَّةٍ أَعُورُ

خَطَبَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنْبَرِ نَخْرَاسَانَ فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ ، فَتَفَاعَلَ لَهُ
عَدُوهُ بِالشَّرِّ وَأَغْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ فَقَالَ : لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ الْعَدُوُّ
وَخَافَ الصَّدِيقُ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقْرَبَهَا النَّوَى * كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وقال واثلة بن خَافِضَةُ السَّدُوسِيُّ يَهْجُو عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْمُهَلَّبِ :

لَقَدْ صَبَرْتُ لِلذَّلِّ أَعْوَادُ مَنْبَرٍ * تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
بَكَى الْمَبْرُ الْغُرْبَى إِذْ قُمْتَ فَوْقَهُ ٥ وَكَادَتْ مَسَامِيرُ الْحَدِيدِ تَدُوبُ

تم: كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله،
ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد .

والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

(١) يتمرر : يمحرك .

(٢) في الشعر والشعراء، للؤلؤ (ص ٢٥٣) «أنكرت أشباهكم» .

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسة .

قال بعضهم : بُني الإسلام على خمسة : التواضع عند الدولة ، والعفو عند
القدرة ، والسخاء مع القلة ، والعطية من غير منة ، والنصيحة للعامة .

وقال بعض الشعراء في الصبر :

وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِمِحْنَةٍ فَالْبَسْ لَهَا * ثَوْبَ السَّكْوَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ
لَا تَشْكُوتْ إِلَى الْعِبَادِ فَإِنَّمَا * تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ

وَيُرَوَّى لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا * وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا
وَقَدْ نَهَجُوا الزَّمَانَ بِغَيْرِ حُرْمٍ * وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِنَا هَجَانَا
فَدُنْيَانَا التَّصَنُّعُ وَالتَّرَائِي * وَنَحْنُ بِهِ نُحَادِعُ مَنْ يَرَانَا
وَلَيْسَ الذُّشْبُ يَا كُلَّ لَحْمٍ ذَنْبٍ * وَيَا كُلُّ بَعْضُنَا بَعْضًا عِيَانَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب النهد

[ما] أوحى الله جلّ وعزّ الى أنبيائه عليهم السلام

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا خلف بن تميم عن أبي عصمة الشامي عن ابن
اخت وهب بن منبه عن وهب قال : أوحى الله الى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل
يقال له "أرميا" حين ظهرت فيهم المعاصي : أن قم بين ظهرائي قومك فأخبرهم
أنّ لهم قلوبا ولا يفقهون ، وأعيننا ولا يبصرون ، وآذاننا ولا يسمعون ، وأنّي تذكّرتُ
صلاح آبائهم ، فعطفتني ذلك على أبنائهم ، سلهم كيف وجدوا غيب طاعتي ، وهل
سعد أحدٌ ممن عصاني بمعصيتي ، وهل شقي أحدٌ ممن أطاعني بطاعتي ! إن الدوابّ
تذكّر أوطانها فتستريح إليها . وإن هؤلاء القوم تركوا الأمر الذي أكرمت عليه
آباءهم ، واتمسوا الكرامة من غير وجهها ، أما أحبارهم فأنكروا حقّي ، وأما قضاؤهم

(١) لم نعتز على هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا . وإمّا الموجود بها عصمة بن راشد
الأملاوي (بضم الهمزة واللام وسكون الميم بينهما) شامي مجهول يروي عن بعض التابعين كحبيب ابن عبيد ،
ويوجد بها أيضا أبو عصمة وهو نوح بن مريم الجامع أحد رواة المغازي ومن يذكر بوضع الحديث ، ولكنه
مرزقي وليس بشامي (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر السقلاقي في امه عصمة واسم نوح بن أبي مريم) .

فعبدوا غيري ؛ وأما أنساكهم فلم ينتفعوا بما علموا من حكمتي ؛ وأما ولاتهم فكذبوا
 عليّ وكذبوا رسلي ، خزنوا المكر في قلوبهم ، وعقدوا الكذب السنتهم ؛ ولما
 أقسم بحلالى وعزتى لأهيجن عليهم جنودا لا يفقهون أسمتهم ، ولا يعرفون
 وجوههم ، ولا يرحون بكاءهم ؛ ولأبتعنن فيهم مليكا جبارا قاسيا ، له عساكر
 كقطع السحاب ، ومواكب كأمثال العجاج ، كان خفقان راياته طيران النسور ،
 وكان حمل فرسانه كرايق القبان ، يعيدون العمران خرابا ، ويتركون القرى وحشة .
 فيا ويل إيلياء وسكاتها ! كيف أذلهم للقتل ، وأسلط عليهم السباء ، وأعيد بعد لحب
 الأعراس صراخ الهام ، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب ، وبعد شرفات القصور
 مساكن السباع ، وبعد ضوء السرج رجع العجاج . ولأبدن رجالهم بتلاوة الكتاب
 آتهار الأرباب ، وبالعز الذل ، وبالنعمة العبودية . ولأبدن نساءهم بالطيب
 التراب ، وبالمشى على الزرابي الخبب ؛ ولأجعلن أجسادهم زبالا للأرض ،
 وعظامهم ضاحية للشمس . وفي رواية أخرى : ولأدوسنهم بالوان العذاب ،
 حتى اوكان الكائن خائما في يميني اوصلت الحرب اليه ؛ ثم لأمرن السماء
 فلتكونن طبقا من حديد ، والأرض فلتكونن سبيكة من نحاس . فإن أمطرت
 السماء وأنبتت الأرض شيئا في خلال ذلك فبرحتي للبهائم ، ثم أحيسه في زمن الزرع
 وأرسله في زمن الحصاد ، فإن زرعوا خلال ذلك شيئا سلطت عليه الآفة . فإن
 خلص منه شيء نزعته منه البركة . فإن دعوتني لم أجهم . وإن سألوا لم أعطيهم .
 وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم .

(١) إيلياء : مدينة بيت المقدس . (٢) الزرابي : السطوح والخبب (وزان عيب) :

حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب : أن الله عز وجل أوحى
إلى موسى بن ماسي^(١) بن يوسف أن قل لقومك : إني برىء ممن سحر أو سحر له ،
أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، من آمن بي صادقا فليتوكل على صادقا ،
فكفى بي مثيبا ، ومن عدل غني ووثق بغيري فإني خير شريك أرد عليه ما توسل به
إلي ، وأكله إلى من توكل عليه ، ومن وكلته إلى غيري فليستعد للفتنة والبلاء .

وحدثني بهذا الإسناد قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزبور : يا عبدى
الشكور ! إني قد وهبت لك الزبور ، وأتبعته بنصح منى من أعين السطور ، ومن
الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور ، فاعبدنى به في الأيام والاليل والشهور ،
وأحببني من كل قلبك ، وحببني إلى خلقى ، وأبغض من عبادى كل منافق جهول .
قال : يا رب ، كيف أحببك إلى خلقك ؟ قال : تذكرهم آلائي .

وهذا الإسناد قال : أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة ، وكانت
صحفه أمثالا وعبرا وتسبيحا وتجييدا وتهليلا ، فكان فيها : أيها الملك المسلط المغير
المبتلى . إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولتبنى المدائن والحصون ،
ولكن بعثتك لنرد عن دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها وأو كانت من كافر .

وهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشعيا : قم في قومك أوج على أسانك ، فلما
قام شعيا أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا سماء استمعي . يا أرض أنصتي ، فأنصت
الأرض واستمعت السماء ، فقال : إن الله يقول لكم : إني استقبلت بنى إسرائيل

(١) في الأصل : « ماسي » وهو تحريف والتصويب عن التوراة (سفر التكوين ٥١ : ٥١)

طبع بيروت . (٢) كذا في قصص الأنبياء لأن إسحاق النعلبي صبع المطبعة النبية سنة ١٣٠١ هـ

وفي الأصول « بدل بي » . (٣) كذا في الأصول ، وفي قصص الأنبياء « فأنا أعني الشركاء »

عن الشريعة . « كله إلى من وثق به دوني . ومن وكلته ... الخ » .

بالكرامة وهم كالغنم الضائعة لا راعى لها ، فأويت شاذتها ، وجمعت ضالتها ، وجبرت
 كسيرها ، وداويت مريضها ، وأسمنت مهزولها ؛ فبطرت فتناطححت ، فقتل بعضها
 بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يُجبر اليه آخر كسير . إن الحمار مما يتذكر آريه^(١) الذى
 شبع عليه فيراجعه ، وإن الثور مما يتذكر مرجه الذى ين فيه فينتابه ، وإن البعير
 مما يتذكر وطنه الذى يُتج فيه فيزع اليه ، وإن هؤلاء القوم لا يذكرون أنى جاءهم
 خير وهم أهل الألباب وأهل العقول . ليسوا بإبل ولا بقير ولا حمير . وإنى ضارب
 لهم مثلا فاسمعوه : قل لهم : كيف ترون فى أرض كانت زمانا من زمانها خربة
 مواتا لا تحث فيها ، وكان لها رب قوى حليم ، فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب
 أرضه وهو قوى وأن يقال له ضيع وهو عليم ، فأحاط عليها سياجا وشيد فيها قصرا
 وأنبت فيها نرا وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب واللوان
 الثمار ، وولى ذلك ذاريا وهمة حفيظا قويا أمينا ؛ فلما جاء إبان إثمارها أثمرت
 نخروبا ، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه ؟ قالوا : كنا نقول : بثست الأرض
 أرضك ، ونشير عليه أن يقطع سياجها ، ويهدم قصرها ، ويدفن نهرها ، ويحرق
 غرسها حتى تعود خربة مواتا لا عمران فيها ؛ قال الله تعالى : قل لهم ، إن السياج
 ذمتى ، وإن القصر شريعتى ، وإن النهر كتابى . وإن القيم نبي ، وإن الغرس مثل
 لهم ، والنخوب أعمالهم الحبيثة ؛ وإنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ،
 يتقربون الى بذبح الغنم والبقر وليس ينالنى اللحم ولا آكله . ويدعون أن يتقربوا الى
 بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التى حرمتها ويشيدون لى البيوت ويرزقون لى
 المساجد ؛ وأى حاجة بى الى تشيد البيوت ولست أسكنها ، والى تزويق المساجد
 ولست أدخلها ؛ إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح ، وينجسون أنفسهم وعقولهم

(١) الآرى : محبس الدواب وجبل تشدبه فى محبسها .

- وقلوبهم ويخربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ ألفتنا لجمعها، ولو كان يقدر على أن يُفكَّه قلوبنا لفتَّهها^(١)، فاعتمد إلى عودين يابسين فاكتب فيهما كتاباً ثم ائت ناديتهم أجمع ما يكونون، فقل للعودين: إن الله يأمركما أن تعودا عوداً واحداً، فقال لهما ذلك، فاختلطا فصارا عوداً واحداً، وصار الكتاب في طرفي العود كتاباً واحداً: يا معشر القبائل، إن الله يقول لكم: إني قدرت على أن أفكَّه العيدان اليابسة وعلى أن أوَّأب بينهما، فكيف لا أقدرُ على أن أجمعَ ألفتكم إن شئتُ! أم كيف لا أقدرُ على أن أوَّأف قلوبكم! يقولون: صمنا فلم يُرفع صيامنا وصليتنا فلم تُنور صلاتنا وزكينا فلم تترك زكائنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئب، في كل ذلك لا يُسمع منا ولا يُستجاب لنا، قال الله تبارك وتعالى: سلهم لم ذلك وما الذي منعي أن أجيبهم؟ ألسنتُ أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين! الآن خزائني فُتيت! كيف ويداي مهسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء! أم لأن ذات يدي قلت! كيف ومفاتيح الخير بيدي لا يفتحها ولا يغلقها غيري! أم لأن رحمتي ضاقت! كيف ورحمتي وسعت كل شيء، وإنما يتراحم بفضلها المتراحمون! أم لأن البخل يعتري! كيف وأنا النفاخ بالخيرات أجود من أعطى وأكرم من سئل! ولكن كيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقنون عليه بطعمة الحرام! كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يُحدِّثني ويتهك محارمي! أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بالسنتهم والعمل من ذلك بعيد! أم كيف تزكو صدقاتهم وهي من أموال غيرهم! إنما أجرى عليها المفصوبين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين.

(١) كذا في نصوص الأنبياء وفي الأصل «قلوبهم» وهو تحريف. (٢) في نصوص الأنبياء.

(ص ٢٥٢): «لم تنور قلوبنا...»

قال وهب : وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام : لا تُعجبكما زينة ولا ما مُتَّعَ به ، ولا تُمَدِّدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ، ولو شئت أن أُزَيِّنكما بزينة يعلم فرعون حين ينظر اليها أن مقدرته تعجز عما أُوتيتما فعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما ؛ وكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود الراعي الشفيع غنمه عن مراعي الهلكة ، وإني لأحميهم عيشها وسلوتها^(١) كما يُجَنِّبُ الراعي الشفيع إبله مبارك العر^(٢) ، وما ذاك لهُوَ أَنَّهُمْ عَلَى ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موقرا لم يَكِلْهُ الطمع ولم يُطْبِعْهُ الهوى . واعلم أنه لن يترين العباد بزينة أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا ، إنما هي زينة الأبرار عندي ، وأنتى ، ما تَرَيْنَ به العباد في عيني عليهم منها ، لباس يُعرفون به من السكينة والخشوع ، سِيَاهِمْ النحول والسجود ، أولئك أوليائي حقا . فاذا لقيتهم فأخفِضْ لهم جناحك ، وذلل لهم قلبك ولسانك .

واعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه ، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرضني بنفسه ودعاني إليها ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي ، أفيظن الذي يحاربني فيهم أنه يقوم لي ! أم يظن الذي يعاديني فيهم أنه يعجزني ! أم يظن الذي يبادرني اليهم أنه يسبقني أو يفوتني ! كيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة ، لا أَكُلُ نصرتهم إلى غيري !

وفي التوراة : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء : يا موسى ابن عمران صاحب جبل لبنان . أنت عبدى وأنا إلهك الديان ، لا تستذل

(١) السلوة : رخاء العيش . (٢) العر : جمع عر وهو الجمل الأجرى .

(٣) في الأصل : « لما يكله الطمع » . (٤) يطمعه : ينجسه .

الفقير، ولا تَغِيْطُ الغنى بشيء يسير؛ وكن عند ذكرى خاشعا، وعند تلاوة وحي طائعا؛ أسمعني لذاذة التوراة بصوت حزين .

- وفيما أوحى الله الى عيسى عليه السلام : أُنْزِلْنِي مِنْ نَفْسِكَ كَهَمَّكَ ، واجعلني
ذُنُوكَ فِي مَعَادِكَ ، وَتَقَرَّبْ إِلَى الْبَنَوَالِ أَذْنِكَ ، وَتَوَكَّلْ عَلَى أَكْفِكَ ، وَلَا تَوَلَّ
غَيْرِي فَأَخْذُكَ ؛ اصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ ، وَارْضَ بِالْقَضَاءِ ، وَكُنْ كَسَرْتِي فِيكَ ، فَإِنْ
مَسَرَّتِي أَنْ أُطَاعَ ، وَأُحْيَ ذِكْرِي بِلسانك . وليكن وُدِّي فِي قَلْبِكَ ؛ تَبْقُظْ لِي
فِي سَاعَاتِ الْغَفْلَةِ ، وَكُنْ رَاهِبًا لِي وَرَاغِبًا إِلَيَّ . أَمِيتْ قَلْبَكَ بِالْخَشْيَةِ ؛ رَاجِعِ اللَّيْلَ
لِتَحْرِي مَسَرَّتِي ، وَاطْمَأْنِنْ لِي نَهَارَكَ لِلْيَوْمِ الَّذِي عِنْدِي ؛ نَافِسْ فِي الْخَيْرَاتِ جُهْدَكَ ؛
قُمْ فِي الْخَلِيقَةِ بَعْدِي ، وَاحْكَمْ فِيهِمْ بِنَصِيحَتِي ، فَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ شِفَاءً وَسَاوِسَ
مَا فِي الصَّدُورِ مِنْ مَرَضِ الشَّيْطَانِ ، وَجَلَاءَ الْأَبْصَارِ مِنْ غَشَاءِ الْكَلَالِ ؛ وَلَا تَكُنْ
حِلْسًا كَأَنَّكَ مَقْبُورٌ وَأَنْتَ حَيٌّ تَنْتَفَسُ . اِحْكُلْ عَيْنِيكَ بِمَلَمُولِ الْحَزَنِ إِذَا صَحَّكَ
الْبَطَالُونَ . اِبْكْ عَلَى نَفْسِكَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ بَكَاءً مِنْ قَدْ وَدَّعَ الْأَهْلَ وَقَلَى الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ
الذَّاتِ لِأَهْلِهَا ، وَارْتَفَعْتَ رَغْبَتَهُ فِيمَا عِنْدَ إِلَهِهِ . طَوِّبْ لَكَ إِنْ نَالَكَ مَا وَعَدْتُ
الصَّابِرِينَ ! تَرَجَّ مِنْ الدُّنْيَا يَوْمًا وَيَوْمًا . وَارْضَ بِالْبَلَاءِ . وَلِيَكْفِكَ مِنْهَا الْخَشْيَةُ .
تَذَوِّقْ مَذَاقَةَ مَا قَدْ خَلَا أَيْنَ طَعْمُهُ ؛ وَمَا لَمْ يَأْتِ أَيْنَ لَذَّتُهُ ؛ لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَا أَعْدَدْتُ
لِأَوْلِيَائِي لِذَابِ قَلْبِكَ وَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهِ .

- وفيما قال للموارئين : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنْ سَجَرَ الْأَرْضَ بِمَطَرِ السَّمَاءِ تَعِيشُ
وَتَرْكُوهُ ، وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بِنُورِ الْحِكْمَةِ تُبْصِرُ وَتَهْتَدِي ؛ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ مَنْ لَيْسَ
عَلَيْهِ دَيْنٌ أَوْ رُوحٌ وَأَقْلٌ هُمَا مِنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَإِنْ حَسَنَ قَضَاؤُهُ . وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ

٢٠ (١) المجلس : الذي يزعم بيته فلا يبرحه . (٢) الملبول : المرد . (٣) في الأصل

الخطيئة أروح وأقل هماً من عمل بها وإن حسنت توبته . إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيراً ، وقلوبكم لا تزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة . إن الجسد إذا صلح كفاه القليل من الطعام . وإن القلب اذا صحَّ كفاه القليل من الحكمة . كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عابد قد أفسده العُجب . يا بني إسرائيل ، استمعوا قولي ، فإن مثل من يستمع قولي ثم يعمل به مثل رجلٍ حَكِيمٍ أسس بنيانه على الصفا^(١) ، فمطرت السماء وسالت الأودية وضربت الرياح فثبت بنيانه ولم يَخر ، ومثل الذي يستمع قولي ثم لا يعمل به مثل رجلٍ سفیهٍ أسس بنيانه على الرمل ، فمطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الرياح فضربته فسقط بنيانه . يا بني إسرائيل ، ما يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها ! وما يغني عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به ! . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله . بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه ثنُّ قطرانه ، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال : بلغني أن عيسى بن مريم قال لأصحابه : إن كنتم إخواني وأصحابي فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس ؛ إنكم لا تُدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تتألون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون . إياكم والنظرة ، فإنها تزرع في القلب الشهوة . طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره ! .

(١) الصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة .

قال : وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء^(١) وثبأن حافيا مجزوز الرأس والشاربين باكما شعثا مصفر اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش . طويل شعر الصدر والذراعين والساقين ؛ فقال : السلام عليكم يا بني إسرائيل ، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها ، ولا عجب ولا نخر ، أتدرون أين بيتي ؟ قالوا : أين بيتك يا روح الله ؟ قال : بيتي المساجد ، وطبيي الماء ، وإدامي الجوع ، ودأبي رحلي . وسراجي بالليل القمر ، وصلاح^(٢)ي في الشتاء مشارق الشمس ، وطعامي ما تيسر ، وفاكهي ورئحاني بقول الأرض ، ولباسي الصوف ، وشعاري الخوف ، وجلسائي الزماني والمساكين ، أصبح ولبس لي شيء ، وأمسي ولبس لي شيء ، وأنا طيب النفس غني مكثر ، فمن أغنى وأربح مني ! .

وقرأت في بعض الكتب : عبدى ! ما يزال ملكك كريم قد صعد إلى منك بعمل قبيح ، أتقرب إليك بالنعم ، وتمنقت إلى بالمعاصي ؛ خيري إليك نازل ، وشرك إلى صاعد .

وفي التوراة : لعلك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض المقدسة ، أرض بني آبائك إبراهيم وإسماعيل ، فإنها تفيض برا وشعيرا ولبنا وعسلا . فورشت بيوتا بهاها غيرك وعصرت كروما غرسها غيرك ، فأكلت وشربت وتنعمت بشحم كباب القمح . ضربت بيدك إلى صدرك ورحمت كما ترحم الدابة برجليها ، وقلت : بتسديتي وبقوتي وبأسي ورئت هذه الأرض وغلبت أهلها ، ونسيت نعمتي عليك ! فأقذف الرعب في صدرك إذا أنت لقيت عدوك ، وإذا هبت الريح

(١) الثبان : سراويل صغير يكون ثلاثين والمصارع .

(٢) صلاح : الوقود والنار العظيمة . وفي الأصل «صلاح» الماء .

فَنَقَعَهَا وَرَقُ الشَّجَرِ انْهَزَمَتْ ، فَأَقْلُ رَجَالِكَ ، وَأَرْمَلُ نِسَاءِكَ ، وَأَيْتَمُ أَبْنَاءِكَ ،
وَأَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ نُحَاسًا وَالْأَرْضَ حَدِيدًا ، ^(١) فَلَا السَّمَاءُ تُمِطُّ وَلَا الْأَرْضُ تُنْبِتُ ،
وَأَقْلُ لَكَ الْبَرَكَةِ حَتَّى تَجْتَمَعَ نِسْوَةٌ عَشْرٌ يَخْتَبِرْنَ فِي تَنْوِيرٍ وَاحِدٍ .

بلغني عن عبد الرحمن المحاربي عن جعفر بن برقان قال : بلغني عن وهب بن
منبه قال : أَجَدُّ فِي الْكِتَابِ أَنْ قَوْمًا يَتَسَدِّينَ لغير العبادَةِ ، وَيَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ
الْآخِرَةِ ، يَلْبَسُونَ مُسُوكَ الضَّانِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ ، أَلَسْتُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ
وَأَنْفُسُهُمْ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، أَبِي يَغْتَرُونَ ! أُمِّ إِيَّاي يَخَادِعُونَ ! أَقْسَمْتُ لِأُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ
فِتْنَةً يَعُودُ الْحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَانٌ .

وَقَرَأْتُ فِي الْإِنْجِيلِ : « لَا تَجْعَلُوا كَنْزَكُمْ فِي الْأَرْضِ حَيْثُ يَفْسِدُهَا الشُّوسُ
وَالدُّودُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّرَاقُ ، وَلَكِنْ أَجْعَلُوا كَنْزَكُمْ فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ حَيْثُ تَكُونُ
كَنْزُكُمْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ . إِنَّ الْعَيْنَ هِيَ سِرَاجُ الْجَسَدِ فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُكَ صَحِيحَةً فَإِنَّ
جَسَدَكَ كُلَّهُ مُضِيءٌ ، وَإِنَّمَا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ لِرَبِّينِ اثْنَيْنِ إِلَّا أَنْ يُحِبَّ أَحَدَهُمَا
وَيُغِضَ الْآخَرَ ، وَيُوقِّرَ أَحَدَهُمَا وَيُهِنَ الْآخَرَ ، فَكَذَلِكَ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ
وَلِلنَّاسِ . وَلَا يُهَمُّكُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَمَا تَلْبَسُونَ ، أَلَيْسَتْ النَّفْسُ أَفْضَلُ
مِنَ الطَّعَامِ ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّبَاسِ !! أَنْظَرُوا إِلَى طَيْرِ السَّمَاءِ فَإِنَّهُمْ لَا يَزْرَعُونَ
وَلَا يَحْصِدُونَ وَلَا يَجْعَلُونَ فِي الْأَهْرَاءِ ^(٢) ، وَأَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ ، أَفَلَسْتُمْ

(١) فِي الْأَصْلِ : «وَلَا السَّمَاءُ» ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي الْعُظْفُ بِالْفَاءِ لِأَنَّهُ مَفْرَعٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ .

(٢) أَيُّ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ : وَمِثْلُهُ « حَاهُ فِي الْحَدِيثِ » . « مِنْ شُرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَعْطَلَ السُّيُوفُ
مِنَ الْجِهَادِ وَأَنْ تَخْتَلِ الدُّنْيَا بِالْدِّينِ » أَيُّ تَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، مِنْ خِثْلِهِ إِذَا خَدَعَهُ (أَنْظَرُ اللَّسَانَ

مَادَّةُ خِثْلٍ) . (٣) الْمُسُوكُ : جَمْعُ مَسَكٍ (بِالْفَتْحِ) وَهُوَ الْجِلْدُ . (٤) الْأَهْرَاءُ : جَمْعُ

هَرَى (بِالصَّمِّ) وَهُوَ بَيْتٌ كَبِيرٌ يَجْمَعُ فِيهِ الطَّعَامُ .

أفضل منهن!! وأيكم الذي اذا جهد قدر أن يزيد في طوله ذراعا واحدا! فلم تهتمون
 باللباس! اعتبروا بسوس البرية فإنه لا يعمل ولا يغزل، أنا أقول: إن سليمان بوقاره^(٢)
 لم يستطع أن يلبس كواحدة منهن؛ فإذا كان الله يابس حشَب الأرض الذي ينبت^(٣)
 اليوم ويلقى في النار غدا، أفلسم يا قليل الإيمان أفضل منه! ولا تهتموا فتقولوا: ماذا
 نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس؛ فإنه إنما يهتم لذلك ابن الدنيا؛ وإن أباكم الذي
 في السماء يعلم أن ذلك ينبغي لكم؛ فابدءوا فالتمسوا ملكوت الله وصدقيته، فإنكم سوف^(٤)
 تكفون. ولا يهتمكم ما في غد. فإن غدا مكثف بهم، وحسب اليوم شره. وكما
 تدينون تدانون، وبالمكيل الذي تكيلون يكال لكم. وكيف تبصر القذاة في عين
 أخيك ولا تبصر السارية في عينك! لا تعطوا الكلاب القدس. ولا تلتقوا لؤلؤكم
 للخنازير. سلوا تعطوا، وابتغوا تجدوا، واستفتحوا يفتح لكم، وانظروا الذي تحبون
 أن يأتي الناس اليكم فاتوا اليهم مثله. أدخلوا الباب الضيق، فإن الباب والطريق
 إلى الهلكة غير يضان. والذين يسلكونهما كثير. وما أضيق الباب والطريق للذين
 يبلغان إلى الحياة! والذين يسلكونهما قليل».

وقال له رجل: أتبعك حيث ذهبت؟ فقال له عيسى: للشعالي حجرة، واطير
 السماء مكان، وليس لأبن الإنسان مكان يسند فيه رأسه.
 وقال له رجل من الخواريين: أتأذن لي أن أدفن أبي؟ فقال له: دع الميت
 يدفن موتاهم وأتبعني. وقال للخواريين: لا تترودوا شيئا، فإن العائل محقوق أن

(١) في الأصل: «إذا جهد فقدر» الفاء في جواب إذا، ولا معنى لذكر الفاء في هذا الموضع.
 (٢) الوقار: العظمة. وفي الأصل: «بوقاره» بالفاء، ولا معنى له هنا إلا أن يكون محرة عن
 (رفوره) جمع وفر «بالفتح» وهو الغنى. (٣) في الأصل: «تبت» وتلقى... منهن»
 (٤) لعل اسم الإشارة يرجع إلى عدم الاهتمام المأخوذ من قوله «ولا تهتموا»، ليستقيم الكلام.
 (٥) الصدقية: درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوة.

يُطْعَم قُوَّتَهُ ، وَإِنِّي أُرْسَلُكُمْ كَالْحِرَفَانِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلُمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلْهًا كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلِّمُوا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَهْلًا لِسَلَامِكُمْ فَلْيُصِيبْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَلَامِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُؤْيِوَكُمْ وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِذَا نَحَرَجْتُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَانْقُضُوا الْغُبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

٥ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمَنَعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيمَا نَاجَى بِهِ عَزَّيْرُ رَبِّهِ : اللَّهُمَّ فَإِنْ لَكَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَتَهُ خَيْرَةٌ اخْتَرْتَهَا ، وَإِنَّكَ اخْتَرْتَ مِنَ النَّبَاتِ الْحَبْلَةَ^(١) ، وَمِنَ الْمَوَاشِيِّ الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْجَمَامَةَ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ بَيْتَ إِبِلْيَاءَ . وَمِنَ إِبِلْيَاءِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ ، وَمِنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ آدَمَ ، وَمَنْ وَلَدَ آدَمَ نُوحًا ، وَمَنْ وَلَدَ نُوحَ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ وَلَدَ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَمَنْ وَلَدَ إِسْحَاقَ إِسْرَافِيلَ ، اللَّهُمَّ فَاصْبِرْ خَيْرَتُكَ قَدْ تَمَّتْ وَنَفَذْتُ فِي كُلِّ مَا اخْتَرْتُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ وَلَدِ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنَّهُمْ أَصْبَحُوا أَعْبَادًا لِأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ وَخَوَلَا لِأَعْدَائِكَ ، فَمَا لَذِي سَلَّطَ عَلَيْنَا ذَلِكَ ؟ أَمْ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا ؟ فَالْخَاطِئُونَ وَلَدُونَا ، أَوْ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِنَا ؟ فَمِنْ ضَعْفٍ خُلِقْنَا ، قَالَ : بَخَاءُ فِي الْمَلِكُ فَكَلَّمَنِي ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ سَمِعْتُ صَوْتًا هَالِكًا فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ رَأْسِهَا ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، شَاقَّةٌ جَنِينًا ، تَلْطِمُ وَجْهَهَا ، وَتَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا ، وَتَحْتُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَاقْبَلْتُ عَلَيْهَا وَتَرَكْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ ، فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِأَلْكِ أَيْتِهَا الْمَرْأَةُ وَمَا الَّذِي دَهَاكِ ؟ أَخْبَرَنِي خَبْرَكَ ، فَقَدْ أَصَابَتْ الْمَصَائِبُ غَيْرَكَ ، قَالَتْ : إِلَيْكَ غَنَى أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَإِنْ رَبِّي هُوَ الَّذِي أَبْكَأَنِي ،

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ . وَفِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ لِلدِّمِيرِيِّ (ج ١ ص ٢٢٦) : « رَوَى أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ عَنْ زَيْدِ بْنِ مَيْسَرَةَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا بِأَهْلِ فِي اللَّهِ تَعَالَى مِثْلَ الْحَمَامِ فَافْعَلُوا » . وَفِي الْإِنْجِيلِ مَتَّى مِنَ الْكُتَابِ الْمُقَدَّسِ (طَبْعُ بَيْرُوتِ سَنَةِ ١٨٨٢ مِجْلَدُ ثَلَاثِ ص ١٧ ص ١٢) : « فَكُونُوا حَكَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَوَدَعَاءَ كَالْحَمَامِ » . (٢) الْحَبْلَةُ بِالضَّمِّ : الْكَرَمُ . وَأَوَّلُ مِنْ أَهْوَلِهِ ، وَثَمَرُ السَّلْمِ أَوْ ثَمَرُ الْعُضَاءِ . (٣) فِي الْأَصْلِ : « بَيْتُ إِبِلْيَاءَ » .

- ومصيبتى أعظم مما ترى ؛ فقلتُ : فإن فى الله عزاءً من كلِّ مصيبة ، وخلفاً من كلِّ هالك ، وعوضاً من كلِّ فائتٍ ، فإياه فاستعيني ، والى نظره لك فانظري ؛ قالت :
- انى كنتُ امرأةً كثيرًا مالى ، عظيمًا شرفي ، وكنت عاقراً لا ولَدَ لى ، وكنتُ عند بعيلٍ له نِسوةٌ معي وكلهن ولَدٌ له غيرى ، فلنَ به لحبِّ الولدِ فصرف وجهه عني ، فغزنتُ وحرز أهلك وصديقي ، فلما رأيتُ هوانى عليه وسقوط منزلي عنده ، رَغبتُ الى ربى ودَعَوته فأجابني ، واستوهبته غلاماً فوهبته لى ، فقَرَّتْ به عيني ، وفرح أهلى ، وعطف الله به زوجي ، وقطع عني ألسنة ضرائري ، فربيتُ غلاماً لم يحمل أني مثله حسناً وجمالاً ونصرةً وتاماً ، فلما بلغ أشده وكل به سرورى خطبتُ عليه عزيمة قومي ، وبذلتُ دونه مالى ، وخرجتُ من خُلعتي^(١) ، وجمعتُ رجال قومي ، فخرج يمشي بينهم حتى دخل بيته ، فلما قعد على سريرته ، نحر منه فاندقت عنقه
- فأت ابني وضلُّ عملي وبطل نصيبي وتلف مالى ، فخرجتُ الى هذه البرية أبكيه فيها لا أريدُ أن أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه ، ولن أبرح أبكيه حتى ألحق به . قال عزيرٌ : أذكرك ربك وراجعيه ، فقد أصابت المصائب غيرك أما رأيت هلاك إيلياء وهى سيِّدة المدائن وأم القرى ؟ أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال ؟ قالت : إى رحمك الله ! إن هذا ليس لى بعزاء وليست لى بشيء منه أسوة ، إنما تبكى مدينةً نحربت ، ولو تعمُرُ عادت كما كانت ، وإنما تبغى قوما وعدهم الله الكثرة على عدوهم ، وأنا أبكى على أمرٍ قد فات ، وعلى مُصيبة لا أستقيها^(٢) ، قال عزيرٌ : فإنه خُلِقَ لما صار إليه ، وكل شيء خُلِقَ للدنيا فلا بد أن سيفق ،

(١) الخلمة (بالكسر والضم) : المال وخيروه . يخلع على الانسان . (٢) لا أستقيها

أى لا أطلب منها إقالة ، لأن الطلاب فيها غير مجد ؛ ومنه قول الشيخ :
 - ومرتبة لا يستقال بها الردى -
 أى لا يرجى فيها إقالة الردى لأنه لا بد من الهلاك .

أما رأيت مدينتنا أصبحت خاوية على عروشها بعد عمارتها . وأوحشت بعد أنسها
 وأثاثها ! أو ما رأيت مسجدنا كيف غير حسنه . وحُدم حصنه ، وأطفئ نوره !
 أو ما رأيت عز أهلنا كيف ذل ، وشرفهم كيف تحل ، ومجدهم كيف سقط ،
 وفخرهم كيف بطل ! أو ما رأيت كتاب الله كيف أُحرق . وولى الله كيف رُفِع ،
 وتابوت السكينة كيف سُبى ! أو ما رأيت نساء الملوك وبناتهن في بطون الأسواق
 حاسرات عن السوق والوجوه والأشعار ! أو ما رأيت الأشياخ الذين على وجوههم
 النور والسكينة مقرنين في الجبال والقطار ! أو ما رأيت الأحرار والرهبان مصفدين
 في الإسار . أو ما رأيت أبناء موسى وهارون تُضرب عليهم السهام ويقسمهم
 الأشرار . ولدان الملوك خدماً للكفار^(٢) ، أو ما رأيت قتلتنا لم يوار أحدنا منهم قبر ،
 ولم يعهد أحد منهم الى ولد ، فالحكام مهبتون ، والعلماء يموجون . والحلباء
 متحيرون ، وأهل الرأي ملقون بأيديهم مستسلمون . قال : فيينا أنا أكلها غشي
 وجهها نور مثل شعاع الشمس حال بيني وبين النظر اليها ، نفخمت من شدته
 وجهي ورددت يدي على بصرى ، ثم كشفت وجهي فاذا أنا لا أحسها ولا أرى
 مكانها ، واذا مدينة قد رُفعت الى حصينة بسورها وأبوابها . فلما نظرت الى ذلك
 تحررت صيقا ، بخافنى الملك فأخذ بضبعي ونعشني وقال لى : ما أضعفك يا عزير !
 وقد زعمت أن بك من القوة ما تخاطب به ربك وتُدلى بالعدر عن الخاطئين من

(١) ورد في دائرة المعارف للبستاني عند الكلام على «تابوت» ما ملخصه : و«تابوت العهد» أو الشهادة

هو صندوق من الخشب مصفح من الداخل ومذهب من الخارج . وكان موضعه في قدس الأقداس وكان
 اليهود يعتبرون ذلك مقدسا وكانوا بجمليته بالاحتمال أهمهم وهم مسافرون الى أرض الميعاد ... والظاهر
 أنه فقد عند ما هدم بختنصر الهيكل في القدس بآتلافه إياه . ونقله الى بابل . ومن أراد الوقوف على
 تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة . (٢) في الأصل : «خدم للكفار» .

(٣) نعشه : رفعه وأقامه .

- بني إسرائيل ؛ قال له عزير : مثل الذي رأيت وعانيت أضعفني وأذهب روحي ؛ قال الملك : فإن المرأة التي كلمتك هي المدينة التي تبكى عليها ، صورها الله لك في صورة أنثى فكلمتك ، فافقه عنها : أما قولها : إنها عُمِّرت زمانا من دهرها عاقرا لا ولد لها ، فكذلك كانت إيلياء صعيدا من الأرض خرابا لا عمران فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة .^(١) وأما قولها : إن الله وهب لها غلاما عند اليأس ، فذلك حين أقبل الله عليها بالمعمران فابتعث الله منها أنبياءه وأنزل كتابه . وأما قولها : إنه هلك ولدها حين كمل فيه سرورها ، فذلك حين غير أهلها نعم الله وبدلها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفسادا . فغير الله ما بهم وسلط عليهم عدوهم حتى أفناهم ، وقد شفعك الله في قومك وكتابك ومدينتك ، وسيبدها الله عامرة كما رأيت : عليها حيطانها وأبوابها ، وفيها مساجدها وأنهارها وأشجارها .

- وحدثني بهذا الإسناد قال : لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاق عليهما السلام ويجعله قربانا ، أسر ذلك إلى خليل له يقال له : العازر ؛ فقال له الصديق : إن الله لا يتلى بمثل هذا مثلك ، ولكنه يريد أن يُجربك ويختبرك ، وقد علمت أنه لم يبتلك بهذا ليفتنك ولا ليضللك ولا ليعتلك ولا لينقص به بصيرتك وإيمانك ويقينك ، ولا يروعك هذا ولا تسوءن بالله ظنك ، وإنما رفع الله اسمك في البلاء على جميع أهل البلاء . حتى كنت أعظمهم في نفسك وولدك ، ارفعك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل ؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضل صبرك ، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضل ثوابك ، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضل شرفك . وليس هذا من وجود البلاء الذي يتلى الله به أوليائه ؛ لأن الله أكرم في نفسه وأعدل في حكمه وأعدل في عباده^(٢)

(١) في الأصل : « وانما » . (٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « وأرحم بعباده ... » .

من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى ؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا مني حتماً على الله أو ردّاً لأمره أو سُخْطاً لحكمه على عباده ، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به . فإن عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك ؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرضك لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك ، ليجعلك للناس إماماً ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وحدثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما ليث في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجل إليه جبريل عليه السلام بالبشارة بمخروجه ، فقال له : أتعرفني أيها الصديق ؟ قال له يوسف : أرى صورة طاهرة وروحاً طيباً لا يشبه أرواح الخاطئين ؛ قال جبريل : أنا الروح الأمين ، رسول رب العالمين ؛ قال يوسف : فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقرئين ؟ قال جبريل : أو لم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين ، وأن البقعة التي يحلون بها هي أطهر الأرضين ، وأنه قد طهر بك السجن وما حوله يآبرن الطاهرين ؛ قال يوسف : كيف تشبهني بالصالحين ، وتسميني بأسماء الصديقين ، وتعدني مع آبائي المخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ! قال جبريل : لم يكلم قلبك الجزع ، ولم يغير خلقك البلاء ، ولم يتعاطمك السجن ، ولم تطأ فراش سيّدك ، ولم ينسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ، ولم تنسك نفسك أبالك ولا أبوك ربك ؛ وهذا الزمان الذي يفك الله به عنقك ، ويعتق به رقك ، ويبين للناس فيه حكمتك ، ويصدق رؤياك وينصفك ممن ظلمك ، ويجمع إليك أحببتك ، ويهب لك ملك مصر : يملكك ملوكها ، ويعبد لك جبارتها ، ويدلّ لك أعزتها ، ويصغر لك عظماءها ، ويخمدك سوقتها ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٧) : « فكن عند أحسن علمه بك ... » . (٢) العنق : الأسر والذل ، يقال : عنا في القوم عتوا وعتاء صار فيهم أسيراً . وفي العقد الفريد (ج ١ ص ٣٥٨) : « عنقك » .

ويخولك خوفها ، ويرحم بك مساكينها ، ويلقي لك المودة والهيبة في قلوبهم ،
ويجعل لك اليد العليا عليهم والأثر الصالح فيهم ، ويرى فرعون حلقها يفرع منه
ويأخذه له كرب شديد حتى يسهره ويذهب نومه ، ويعتق عليه تفسيره وعلى السحرة
والكهنة ويعلمك تأويله .

- وفي بعض الكتب : أوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : إذا أردت أن تسكن
معى غدا في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدا . مهموما حزينا ، كالطائر
الوحداني يظل بأرض الفسالة ويرد ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا
جئ عايه الليل أوى وحده استباحشا من الطير واستئناسا بربه جل وعز .
- لما قتل عبد الله بن الزبير وجده الخجاج فيما ترك صندوقا عليه أقفال حديد ،
فتعجب منه وقال : إن في هذا شيئا ، ففتحه فإذا صندوق آخر عليه قفل ففتحه
فإذا سقط فيه درج ، ففتحه فإذا صحيفة فيها : إذا كان الحديث حلقا ، والميعاد
خلفا ، والمقنب ألفا^(١) ، وكان الولد غيظا ، والشتاء قيظا ، وغاض الكرام غيضا ، وفاض
اللئام فيضا ، فاعتز عفر^(٢) ، في جبل وعمر ، خير من ملك بنى النضر . حدثني بذلك
كعب الجبر .

الدعاء

١٥

- حدثني أبو مسعود الدارمي^(٣) قال حدثنا جرير عن أنس بن مالك قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال «ربكم عز وجل ثلاثة : واحدة لي ، واحدة لك ،
واحدة لك»^(٤) .
- (١) المقنب كبير : جماعة الحبل والفرسان . (٢) العفر : جمع أعفروا . والعفرة : غيرة
في بياض . (٣) هكذا ورد بالأصل . ولم نعثر على هذه النسبة لمن يكنى بأبي مسعود لا في كتب
الأنساب ولا في كتب التراجم وغيرها من الكتب التي بين أيدينا . (٤) في الأصل : «جدير»
بالدال المهملة . ولم نعثر على اسم «جدير» بين أسماء الرواة في الكتب التي عندما . وقد ورد في تهذيب
التهذيب أن من بين من اسمه «جرير» بالراء : «جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي ثم الشامي وقيل
الهمضمي» . وجرير هذا من رواة عن قتادة عن أنس بن مالك ، ولذا ترجح لدينا أن ما جاء بالأصل
محرف صوابه ما أثبتناه .

٢٠

يا بن آدم، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي فتخلص لي لا تُشرك بي شيئا، وأما التي لك فأحوج ما تكون الى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلى الإجابة“ .

٥ حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا زيد بن الحباب قال حدثنا معاوية قال حدثني أزهر بن سعيد عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان يفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم به صلاته في قيام الليل ؟ قالت : كان يكبر عشرا ويحمد عشرا ويسبح عشرا ويهلل عشرا ويستغفر الله عشرا، ثم يقول : ” اللهم آغفر لي وأهدني وأرزقني وعافني “، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة .

١٠ حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا الخفاف عن أبي الورقاء عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصبح قال : ” أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يسكن^(١) فيهما لله رب العالمين وحده لا شريك له . اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . اللهم إني أسألك خيرا الدنيا وخيرا الآخرة يا أرحم الراحمين “ .

١٥ حدثنا إسحاق بن راهويه قال أخبرنا حسين بن علي الجعفي عن إسرائيل عن الحسين أنه كان اذا استسقى قال : « اللهم اسقنا سقيا واسعة وادعة عامة نافعة غير^(٢) »

(١) في نهاية الأرب للنويري (ج ٥ ص ٣٠٠ طبع دار الكتب المصرية) : « وما سكن فيهما من شيء لله وحده لا شريك له... الخ » . وفي كتاب الأذكار للنووي : « وما سكن فيهما لله تعالى... الخ » .
(٢) قال ابن خلكان في ترجمة إسحاق بن راهويه : « وراهويه يفتح الراء وبعد الألف هاء ساكنة ثم واء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة... وقيل فيه أيضا : راهويه بضم الهاء وسكون الواو وفتح الياء » . (٣) ورد هذا الأثر في كتاب الأذكار للسيوطي (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ مجاميع) في صلاة الاستسقاء، بصيغة تخالف ما هنا في بعض الكلمات وازيادة والنقص .

ضاربة نعم بها حاضرنّا وبادينّا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا . اللهم أجعله رزق إيمان وعطاء إيمان إنّ عطاءك لم يكن محظورا . اللهم أنزل علينا في أرضنا سكنها ، وأنبت فيها زيتنا ومرعاها .

سروى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضى الله عنه :
 « اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة ، فاسقنا الغيث » ، فأرخت السماء شأيب مثل الجبال بديمة مطيقة .

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال : سمعت عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول : « اللهم زد في إحسان محسنهم ، وراجع بمسيئهم الى التوبة ، وحط من ورائهم بالرحمة » .

حدثنا حسين بن حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات :
 « اللهم اقسّم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به »

(١) كذا في الأصل بولسان العرب مادة «سكن» . وفي منتخب كنز العمال المطبوع بهامش مستند الإمام أحمد (ج ٣ ص ٦٥ طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣١٣ هـ) : « اللهم أنزل في أرضنا بركتها وزيتها وسكنها وارزقنا وأنت خير الرازقين » . وسكنها بفتح السين والكاف : غياث أهلها الذي تسكن أنفسهم اليه .

(٢) في الأصل : « من يتك » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٣) شأيب جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والديمة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . (٤) كذا ورد في الأصل . وفي تهذيب التهذيب أن عن روى عن عبد الله بن المبارك الحسين بن الحسن . وأهل ما في الأصل محرف عنه . (٥) في الأصل : « زحر » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه هو ما في تهذيب التهذيب .

الى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيبتُ الدنيا، ومَتَّعنا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا،
واجعل ذلك الوارثَ منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا
ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا“ .

بلغنى عن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية^(١) قال : كان شداد بن أوس
في سفر، فنزلنا منزلاً فقال لفلانمه : اثنتا بالسفرة نعبث بها^(٢)، فأنكرت منه، فقال :
ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزعمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها
عني ، واحفظوا عني ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
”إذا كثر الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات^(٣)
في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك وأسألك
قلبا سليما ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم ،
وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب“ .

بلغنى عن الوليد بن مسلم قال حدثنا أبو سلمة الدوسي^(٤) عن سالم بن عبد الله
قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”اللهم ارزقني عينين هطاليتين
تبكيان بذروف الدموع وتشفيانني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والأضراس
جمرا“ .

(١) هكذا ضبطه في تقريب التهذيب بضم العين وفتح الطاء . (٢) كذا في مسند الامام أحمد
(ج ٤ ص ١٢٣) وفي الأصل : ”نعبث بها“ . والأبتهاء هو الموائق لقول الزمخشري في أساس البلاغة
مادة «عبث» «تعال بالسفرة نعبث بها» . (٣) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١١٦) : «يا شداد
بن أوس إذا رأيت الناس يكثرزون ... الخ» وفي بقية الحديث بعض زيادات عما هنا ، ولعلها رواية
أخرى . (٤) هكذا ورد في الأصل ، ولم نوفق الى تحقيق هذه النسبة لأبي سلمة في الكتب التي
بين أيدينا . (٥) في منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ١٠٦) «... تشفيان القلب بذروف
الدموع من خشيتك ... الخ» .

« حدّثني أبو سفيان الغنويّ قال حدّثنا عمر بن عمران قال حدّثني الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع : أنه كان يحفظ من دعاء النبيّ صلى الله عليه وسلم : "يا مَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى وَيَا شَاهِدَ كُلِّ نَجْوَى بِكُلِّ سَبِيلٍ أَنْتَ مَقِيمٌ تَرَى وَلَا تُرَى وَأَنْتَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى" .

- (١) « حدّثنا عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان دعاء عيسى الذي يدعو به للرضى والزّمنى والعميان والمجانين وغيرهم : "اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت حَكَمٌ من في السماء وحَكَمٌ من في الأرض لا حَكَمٌ فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك ، قُدْرَتُكَ في الأرض كقُدْرَتِكَ في السماء ، وسلطانُكَ في الأرض كسلطانِكَ في السماء ، أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير ومليكك القديم ، إناك على كلّ شيء قدير" . قال وهب : هذا يُقرأ للفرج على المجنون ويكتب له ويُغسل ويُسقى ، فيقرأ بإذن الله أيّ ذلك شاء فعل .

- « وحدّثني أيضا بهذا الإسناد قال : كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلّبوه بزعمهم فرفعه الله إليه : "اللهم أنت القريب في علوّك ، المتعالى في دنوّك ، الرّبيع على كلّ شيء من خَلْقِكَ ، أنت الذي نفذ بصرك في خلقك ، وحسّرت الأبصار دون النظر إليك وعشيت دونك ، وشمخ بك العلوّ في النور ، أنت الذي جَلَّيت الظلم

(١) ورد في الأصل "عبد الرحمن بن عبد المنعم" وورد في عدّة أسانيد أخرى في الأصل نفسه

"عبد الرحمن عن عبد المنعم" كما أثبتناه هنا وعبد الرحمن الذي يروى عنه المؤلف كثيرا هو عبد الرحمن بن

عبد الله ابن أخي الأصمعي ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن ادريس بن مناف بن ابنة وهب ابن منبه .

بنورك فتباركت اللهم خالق الخلق بقُدرتك ، مقدّر الأمور بحكمتك ، مبتدِع الخلق بعظمتك ، القاضى فى كل شئ بعلمك ؛ أنت الذى خلقت سبعا فى الهواء بكلماتك ، مستويات الطباق مذعنات لطاعتك ، سماهين العلو بسلطانك ، فأجهن وهن دخان من خوفك ، فأتين طائعات بأمرك ، فهن ملائكتك يسبحون قُدسك بتقديسك ، وجعلت فهن نورا يحلو الظلام ، وضياء أضوا من شمس النهار ، وجعلت فهن مصابيح يُهتدى بها فى ظلمات البحر والبر ورجوما للشياطين ، فتباركت اللهم فى مفسطور سمواتك ، وفيما دَحَوْتَ من أرضك ، دَحَوْتها على الماء ، فأذلت لها الماء المتظاهر^(١) فذلّ لطاعتك وأذعن لأمرك ، وخضع لقوتك أمواج البحار ، ففجرت فيها بعد البحار الأنهار ، وبعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ؛ ثم أخرجت منها الأشجار بالثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فاطاعتك أطواذها ، فتباركت اللهم فى صنعك ، فمن يبلغ صفة قدرتك ومن يُنعت نعتك . تُزِيل الغيث وتُنشئ السحاب ، وتُقَلِّق الرقاب وتَقْضِي الحق وأنت خير الفاصلين . لا إله إلا أنت سبحانك أمرت أن يستغفرك كل خاطئ . لا إله إلا أنت إنما يخشاك من عبادك العلماء الأيكاس . أشهد أنك لست بـإله استحدثناه ، ولا ربّ يبيد ذِكْرُه ، ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم وندعوك ، ولا أعانك أحدٌ على خَلْقِكَ فنشكّ فيك . أشهد أنك أحدٌ صمدٌ لم تلِد ولم يكن لك كفؤا أحدٌ ، ولم يُتخذ صاحبةً ولا ولدا . اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا ، قال وهب : وهذا الدعاء عُوْذَةٌ للشقيقة وغيرها من قولك : ”أشهد أنك لست بـإله استحدثناه ، الى آخره .

(١) «المتظاهر» بالفاء المعجمة من تظاهر بمعنى تساند وتعاون يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع

بعضه بعضا لقوته وهو ما يقتضيه السياق . وفى الأصل «المتظاهر» بالطاء المهملة .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن عباس قال : «الإخلاص
(١) هكذا ، وبسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى ، والدعاء هكذا ، وأشار براحيته
الى السماء ، والابتهاال هكذا ، ورفع يديه فوق رأسه ظهورهما الى وجهه» .

ر حدثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال : كان داود
إذا دعا في جوف الليل قال : «اللهم نامت العيون وغازت النجوم وأنت حي قيوم ،
اغفر لي ذنبي العظيم إنك عظيم وإنما يغفر العظيم العظيم ، إليك رفعت رأسي عامر
السماء نظرت العبيد الى أربابها . اللهم تساقطت القرى وأبطل ذكراها وأنت دائب
الدهر معد كرسى القضاء» .

قال : وكان من تجميده : «الحمد لله عدد قطر المطر ، وورق الشجر ، وتسبيح
الملائكة ، وعدد ما في البر والبحر . والحمد لله عدد أنفاس الخلق ولفظهم وطرفهم
١٠ وظلالهم ، وعدد ما عن أيمنهم وشمالهم ، وعدد ما قهره ملكه ، ووسعه حفظه ،
وأحاطت به قدرته ، وأحصاه علمه . والحمد لله عدد ما تجرى به الرياح ، وتجمله السحاب ،
وعدد ما يختلف به الليل والنهار ، وتسير به الشمس والقمر والنجوم . والحمد لله
عدد كل شيء أدركه بصره ، ونفذ فيه علمه ، وبلغ فيه لطفه . والحمد لله الذي
أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئا حين يدعوني . والحمد لله الذي أسأله فيعطيني ،
١٥ وإن كنت بخيلا حين يستقرضني . والحمد لله الذي أستعفيه فيعافيني ، وإن كنت
متعرضا لما يهلكني . والحمد لله الذي حلم في الذنوب عن عقوبي حتى كأني
لا ذنبا لي ، ولو يؤاخذني لم يظلمني سيدي . والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي ،

(١) كذا ورد في الأصل . وفي المقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) : «... وبسط يده اليسرى وأشار

٢٠ بإصبعه من يده اليمنى ... الخ» . وفي نهاية الأرب للتورني (ج ٥ ص ٢٨٤) تختلف الرواية عما هنا
في أكثر الألفاظ . (٢) في الأصل : «حتى» وهو تحريف .

وهو ذُنْخَرِي في آنْخَرِي ، ولورَجَوْتُ غيره لَأَنْقَطَعَ رَجَائِي . والحمد لله الذي تُمَسِّي
أبواب الملوك مغلقةً دوني ، وبابُه مفتوحٌ لكل ما شئتُ من حاجاتي بغير شفيع
فيقضيها لي . والحمد لله الذي أدخل به في كل حاجاتي ، وأضعُ عنده سرِّي في أيّ
ساعة شئتُ من ساعاتي . والحمد لله الذي يتجَبَّب إليّ وهو عني غنيٌّ ، فربِّي أحمدُ
شيءٍ عندي وأحقُّه بحمدِي .

س وكان من دماء يوسف : ” يا مُدَّتِي عند كربتي ، يا صاحبي في وَحْدَتِي ،
ويا غيائِي عند شدَّتِي ، ومَفَزَعِي عند فاقَتِي ، ورجائِي إذا انقطعتْ حيلتي ، يا إلهي
والله آباؤي إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً وأقض حاجتي ” .

وكان بكاء بني إسرائيل يقول : ” اللهم لا تؤذني بعقوبتك ، ولا تمكُرْ بي في حيلتك ،
ولا تؤاخذني بتقصيري عن رضاك ، عظيم خطيئتي فاغفر ، ويسير عملي فتقبل ،
كما شئت تكون مشيئتك ، وإذا عزمت يمض عزمك ، فلا الذي أحسن آستغني
عنك وعن عونك ، ولا الذي أساء استبد بشيء يخرج به من قُدرتك ، فكيف لي
بالنِجاة ولا توجد إلا من قبلك ! إله الأنبياء ، ووليّ الأنبياء ، وبديعُ مرتبة
الكرامة ، جديّد لا يبلى ، حفيظ لا ينسى ، دائم لا يبيد ، حي لا يموت ، يقظان
لا ينام ، بك عرفُك ، وبك أهديتُ اليك ، ولولا أنت لم أدير ما أنت ، فتباركت
وتعاليت ” .

قال الأزدي حُدِّثْتُ عن محمد بن النضر الحارثي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : ” لا تقطعوا الشهادة على أهل القبلة فإنه من يقطع الشهادة عليهم فأنا منه

(١) في الأصل : « سره » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام .

(٢) في الأصل : « تسير » .

بريء إن الله كتماننا ما يصنع بأهل القبلة» . وقال : « من علم آية من كتاب الله أو كلمة من سنة في دين الله حثا الله له من الثواب حثوا » .^(١)

• قال وقال الأوزاعي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم إني أسألك التوفيق لمحاببك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك » .

• محمد بن بشر العبدي قال حدثنا بعض أشياخنا قال : اعتمر على عليه السلام فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلظه المسائل ، ولا يبرمه إلحاح الملحين ؛ أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ؛ فقال علي : والذي نفسي بيده ، لو قلتها وعليك ملء السموات والأرضين ذنوبا لفُفِر لك .^(٢)

• دعا أعرابي عند الملتمزم فقال : اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي ، وللناس قبلي تبعات فتحملها عني ، وقد أوجبت لكل ضيف قري ، وأنا ضيفك فاجعل قراي الليلة الجنة .^(٣)

• وقال آخر : اللهم إليك نرجيت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمني خير ما عندك لشر ما عندي . اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعي فلا تحرمني أجر المصاب علي مصيئته .

١٥

(١) حثا له : أعطاه . (٢) كذا في الأصل والخلاصة وتهذيب التهذيب . وجاء في تقريب التهذيب : « محمد بن بشر العبدي » . (٣) لا تغلظه : لا توقعه في الغلط ، وهو من قولهم : أغلظه إذا أوقعه في الغلط . (٤) لا يبرمه : لا يمله ولا يضجره . (٥) الملتمزم هكذا ضبطه صاحب المصباح في مادة « لم » فقال « والتزمته : اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين باب الكعبة والجحر الأسود الملتمزم لأن الناس يعتنقونه أي يضمونه إلى صدورهم » .

وقرأتُ في كتابٍ لشيخٍ لنا : اللهم إنه من تهيأ أو تعباً ، وأعد وأستعدَّ لوفادة مخلوق رجاءَ رِفْدِهِ وطلبَ نِيَّاه ، فإن تهيئ وتعبئ وإعدادي واستعدادي لك رجاءَ رِفْدِكَ وطلبَ نائلِكَ الذي لا خطرَ له ولا مِثْل . اللهم إني لم آتِكَ بعملٍ صالح قدَّمته ، ولا شفاعةٍ مخلوق رجوتُه ، أتيتُكَ مُقِرّاً بالظُّلم والإساءةِ على نفسي ، أتيتُكَ بِأَنِّي لا حِجَّةَ لي ، أرجو عظيمَ عفوك الذي عُدَّتْ به على الخطَّائين ، ثم لم يمنعه عكوفُهم على عظيمِ الحُسرِ أن جُدتْ لهم بالمغفرة . فيا مَنْ رحمته واسعة ، وفضله عظيم اغفر الذنبَ العظيم .

، ابن عائشة قال : قال الفضل بن عيسى الرقاشي : اللهم لا تُدخِلنا النارَ بعد إذ أسكنت قلوبنا توحيدك ؛ وإني لأرجو ألا تفعل ، ولئن فعلت لتجمعنَّ بيننا وبين قوم عاديناهم فيك .

بلغني عن ابن عيينة عن أبي حازم قال : لَأَنَا مِنْ أَنْ أَمْنَعَ الدُّعَاءَ أَخَوْفُ مَنِي مِنْ أَنْ أَمْنَعَ الإِجَابَةَ .

أنشدنا محمد بن عمر بعض الشعراء في وصف دعوة :

وسارية لم تَسِرْ في الأرض تبتغي * مَحَلًّا ولم يقطع بها البِيدَ قاطعُ
سَرَتْ حيث لم تَسِرِ الركبُ ولم تُنَخ * إِرْدٍ ولم يَقْصُرْ لها القيدَ مانعُ
تَحَلَّ وراءَ الليل والليل ساقطُ * بأرواقه فيه سَمِيرٌ وهاجعُ
تَفَتَّحُ أبوابُ السماء ودونها * إذا قَرَعَ الأبوابُ منهُت قارعُ

(١) الخطر بالتحريك : النظر والمثل .

(٢) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٨) : « تظل ... »

(٣) في العقد الفريد : « ... لوفدها ... الخ » .

(١) إذا أوفدت لم يرد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
وإني لأرجو الله حتى كأنني (٢) * أرى بجمل الظن ما الله صانع
وقال آخر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق * على ما ينفك أن يتفرجاً
ورب قتي سدت عليه وجوهه * أصاب له في دعوة الله تحرجاً
ونحوه :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجاً * فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أخذ لرجل من العرب مال فكتب إلى أخيه : يا هذا ، إن الرجل ينام على
الشكل ، ولا ينام على الحرب ؛ وإنما رددته ، وإما عرضت اسمك على الله تعالى كل
يوم وليلة خمس مرات .

قال عبد الرحمن بن زياد : اشتكى أبي فكتب إلى بكر بن عبد الله يسأله أن
يدعوه ، فكتب إليه بكر : يحق لمن عمل ذنباً لا عذره فيه ، وتوقع موتاً لا بد له
منه ، أن يكون وجلاً مشفقاً ، سادعوك ، ولست أرجو أن يستجاب لي بقوة
في عمل ، ولا براءة من ذنب ، والسلام .

١٥ خلف بن تميم عن عبد الجبار بن كليب قال : قال لنا إبراهيم بن أدهم حين
عرض لنا السبع : قولوا : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واجعلنا في كفك الذي
لا يرام ، وارحمنا بقدرتك علينا ، لا نهلك وأنت رجاؤنا ؛ قال خلف : فما زلت أقولها
مذ سمعتها ، فما عرض لي قط ليص ولا غيره .

(١) في المعتمد الفريد : * إذا سألت لم يرد الله سؤالها * (٢) في المعتمد الفريد (ج ١

ص ٣٩٨) : « ... كأنما ... » . (٣) الحرب بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله كله ويترك
بلا شيء . (٤) هكذا ورد في الأصل ولم نوفق إلى تحقيق هذا الاسم في كتب التراجم التي بين أيدينا .

قال أعرابي : من أقام بأرضنا فليكثر من الاستغفار ، فإن مع الاستغفار
الْقَطَارُ^(١) .

بلغني عن موسى بن مسعود النهدي^(٢) عن سفيان الثوري عن قدامة بن حنطة
الضبي عن خالد بن منجاب عن زياد بن حدير الأسدي^(٣) أن العلاء بن الحضرمي
عبر إلى أهل دارين^(٤) البحر بهذه الكلمات : يا حليم يا حكيم يا علي يا عظيم .

حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام الدستوائي^(٥) عن
حماد عن إبراهيم عن عبد الله في الرجل إذا أراد الحاجة صلى ركعتين ثم قال : اللهم^(٦)
إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر
ولا أقدر ، وتملك ولا أملك ، وتعلم ولا أعلم ، إن كان هذا الأمر الذي أريده
— وتسميه — خيراً لي في ديني وخيراً لي في معيشتي وخيراً لي فيما أبتغي فيه الخيرة
فيسره لي وبارك لي فيه ، وإن كان شراً لي في ديني وشراً لي في معيشتي وشراً لي
فيما أبتغي فيه الخير فاصرفه عني ويسر لي الخير حيث كان ثم رَضِّنِي [به]^(٧) .

(١) القطار بالضم : السحاب العظيم القطر .

(٢) في الأصل : « المهدي » بالميم وهو تحريف من النسخ صوابه ما أثبتناه كما في تهذيب
التهذيب والخلاصة وتقريب التهذيب . (٣) في الأصل : « جدير » بالجيم وهو خطأ والتصويب
عن شرح القاموس وتهذيب التهذيب والخلاصة . (٤) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها
المسك من الهند . (انظر ياقوت) . (٥) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سهر البكري
البصري الدستوائي بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دستوا بالقصر وتعد : كورة من كور
الأهواز كما في تهذيب التهذيب والخلاصة ومعجم ياقوت . وقد ضبطه صاحب القاموس بضم التاء
وقال في النسبة إليها : دستوائي ودستواني . (٦) ورد هذا الدعاء في نهاية الأرب (ج ٥
ص ٣٢٦) باختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا . (٧) الزيادة عن نهاية الأرب .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوِيَ عَلَيْهِ بَدَنِي بِعَافِيَتِكَ ، وَنَالَتهُ يَدِي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ ، وَانْبَسَطَتْ إِلَيْهِ بَسْعَةُ رِزْقِكَ ، وَاحْتَجَبْتُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِسِتْرِكَ ، وَاتَّكَلْتُ فِيهِ عَلَى أَنْاتِكَ وَحَلَمِكَ ، وَعَوَّلْتُ فِيهِ عَلَى كَرِيمِ عَفْوِكَ .

الأوزاعي قال : من قال : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبَتُّ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عَدْتُ فِيهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي وَأَخْلَفْتُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أُرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ نَخَالَطُهُ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ أَوْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبْتُهَا » غفر الله له ولو كانت ذنوبه عَدَدَ ورق الشجر، ورمل عاجل، وقطر السماء .

وكان مُطَّرَفٌ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السُّلْطَانِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا تَجْرِي بِهِ أَفْلَامُهُمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا حَقًّا فِيهِ رِضَاكَ أَلْتَمِسُ بِهِ أَحَدًا سِوَاكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَشِينُنِي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ صَبْرَةً لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَسْعَدَ بِمَا عَلَّمَنِي مِنِّي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْتَنْفِثَ بِمَعْصِيَةٍ لَكَ مِنْ ضُرٍّ يُصِيبُنِي .

الأزدي عن عبد الواحد بن زيد قال : شهدتُ مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ يَوْمًا وَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا يَحْيَى ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا ، قَالَ : «تَسْبِطُشُونَ الْمَطَرَ ! قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ أَسْتَبْطِئُ الْحَجَارَةَ .

قال أبو كعب : سمعتُ عطاءَ السَّامِيِّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتِي فِي الدُّنْيَا ، وَمَصْرَعِي عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَوَحْدَتِي فِي الْقُبُورِ ، وَمَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ .

(١) عاجل بكسر اللام : موضع بالبادية به رمل متراكم ومتداخل بعضه في بعض .

(٢) كذا في الأصل . ولم نعثُر على اسم عبد الواحد بن زيد في المراجع الخاصة التي تحت أيدينا بأخبار الرواة والتراجم . ولعله «عبد الواحد بن زياد» لوروده كثيرا في المصادر المتقدمة .

حدَّثني محمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال حدَّثنا
 زهير عن زبيد اليامي^(١) عن مرة عن عبد الله قال : إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم
 كما قسم بينكم أرزاقكم ، إن الله يُؤتي المسال من يحب ومن لا يحب ، ولا يؤتي
 الإيمان إلا من يحب . فمن ضنَّ بالمسال أن يُنفقه ، وهاب العدو أن يُجاهده ، والليل
 أن يكابده فليكثر من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ومن جامع الداء : اللهم أغني بالعلم ، وزني بالحلم ، وجملي بالعافية ، وأكرمني
 بالتقوى .

وكان من دعاء أبي المجيب : اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ، ولا الى الناس
 فنضيع ، اللهم اجعل خير عمل ما قارب أجل .

ومن دعاء عمرو بن عبيد ، اللهم أغني بالافتقار اليك ، ولا تُفني بالاستغناء عنك .

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال : سمعت ابن عون يقول : كانوا
 يستحبون من الدعاء : اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمك اعبدك وإمامك ،
 أنا الذليل ولا أنتصر ، وأنا الظالم ولا أعتذر ، عملت سوءاً وظلمت نفسي وإلا
 تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ، فما أتمها ابن عون حتى أجهش بالبكاء .

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اجعلني لك شكاراً ، لك ذكراً ، لك
 رهباً ، لك مطيعاً ، اليك مُحبباً ، لك أواهاً مُنيباً ، رب تقبل توبتي وأغسل حوبتي
 وأجب دعوتي وثبت حجتي وأهد قلبي وسدد لساني » .

(١) في الأصل : « النامي » بالنون وهو تحريف وصوابه « اليامي » نسبة الى يام : بطن من ممدان ،
 كما تقدّم في صفحة ١٧٩ من الحاشية رقم ٢ من هذا المجلد . (٢) أجهش بالبكاء : هم به وتهبأ له .

المناجاة

- حدثني عبد الله بن هارون عن سليم بن منصور عن أبيه قال : كنت بالكوفة^(١)
 نخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظن أني قد أصبحت فإذا على ليل فملت
 الى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعت من وراء الباب كلام رجل وهو يقول :
 فوعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك ، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا
 بنكالك جاهل ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مستخف ، ولكن سؤلت لي نفسي ،
 وأعاني على ذلك شقوتي ، وغرني سترك المرتضى على ، فعصيتك بجهل وخالفتك
 بجهل ؛ فالآن من عذابك من يستنقذني وبجبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني ،
 فواسواتاه من الوقوف بين يديك غدا ! إذا قيل للخفيين : جوزوا ، ولثقلين :
 حطوا ؛ أفعم الثقلين أحط أم مع الخفيين أجوز ! ويل ! كلما كثرت سني كثرت
 ١٠ ذنوبي ؛ ويل ! كلما طال عمري كثرت معاصي فمن أنوب ! وفي كم أعود !
 أما آن لي أن أستحي من ربي ! .

- بلغني عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال : كان داود النبي
 عليه السلام يقول في مناجاته : سبحانك إلهي ! إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي
 الأرض برُحبتها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلى رُوحِي ، سبحانك إلهي ! أتيت
 ١٥ أطباء عبادك ليدأوا لي خطيئتي فكلهم عليك يذلوني .

حدثني بعض أشياخنا قال : كان داود الطائي يقول : همك عطل على
 الهموم ، وحالف بيني وبين السهاد ، وشدة الشفق من لقائك أربق^(٢) على الشهوات^(٣) ،

(١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٩٤) : « وكان آخر يدعو بعرفات : يا رب لم أعصك

٢٠ إذ عصيتك ... الخ » مع اختلاف في بعض الكلمات ونقص عما هنا .

(٢) أربق : حبس . (٣) كذا في الأصل ولها « عني » ليستقيم المعنى .

ومنعني اللذات ، فانا في طلبك أيها الكريم مطلوب^(١) . وقال : تعبّد ضيغماً قائماً حتى أقعد ، وقاعدا حتى استلق ، ومُستلقيا حتى أُخِم ، فلما جَهدَ رفعَ بصره الى السماء وقال : سبحانك ، عجباً للخلقة كيف أرادت بك بدلاً ! وسبحانك ، عجباً للخلقة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ! وعجباً للخلقة كيف أنست بسؤالك .

عُتْبَةُ أَبُو الْوَلِيد قال : كانت امرأة من التابعين تقول :

سبحانك ، ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله ، سبحانك ما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه .

أبو الحسن قال : كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطعت رجله [ومات ابنه^(٢)] : كانوا أربعة ، يعني بنيه ، فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة ، وكن أربعة يعني يديه ورجليه ، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا ، ليمُنك^(٣) اثنى كنت أخذت لقد أبقيت ، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت .

وفي حديث بنى إسرائيل أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام : دُلّني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه ، وذهب ببصره ، فسمعه يقول : متعتني ما شئت ، وسلبتني حين شئت ، وأبقيت لي فيك الأمل يا بارئ يا وُصول .

ومن دطاء بعض الصالحين : اللهم اقطع حوائجي من الدنيا بالشوق الى لقائك ، واجعل قرة عيني في عبادتك ، وارزقني غم خوف الوعيد ، وشوق رجاء الموعود ، اللهم إنك تعلم ما يصلحني في دنياي وآخرتي فكن بي حفيماً^(٤) .

(١) في الأصل : « مطلوباً » وقواعد اللغة تقتضى ما أثبتناه . (٢) التكلة عن العقد

الفريد (ج ١ ص ٣٩٥) . (٣) ليمُنك : بمعنى قولهم : يمين الله .

(٤) الحفي : اللطيف البارّ المبالغ في الإكرام .

باب البكاء

- حدثني أبو مسعود الدارمي^(١) قال حدثني جدي عن أنس بن مالك قال : جاء
فقي من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [وقال] : إن أمي تُكثر البكاء
وأخاف على بصرها أن يذهب ؛ فلو أتيتها فوعظتها ! فذهب معه فدخل فقال لها
في ذلك ؛ فقالت : يا رسول الله ، أرايت إن ذهب بصرى في الدنيا ثم صرت الى
الجنة ، أيبذلني الله خيرا منه ؟ قال : « نعم » قالت : فإن ذهب بصرى في الدنيا
ثم صرت الى النار ؛ أفيعيد الله بصرى ؟ فقال النبي عليه السلام للفقى : « إن أملك
صديقة » .

- حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن
ثابت بن سعيد قال : ثلاث أعين لا تمشي النار ؛ عين حُرست في سبيل الله ؛ وعين
سهرت في كتاب الله ؛ وعين بكت في سواد الليل من خشية الله .

أبو حاتم عن العتيبي قال حدثنا أبو ابراهيم قال : لا يكون البكاء إلا من فضل
فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء ، وأنشد :

- فلئن بكيناه يَحْقُّ لنا * ولئن تركنا ذاك للكبير^(٤)
فلمثله جرت العيون دَمًا * ولمثله جمدت فلم تجر

(١) لم نعر على هذه النسبة في الكتب التي بين أيدينا فيمن كنيته أبو مسعود (انظر الحاشية رقم ٣
ص ٢٧٧ من هذا المجلد فبا تقدم) . (٢) زيادة يقتضيا السياق .
(٣) ورد في الأصل : «أبيه» وهو تحريف لأن الأوزاعي من روى عنه (أبو اسحاق الفزاري)
ومعاوية المذكور هو ابن عمرو بن المهلب الذي روى عن أبي اسحاق الفزاري أيضا فيتعين حينئذ أن
(أبا اسحاق) هو المقصود في هذه الرواية . راجع تهذيب التهذيب (ج ١٠ ص ٢١٥ وح ٦ ص ٢٣٨)
وانظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١٣١ من هذا المجلد . (٤) يوجد في الأصل كلمة «للعصير»
فوق كلمة «للكبير» ولعلها رواية نسخة أخرى .

بلغنى عن أبى الحارث الليث بن سعد عن أبيه عن ابن لهيعة عن أبى قبيس^(١)
 عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو^(٢)
 ابن ثمانى حجج ، فنظر الى عباد بيت المقدس قد لبسوا مدارع الشعر ، وبرانس
 الصوف ، ونظر الى متجديهم أو قال مجتهدهم قد حرقوا التراقي ، وسلكوا فيها^(٣)
 السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ؛ فرجع الى أبويه فتر
 بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب قال : إني لم أخلق للعب ، فذلك قول
 الله تعالى : ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ فأتى أبويه فسألها أن يدرعاه الشعر ففعلا ،
 ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدمه نهارة ويصيح فيه ليلاً ، حتى أتت له
 خمس عشرة سنة ، وأتاه الخوف فراح ولزم أطراف الأرض وغيان الشّعاب ،
 وخرج أبواه فى طلبه فوجداه حين نزلا من جبال التّيه على بحيرة الأردن وقد قعد
 على شفير البحيرة وأنقع قدميه فى الماء ، وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول : وعزتك
 لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك ! فسأله أبواه ابن يا كل قرصا
 كان معهما من شمير ، ويشرب من الماء ففعل وكفّر عن يمينه فُدح بالبر ؛ قال
 الله عز وجل : ﴿ وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ﴾ وردّه أبواه الى بيت المقدس ،

١٥ (١) فى الأصل : « ... عن الحارث بن الليث ابن سعد » وهو تحريف ؛ اذ هو الليث بن سعد
 ويكنى بأبى الحارث . وما يؤيد ما ذهبنا اليه أن ابن لهيعة ومن بعده روى عنهم الليث بن سعد ولدا
 ترجع لدينا أن ما ورد فى الأصل خطأ صوابه ما أثبتناه . راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٧٣ وج ٨
 ص ٤٥٩) وطبقات ابن سعد (ج ٧ قم ثان ص ٢٠٤ طبع « ليدن » سنة ١٣٣٨ هـ) . وورد
 فى الأصل : « أبى لهيعة » وهو تحريف والتصويب عن المصادر المتقدمة . (٢) فى قصص
 الانبياء (ص ٢٨٨) : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كان من زهد يحيى أنه أتى
 بيت المقدس ... الخ » . ووردت فيه هذه القصة باختلاف فى بعض الالفاظ وزيادات عما ها .
 ٢٠ (٣) فى قصص الانبياء : « ... وشدوا بها الى سوارى المسجد » . (٤) نيران : جمع
 غار وهو ما ينحت فى الجبل كالمغارة يأوى اليه الوحوش فاذا اتسع قيل له : كهف .

فكان اذا قام في صلاته بكى ، ويبكى زكريا لبكائه حتى يُغمى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرفت دموعه لحَم خديه ، وبدت أضرأسه ، فقالت له أمه : يا يحيى ، لو أذنت لى لآتخذت لك لبدا إيوارى أضرأسك عن الناظرين ؛ قال : أنت وذاك ، فعمدت الى قطعى كبودى فالصقتهما على خديه ، فكان اذا بكى استنقعت دموعه فى القطعتين فتقوم اليه أمه فتعصرهما بيديها ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين .

بلغنى عن أبى معاوية عن أبى إسحاق الخيمسى^(١) قال كان يزيد الرقاشى يقول : ويحك يا يزيد ! من يصوم عنك ! من يصلّى عنك ! ومن ذا يترضى لك ربك من بعدك ! ثم يقول : يا معشر من الموت موعده ، والقبر بيته ألا تبكون ! قال : فكان يبكى حتى تسقط أشفاره عينية .

بلغنى عن محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيّب عن الحسن قال : قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دم فى سبيله وقطرة دمع فى جوف الليل من خشيته ، وما من جرعة أحب الى الله من جرعة مصيبة موجعة ردها بصبر وحسن عزائه ، وجرعة غيظ كظم عليها »
مُعتمر بن سليمان عن رجل قال : كان فى وجنتى ابن عباس خطّان من أثر الدموع .

(١) فى هامش تهذيب التهذيب ما نصه : « والخيمسى بفتح المعجمة وكسر السين المهملة كذا فى الخلاصة والتقريب » وفى هامش الخلاصة « أن السمعاني صاحب الأنساب ضبطه بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء التحنانية ثم مهملة مكسورة وهكذا فى لب الباب » . (٢) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) وهو ما يقتضيه نص اللغة ، فى تاج العروس : « الشفر بالضم ويفتح : أصل منبت الشمر فى الجفن ويجمع على أشفار ، قال سيبويه : ولا يكسر على غير ذلك » . وفى الأصل : « شفار » .

حدثني محمد بن داود^(١) عن سعيد بن نصير قال حدثنا سيار عن جعفر قال :
كنت إذا أحسست من قلبي بقسوة أتيت محمد بن واسع فنظرت إليه نظرة ؛ قال :
وكنت إذا رأيت وجهه حسبت وجهه تكلي .

وكان يقال : أخوك من وعظك برؤيته قبل أن يعظك بكلامه .
تكم الحسن يوما حتى أبكى من حوله فقال : عجيج كعجيج النساء ولا عزم ،
وخدمة كخدمة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يكون .

أبو عاصم قال : فقد مالك بن دينار مصحفه في مجلسه ؛ فنظر اليهم كلهم
يكون ؛ فقال : كلكم يبكي ! فمن سرق المصحف ؟ .

قال عبد العزيز بن مرزوق : الكد أبقى للحرز ؛ وكانت له شعيرات في مقدم
صدغه فإذا رقق نتفها أو مدّها الى فوق فتقلص دمه .

قيل لغالب بن عبيد الله^(٢) : إنا نخاف على عينك العمى من طول البكاء ؛ فقال :
هو لها شهادة ؛ قال بعض الشعراء :

سأبكيك حتى تُنفد العين ماءها * ويشفي مني الدمع ما أتوجع
وقال بعض الكتاب في مثله :

إبك فمن أنفع ما في البكا * أنه للأحزان تسهيل
وهو إذا أنت تأملت له * حزن على الخدين محلول

قيل لعفيرة العابدة : ألا تسامين من طول البكاء ؟ فبكت ثم قالت : كيف
يسام ذوداء من شيء يرجو أن يكون له فيه من دائه شفاء ! .

(١) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « داود » . (٢) العجيج : الصياح ورفع الصوت .

(٣) كذا في الأصل وفي طبقات ابن سعد (ج ٧ قسم ثان ص ١٨١) . وفي العقد الفريد (ج ١

ص ٢٨٤) والبيان والتبيين (ج ٣ ص ٨١) : « غالب بن عبد الله » .

قال ابن أبي الحواري : رأيت أبا سليمان الداراني يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟
فقال : إنما أبكي لذلك النعم الذي ليس فيه فرح ، وذلك الأمد الذي ليس له انقطاع .
قال بعضهم : أتيت الشام ، فمررتُ بدير حرملَة ، وبه راهبٌ كان عينه عدلاً
مزاجاً ، فقلتُ : ما يبكيك ؟ فقال : يا مسلم ، أبكي على ما فرطتُ فيه من عمرى ،
وعلى يوم مضى من أجل لم يتبين فيه عمل . قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ
عنه ، فقالوا : أسلم وغزاً فقتل في بلاد الروم .

أشعث قال : دخلتُ على يزيد الرقاشي فقال لى : يا أشعث ، تعال حتى
نبكى على الماء البارد في يوم الظما ، ثم قال : والطفاه ! سبقنى العابدون وقطع بى ؛
وكان قد صام ثلاثين أو أربعين سنة .

زيد الحميري^(٢) قال : قلتُ لثوبانَ الراهب : أخبرنى عن لبس النصارى هذا
السواد ، ما المعنى فيه ؟ قال : هو أشبه بلباس أهل المصائب ؛ قال فقلتُ : وكلكم
معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة ؟ فقال : يرحمك الله ! وأى مصيبة أعظم
من مصائب الذنوب على أهلها ! قال زيد : فلا أذكر قوله ذلك إلا أبكاني .^(٣)

ابن أبي الحواري قال : دخلت على أبي سليمان وهو يبكي ؛ فقلت : ما يبكيك ؟
قال : يا أحمد ، إنه إذا جئ الليل وهضأت العيون وأنس كل خليلٍ بخليله ، فرش
أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم ،
وقد أشرف الجليل عليهم فقال : بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى ، فما هذا
البكاء الذى أراه منكم ! هل أخبركم أحد أن حبيباً يعذبُ أحباءه ! أم كيف أُبئتُ

(١) فى العقد الفريد : «لم يحسن فيه عمل» . (٢) هكذا فى الأصل ، وفى العقد الفريد

«أبو زيد الحميرى» . (٣) فى العقد الفريد (ج ١ ص ٣٦٨) : «وقال أبو زيد» .

قوما، وعند البيات أجدهم وقوفا يمتلقونني! فبي حلفت أن أكشف لهم يوم القيامة عن وجهي ينظرون اليّ .

قالت خنساء : كنت أبكي لصخر من القتل، فأنا أبكي له اليوم من النار .

قال عمر بن ذر لأبيه : يا أبت، مالك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يبكهم؟ فقال : يا بني، ليست النائحة الشكلي مثل النائحة المستأجرة .

وفي بعض ما أوحى الله إلى نبي من أنبيائه : هب لي من قلبك الخشوع، ومن بदनك الخضوع، ومن عينك الدموع، وادعني، فإني قريب .

وكان عمر يقول : استغزروا العيون بالتذكر .

التهجد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي زمعة بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت عند حجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكنت أسمع، إذا قام من الليل، "سبحان الله رب العالمين" الهوي من الليل، ثم يقول : "سبحان الله وبحمده" الهوي .

حدثنا حسين قال حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن علاقة قال : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توزمت قدماه ؛

(١) في الأصل : «يحيى بن أبي كنين» وهو تحريف . والتصويب من تهذيب التهذيب والخلاصة

وتقريب التهذيب . (٢) الهوي بالفتح : الحين الطويل من الزمان ، وقيل هو مختص بالليل .

(٣) في الأصل : «زياد عن علاقة» الفاء وهو خطأ صوابه «زياد بن علاقة»

كما وضعناه . (راجع تهذيب التهذيب (ج ٣ ص ٣٨٠ وج ٤ ص ١١٧ وج ١٠ ص ٢٦٢ وطبقات

ابن سعد (ج ٦ ص ٢٢١) .

فقيل : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « أفلا أكون عبدا شكورا » .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل .

بلغنى عن رباح عن مغيرة عن رجل قد سماه قال : قال يزيد الرقاشي : اذا أنا نمت ثم استيقظت ثم نمت فلا نامت عيناى . وعلى الماء البارد السلام . يعنى بالنهار .

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال : قال عبيدة بن هلال الثقفي : لا يشهد على ليل بنوم ولا شمس بإفطار ، فبلغ ذلك عمر فأقسم عليه ليفطرن العيدين .

وروى حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمير بن حبيب قال : كان يقول لأهله : يا هلاء ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق الى الماء يظما ، يا هلاء ، الدُّبْلَةُ الدُّبْلَةُ ، إنه من يسبق الى الظل يضحى .

قال أبو سليمان الداراني : أهل الليل في ليالهم ألد من أهل اللهو في لهوهم ، واولا الليل ما أحببت البقاء .

خرج عيسى عليه السلام على الحوارين ، وعليهم العباء ^(٢) وعلى وجوههم النور ، فقال : يا أبناء الآخرة ، ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

(١) هكذا في الأصل ، ولم نوفق إلى تحقيق هذه "نسبة" لمن يسمى « عبيدة بن هلال » ولم نثر عليه لا في كتب تراجم الرواة ولا في كتب الأنساب وغيرها من الكتب التي بين أيدينا ؛ وفي البيان والتبيين (ح ٣ ص ٨٠) : « ... عن عبدة الثقفي ... » . (٢) العباء بالفتح : كساء من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب .

وقيل للحسن : ما بأل المتعبدين من أحسن الناس وجوها؟ فقال : إنهم خلّوا
بالرحمن فالبسهم^(١) نورا من نوره .

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال : كان رجلاً يقال له همام^(٢) يقول :
اللهم آسفني من النوم باليسير، وآرزقني سهرا في طاعتك . وكان يُصبح^(٣) ووجهه
مُرَجَلَةً ؛ فيقول بعضهم لبعض : إن جُمّة همام تخبركم أنه لم يتوسّدها الليلة .

قال عبد الله بن داود : كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه . وكان
بعضهم يُحيي الليل ، فإذا نظر إلى الفجر قال : «عند الصباح يُحمدُ القومُ السَّري» .

حدّثنا حسين بن حسن قال : أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال : يا حسين ،
يقول الله : كَذَبَ من ادّعى محبتي وإذا أَجَنَّهُ الليلُ نام عني ، أليس كلّ حبيبٍ يُحِبُّ
خلوة حبيبه ! هأنذا مُطْلِعٌ على أَحْبَائِي ، إذا أَجَنَّهُم الليلُ جعلتُ أبصارهم في قلوبهم ،
ومثلتُ نفسي بين أعينهم ، فخطبوني على المشاهدة وكلموني على الحضور .

الوليد بن مسلم قال حدّثني عبد الرحمن بن يزيد قال : كنّا نعازي عطاء الخراسان^(٥)
فكان يُحيي الليلَ صلاةً ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثر نادانا ونحنُ في فسطاطنا :
يا عبدَ الرحمن بن يزيد ، ويا يزيد بن يزيد ، ويا هشام بن الغاز ، قوهوا فتوضّئوا^(٦)

١٥ (١) في العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) : «فأسفر نورهم من نوره» . (٢) سموا بهمام
بالفتح والتشديد وهمام بالضم والتخفيف . ود نستطع ضبطه هنا لأنه ورد مجردا . (٣) الجمّة بالصم :
مجتمع شعر الرأس . ومرجلة : مسرحة . (٤) هذا مثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .
(٥) هكذا في الأصل ، والمعنى معه غير مستقيم . ويظهر من سياق الكلام أن كلمة «نعازي»
الواردة في الأصل محرفة من كلمة «نقاري» من قارأه مقارأة إذا دارسه أي شاركه في الدرس ؛ وبها
٢٠ يلتمّ نظم الكلام ويستقيم المعنى . (٦) كذا بالأصل وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب .
وفي الخلاصة : «الغازي» بياء بعد الزاي المعجمة .

وصلُّوا، فإت قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومن
مقطعات الحديد؛ فالوَحَا الوَحَا ثم النجاء النجاء؛ ويُقبل على صلاته .

مالك بن مغول^(١) عن رجل من جعفي^(٢) عن السدي عن أبي أراكة قال : صَلَّى
على الغداة ثم جلس حتى أرتفعت الشمس كَأَنَّ عليه كَابَةٌ، ثم قال : والله ، لقد
رأيتُ أثرًا من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم لما أرى أحدا يُشبههم ، والله
إن كانوا ليُصبحون شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا ، بين أعينهم مثل رُكْبِ المِعْزَى ، قد باتوا يتلَوْنَ
كُتَابَ الله ، يراوَحون بين أقدامهم وجباههم ؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يُمِدُّ الشَّجَرُ
في يوم ريح ، وأنهملت أعينهم حتى تَبَلُّ ثيابهم ، وكأنهم ، والله ، باتوا غافلين . يريد
أنهم يستقلون ذلك .

المحاربي عن الإفريقي قال حدثنا أبو علقمة عن أبي هريرة قال : إن أهل السماء
ليروْنَ بيوتَ أهلِ الله كَرُتِيٍّ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهل الأرض .

يعلى بن عبيد عن محمد بن عون عن إبراهيم بن عيسى عن عبيد الله بن عيسى
قال : كونوا يَنَابِيعَ العلم ، مَفَاتِيحَ الهدى ، أَحْلَاسَ البيوت ، جُدَدَ القلوب ، خُلُقَانَ
الثياب ، سُرُجَ الليل ، تُعْرِفُوا في أهل السماء ، وَتَحْفُوا في أهل الأرض .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع الزهراني قال حدثنا أبو عروانة عن
المغيرة عن إبراهيم : في الرجل يرى الضوء [بالليل] ؛ قال : هو من الشيطان ، لو كان
هذا فضلًا لأوثر به أهل بدر .

(١) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال والقاموس وشرحه ، وفي الأصل :

« معول » بالعين المهملة ، وهو محريف . (٢) جعفي : قبيلة من مذحج . (٣) الأحلاس

جمع جلس (بكسر الحاء وسكون اللام) وهو من يلزم البيت ولا يهرح ؛ ومنه الحديث الشريف :

« كونوا أحلاس بيوتكم » أي الزموا . (٤) في الأصل : « تعرفون ... وتحفون ... » وقواعد

اللغة تقتضي ما أثبتناه ؛ لوقوعهما جوابًا للامر . (٥) التكمة عن العقد الفريد (ج ١ ص ٣٨٤) .

الموت

حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال حدثني عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب قال : نظرت الى عمر بن عبد العزيز فادمت النظر اليه ؛ قال : ما تنتظر يا محمد ؟ قلت : أنظر الى ما أبيض من شعرك ، ونحل من جسمك ، وتغير من لونك ؛ فقال : أما والله لو رأيته في القبر بعد ثلاثة ؛ وقد سالت حدقتي على وجهتي ، وسال منخرأي صديدا ودودا ، لكنت أشد نكرة^(١) .

وقال الأصمعي : دخلت بعض الجباين^(٢) ، فإذا أنا بجارية ما أحسبها أتت عليها عشر سنين ، وهي تقول :

عَدِمْتُ الحَيَاةَ وَلَا نَلْتَهَا * إِذَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْهَدُوكَا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الْكُرَى * وَأَنْتَ بِمِثَالِكَ قَدْ وَسَدُوكَا

قال الأزدي : بلغني أن داود الطائي مرَّ بامرأة تبكي عند قبر وهي تقول :
يا أخاه ! ليت شعري :

بَأَى خَدِّكَ تَبْدَى إِلَيَّ * وَأَى عَيْنِكَ إِذَا سَلَا
فَصِغِقْ مَكَانَهُ ثُمَّ تَعَبَّدْ .

حدثني محمد بن مرزوق قال حدثنا محمد بن نصر المصملي قال حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُ مِنْ أَيْنَ الْمَعْظُمِ وَالْمُحْتَقَرِ
وَأَيْنَ الْمُسْدِلِ بِسُلْطَانِهِ * وَأَيْنَ الْمَزْكِيِّ إِذَا مَا أَفْتَحَرُ

(١) النكرة (بفتح النون والكاف) : اسم من الانكار . (٢) الجباين جمع جبانة ،

قال : فنوديتُ من بينها ولا أرى أحدا :

تفانوا جميعاً فما نُخسِرُ * وماتوا جميعاً وماتَ الخبِرُ
تروحُ وتغدو بناتُ الثرى * ونُحْيِي^(١) محاسنُ تلك الصُّورِ
فياسألني عن أناسٍ مضوا * أما لك فيما ترى مُعْتَبِرُ

قال : فرجعت وأنا أبكي .

بلغني أنه قرئ على قبرٍ بالشام :

باتوا على قُلُلِ^(٢) الأجيال تحرُّسهم * غُلِبُ^(٣) الرجال فلم تنفعهم القُلُلُ^(٣)
واستزَّلوا بعد عزٍّ من معاقلهم * فأُسْكِنُوا حُفْرَةً يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما دُفِنُوا : أين الأسرَّةُ والبيجَانُ والحُلُلُ^(٤)
أين الوجوه التي كانت مُجَبَّةً^(٤) * من دونها تُضْرَبُ^(٥) الأستارُ والكُلُلُ^(٥)
فأفصحَ القبرُ عنهم حين ماعلمهم * تلك الوجوه عليها الدودُ تقتلُ^(٦)
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعيموا^(٧) * فأصبحوا بعد طول الأكل قدأكلوا

وقال آخر :

رَبِّ قوم عبَّروا من عيشهم * في نعيم وسرورٍ وغَدَقِ

سكتَ الدهرُ زماناً عنهم * ثم أبكاهم دماً حين نَطَقَ

(١) في الإحياء للزالي : « فتمحو... » . (٢) القلل : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

(٣) في تاريخ أبي الفدا (ج ٢ ص ٤٧ طبع الآستانة) : « فاعلهم » . (٤) في تاريخ

أبي الفدا : « منعمة » . (٥) الكلل : جمع كلة (بكسر الكاف) وهي السترة الرقيق المعروف

في زماننا هذا بالناموسية . (٦) في تاريخ أبي الفدا : « يقتل » وفي اسم الجنس ، كاللورد

هما ؛ يجوز الأمران . (٧) في تاريخ أبي الفدا : « شربوا » .

نزل النعمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليلها، فقال له عدي بن زيد : أتدرى ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ؛ قال تقول :

رب شرب^(١) قد أناخوا عندنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذلك الدهر حالاً بعد حال

وقال ابراهيم بن المهدي :

بالله ربك كم بيت مررت به * قد كان يُعمر بالذات والطرب
طارث عقاب المنايا في سقائمه^(٢) * فصار من بعدها للويل والحرب

أشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد

العروضي :

كن كيف شئت فقصرك الموت^(٣) * لا مزلّ عنه ولا قوت
بينا غنى بيت وبهجته * زال الغنى وتقوض البيت

حدثني يزداد بن أسد عن الطنافسي قال حدثنا أبو محمد قال : كان مالك بن

دينار يخرج إلى القبور كل خميس على حمار قوطراني^(٤) ويقول :

ألا حي القبور ومن بهته * وجوه في القبور أحبهته
فلو أن القبور سمعن صوتي * إذا لأجبتني من وجدتهته
ولكن القبور صمئن غنى * فأبّت بحسرة من عندهته

(١) في الكامل للرد (طبع أوروبا صفحة ٢٨٣) : «رب ركب... حولنا * يمزجون...» وفي البيت

الثاني «عصف» بدل «لعب» . (٢) في الأصل : «عقار المنايا» . (٣) قصرك :

نصارك وغايتك . (٤) كذا بالأصل ، ولم نجد في مصدر آخر مسمى بهذا اللفظ وإنما سموا

يزداد (بالدال) ويزدان (بالواو) . (٥) كذا بالأصل ولم نوفق إلى هذه النسبة .

ثم يبكي ويبكى .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شريّة الجُرهمي : أخبرني بأعجب شيء رأيته في الجاهلية ؛ فقال : إني نزلت بحجّ من قضاة نخرجوا بجزاة رجل من عذرة يقال له حريث وخرجت معهم ، حتى إذا وآروه في حفرة انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تذرفان ثم تمثلتُ بأبيات شعركتُ أرويا قبل ذلك زمانٍ طويل :
 ٥ تجرى أمورٌ ولا تدري : أوائلها * خيرٌ لنفسك أم ما فيه تأخيرٌ
 فاستقدر الله خيراً وارضى به * فبينما العسرُ إذ دارت مياسيرُ
 وبينما المرءُ في الأحياء مغتبطاً * إذ صار في الرمس تغفوه الأعاصيرُ
 يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحى مسرورُ

قال : وإلى جانبي رجلٌ يسمع ما أقول ، فقال لي يا عبد الله ، هل لك علمٌ
 ١٠ بقائل هذه الأبيات ؟ قلتُ : لا والله ؛ إلا أنّي أرويا منذ زمان ؛ فقال : والذي تحلفُ به إن قائلها لصاحبنا الذي دفنناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته ، وإنك لغريبٌ وبكى عليه كما وصفت ؛ فعجبتُ لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته ، فقلت : « إنَّ البلاء موكلٌ
 ١٥ بالقول » ؛ فذهبتُ مثلاً .

قال أعرابي : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة ، وشرٌ من الموت ما إذا نزل بك أحببت لتزوله الموت .

(١) في درة النواصح للحريري (ص ٣٣ طبعة الجوانب) : "وما تدري أعاجلها * أدنى لرشدك"

وفي الأصل هنا : ولا يدري أوائلها * خيراً الخ ... وهو تحريف .

وقال أبو ذؤيب :

يَمْلِكُ المرءُ بالرجاءِ ويُضحى * غَرَضًا لِلنَّوْنِ نَصَبَ العودِ
كُلَّ يومٍ ترميه منها برشقي^(١) * فمصيب^(٢) أو صاف غير بعيد

وقال أبو العتاهية :

وعظمتك أجداتٌ صُمْتُ * ونعتك أزمنةٌ خُفْتُ

وتكلمت عن أوجه * تبلى وعن صور شئت^(٣)

وأرتك قبرك في القبو * رِ وأنت حيٌّ لم تمت

وقال أعرابي : أبعد سفر أول منقلبة^(٤) منه الموت . وقيل لأعرابي : مات

فلان أصح ما كان ؛ فقال : أو صحيح من الموت في عنقه ! وقال بعض المحدثين :

إسمع فقد أسمعك الصوت * إن لم تبادر فهو الفوت

بل كل إذا شئت وعش ناعما * آخر هذا كله الموت

وكان صالح المري يقول في قصصه :

مؤمل دنيا لتبقى له * فمات المؤمل قبل الأمل

وبات يروى أصول الفسيل^(٥) * فعاش الفسيل ومات الرجل

وقال مسلم بن الوليد :

كم رأينا من أناس هلكوا * وبكى أحبابهم ثم بكوا

تركوا الدنيا لمن بعدهم * ودثم لو قدوا ما تركوا

(١) الرشق : الشوط من الرمي . (٢) صاف السهم عن الهدف : عدل عنه ولم يصبه .

(٣) كذا في ديوان أبي العتاهية طبع بيروت . وفي الأصل والمسدودي : « وعن صور سبت » .

(٤) المنقلة (بالفتح) : المرحلة من مراحل السفر . (٥) الفسيل : صغار النخل .

كم رأينا من ملوئِ سُوقَةٍ * ورأينا سُوقَةً قد مَلَكُوا
 قَلْبَ الدهرِ عليهم وَرِكا * فاستداروا حيث دار الفلكُ
 حدثني أبي عن أبي العتاهية أنه قرئ له بيتان على جدار من جُدُر كنيسة
 القسطنطينية :

ما اختلف الليلُ والنهارُ ولا * دارتْ نجومُ السماءِ في الفلكِ
 إلا بنقلِ السلطانِ عن مَلِكٍ * كان يحبُّ الدنيا الى مَلِكٍ
 وقال آخر :

ما أنزل الموتَ حقَّ منزله * من عدَّ يوما لم يأت من أجله
 والصدقُ والصبرُ يُلْغان بمن * كانا قرينيه منتهى أمله
 عليك صدقُ اللسان مجتهدا * فإنَّ جُلَّ الملاك في زلله
 وقال الطِّرِمَاح :

فياربِّ لا تجعلْ وفاتي إن أتت * على شَرِّجٍ يُعَلَى بِدُكْنِ المطارِفِ^(١)
 ولكنْ أجْزِئْ يومِي شهيداً وعُصْبَةً^(٢) * يصابون في فُجٍّ من الأرض خائِفِ
 عصائبُ من شتَّى يؤلَّفُ بينهم * هُدى الله تَزَالون عند المواقِفِ^(٣)
 إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى * وصاروا الى موعودها في المصاحِفِ^(٤)
 فأَقْتَلْ قَعْصاً^(٥) ثم يرمَى بأعظمي * كِضْفَتِ^(٦) الخَلَلِ بين الرياحِ العواصِفِ^(٦)
 ويصْبِحْ لحي بطنَ طير مقيلة * دَوِينِ السماءِ في نسورِ عوائِفِ

(١) الشرجع: النعش. (٢) رسمت هذه الجملة في الأصل هكذا: «ولكن أنجزي يومى» وقد وردت

هذه الأبيات في الأغاني في ترجمة الطرماح باختلاف كثير في الكلمات عما هنا. (٣) في الأغاني

(ج ١٠ ص ١٦٠ طبع بولاق): «الى ميعاد ما فى المصاحف» (٤) فعمه قعصا: قتله مكانه.

(٥) الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس. (٦) العوائف من الطير: التى تستدير

على الشئ، حائمة حوله تريد الوقوع.

وهيب بن الورد قال : أتخذ نوح بيتاً من خُصٍّ ، فقيل له لو بنيت بيتاً ؟ فقال : هذا لمن يموت كثيراً .

بلغني عن إسماعيل بن عيَّاش عن سُرخبيل بن مسلم أن أبا الدرداء كان اذا رأى جنازة قال : إغدي فإننا رائحون ، أو قال : رُوحى فإننا غادون . وهذا مثل قول لبيد :
وإنا وإخواننا لنا قد نتابعوا * لكالمغتدى والرائح^(١) المتهجير

بلغني عن وكيع عن شريك عن منصور عن هلال بن إساف قال : ما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي يموت فيها . قال الأصمعي : أول شعر قيل في ذم الدنيا قول ابن خنّاق^(٢) :

هل للفتى من بنات الدهر من راقى * أم هل له من حمام الموت من واقى
قد رجّلوني وما رجّلتُ من شعث * وألبسوني ثياباً غير أخلاق
وطيّسوني وقالوا أيما رجل * وأدرجونى كأنى طى مخراق^(٣)
هون عليك ولا تؤلّع بإشفاق * فإنما ما لنا للوارث الباقي

محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عمير قال : جاء رجل الى النبي عليه السلام فقال : يا نبي الله ، مالي لا أحب الموت ؟ فقال له : « هل لك مال » ؟ قال : نعم ، قال : « قدّمه بين يديك » ، قال : لا أطيق ذلك ، قال : فقال النبي عليه السلام : « إن المرء مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به وإن أخره أحب أن يتخلف معه » .

المحاربي عن عبد الملك بن عمير قال : قيل للربيع بن خيثم في مرضه : ألا ندعوك طبيباً ؟ قال : أنظروني ، ثم فكر فقال : (وعاداً وثمود وأصحاب الرّس وقرونا

(١) كذا في ديوان لبيد ، وفي الأصل « المتبجر » بالباء وهو تحريف . (٢) كذا في كتاب

الأوائل لأبي هلال العسكري والقاموس وشرحه مادة « خنق » وفي الأصل « حلاق » وهو تحريف .

(٣) مخراق : ثوب أو منديل يلف ويضرب به .

بين ذلك كثيراً) قد كانت فيهم أطباء، فما أرى المداوى بقي ولا المداوى؛ هلك
الناعت والمنعوت له، لا تدعوا لي طبيباً .

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال : كان عمر بن عبد العزيز ليس له هجيري^(١)
إلا أن يقول :

٥ سرُّ بما يبلى وتفرحُ بالمني * كما اغتر بالذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليك نوم والردى لك لازمُ
وسعيك فيما سوف تكره غيبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

كم من مستقبل يوماً ليس بمستكله ، ومتخير غدا ليس من أجله ؛ لو رأيتم
الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره .

١٠ لا يلبث القرآن أن يتفرقوا * ليل يكثر عليهم ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن ورد عن سالم بن بشير
ابن تجل عن أبي هريرة : أنه بكى في مرضه فقال : أما إني لا أبكى على دنياكم
ولكنني أبكى على بعد سفرى وقلة زادى ، وأنى أسيئت في صعود مهبطه على جنة
أونار، ولا أدري على أيهما يؤخذ بي ! .

١٥ أبو جناب قال : لما احتضر معاذ قال لجاريته : ويحك ! هل أصبحنا ؟
قالت : لا ؛ ثم تركها سامة ثم قال لها : انظري ! فقالت : نعم ؛ فقال : أعوذ بالله
من صباح الى النار ! ثم قال : مرحباً بالموت ، مرحباً بزائر جاء على فاقة ، لا أفلح
من ندم ! اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لكزى الأنهار ولا لغرس
الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظما الهواجر في الحر
الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر .

٢٠

(١) الهجيري : الداب والعادة .

أبو اليقظان قال : لما احتضر عمرو بن العاص جعل يه في موضع الغل من عنقه ثم قال : اللهم إني أمرتني ففرطنا، ونهيتنا فركبنا ، اللهم إنه لا يسعنا إلا رحمتك ، فلم يزل ذلك يجيراه حتى قبض .

٥ قيل لأزاد^(١) مرد بن الهريذ حين احتضر : ما حالك ؟ فقال : ما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد، ويتزل حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، ويقدم على ملك جبّار قد قدم إليه العذر بلا حجة !

١٠ حدثني عبدة الصفار قال حدثني العلاء بن الفضل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه عن جده عن جد أبيه قال : سمعت أمة بن أبي الصلت عند وفاته وأغمى عليه طويلا ثم أفاق، ورفع رأسه الى سقف البيت وقال : ليكما ليكما، هانذا لديكما ، لا عشيرتي تميني، ولا مالي يفسديني، ثم أغمى عليه طويلا ثم أفاق فقال :

كل عيش وإن تطاول دهرًا * صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدالي * في رهوس الجبال أرعى الوعولا
ثم فاضت نفسه .

١٥ الحكم بن عثمان قال : قال المنصور عند موته : اللهم إن كنت تعلم أني قد ارتكبت الأمور العظام جرأة مني عليك ، فإنك تعلم أني قد أطعتك في أحب الأشياء اليك شهادة أن لا إله إلا أنت ، منّا منك لا منّا عليك . وكان سبب إحرامه من الخضراء أنه كان يوما نائما ، فأتاه آت في منامه فقال :

(١) كذا بالأصل ، وأصل الكلمة في اللغة الفارسية "آزاد" بالبدال المهملة فلعل ما في الأصل

كأني بهذا القصر قد بادَ أهله * وعُرِّيَ منه أهله ومنازلُه
وصار عميدُ القوم من بعد نعمة * إلى جدِّ تَبْنَى عليه جنادِلُه
فلم يبق إلا رسمُه وحديثُه * تَبْكِي^(١) عليه مَعُولَاتُ حلائِلُه

فأستيقظ مرعوباً ثم نام فأناه الآتي فقال :

أبا جعفرٍ حانت وفاتُك وانقضت * سنوك وأمرُ الله لا بدَّ واقعُ
فهل كاهنٌ أعددتَه أو منجمٌ * أبا جعفرٍ عنك المنيَّة دافعُ

فقال : يا ربيع ائتنى بظهوري ، فقام واغتسل وصلى ولبي وتجهز للحج ، فلما
صار في الثلث الأول اشتدت علته ، فجعل يقول : يا ربيع ألقني في حرم الله ،
فمات بئر ميمون^(٢) .

١٠ حدثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال : قال
الربيع بن بزة : كنت بالشام فسمعت رجلاً وهو في الموت يقال له : قل لا إله إلا الله ،
فقال : اشرب واسقني ، ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له : قل لا إله إلا الله ، فقال :
ده يا ذده وده دوازده^(٣) . وقيل لرجل بالبصرة : قل لا إله إلا الله ، فقال :
يارب قائلة يوماً وقد أغبت * كيف الطريق إلى حمامٍ منجائبٍ^(٤)

١٥ حدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال : لقن مَبْتَك ، فإذا
قالها فدعه يتكلم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضجره .

(١) تبكى (بالشديد) : مثل تبكى بالتخفيف . (٢) بئر ميمون : بمكة منسوبة إلى ميمون

ابن خالد بن عامر بن الحضرمي . (٣) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها عشرة أحد عشر

ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر . وهي كلمات أجراها على لسانه هذيان الاحتصار . (٤) حمام

منجائب (بكسر الميم) : ينسب إلى منجائب بن راشد الضبي .

قال مالك بن ضيغم : لما احتضر أبي قلنا له : ألا تُوصي ؟ قال : بلى ،
أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما استطعتم
من المعروف ، وادفنوني مع المساكين .

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه^(١) : كيف تجِدُك ؟ قال : في الموت ؛ قال :
لأن تكونَ في ميزاني أحبَّ إليَّ من أن أكونَ في ميزانك ، قال : وأنا والله لأن
يكون ما تُحِبُّ أحبَّ إليَّ من أن يكون ما أُحِبُّ .

احتضر سيويو النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه فقَطَرَتْ قَطْرَةٌ من دموع
أخيه على خده ، فأفاق من غشيته وقال :

أُخَيِّرْتُ كَمَا فَتَرَكَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا * إِلَى الْأَمَدِ الْآخِصِ وَمِنْ يَأْمَنِ الدَّهْرِ !

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال : قيل لهرم بن جَبَّان :
أوص ؛ فقال : قد صدَّقَتْنِي نَفْسِي فِي الْحَيَاةِ ، مَالِي شَيْءٌ أُوصِي فِيهِ ، وَلَكِنْ أُوصِيكُمْ
بِخَوَاتِيمِ سُورَةِ النَّحْلِ .

قال الشاعر :

مَا ارْتَدَّ طَرْفُ امْرِئٍ بِلِحْظَتِهِ * إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

وقال آخر :

المرء يشقى بما يسعى لوارثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيان
التيمي عن أبيه قال : أوصى الربيع بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله شهيدا

(١) يوجد بهامش النسخة الفتوغرافية ما نصه : « هو عبد الملك رحمه الله » .

وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً : إني رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، وأوصي نفسي ومن أطاعني أن يعبد الله في العبادين ويمجده في الحامدين وينصح جماعة المسلمين ؛ وأوصي أهله : ألا تُشيعروا بي أحداً وسُئِلوني إلى ربي سَلاً .

- ٥ حدثني محمد بن أحمد بن يونس قال سمعتُ عمر بن جرير المهاجري يقول :
لما مات ذر بن عمر بن ذر قال لأصحابه : الآن يضيع الشيخ (لأنه كان به باراً) ؛
فسمعها الشيخ فقال : أئني أضيع والله حي لا يموت ! فلما وراه التراب وقف على
قبره وقال : رحمك الله يا ذر ! ما علينا بعدك من خصاصة وما بنا إلى أحد مع الله
حاجة ، وما يسرنى أئني كنت المقدم قبلك ، ولولا هول المطلع لتميتُ أن أكون
مكانك ، لقد شغلني الحزنُ لك عن الحزن عليك ، فبليت شعري ما ذا قلت
١٠ وما قيل لك ! ثم رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم إني قد وهبتُ حقِّي فيما بيني وبينه
له ، فهبْ حقك فيما بينك وبينه له . ثم قال عند انصرافه : مضينا وتركناك ،
ولو أقننا ما نفعناك .

- حدثني محمد بن عبيد قال حدثنا شريح بن النعمان عن عبد العزيز بن أبي سَلَمَةَ
١٥ الماحشون عن عبد الواحد بن أبي عَوْن عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله
عنها أنها قالت : « تُوِّفَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو نزل بألبالٍ الراسيات
ما نزل بأبي لهاضها ، إشرأبُ النفاق بالمدينة وارتدت العربُ ، فوالله ما اختلفوا
في نقطة إلا طار أبي بحظها وغنائها في الإسلام » . وكانت مع هذا تقول : « من
رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خُلِقَ غَنَاءً للإسلام ، كان والله أحوزياً نسيجاً^(٢)

(١) في الأصل : « وغناها » . (٢) الأحوزى : الحسن السياق للأحوزية بعض الثمار .

وحده، قد أعدت للامور أقرانها» . وقالت عند قبره : « رحمك الله يا أبت ! لقد قمت بالدين حين وهي شعبة^(١) وتفاقم صدعه^(٢) ورجفت جوانبه ؛ إقْبَضْتُ مِمَّا أَصْفَوْا إِلَيْهِ^(٣)، وَثَمَرْتُ فِيمَا وَثُوا فِيهِ^(٤) واستخففت من دنياك ما استوطنوا وصغرت منها ما عظموا ورعيت دينك فيما أغفلوا ، أطلوا عنان الأمن واقتعدت مطي الحذر، ولم تهضم دينك ولم تشين غدك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مِمَّا استوزروا ظهرك » . وقالت أيضا عند قبره : « نضر الله وجهك يا أبت ! فلقد كنت للدنيا مذلًا بإدبارك عنها، وللآخرة معزًا بإقبالك عليها ؛ ولئن كان أجل الرزايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر المصائب فقدك إن كُتِبَ اللهُ لِيَعْدُ بِجَمِيلِ الْعَزَاءِ عِنْدَ أَحْسَنِ الْعَوَاضِ مِنْكَ^(٥)، فَأَنَا أَتَجَزُّ مِنْ اللَّهِ مَوْعِدَهُ فَيْكَ بِالصَّبْرِ عَلَيْكَ، وَأَسْتَعِضُّهُ مِنْكَ بِالْإِسْتِغْفَارِ لَكَ ؛ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ، تَوَدِّعَ غَيْرَ قَالِيَةِ لِحَيَاتِكَ وَلَا زَارِيَةِ عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ » .

قال الحسين بن علي عند قبر أخيه الحسن : « رحمك الله أبا محمد ! إن كنت لتباصر الحق مظانته ، وتؤثر الله عند تداحض الباطل في مواطن التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معاطم الدنيا بعين لها حاقرة ، وتفيض عليها بذا طاهرة الأطراف نقية الأسرة^(٦)، وتردع بادرة غريب أعدائك بأيسر المؤونة عليك ؛ ولا غرو وأنت ابن

(١) وهي شعبة : تمزق وتفرق جمعه . (٢) أصغوا إليه : مالوا إليه . (٣) شمر : جث .

وفي الأصل : « صموت » وهو تحريف ، اذ ما بعده يعين ما أثبتناه . (٤) كذا بالأصل .

(٥) الذي في نهاية الأرب (ج ٥ ص ١٦٧ طبع دار الكتب المصرية) : « إن كُتِبَ اللهُ لِيَعْدُ بِحَسَنِ الْعَزَاءِ عِنْدَ أَحْسَنِ الْعَوَاضِ مِنْكَ » .

(٦) تداحض الباطل : من الدحض وهو الزلق والزلل ،

ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بين أيدينا ، فلعلها « عند مداحض الباطل » جمع « مدحضة »

كثرة وزنا ومعنى . (٧) الأسرة : جمع سرار (بالكسر) وهي الخطوط التي تبدو في ظاهر اليد

والجبهة .

سلالة النبوة ورضيعُ لبان الحكمة؛ فإلى رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَجَنَّةٍ نعيم؛ أعظمَ الله لنا ولكم الأجرَ عليه، ووهبَ لنا ولكم السلوةَ وحُسْنَ الأُسَى^(١) عنه .

حدثني عبد الرحمن بن الحسين السعيدى عن محمد بن مُصعب : أن ابن السماك قال يوم مات داود الطائى في كلام له : إن داود رحمه الله نظر بقلبه الى ما بين يديه من آخرته ، فأعشى بصرُ القلب بصرَ العين ، فكان كأنه لا ينظر الى ما اليه تنظرون ، وكأنكم لا تنظرون الى ما اليه ينظر ، فاتم منه تعجبون وهو منكم يعجب ، فلما رأيكم راغبين مذهولين مغرورين قد أذهلت الدنيا عقولكم وأماتت بجهها قلوبكم استوحش منكم ، فكنت اذا نظرتُ اليه نظرتُ [الى] حى وسطَ أموات . يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك ! أحنّت نفسك وانما تريد إكرامها ، وأتعبتها وانما تريد راحتها ، أخشنت المطعم وانما تريد طيبه وأخشنت الملبس وانما تريد لينه ،^{١٠} ثم أمت نفسك قبل أن تموت ، وقبرتها قبل أن تُقبر ، وعدبتها ولما تُعذب^(٢) ، وأغنيتها عن الدنيا لكيلا تُذكر ، رغبت نفسك عن الدنيا فلم ترها لك قدرا الى الآخرة ، فما أظنك إلا وقد ظفرت بما طالبت ؛ كان سيماك في شرك ولم يكن سيماك في علايتك ، تفقّهت في دينك وتركك الناس يغنون ، وسمعت الحديث وتركتهم يُحدّثون ، ونحّست عن القول وتركتهم ينطقون ، لا تحسد الأخيار ، ولا تعيب^{١٥} الأشرار ، ولا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ؛ آنس ما تكون اذا كنت بالله خاليا ، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس ؛ فمن سمع بمثلك وصبر صبرك وعزم عزمك ! لا أحسبك الا وقد أتعبت العابدين بعدك ، سبجت نفسك في بيتك فلا تحدث لك ولا جليس معك ولا فراش تحتك ولا ستر على بابك

(١) الأسى (بضم الاول ويكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) وهي ما يتعرى به .

(٢) في الأصل «ولما أن تعذب» . بزيادة «أن» بعد «لما» وليس هذا من مواضع زيادتها .

وَلَا قُلَّةٌ يُبَرَّدُ فِيهَا مَأْوُكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ ، مِطْهَرُكَ قَلْبُكَ
 وَقَصْعَتُكَ تَوْرُكَ . دَاوُدَ مَا كُنْتَ تَشْتَمِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدَهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ
 طَيِّبِهِ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيِّنِهِ ، بَلَى ! وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَمَا أَصْغَرَ
 مَا بَدَلْتَ ، وَمَا أَحْقَرَ مَا تَرَكْتَ فِي جَنْبِ مَا أَمَلْتَ ، فَلَمَّا مِتَّ شَهَرَكَ رَبُّكَ بِمَوْتِكَ ،
 ٥ وَالْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ ، وَأَكْثَرْتَ تَبَعَكَ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مِنْ حَضْرِكَ عَرَفْتَ أَنَّ رَبَّكَ
 قَدْ أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ ، فَلْتَتَكَلَّمِ الْيَوْمَ عَشِيرَتُكَ بِكُلِّ أَلْسِنَتِهَا ، فَقَدْ أَوْضَحَ رَبُّكَ فَضْلَهَا
 بِكَ ، وَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَدْعُ عَبْدًا إِلَى خَيْرٍ بِعَمَلِهِ إِلَّا حُسْنُ هَذَا النَّسْرِ مِنْ كَثْرَةِ هَذَا التَّبَعِ ،
 لَقَدْ كَانَ حَقِيقًا بِالْاجْتِهَادِ وَالْجُهْدِ لِمَنْ لَا يُضَيِّعُ مُطِيعًا وَلَا يَنْسِي صَنِيعًا شَاكِرًا وَمُثْنِيًا .
 وَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَرْجُوكَ لَهُ وَأَخَافُكَ عَلَيْهِ ،
 ١٠ فَحَقَّقْ رَجَائِي وَأَمِّنْ خَوْفِي .

مَاتَ ابْنُ لَأْنَسٍ بْنُ مَالِكٍ فَقَالَ أَنَسٌ عِنْدَ قَبْرِهِ : اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَوَلَدُ عَبْدِكَ
 وَقَدْ رُدَّ إِلَيْكَ ، فَارَأْفَ بِهِ وَارْحَمْهُ ، وَجَافِ الْأَرْضَ عَنْ بَدَنِهِ ، وَافْتَحِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ
 لِرُوحِهِ وَتَقَبَّلْهُ بِقَبُولِ حَسَنِ . ثُمَّ رَجَعَ فَأَكَلَ وَشَرَبَ وَادَّهَنَ وَأَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ .
 وَقَالَ جَرِيرٌ فِي امْرَأَتِهِ :

١٥ لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا * لَيْلٌ يَكُورُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ
 صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُخَيَّرُوا * وَالطَّيِّبُونَ حَلِيكَ وَالْأَبْرَارُ

وَقَفْتُ أَعْرَابِيَّةً عَلَى قَبْرِ ابْنِهَا فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ مَالُكَ لِعَرِيْسِكَ ، وَلَا هُمُكَ
 لِنَفْسِكَ ، وَمَا كُنْتَ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

رَحِيبُ الذَّرَاعِ بِأَلَى لَا تَسِينُهُ * وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا ذَرْعَا

حدثني محمد بن داود عن الصلت بن مسعود قال : كان سفيان بن عيينة يستحسن شعر عدي بن زيد :

أين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدهم وعود
بينما هم على الأسرة والأند * ما طأفقت إلى التراب الحدود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا الوعد كله والوعيد
وأطباء بعدهم لحقوهم * ضل عنهم سعوطهم واللود^(١)
وصحيح أضحى يعسود مريضاً * وهو أدنى للوت من يعسود
أخذه علي بن الجهم فقال :

كم من طيل قد تخطاه الردي * فنجا ومات طبيبه والعود

- ١٠ حدثني عبدة بن عبد الله قال أخبرنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الملك بن عمير عن ربيعي بن حراش قال : أتيت أهلي فقبل لي : مات أخوك ، فوجدت أني مسجي عليه بثوب ، فأنا عند رأسه أترحم عليه وأدعوه إذ كشف الثوب عن وجهه فقال : السلام عليكم ، قلنا : وعليك السلام ، سبحان الله ! بعد الموت ! فقال : إني تلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان ، وكساني ثيابا من سندس وإستبرق ، وإني وجدت الأمر أيسر مما تظنون ، ولا تتكلموا ، إني استأذنت ربي أن أخبركم وأبشركم . إحملوني إلى رسول الله ، فقد عهد إلي ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفي^(٢) .
- ١٥

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة بن زاذان عن ثابت أن مطرفا كان يبدو على دابته بين المقام فأغفى فإذا أهل القبور جلوس على

- ٢٠ (١) السعوط : الدواء الذي يؤخذ من الأنف ، والدرد (وزان صبور) : ما يؤخذ من الدواء بالمسقط ويصب في أحد شق الفم . (٢) همد وسكن . (٣) كذا بالأصل ولعلها يغدر .

(١) شَفَاهُ قُبُورَهُمْ يَقُولُونَ : هَذَا مُطَرَّفٌ يَرْوِجُ إِلَى الْجُمُعَةِ ؛ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، وَمَا تَقُولُ الطَّيْرُ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ ، يَقُولُونَ : سَلَامٌ ، يَوْمَ صَالِحٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةُ أَنْ تَجْرِيَ الْعَيْنُ الَّتِي حَفَرَهَا — قَالَ سُفْيَانُ : تُسَمَّى عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ — نَادَوْا بِالْمَدِينَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ قَتِيلٌ فَلْيَأْتِ قَتِيلَهُ ؛ قَالَ جَابِرٌ : فَأَتَيْنَاهُمْ فَأَخْرَجْنَاهُمْ رِطَابًا يَتَتَنُّونَ ، وَأَصَابَتِ الْمِسْحَاةَ رَجُلٌ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَانْقَطَرَتْ دَمًا . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : لَا يُنْكِرُ بَعْدَ هَذَا مُنْكَرٌ أَبَدًا .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : أَهْلُ الْقُبُورِ يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ^(٢) فَإِذَا أَتَاهُمُ الْمَيِّتُ سَأَلُوهُ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُ : أَلَمْ يَأْتِكُمْ ! فَيَقُولُونَ : إِنْ لَمْ يَأْتِكُمْ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، سَلِّكَ بِهِ غَيْرُ سَبِيلِنَا .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَبْدِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ السَّامِيُّ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ صَبِيحٍ قَالَ : شَهِدْتُ ثَابِتًا الْبُنَانِيَّ يَوْمَ مَاتَ وَشَهِدَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، فَدَخَلْتُ قَبْرَهُ أَنَا وَحُمَيْدُ الطَّوِيلُ وَأَبُو جَعْفَرٍ حَسَنٌ مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَسْوَى عَلَيْهِ اللَّيْنَةَ سَقَطَتْ مِنْ يَدِي فَلَمْ أَرْ فِي اللَّحْدِ أَحَدًا ، وَأَصْفَى إِلَى حُمَيْدٍ أَنْ اخْطِطَفَ صَاحِبُنَا وَضَجَّ النَّاسُ فَسَوَّيْنَا عَلَى اللَّحْدِ وَحَثَوْنَا التُّرَابَ ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِحُمَيْدٍ هِمَّةٌ حَتَّى أَتَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَلِيٍّ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى الْبَصْرَةِ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : مَا يُنْكِرُ اللَّهُ قُدْرَةً ! إِلَّا أَنِّي أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا يُفْعَلُ هَذَا بِهِ ، فَهَلْ عِلْمٌ بِهِ أَحَدٌ سِوَاكَ؟ قَالَ :

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَمَّا أَصْلَهُ « أَشْفَاء » جَمَعَ شَفَا أَيْ حَرَفَ . (٢) انْقَطَرَتْ دَمًا : سَالَتْ

دَمًا ، يُقَالُ انْقَطَرَتْ قَدَمُ فُلَانٍ أَوْ أَصْبَحَ دَمًا أَيْ سَالَتْ وَفِي الْأَصْلِ . « انْقَطَرَتْ » بِالْقَافِ وَلَمْ نَجِدْ

فِي كَتَبِ اللُّغَةِ الَّتِي بِيَدِنَا صِيغَةَ انْفَعَلَ مِنْ فَعَلَ . (٣) يَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ : يَنْتَظِرُونَهَا وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا .

نعم، الربيع بن صبيح وحسن؛ قال : عدلان مرَضِيَّان، فبعث أمانة جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره .

وحدثني أيضا عن أعرابية كان يُقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمغزها وتقول : الحمد لله على ما قضى وارتضى، رضيت من الله ما رضى لي ، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الكواء^(١) وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه . وماتت جارة لها فقيل لها : ما فعلت جارتك ؟ فقالت :

تقسم جاراتها بيتها * وصارت الى بيتها الأتله

وقالت يوما : إن تقبل الله مني صلاة لم يعدنني، فقيل لها : كيف ذلك؟ قالت : لأن الله عز وجل لا يتنى في رحمته وحلمه، قال : وكنت سمعت حديث معاذ «من كتبت له حسنة دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول هذا، فعرفت تأويله :

الكبر والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن شهر ابن حوشب عن عمرو بن عبسة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ما لم ينحسبها أو ينتفها» .

أبو حاتم عن الأصمعي عن شيخ من بني قزارة قال : مررت بالبادية وإذا شيخ قاعد على شفير قبر، وإذا في القبور رجال كأنهم الرماح يدفنون رجلا والشيخ يقول :

(١) الكواء : جمع كوة وهي الخرق في الخائط .

أُحْشُوا عَلَى الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * قَدَّمَا أَبِي رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى^(١)

فقلت له : مَنْ المَيْتُ؟ فقال : ابْنِي، فقلت له : مَنْ الذين يَدْفِنُونَهُ؟ قال :
بنوه .

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ
مِنَ الْكِبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ : بَلَغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ !
قَالَ : هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَّغَتَهُ . وَنَحْوَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

* يَا طَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَّغَتَهُ *

وَيُقَالُ فِي الزُّبُورِ : «مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ» . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ
النَّبَاطِيُّ : لَا تَسْأَلْ نَفْسَكَ الْعَامَ مَا أَعْطَتْكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي .

رَأَى ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو الضَّبِّيَّ لَهُ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ ذِكْرًا قَدْ بَلَغُوا فَقَالَ : مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ
سَاءَتْهُ نَفْسُهُ .

قَالَ ابْنُ أَبِي فَتْنٍ :

مِنْ عَاشٍ أَخْلَقْتَ الْأَيَّامُ جِدَّتَهُ * وَخَانَهُ الثَّقَنَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

أَبُو عَيْسَةَ قَالَ : قِيلَ لَشَيْخٍ : مَا بَقِيَ مِنْكَ؟ قَالَ : يَسْقِي مَنْ بَيْنَ يَدَيَّ ،
وَيُدِيرُ كَنِي مَنْ خَلْفِي ، وَأَنْسَى الْحَدِيثَ ، وَأَذْكُرُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْعَسُ فِي الْمَلَأِ ، وَأَسْهَرُ
فِي الْخَلَاءِ ، وَإِذَا قُمْتُ قُرْبَتِ الْأَرْضُ مِنِّي ، وَإِذَا قَعَدْتُ تَبَاعَدَتْ عَنِّي ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

قَالَتْ عَهْدَتُكَ مَجْنُونًا فَقُلْتُ لَهَا * إِنَّ الشَّبَابَ جُنُونٌ بِرُؤْيِ الْكِبَرِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ وَجَاءَ هَذَا الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ مَادَّةَ « دَسَمَ » هَكَذَا

أَحْشَى عَلَى دَيْسَمٍ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى * أَبِي قُضَاءِ اللَّهِ إِلَّا مَا تَرَى ٢٠

(٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفِعُولِ أَيْ يَمْشِي بَيْنَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا لَضَمْفِهِ .

قال عبد الملك بن مروان للعريان بن الهيثم : كيف تجددك ؟ قال : أجدني
قد أبيض مني ما كنت أحب أن يسود واسود مني ما كنت أحب أن يبيض
واشتد مني ما أحب أن يلين ولان مني ما أحب أن يشتد وقال :

سَلْنِي أُنَيْتُكَ بِآيَاتِ الْكِبَرِ * نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسَعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اعْتَكَرَ * وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وسرعة الطرف وتحميج النظر^(١) * وتركك الحسنة في قبل الطهر
* والناس يتلون كما تبلى الشجر *

وقال حميد بن ثور :

أرى بصرى قد رابى بعد هتحة * وحسبك داء أن تصبح وتسلم

وقال الكبيش :

لا تنيط المرأة أن يقال له * أمسى فلان ليسنه حكما
إن سره طول عمره فلقد * أصحى على الوجه طول ما سلمها

وقال النير بن تولب :

يؤدّ الفتي طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(١) التحميج : تصغير العين لتمكينها من النظر ، ويقال على إدامة النظر مع فتح العين ، وهكذا ذكره
الأزهري والجوهري وغيرهما بالخاء المهملة قبل الميم والجيم المعجمة بعدها ، وفي الأصل : « تحميج »
بتقديم الجيم وتأخير الخاء ، وهو موافق لما رواه ابن الأثير في حديث عمر بن عبد العزيز « فطلق يجمع إلى
الشاهد النظر » ثم قال : هكذا ورد في كتاب أبي موسى وكأنه والله أعلم سهو ، وقال الزنجشري : هي لغة
في التحميج (انظر اللسان مادى جمع وجمع) .

وقال آخر :

كانت قناتي لا تليقُ لغامر * فالانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوتُ ربِّي بالسلامة جاهدا * ليُصَحِّني^(١) فإذا السَّلامةُ داءُ

وقال أبو العتاهية :

* أسرع في نقص امرئٍ تمامه *

وقال مبد الحميد الكاتب :

ترحل ما ليس بالقافل^(٢) * وأعقب ما ليس بالآئيل
فلهني من الخلف النازل * ولهني على السلف الراحل
أُبَيَّ على ذا وأبكي لذا * بكاء المولمة الناكل
تُبَيَّ من ابن لها قاطع * وتبكي على ابن لها واصل
تقضت غوايات سُكر الصبا * وزدَّ التقيَّ عند الباطل

محمد بن سلام الجُمَحيّ عن عبد القاهر بن السريّ قال : كتب الجحاج الى قتيبة
ابن مسلم : إني نظرتُ في سنِّك فوجدتُك لِدَتِي^(٣) وقد بلغت الخمسين وإِنَّ أَمْرًا
سار الى منهل خمسين عاما لقريب منه . فسمع به الجحاج بن يوسف التيمي فقال :

إذا كانت السبعون سنِّك لم يكن * لدائك إلا أن تموتَ طيبُ
وإنَّ أَمْرًا قد سار سبعين حِجَّة * الى منهل من ورده لقريب
إذا ما خلوتَ الدهر يوما فلا تقل * خلوتُ ولصكن قل على رقيب
إذا ما أتقضى القرن الذي أنت منهم * وخُلِّتَ في قبرٍ فانت غريبُ

(١) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٢٥ وبالأصل : « لينجني » . (٢) في الأصل « رحل » .

٢٠ . ولا يستقيم معه الوزن . (٣) لدة الرجل : تربه .

وقال لبید :

أليس ورأى إن تراخت منيتي * لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابعُ
أخبر أخبارَ القرون التي مضت * أدبٌ كأنى كلما قت راصعُ

وقال آخر في مثله :

حننتي حانياتُ الدهر حتى ^(١) * كأنى ^(٢) خاتِلٌ يدنو لصيد

وقيل لرجل من الحكماء : مالك تُدمنُ إمساكَ العصا واستَ بكبيرٍ ولا مريض؟

فقال : لأذكر أنى مسافر؛ قال الشاعر :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حملها * علىّ ولا أنى تحنيتُ من كبرٍ
ولكننى ألزمتُ نفسى حملها * لأغلبها أن المقيمَ على سفرٍ

ومرَّ شيخ من العرب بفلامٍ فقال له الفلام : أحصدتَ ياعمّاه فقال : يا بني

وتُخصّدون .

قال الحسنُ في موعظة له : يامعشر الشيوخ، الزرعُ اذا بلغ ما يُصنع به؟ قالوا :

يُخصّد . يامعشر الشباب كم من زرع لم يبلغ أدركته آفةٌ، قال الشاعر :

الدهرُ أبلانى وما أبلّيته * والدهرُ غيرنى وما يتغيرُ

والدهرُ قيّدنى بنحيطٍ مبرمٍ * فمشيتُ فيه وكلّ يومٍ يقصُرُ

(١) كذا في اللسان مادة «خل» وفي الأصل «قائبات» . (٢) كذا في اللسان مادة

خل وفي الأصل «حابل» . (٣) أحصدت : آن لك أن تخصّد . (٤) كذا بالأصل :

وهذه الجملة غير منتظمة مع ما قبلها فلعل بعض الكلمات سقطت بينها وبين الجملة التي قبلها وبين المزاد

«ثم قال» الخ .

وقال عُمارة بن عَقِيل :

وأدركتُ مِلءَ الأرضِ ناساً فأصبحوا * كأهل الديار قَوْضوا فتحملوا
وما نحن إلا رُقْصَةٌ قد ترحلت * وأخرى تُقْضَى حاجها وترحل

ذكر أعرابي الشيب فقال : والله لقد كنتُ أنكر الشعرَ البيضاء فقد صرتُ

أنكر السوداء ، فيأخيراً بَدَلٍ وياشراً مبدول ^(١) . وقال بعض الشعراء :

شاب رأسي وما رأيتُ مشيبَ الـ ترأس * إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب في كلِّ يؤس * ونعيم طلائع الأجساد
طال إنكارى البياض فإن عُمُرْتُ شينا أنكرتُ لونَ السواد

رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته ، فقال : أرى الموت يطلبني وأراني

لا أفوته ، أعوذ بك يارب من فجاءات الأمور ، يا بني سجد قد وهبتُ لكم شبابي
فهبوا لي شيبتي ، ولزم بيتي .

قال قيس بن عاصم : الشيب خطام المنة .

قال آخر : الشيبُ بريدُ الحمام .

قال آخر : الشيب تؤم الموت .

قال آخر : الشيب تاريخ الموت .

قال آخر : الشيب أول مراحل الموت .

قال آخر : الشيب تمهيد الحمام .

قال آخر : الشيب عنوان الكبر .

(١) كذا في الأصل : وهذا يوافق قول أبي عبيدة : هذا باب المبدول من الحروف ، ونحو هذه

كما في اللسان مادة « بدل » دليل على أن بدل متعد ، وفي العقد الفريد : « مبدل » .

قال عبيد بن الأبرص : * والشَّيبُ شَيْنٌ لمن يشيب * . ويقال : شَيْبَ
الشَّعْرَ مَوْتُ الشَّعْرِ، ومَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ الْبَشَرِ . قال الشاعر :
وكان الشباب الغضُّ لى فيه لَذَّةٌ * فوقَّرنى عنه المشيبُ وأدَّبا
فَسَقِيًّا ورَعِيًّا للشَّبابِ الذى مضى * وأهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا
وقال أعرابيٌّ - ويقال هى لأبى دُلْف - :

فى كل يوم من الأيام نَابِتَةٌ * كأنما نَبَتَتْ فىهِ على بَصْرِى
لئن قَرَضْتُكَ بالمقراض عن بصرى * لما قَرَضْتُكَ عن هَمِّى ولا فِكْرِى
وقال أعرابيٌّ :

أرى الشيبَ مذ جاوزتُ نحسينَ دَائِباً * يَدَبُ دَيْبَ الصَّبَحِ فى غَسَقِ الظُّلَمِ
هو السُّمُّ إلا أنه غيرُ مُؤْلِمٍ * ولم أر مثلاً للشيب شُماً بلا أَلَمٍ
وقال آخر :

قَصَرَ الحَوَادِثُ خطَوهُ فتدائى * وحنَّ صدرَ قناته فتَحَانَى
صحبَ الزمانَ على اختلافِ فُنُونِهِ * فأراه منه شِدَّةَ وَلِيَانَا
ما بالُ شيخٍ قد تحَدَّدَ لِحْمُهُ * أنضى^(١) ثلاثَ عمائمَ ألوانَا
سوداءَ داجيةٍ وسمَّوَقَ^(٢) مُقَوِّفٍ * وأجدُ أخرى بعد ذلك هِجَانَا^(٣)
ثم المماتُ وراء ذلك كلِّهِ * وكأنما يُعْنَى بذلكِ سِوَانَا
وقال آخر يذكُر الشباب :

لما مضى ظاعِنًا عنا فودَّعنا * وكان كالميتِ لم يتركْ له عَقَبَا
عُدْنَا الى حالَةٍ لا نستطيعُ لها * وصلَّ الغَوَانِى وعابَ الشيبَ مَنْ لَعِبَا

(١) أنضى : أبل وأخلق . (٢) السَّق : الثوب البالى ، والمقوِّف من البرود ما فيه خطوط

بيض . (٣) الهجان : الخالص البياض .

وقال محمود الوراق :

بكيتُ لقرب الأجل * وبعيد فوات الأمل
ووافيد شيب طرا * بعقب شباب رحل
شبابٌ كأن لم يكن * وشيبٌ كأن لم يزل
طوالك^(١) بشيرُ البقا * وجاء بشيرُ الأجل
طوى صاحبٌ صاحباً * كذاك انتقل الدُّول

وقال أبو الأسود يذم الشباب :

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرنا * وكان بخاريبان يوماً فودعا
فقلت له فأذهب ذمياً فليتني * قتلتك علماً قبل أن تُتصدعا
جنيتَ على الذنبِ ثم خذلتني * عليه فبئس الخلتان هما معاً
وكنتَ سراًباً ما صحت^(٢) إذ تركتني * رهينةً ما أجنى من الشرأجمعاً

وقال آخر :

استنكرت شيبى فقلتُ لها * ليس المشيبُ بناقصُ عمري
وتتفست بي همةٌ وصلت * أمل بكل ربيعة الذكر

روى عبد الله بن حفص الطاحي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي عن أبيه
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اخضبوا بالسواد، فإنه أنس للنساء وهيبه
للعدو. قال عمر بن المبارك الخزاعي .

من لاؤذني بمسلم * وإكفى بمسلم
دق عظم الجهل مني * وانثنى شئ^(٣) هرامى

٢٠ (١) طوالك : جاوزك . (٢) ما صحت : ما بدا وظهر . (٣) كذا في الأصل ، ومن
المحتمل أن يكون : "وانثنى سن هرامى" والهرام : العدة والقوة .

وتمشي الفد من شيد * جي الى الشيب التوام^(١)
نظمك الدر الى الدرة في سلك النظام

وقال أبو العتاهية :

نمي لك ظل الشباب المشيب * ونادتك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدا لداعي المنون * فكل الذي هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطيب * فعاش المريض ومات الطيب
يخاف على نفسه من يتوب * فكيف ترى حال من لا يتوب

محمد بن سلام قال : سمعت يونس بن حبيب يقول : لا يامن من قطع
في خمسة دراهم خير عضو منك أن يكون عقابه هكذا غدا .

الدنيا

حدثني أبو مسعود الدارمي قال حدثني جدي خراش عن أنس بن مالك قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبحت الدنيا همه وسدمه نزع الله^(٢)
الغنى من قلبه ، وصير الفقر بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كُتب له ، ومن
أصبحت الآخرة همه وسدمه نزع الله الفقر من قلبه وصير الغنى بين عينيه وأنته
الدنيا وهي راغمة » .

حدثني محمد بن داود قال حدثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان : « ما طعماك » قال :
اللهم واللبن ، قال : « ثم يصير الى ما ذا » قال : ثم يصير الى ما قد علمت ، قال :

(١) التوام : جمع ترام ، وأصله المولود مع غيره في بطن ، ويضم المولود رجاء كما وقع في هذا البيت ،

(٢) السدم : اللهجة بالولوع بالشئ .

« فَإِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَا يُخْرِجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلًا لِلدُّنْيَا » قَالَ : وَكَانَ بِشِيرُ بْنُ كَعْبٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ إِذَا فَرِغَ مِنْ حَدِيثِهِ : انْطَلِقُوا حَتَّى أُرِيَكُمْ الدُّنْيَا ، فَيَجِيءُ فَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى السُّوقِ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ مَزْبَلَةٌ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَسَلِكُمْ وَتَمَنُّهُمْ وَإِلَى دَعَائِهِمْ وَبَطْهِمْ صَارَ إِلَى مَا تَرَوْنَ .

٥ حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُزَوِينِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنَتَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْةٍ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : (لَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فَقَالَ : « إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ وَانْفَسَحَ شُرْحُ ذَلِكَ الصَّدْرِ » ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَلِ لِذَلِكَ آيَةٌ يُعْرَفُ بِهَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْجُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ » . ١٠

١٥ بَلَغَنِي عَنْ الْعُتْبِيِّ عَنْ حَبِيبِ الْمَدَنِيِّ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنبَهٍ قَالَ : رَأَيْتُ وَرَقَةً يَهْفُو بِهَا الرِّيحُ فَأَرْسَلْنَا بَعْضَ الْفِتْيَانِ فَاتَانَا بِهَا فَإِذَا فِيهَا : الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلِّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ، مَا أَخَذَ أَهْلُهَا مِنْهَا لَهَا نَخَرَجُوا مِنْهُ ثُمَّ حُوسِبُوا بِهِ ، وَمَا أَخَذَ مِنْهَا أَهْلُهَا لِغَيْرِهَا نَخَرَجُوا مِنْهُ ثُمَّ أَقَامُوا فِيهِ ، وَكَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، هُمْ فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ فِيهَا ، عَمِلُوا بِمَا يُبْصِرُونَ وَبَادَرُوا مَا يَحْذَرُونَ ، تَتَقَلَّبُ أَجْسَادُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَتَتَقَلَّبُ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ ، يَرَوْنَ النَّاسَ يُعْظَمُونَ وَفَاةَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ تَعْظِيمًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ . فَسَأَلْتُ عَنِ الْكَلَامِ فَلَمْ أَجِدْ مَنْ يَعْرِفُهُ .

وَقَالَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الدُّنْيَا قَنْطَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا .

(١) كَذَا فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ . وَفِي الْأَصْلِ « عَمْرٍ » .

وفي بعض الكتب : أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا « مَنْ خَدَمَنِي فَأَخْدُمِيهِ ،
وَمَنْ خَدَمَنِي فَأَسْتَخْدِمِيهِ » .

قال بعض العابدين يذُكر الدنيا :

لقد غَرَّت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلة ما بعدها مُتَحَوِّلٌ
فساخَطُ أمرٍ لا يُبَدِّلُ غيره * وراضٍ بأمرٍ غيره سَيُّدٌ
والنُّعْ أميرٌ كان يأْمُلُ دونه * ومُخْتَلَجٌ من دون ما كان يأْمُلُ

وقال آخر يذُكر الدنيا :

حُتُوفُهَا رَصْدٌ وَعِشُّهَا رَنْقٌ ^(١) * وَكَرَّهَا نَكْدٌ وَمُلْكُهَا دَوْلٌ ^(٢)

وقال آخر :

نُزاعٌ لذكر الموت ساعة ذكره * وتَعَرَّضَ الدنيا فتلوهو وتلعبُ
ونحن بنو الدنيا خُاقِنَا لغيرها * وما كُنْتُ منه فهو شَيْءٌ مُجَبَّبٌ ^(٣)

وقال يحيى بن خالد : دخلنا في الدنيا دُخُولاً أخرجتنا منها .

ذَمُّ رَجُلٍ الدُّنْيَا عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَّقَهَا ، وَدَارُ نَجَاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، مَهِيْطٌ
وَحْيُ اللَّهِ ، وَمُصَلًى مَلَائِكَتِهِ ، وَمَسْجِدُ أَنْبِيَائِهِ ، وَمَنْجَرُ أَوْلِيَائِهِ ، رَجَّحُوا مِنْهَا الرِّحْمَةَ
وَاحْتَسَبُوا فِيهَا الْجَنَّةَ ، فَمَنْ ذَا يَذْمُهَا وَقَدْ آذَنْتُ بَيْنَهَا وَنَادَتْ بِفِرَاقِهَا وَشَبَّهَتْ بِسُرُورِهَا
السَّرُورَ وَبِبِلَائِهَا الْبِلَاءَ تَرْغِيًّا وَتَرْهِيًّا ، فَيَا أَيُّهَا الدُّنْيَا الْمَعْلُوفُ نَفْسَهُ ، مَتَى خَدَعْتِكَ
الدُّنْيَا أَمْ مَتَى اسْتَدَمَّتْ إِلَيْكَ ^(٤) ! أَمْصَارِعُ آبَائِكَ فِي الْبَلَى ! أَمْ بِمُضَاجِعِ أَمَهَاتِكَ فِي الثَّرَى !

(١) رصد : مترصدة مترقبة . (٢) رنق : كدر . (٣) يريد أن الناس أبناء الدنيا

فهم منها ، ولهذا كانت محروبة لهم (٤) استدمت إليك : فعلت ما تذهبها على فعله .

كم مَرَضَتْ بِيَدِكَ، وَعَلَّتْ بِكَفَيْكَ، تَطْلُبُ لَهُ الشِّفَاءَ، وَتُسَوِّفُ لَهُ الْأَطْبَاءَ،
غَدَاةً لَا يُغْنِي عَنْهُ دَوَائُكَ، وَلَا يَنْفَعُكَ بَكَائُكَ .

كان إبراهيم بن أدهم العجلي يقول :

نُرْقِعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا * فَلَا دِينَائِي بِي وَلَا مَا نُرْقِعُ^(١)

قال أبو حازم : وما الدنيا ! أما ما مضى فُحْمٌ وأما ما بقي فأمانى .
قال سفيان :

أوحى الله تعالى الى نبي من الأنبياء « اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظَنًّا وَالْآخِرَةَ أَمَّا » .
قال الشعبي : ما أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثير .

أَسَيْئُ بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَأَمْلُومَةٌ * لَدَيْنَا وَلَا مَقَالَةٌ^(٢) إِنْ تَقَلَّتْ

قال بكر بن عبد الله : المستغنى عن الدنيا بالدنيا كالمطفئ النار بالتبن .

قال ابن مسعود : الدنيا كلها غمومٌ، فما كان فيها من سرور فهو ربح .

قال محمد بن الحنفية : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا .

وقال بعض الحكماء : مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ خَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى
إِحْدَاهُمَا اسْتَخْطَ الْأُخْرَى .

قال سفيان : تَرَكَ لَكُمْ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ فَاتْرُكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا .

وقال آخر : إِنْ الدُّنْيَا قَدْ اسْتَوْدَقَتْ^(٣) وَأَنْعَظَ النَّاسُ .

(١) كذا ورد في الإحياء للفرال (ج ٣ ص ١٥٥) طبع ممرده المعروف في رواية هذا البيت
في الأصل : « تمزق » في الموضعين ، وهو تحريف .

(٢) تقلت : تبغضت ، وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة . (٣) يقال : ودقت الفرس تدق

ودقا واستودقت اذا طلبت الفعل .

قال وهيب بن الورد : مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّهَبْ لَهَا .

قيل لمحمد بن واسع : إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالدُّنْيَا ؛ فَقَالَ : إِنَّمَا رَضِيَ بِالدُّنْيَا مَنْ رَضِيَ
بِالدُّنْيَا .

قيل لعلي بن الحسين : مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرِ الدُّنْيَا خَطَرًا
لِنَفْسِهِ .

كَانَ يُقَالُ : لِأَنَّ تَطْلُبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطْلَبَ
بِأَحْسَنِ مَا تُطْلَبُ بِهِ الْآخِرَةُ .

قَالَتِ امْرَأَةٌ لِبُعْلِهَا وَرَأَتْهُ مَهْمُومًا : مِمَّ هَمُّكَ ؟ أِبَالدُّنْيَا فَقَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْهَا
أَمْ بِالْآخِرَةِ فَزَادَكَ اللَّهُ هَمًّا ! .

الثوري قال : قَالَ الْمَسِيحُ : حُبُّ الدُّنْيَا أَصْلُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَالْمَالُ فِيهَا دَاءٌ
كَثِيرٌ ؛ قِيلَ : مَا دَاءُهُ ؟ قَالَ : لَا يَسْلُمُ [صَاحِبُهُ] مِنَ الْفَخْرِ وَالْكَبَرِ ؛ قِيلَ : وَإِنْ
سَلِمَ ؟ قَالَ : يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ .

بلغني عن محمد بن فضيل قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَالِمِ بْنِ
أَبِي الْجَعْدِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : يَا أَهْلَ حِمَصَ ، مَا لِي أَرَاكُمْ تَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، وَتَبْنُونَ
شَدِيدًا ، وَتَأْمَلُونَ بَعِيدًا ! إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا وَبَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَلُوا بَعِيدًا فَصَارَ
جَمْعُهُمْ بُورًا وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُورًا وَأَمْلُهُمْ غُرُورًا . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : يَا أَهْلَ
دِمَشْقَ ، مَا لَكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ !
إِلَّا إِنْ عَادَا وَثُمُودَ كَانُوا قَدْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ بَصْرَى وَعَدَنَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَنَعَمًا ، فَمَنْ
يَشْتَرِي مِثْقَالَ مِثْقَالٍ مَاتَ تَرْكًا بِدَرَاهِمِينَ !

بلغنى عن داود بن المحبر عن عبيد الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الروم نريد البصرة ، حتى اذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صائحا يصيح من بين تلك الرمال — سمعته الآذان ولم تره العيون — يقول : يا مستورا يا محفوظا ! اعقل في ستر من أنت ! فإن كنت لا تعقل [من أنت] في ستره فاتق الدنيا فإنها حى الله ، فإن كنت لا تعقل كيف تتقيها فصيرها شوكا ثم انظر أين تضع قدميك منها !
 قال المأمون : لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أحسنت أن تصف نفسها صفة أبي نواس في هذا البيت :

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عذو في ثياب صديق
 قال المسيح عليه السلام : أنا الذى كفأت الدنيا على وجهها ، فليست لي زوجة تموت ولا بيت يخرب .

قال أبو العتاهية :

يا من ترفع للدنيا وزيتها * ليس الترفع رفيع الطين بالطين
 إذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زى مسكين
 وقال آخر ذكر الدنيا :

إذا تم أمر دنا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم
 وقال آخر :

لا تبك للدنيا ولا أهلها * وابك ليوم تسكن الحفرة^(٢)
 وابك اذا صبح بأهل الثرى * فاجتمعوا في ساحة الساهرة^(٣)
 ويلك يا دنيا لقد قصرت * آمال من يسكنك الاخرة

٢٠ (١) زيادة يطلبها السياق . (٢) أى الأرض التى تحفر فيها قبورهم ، فيها الحفرة والمراد المحفرة . (٣) الساهرة : الأرض وقيل : وجهها ؛ قال تعالى : (فاذا هم بالساهرة) . وقيل : هى الأرض التى لم توطأ وقيل : هى أرض يجدها الله يوم القيامة . (انظر اللسان مادة سهر) .

مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

- (١) قام فقال : إنه لما سئل غلبنا ما توغر على غيرنا من الوصول اليك ، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتان ، ولا سيما حين اتسمت بمسم التواضع ووعدت الله وحملته كتابه إيثار الحق على ما سواه ، بجمعنا وإيالك مشهد من مشاهد التمهيد لئتم مؤدينا على موعود الأداء وقابلنا على موعود القبول ، أو يزيدنا تمحيص الله إيانا في اختلاف السر والعلانية ، ويحلينا حلية الكذابين ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل ، وأشد منه عذابا من أقبل اليه العلم وأدبر عنه ، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به فقد رغب عن هدية الله وقصر بها ، فاقبل ما أهدى الله اليك من الستة قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء ، فإنه لا يعدمك منا إعلام لما تجهل أو مواطأة على ما تعلم أو تذكير من غفلة ، فقد وطن الله عز وجل نبيه عليه السلام على نزولها تعزية عما فات وتحصينا من التماذي ودلالة على المخرج ، فقال : (زولما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله) ، فأطلى الله على قلبك بما ينوره من إيثار الحق ومناجاة الأهواء .
- ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول : اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ، فخرج المنصور

(١) انظر بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ ما قاله صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي .

بجلس ناحية من المسجد وأرسل الى الرجل يدعوه، فصلّى الرجل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور : ما الذى سمعك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعى ما أرمضني^(١) ؛ قال : يا أمير المؤمنين إن أمتنى على نفسى أنبأتك بالأمر من أصولها، وإلا احتجرت منك وأقتصرت على نفسى فيها لى شاغل^(٢)، فقال : أنت [آمن] على نفسك [فقل] ؛ فقال : إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر من البنى والفساد لأنت ؛ قال : ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى ! قال : وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك ! إن الله تبارك وتعالى استرماك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحص والاجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنك فيها عنهم، وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت ألا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى ولا الضعيف الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيته وأمرت ألا يجربوا عنك، تجبى الأموال وتجمعها ولا تقسمها قالوا : هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسه ! فاتمروا ألا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصبوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره،

(١) أرمضنى : أوجعنى وآلمنى . (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤

(٣) كذا بالعقد الفريد ج ١ ص ٣٦٤ وفى الأصل « وأمرتهم » . (٤) قصبوه : غابره وشتوه وبالعقد الفريد « خونه » .

- فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليَقْوُوا بها على ظلم رعيّتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيّتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلاّت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء متظلم جيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بظانّتك ^(١) [خبره] سالوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته اليك ، فإن المتظلم منه له بهم حومة ، فأجابهم خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه ، فاذا أُجهد وأُخرج وظهّرت ، صرخ بين يديك ، ففُضِرِبَ ضرباً مبرحاً ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تُنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ! وقد كنت يا أمير المؤمنين ^(٢) [أسافر] الى الصين فقدمتها مرة وقد أُصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا فحشه جلساؤه على الصبر فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكنني أبكي لمظلوم الباب يصرخ ولا أسمع صوته ثم قال : أما إذ ذهب سمعي فإن بصرى لم يذهب نادوا في الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوما ، فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه وأنت مؤمن بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين على شح نفسك ! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبدا في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مأل ، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ، ولست

(١) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥ (٢) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٣٦٥

(٣) كذا في العقد الفريد «لغته» وفي الأصول «لغده» وهو محريف .

بالذي تُعطى بل الله يعطى من يشاء ما يشاء، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد
السلطان فقد أراك الله عبراً في بنى أمية: ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة
وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع حتى أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت إنما أجمع
المال لطلب غاية هي أجنم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا
منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تعاقب من عصاك
بأشد من القتل قال المنصور: لا، قال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك
الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل! ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى
ما قد عَقِدَ عليه قلبك وعَمِلْتَهُ جوارحك ونظر إليه بصرك واجترأته يداك ومشت إليه
رجالك، هل يغنى عنك ما شَصَحَتْ عليه من ملك الدنيا إذا انترعه من يدك ودطاك
إلى الحساب، فبكى المنصور وقال: يا ليتني لم أخلق! ويحك! فكيف أحتال لنفسي
قال: يا أمير المؤمنين إن الناس أعلاماً يفرعون إليهم في دينهم ويزنون بهم فاجعلهم بطانتك
يُرشدوك، وشاورهم في أمرك يُسَدِّدوك، قال: قد بعثت إليهم لهربوا مني، قال:
خافوا أن تجعلهم على طريقك ولكن افتح بابك وسهل حجابك وانصير المظلوم واقمع
الظالم وغذ الفئء والصدقات مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل على أهله وأنا
الضامن عنهم أن يأثوك ويسعدوك على صلاح الأمة، وجاء المؤذنون فسلموا عليه
فصلى وصاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

مقام آخر والمنصور يخطب

خطب المنصور بحمد الله ومضى في كلامه، فلما انتهى إلى أشهد أن لا إله إلا
الله وثب رجل من أقصى المسجد فقال أذكرك من تذكر، فقال المنصور: سمعنا من
فهم عن الله وذكر به وأعوذ بالله أن أكون جبّاراً عصياً وأن تأخذني العزة بالإثم

لقد ضللتُ إذا وما أنا من المهتدين، وأنت والله أيها القائل ما أردت بها الله ولكن حاولت أن يقال: قام فقال فموقب فصبب وأهون بقائلها لو هممت^(١)، فاهتبلها ويملك إذ عفوت؛ وإياكم معشر الناس وأختها، فإن الموعظة علينا نزلت ومن عندنا انبثت فرؤوا الأمر إلى أهله يُصدروه كما أوردوه؛ ثم رجع إلى خطبته فقال: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

قال للمصور: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتري نفسك ببعضها، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده؛ فوجم أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو غممت^(٢) أمير المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صعبك عشرين سنة لم يرك عليه أن ينصحك يوماً واحداً وما ليل وداً بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه؛ قال أبو جعفر: فما أصنع! قد قلت لك: خاتمي في يدك فتعال وأصحبك فاكفيني؛ قال عمرو: ادعنا بعبدك تسخ أنفسنا بهونك؛ يبابك ألف مظلمة اردد منها شيئاً نعم أنك صادق.

مقام أعرابي بين يدي سليمان

قام فقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض الغلظة فأحتمله إن كرهته، فإن وبراء ما تحبه إن قبلته؛ قال: هات يا أعرابي؛ قال: فإني سأطلق لساني بما نجست عنه الألسن من عظمتك تأدية لحق الله وحق إمامتك، إنه قد

(١) فاهتبلها أى اغتشيها، والاهتبال: الاغتنام وانتهاز الفرصة.

(٢) «أغممت» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «أغم» متعدداً وإنما يقال: «غمه الأمر» من

اكتنفت رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة سلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه ، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعا والأمة عسفا وخسفا ، وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غبنًا من باع آخرته بدنيا غيره . قال سليمان : أما أنت يا أعرابي^(١) فقد سللت لسانك ، وهو أقطع سيفيك ؛ فقال : أجل ، لك لا عليك .

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال : أتت على الناس سنون ، أما الأولى فلحيت اللحم^(٢) ، وأما الثانية فأكلت الشحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم^(٣) ، وعندكم فضول أموال ، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده ، وإن كانت لهم فقيم ثمطر عنهم ! وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين ؛ فأمر هشام بمال فقيم بين الناس وأمر للأعرابي بمال ؛ فقال : أكل المسلمين له مثل هذا ؟ قالوا : لا ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين ؛ قال : فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين .

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال : دخلت عليه فقال : ما الذي بظأ بك عني ؟ قلت : يا أمير المؤمنين وما الذي تريد مني ؟ فقال : الاقتباس منك ؛ قلت : انظر ما تقول ، فإن مكحولا حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٣٣٨ وفي الأصل « لقد » .

(٢) من لحوت الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها .

(٣) هاض العظم يبيضه هبضا فانهاض : كمره بعد الجبور فهو مهبط .

- صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ سَيَقَتْ إِلَيْهِ ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرِهِ وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، لِيَزِدَّادَ إِنْثَامًا وَلِيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا ، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ " ، فَلَا تَجْهَلَنَّ ، قَالَ : وَكَيْفَ أَجْهَلُ ؟ قَالَ : تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ . قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : فَسَلَّ عَلَى الرَّبِيعِ السَّيْفَ .
- وقال : تقول لأئمة المؤمنين هذا ! فاتهره المنصور وقال : أَمْسِكْ . ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال : إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سَأَلْتُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَتَقِيرِهَا ، وأقصد حدثني عروة بن رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ رَايِعٍ يَبِيتُ غَاشًّا لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ " ، فَخَفِيقٌ عَلَى الْوَالِي أَنْ يَكُونَ لِرَعِيَّتِهِ نَازِلًا ، وَلِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَائِرًا ، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا . لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا وَلَا مُسِيئُهُمْ عَدْوَانًا ، فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَرِيدَةٌ يَسْتَأْذِنُ بِهَا وَيَرْدَعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ ، فَاتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ : " يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ ! إقْدِفْهَا لَا تَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ رُعبًا " . فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِمُخْدَشِ خَدِّهِ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدْهُ ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونَ أَمْتِكَ " . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَمِيلُ شَرِبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَرِهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُدَّةٌ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرَها " . إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا ، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لَمْ يَبْقَ لَكَ لِمَنْ يَصِلُ إِلَيْكَ . يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوْبًا مِنْ

(١) قَابُ الْقَوْسِ : مَا بَيْنَ مَقْبَضِهَا وَسَيْتِهَا . وَالْقُدَّةُ (بِالضَّمِّ) : رِيشُ السَّهْمِ .

(١) ثياب أهل النار عُلِّقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يَتَقَمَّصُهُ! ولو أنْ ذُنُوبًا
من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجنته فكيف بمن يتَجَزَّعُهُ، ولو أنْ
حَلَقَةٌ من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جِئِلٍ لذاب، فكيف مَنْ سُلِكَ فيها وِرْدٌ^(٣)
فصلُّها على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: ^(٢) «لا يَقُومُ أمرُ الناسِ إلاَّ حَصِيفُ
العقدة، بعيدُ الغِرةِ، لا يَطْلُعُ الناسُ منه على عورةٍ، ولا يُحْنِقُ في الحقِّ على حِجْرَةٍ،^(٤)
ولا تَأْخُذُهُ في الله لومةُ لائمٍ».

وأعلم أن السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ نفسه وعُمَّالَه، فذلك له أجرُ المجاهد
في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاةٍ ويدُّ الله بالرحمة على رأسه تُرْفَفُ؛ وأمير
رَتَعَ ورَتَعَ عُمَّالَه، فذلك يَحْمِلُ أنْقَالَه وأنْقَالًا مع أنْقَالَه؛ وأمير يَظْلِفُ نفسه ويرتَعُ
عُمَّالَه، فذلك الذي باع آخرته بدنياه غيره؛ وأمير يرتَعُ وَيَظْلِفُ عُمَّالَه، فذلك شرُّ
الأَكْيَاسِ.

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد أَبْتَلَيْتَ بأمرٍ عظيمٍ عُيِّرَ ضَّ على السَّمَوَاتِ والأرض
والجبال فأبين أن يحمله وَأَشْفَقَنَ منه؛ وقد جاء عن جدِّك في تفسير قول الله عز
وجل: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾: أن الصغيرة التَّبَسُّمُ،
والكبيرة الضَّحْكُ، وقال: فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي! فأُعِيذُكَ بالله أن
يُحْيِلَ اليك أن قرابتك برسول الله صلى الله عليه وسلم تنفع مع المخالفة لأمره؛ فقد

(١) الذنوب: الدلو التي دون الملء، تذكر وتؤنث. (٢) آجنته: جعله آجنا أي متغير الطعم
واللون ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة متعدية منه، فأثبتناه بالهمزة على القول بأن تعدية الفعل بها
قياسية. (٣) في الأصل: «فيه». (٤) لا يحنق في الحق على جرة: لا ينطوى على حقد
ودنل. وأصل الإحناق: لحوق البطن بالصلب والتصاقه به. والجرة (بالكسر): ما يخرج البعير من جوفه
ويمضغه. فكفى عمر رضى الله عنه بعدم الإحناق على الجرة عن عدم إضمار الحقد والغيظ. (٥) يظلف
نفسه: يكفها. (٦) في الأصل «أن يحملها» ومرجع الضمير هاهنا مذكور.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا ضيفاء عمّة محمد وإفاطعة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إلى لا أغنى عنكما من الله شيئا" . وكان جلدك الأكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارّة؛ فقال : "أني عمّ نفس تُحييتُ خيرُك من إمارّة لا تُحييها" ، نظراً لعمه وشفقة عليه أن يلى فيجور عن سنته بخناخ بقوضة ، فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا . هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت ، وإن رددتها فلتشك بخست ، والله الموفق للخير والمعين عليه ؛ قال بلى ! تقبلها وشكرُ عليها ، وبالله نستعين .

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد : وفدت عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدّهنَ ، وذلك في عام بكرٍ وشيمه وتابعٍ وليه وأخذت الأرض زُحرفها ، فهي كالزراية المشوثة والقباطى^(١) المنشورة ، وثرها كالكاפור لو وضعت به بضعة^(٢) لم تترب ، وقد ضربت له سرادقات حبر^(٣) بعث بها إليه يوسف بن عمر من اليمن تسلا لألحقيان ، فأرسل إلى فدخلت عليه ، ولم أزل واقفا ، ثم نظر إلى كالمستنطق لي ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتم الله عليك نعمة ودفع عك نقمه ؛ هذا مقام زين الله به ذكرى وأطاب به نشرى ، اذ أراى وجه أمير المؤمنين ، ولا أرى لمقامى هذا شيئا هو أفضل من أن أنبه^(٤) أمير المؤمنين لفضل نعمة الله عليه ليحمد الله على ما أعطاه ، ولا شيء أحضر من حديث

(١) الزسمى : مطر الربيع الأول سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات . والولى (وزان غنى) :

المطر بعد الزسمى . (٢) الزراية : البسط المتونة . والقباطى : بضم أوله وتشديد آخره أربفتح

الأول مع مخفيف الآخر) : جمع قبيلية (بضم القاف) وهى ثياب تكان بيض رفاق تعمل فى مصر .

(٣) البضعة (بالفتح وتكسر) : القطعة من اللحم . (٤) حبر (وزان غنى) : جمع حبرة (كناية)

وهى الخيط من البرود ، يقال : برد حبرة على الإضافة والوصفية .

سلف لملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حدثته به ؛ قال : هات ؛ قلت : كان رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فتاء السنِّ وصحَّةُ الطِّباع وسعةُ الملك وكثرةُ المال ، وذلك بالخورتنق ، فأشرف يوما فنظر ما حوله فقال لمن حضره : هل علمتم أحدا أوتي مثل الذي أوتيتُ ؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجَّة : إن أذنت لي تكلمتُ ؛ فقال : قل ، فقال : أرأيت ما جُمِعَ لك ، أشيءٌ هولاك لم يزل ولا يزول ، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يزولُ عنك ؟ قال : لا ! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول عني ؛ قال : فسُيرت بشيء تذهب لذته وتبقى تبعته ، تكون فيه قليلا وترتهن به طويلا ؛ فبكى وقال : أين المهربُ ؟ قال : إلى أحد أمرين : إما أن تُقيم في مُلكك فتعمل فيه بطاعة ربك ، وإما أن تُلقَى عليك أمساحا^(١) ثم تلحق بجبل تعبد فيه ربك حتى يأتى عليك أجلك ؛ قال : فما لي إذا أنا فعلت ذلك ؟ قال : حياة لا تموت وشباب لا يهرم وصحَّة لا تسقم وملك جديد لا يبلى ؛ فأتى جبلا فكان فيه حتى مات . وأنشده قول عدى بن زيد :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوْرَتَنِ إِذْ أَصْدَحَ * يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ حَالَهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُدُّ * مَلِكٌ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا^(٢) وَالسَّيْرِ
فَارْعَوَى قَلْبَهُ فَقَالَ وَمَا غَيْبُ * سَلْطَةُ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

فبكى هشام وقام ودخل ؛ فقال لي حاجبه : لقد كسبت نفسك شرا ، دعاك أمير المؤمنين لتحديثه وتلبيبه وقد عرفت علته فما زدت على أن نعت إليه نفسه . فاقمت أيا ما أتوقع الشر ، ثم أتاني حاجبه فقال : قد أمر لك بجائزة وأرسل لك في الانصراف .

٢٠ (١) الأساح : جمع مسح (بالكسر) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان (٢) معرضا : من أمرض الشيء إذا ظهر وبرز .

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال : إنما الدنيا سُوقٌ من الأسواق ، فمنها تخرج الناس بما ينفعهم وبما يضرهم ،
وكم من قوم قد غرهم مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم فخرجوا
من الدنيا مُرَمِلِينَ لم يأخذوا لِمَا أَحَبُّوا من الآخرة عُدَّةً ولا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً ،
واقسم ما جمعوا من لم يحمّذهم وصاروا الى من لا يعذرهم . فانظر الذي تُحِبُّ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فَقَدِّمه بين يديك حتى تخرج اليه ؛ وانظر الذي تَكْرَهُ أن
يكون معك اذا قَدِمْتَ ، فابتغ به البدل حيث يجوز البدل ؛ ولا تذهب الى سِلْعَةٍ
قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك . يا أمير المؤمنين ، افتح الأبواب ، وسهل
المجانب ، وانصر المظلوم .

١٠ مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

كتب ابن هبيرة الى الحسن وابن سيرين والشعبي فَقَدِمَ بهم عليه ، فقال
لهم : إن أمير المؤمنين يكتب الي في الأمر ، إن فعلته خفتُ على ديني ، وإن لم أفعله
خفتُ على نفسي ؛ فقال له ابن سيرين والشعبي قولا رَقَّقَا فيه ، وقال له الحسن :
يا بن هبيرة ، إن الله يمنُّك من يزيد ، وإن يزيد لا يمنُّك من الله . يا بن هبيرة ، خِفْ
الله في يزيد ولا تخفْ يزيد في الله . يا بن هبيرة ، إنه يُوشِكُ أن يبعث الله اليك مَلَكًا
فَيُنْزِلَكَ عن سريرك الى سَعَةِ قَصْرِكَ ، ثم يخرجك عن سَعَةِ قَصْرِكَ الى ضيقِ قَبْرِكَ ،
ثم لا يُنجِيكَ إلا عَمَلُكَ . يا بن هبيرة إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ فأمر له
بأربعة آلاف درهم وأمر لابن سيرين والشعبي بالفين ؛ فقالا : رَقَّقْنَا فَرَّقَقْنَا لَنَا .

باب من المواعظ

كلام للحسن

قال في كلام له : أُنْتُكُمْ أَنْحُرُ الْأُمَمِ وَأَنْتُمْ أَنْحُرُ أَشْجَمِكُمْ ، وقد أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ فَمَاذَا
تَنْتَظِرُونَ ! المعاناة ؟ فَكُنْ قَدْ . هِيَّاتِ هِيَّاتِ ! ذَهَبَتْ الدُّنْيَا بِحَالٍ بِمَالِهَا ،
وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ أَطْوَاقًا فِي أَعْنَاقِ بَنِي آدَمَ ؛ فَيَا لَهَا مَوْعِظَةٌ لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ
حَيَاةً ! إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِكُمْ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ كِتَابِكُمْ ؛
أَنْتُمْ تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ ؛ وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ أَنْ يُلْحَقَ آخِرُكُمْ .
مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَأَى غَايَا رَأْيَا لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ وَلَا قِصْبَةً
عَلَى قِصْبَةٍ ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ ؛ فَالْوَحَا الْوَحَا ، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ . عَلَامَ تَعْرِجُونَ ؟
أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْذَلُونَ . لَقَدْ صَحِبْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ قُرَّةَ الْعَيْنِ
وَجَلَاءَ الصَّدُورِ ، وَكَانُوا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَنْ
تُعَذِّبُوا عَلَيْهِمْ ، وَكَانُوا فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .
إِنِّي أَسْمَعُ حَسِيسًا ، وَلَا أَرَى أُنَيْسًا ؛ ذَهَبَ النَّاسُ ، وَبَقِيَْتُ فِي النَّسْنَاسِ ؛ لَوْ تَكَاشَفْتُمْ
مَا تَدَانْتُمْ ؛ تَهَادَيْتُمُ الْأَطْبَاقَ وَلَمْ تَهَادُوا النَّصَائِحَ . يَا بَنِي آدَمَ . إِنْ دِينَ اللَّهِ لَيْسَ بِالتَّحَلَّى
' وَلَا بِالتَّنْيِ ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَى الْقُلُوبَ وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ .

كلام لبعض الزهاد

لَا تَغْتَرَنَّ بِطُولِ السَّلَامَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الشُّكْرِ ، وَلَا تُعْمِلَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ فِي مَعْصِيَتِهِ ؛
فَإِنْ أَقْلَ مَا يَجِبُ لِمَهْدِيهَا أَلَّا تَجْعَلَهَا ذَرِيعَةً إِلَى مَخَالِفَتِهِ . وَاسْتَدْعِ شَارِدَ النِّعَمِ

(١) كذا بالأصل . (٢) ترذلون : تصيرون أذلالا ، والأرذال : جمع رذل وهو الدون

- بالتوبة ، واستدّم الراهن منها بكرم الجوّار ، واستفتح باب المزيد بحسن التوكّل ،
 أو ما علّمت أن المستشعر لذلّ الخطيئة المخرج نفسه من كلف الطاعة ^(١١) نظف الشاء ^(١٢) ،
 زمر المروءة ، قضى المجلس ، لا يُشاور وهو ذو برّ ^(١٣) ، ولا يُصدّر وهو بهيل الرواء ،
 غامض الشخص ضئيل الصوت تزرّ الكلام يتوقع الإنكاث عند كل كلمة ، وهو
 يرى فضل مزيته وصريح لبه وحسن تفضيله : ولكن قطعه سوء ما جنى على
 نفسه ، ولو لم تطّلع عليه عيون الخليفة لهجست العقول بإدهانه . وكيف يمتنع من
 سقوط القدر وظنّ المتفترس من عرى ^(١٤) من حلية التقوى وسلب طبائع الهدى !
 ولو لم يتفشّ ثوب سريره وقبيح ما أجنّ من مخالفة ربه لقطعه العلم بقبيح ما قارف
 عن اقتدار ذوى الطهارة في الكلام وإدلال أهل البراءة في الندى .

كلام لغيلان

- ١٠ إن التراجع في المواعظ يوشك أن يذهب يومها ويأتى يوم الصاخة ، كل الخلق
 يومئذ مصيخ يستمع ما يقال له ويقضى عليه ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع
 إلا همساً . فاصمت اليوم عما يصمتك يومئذ ، وتعلم ذلك حتى تعلمه ، وابتنه حتى
 تتجده ، وإدرك قبل أن تفجأك دعوة الموت ، فإنها عنيقة إلا بمن رحم الله ، ليهنك
 في دار تسمع فيها الأصوات بالحسرة والويل والثبور ، ثم لا يقالون ولا يستعجبون .
 ١٥ انى رأيت قلوب العباد في الدنيا تخشع لأيسر من هذا وتقسو عند هذا ، فانظر الى
 نفسك أعبد الله أنت أم عدوه ، فيارب متعبده بنسائه ، معاد له بفعله ذلول في الاننياق
 الى عذاب السعير في أمانة أضغاث أحلام يعبرها بالأمانى والظنون . فاعرف نفسك

(١) كذا في الأصل ، وفي البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٩ « كنف العصمة » . (٢) نظف الشاء :

قليله . وزمر المروءة : تليها . (٣) البزلاء : الراى الجيد . (٤) أى بالبن له والمصانة .

(٥) كذا في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٠ ، وفي الأصل « المتغربين » .

وَسَلَّ عَنْهَا الْكِتَابَ الْمُنِيرَ، سُؤَالَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ ، وَعِلْمَ مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ ،
فَإِنَّ الرَّبَّ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَعِزُّ بِالْمُعْذِرِ وَالْمُتَغَيِّرِ ، وَلَكِنْ يَعِزُّ بِالْحَدِّ وَالتَّشْمِيرِ . إِنْ كُنْتَ
نَصِيحَتِي ؛ فَإِنَّهَا كُسُوفَةٌ تَقْوِي وَدَلِيلٌ عَلَى مَفَاتِحِ الْخَيْرِ ، وَلَا تَكُنْ كَعُلَمَاءِ زَمَنِ الْمُهْرَجِ
إِنْ وُعِظُوا انْفُتَوْا ، وَإِنْ وَعِظُوا عَنَّفُوا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

كتاب رجل الى بعض الزهاد

كتب اليه : إِنْ لِي نَفْسًا تُحِبُّ الدَّعَاةَ ، وَقَلْبًا يَأْلَفُ اللَّذَاتِ ، وَهَمَّةً تُسْتَقِيلُ
الطَّاعَةَ ؛ وَقَدْ وَهَمْتُ نَفْسِي الْآفَاتِ ، وَحَدَّرْتُ قَلْبِي الْمَوْتَ ، وَزَجَرْتُ هِمَّتِي عَنْ
التَّقْصِيرِ ؛ فَلَمْ أَرْضَ مَا رَجَعَ إِلَيَّ مِنْهُنَّ ، فَأَهْدِلِي — رَحِمَكَ اللَّهُ — مَا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى مَا شَكُوتُ إِلَيْكَ ؛ فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ .

فكتب اليه : كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ ، وَنَفْسٍ تَطْمَئِنُّ إِلَى
الْبَقَاءِ ، وَالسَّاعَاتُ تَتَقَلَّبُ وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا ؛ فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ ،
وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي لَعَلَّهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقَدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! وَالسَّلَامُ .

وكتب رجل من العباد الى صديق له :

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَفَقِّينَ ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ ، وَرَأَيْتُ الْحَمَّةَ
وَاجِبَةً ، فَلَمْ أَرِ فِي يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ عَمَلٍ حَمَّةٍ ، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بِغَيْرِ يَقِينٍ
مَنْفَعَةً ؛ وَرَأَيْتُ مَنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسِنَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُو مَا وَعَدَتْ وَالْمُحَرَّبِ مِنْ مَخَوْفِ
مَا حُدِّرَتْ ، حَتَّى أَسْلَمَهَا ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحَفُّظُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا
السَّقَطُ^(١) وَالْإِغْفَالُ وَاشْتَعَلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ ، وَدَعَاهَا ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فُضَائِحِ

(١) السقط : الخطأ من القول والفعل .

- اللذات، وهي تعلم أن عاقبتها الندم، وثمرتها العقوبة، ومصيرها إلى النار إن لم يعف الله - عجلت لعمل امرئ كيف لا يشبه يقينه، ولعلم موقن كيف لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه، حتى لا تكون الرغبة منه إلا إليه والرهبة منه إلا له. وزادني عجباً أنني رأيت طالب الدنيا أجد من طالب الآخرة، وخائفها أتعب من خائف الآخرة، وهو يعلم يقيناً أنه ربّ مطلوب في الدنيا قد صار حين نيل حتماً لطالبه، وأنه ربّ مخوف فيها قد لحق كرهاً بالهارب منه فصار حظاً له، وأن المطلوب إليه من أهلها ضعيف عن نفسه محتاج إلى ربه مملوك عليه ماله مخزونة عنه قدرته. واهل أن جماع ما يسعى له الطالب ويهرب منه الهارب أمران: أحدهما أجله، والآخر رزقه، وكلاهما بعينه شاهد على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقيناً لا شك فيه، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يختلف في أمر الدنيا، فيكون خائف الآخرة لربه تخائف الدنيا لسلطانته صبراً له على تجشم المكروه، وتجترأ منه لنعص الغيظ، واحتمالاً منه لفادح النصب، وعملاً له بالسخره، وتحفظاً من أن يضير له على غش أو يهيم له بخلاف؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يظهر له بقوى أو فعيل؛ ولو علمه ما قدر له على قطع أجل لم يقن ورزق لم ينقد؛ فإن ابتلي بالسخط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته، وإن أنس منه رضا عنه فكيف سروره واختياله! فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعضعه واستخذاؤه، فإن ندبه لأمر فكيف يخفنه ونشاطه! وإن نهاه عنه فكيف حذرته وأتاعظه! وهو يعلم أن خالقه ورازقه يعلم سره وجهره، ويراه في متقلبه ومشواه، ويعاينه في فضائحه وعورته، فلم يزعه عنها حياء منه ولا تقيّة له، قد أمره فلم يأتمر، وزجره فلم يزدجر،

وَحَدَّوْهُ لَمْ يَحْدَرْ، وَوَعْدَهُ لَمْ يَرْغَبْ، وَأَعْظَاهُ لَمْ يَشْكُرْ، وَسْتَرَهُ لَمْ يَزِدْ بِالْمَثَرِ إِلَّا تَعَرَّضًا لِلضَّالِّحِ، وَكَفَاهُ لَمْ يَقْنَعْ بِالْكَفَايَةِ، وَهَمَّيْنِ لَهُ فِي رَزَقِهِ مَا هُوَ فِي طَلَبِهِ مُشِيحٌ^(١)، وَيَقْظُهُ مِنْ أَجَلِهِ لِمَا هُوَ غَنَى لَاهٍ، وَفَرَقَهُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَا هُوَ عَنْهُ بِغَيْرِهِ مَشْغُولٌ؛ فَسَبْحَانَ مَنْ وَسَّعَ ذَلِكَ خَلْقَهُ وَتَعَمَّدَهُ مِنْ عِبَادِهِ عَفْوَءٌ؛ وَلَوْ شَاءَ مَا فَعَلُوهُ؛ وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

فأجابه : إني رأيتُ الله تبارك وتعالى جعلَ اليقينَ بأعظيمِ المواضعِ في أمرِ الدنيا والدينِ، فهو غايةُ علمِ العالمِ وبصيرِ البصيرِ ونهيمِ السامعِ، ليس كسائرِ الأشياءِ التي تدخلُها الشبهاتُ ويَجَرُّهَا الْإِغْفَالُ ويشوبُها الوَهْنُ؛ وذلك أن الله تعالى جعلَ مَغْرِسَ الْقَلْبِ؛ وَأَغْصَانَهُ الْعَمَلَ، وَثَمَرَتَهُ الثَّوَابَ. وإنما جَعَلَ الْقَلْبَ لِلْيَقِينِ مَغْرِسًا، لَأَنَّهُ جَعَلَ الْخَمْسَ الْجَوَالِبَ لِعِلْمِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا إِلَى الْقَلْبِ : السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْمَحْسَّةَ وَالْمَذَاقَةَ وَالْأَسْتِرَاحَ. فإذا صارتِ الْأَشْيَاءُ إِلَيْهِ مَيِّزًا بَيْنَهَا الْعَقْلُ، ثُمَّ صَارَتْ بِاجْمَعِهَا إِلَى الْيَقِينِ، فَكَانَ هُوَ الْمَثَبَ لَهَا وَالْمَوْجَّهَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جِهَتَهَا. ولولا معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك، لم يَفَرَّقْ سَمْعٌ بَيْنَ صَوْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَلَا بَصَرٌ بَيْنَ صَوْرَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ، وَلَا مَحْسَّةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ غَيْرِ مُتَشَابِهَيْنِ. ولليقين بعد ذلك منزلة يُعْرَفُ بِهَا حَالُ الضَّائِرِ وَالنَّافِعِ فِي الْعَاقِبَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فلما صار اليقينُ فِي التَّشْبِيهِ كَالشَّجَرَةِ النَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ، أَغْصَانُهَا الْعَمَلُ وَثَمَرَتُهَا الثَّوَابُ، أَخْبَرَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَكُونُ الشَّجَرَةُ نَابِتَةً الْأَصْلَ بِلَا أَغْصَانٍ كَمَا قَدْ يَكُونُ الْيَقِينُ نَابِتًا بِلَا عَمَلٍ؛ وَأَنَّهُ كَمَا لَا تَكُونُ الْأَغْصَانُ نَابِتَةً بِلَا أَصْلٍ، فَكَذَلِكَ لَا يَكُونُ الْعَمَلُ نَافِعًا إِلَّا بِيَقِينٍ؛ وَكَأَنَّهُ لَا تُخْلِفُ الثَّمَرَةُ فِي الطَّيِّبِ وَالكَثْرَةُ إِذَا كَانَ الْأَصْلُ نَابِتًا وَالْأَغْصَانُ مُلْتَفَّةً،

(١) المسيح : الجاذب في الأمر .

- فكذلك يكون الثواب لمن صبح يقينه وحسن عمله . وقد تعرض للأعمال عوارض من العيال : منهم الأمل المشبب ، والنهس الأتارة بالسوء ، والهمى المزين للباطل ؛ والشيطان الجارى من ابن آدم مجرى الدم ، يضررن بالعمل والثواب ؛ ولا يبلغ ضررهن اليقين ، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتدوى أغصانها وتثورقها وتنبع ثمرتها والأصل ثابت ؛ فإذا تجلت الآفة عادت الى حال صلاحها . فإذا يعجبك من عمل امرئ لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاء وخوفه على ربه ؟ فإنما العجب من خلاف ذلك ! ولعمري لو أشبه عمله امرئ يقينه فيكون في خوفه ورجائه كالمعاني لمّا يعاينه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر الى ما وعد وأوعد ، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلا له عن الرجاء ، حتى يأتى على نفسه أول لحظة ينظر بها الى النار خوفا لها أو الى الجنة أسفا عليها اذا حُرِمَها ، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاني له يوم القيامة ؛ وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلا عن أن يعمل ! وأما قولك : « كيف لم يكن خائف الآخرة لربه تكاثف الدنيا لسلطانه » ، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفا وجعله عجولا ، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره ؛ وهو بسجلته موكل بحب الأجل فالأجل مما يشتهى ؛ وزاده حرصا على المخلص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجته الى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طبع عليه القلب من حبه وسهل على المخلوقين من طلبه ، لما انتفع بالدنيا مُتَفِعٌ ولا عاش فيها عائشٌ . ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحبتها عند ابن آدم على وجهين ، أما المكروه فيقول فيه : عسى أن أكون ابتليت به لذنب سلف مني ؛ وأما المحبوب فيقول فيه : عسى أن أكون رزقته بحسنة كانت مني فهو ثواب

(١) في الأصل " يضررون " .

تُجَلَّ ، وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين الى الضيق ، وأن قلوب أكثر مُسلِّطِيهم الى القسوة ، وأن العيب عنهم مستورٌ ، فليس يلتمس ملتصقهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به ، ولا يلتفت من أمرئ الى صلاح سريره دون صلاح علانيته . ومن طباع الإنسان اللؤم ، فليس يرضى اذا خيف إلا بأن يُنْذَل ، ولا اذا رُجِيَ إلا بأن يُتَّعَب ، ولا اذا غَضِبَ إلا بأن يُخَضَّع له ، ولا اذا أمر إلا بأن يُنفَّذ أمره ، ولا ينتفع المتشفع بإحسانه عنده اذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة اذا عصى ، ولا يرى الثواب لازماً له ولا العقاب مجوراً عليه ، فإن عاقب لم يستبق ، وإن غَضِبَ لم يتتبت ، وإن أساء لم يعتذر ، وإن أذنب اليه مذنَّب لم يغفر ، واللطيف الخبير يعلم السريرة فيغفر بها العلانية ، ويمحو بالحسنة عشرة من السيئات ، ويصفح بتوبة الساعة عن ذنوب مائة عام ، إن دُعِيَ أجاب ، وإن استغفر غفر ، وإن أطيع شكر ، وإن عصى عفا ، ومن وراء عبده بعد هذا كله ثلاث : رحمته التي وسعت كلَّ شيء ، وشهادة الحق التي لا يزكو إلا بها عمل ، وشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا كله مثبت لليقين باسط للأمل مُبْطِل عن العمل إلا مَنْ شاء الله وقليل ما هم . فلا تحمل نطف عملك على صحة يقينك فتوهن إيمانك ، ولا ترخص لنفسك في مُقارفة الذنوب ، فيكون يقينك خصماً لك وحجة عليك ، وكذب أملك وجاهد شهوتك ، فانهما داء المخوفان على دينك المعتونان على هلكك . وأسأل الله الغنيمة لنا ولك .

موعظة مستعملة

وكيع عن مسعر عن زيد العمي^(١) عن عون بن عبد الله قال : كان أهل الخير يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات : مَنْ مَلَ لآخرته كفاه الله أمر دنياه ، (١) كذا بالأصل . (٢) بالأصل « المتنع » . (٣) المعتونان : المتعانون . (٤) سمى زيد هذا العمي لأنه كان كلما سئل عن شيء قال « حتى أسأل عمي » وقيل : هو منسوب الى بني العم بطن من تميم (انظر تهذيب التهذيب في اسم زيد بن الحواري) .

ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريره أصلح الله له علانيته .

موعظة لعمر بن عتبة

- العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال :
- كان أبونا لا يرفع المواقظ عن أسماعنا ، فأراد مرة سفرنا فقال : يَا بَنِي تَأَلَّفُوا
 ٥ النعم بحسن مجاورتها ، واتمسكوا المزيد فيها بالشكر عليها ، واعلموا أن النفوس أقبلُ
 شيء لما أُعطيت وأعطى شيء لما سُئِلَتْ ، فاحملوها على مطية لا تُبْطِئُ إذا رَكَبْتُمْ ،
 ولا تُسَبِّقُ وإن تُقَدِّمَتْ ، عليها نجا من هرب من النار ، وأدرك من ساقى إلى الجنة ؛
 فقال الأساغرُ : يَا أَبَانَا مَا هَذِهِ الْمَطِيَّةُ ؟ قال : التوبة .

صفات الزهاد

- حدثني عبد الرحمن العبدى عن يحيى بن سعد السعدى قال :
- سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قال :
- هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين
 نظر الناس إلى عاجلها ، فأما اتوا منها ما خَشَوْا أن يُمَيَّتَهُمْ وتركوا منها ما علموا أن سَيَرُكُهُمْ ،
 ١٥ فصار استكثارهم منها استقلالاً ، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً ، فما عارضهم من نائلها
 رفضوه وما عارضهم من ربيعها بغير الحق وضعوه ، فهم أعداء ما سألَمَ الناسُ وسَلِمُوا
 ما حَادَوْا ، خَلَقَتْ الدُّنْيَا عَنْدهُمْ فَلَيْسَ يَعْمُرُونَهَا ، وَمَاتَتْ فِي قُلُوبِهِمْ فَلَيْسَ يُحِبُّونَهَا ^(٢) ،
 يَهْدُونَهَا وَيَبْنُونَ بِهَا آخِرَتَهُمْ ، وَيَلْعَبُونَ بِهَا وَيَشْتَرُونَ بِهَا مَا يَبْقَى لَهُمْ ، وَنَظَرُوا إِلَى أَهْلِهَا

(١) خلقت (بفتح اللام وضمة) : بليت . (٢) كذا بالأمل غير مستند لضمير الجماعة ،

وروجه أن اسم ليس ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها .

صَرَخِي قَدْ خَلَبَتْ مِنْهُمْ الْمَلَلَةُ فَأَحْيَا ذِكْرَ الْمَوْتِ وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الْحَيَاةِ ، بِهِمْ نَطَقَ
الْكِتَابُ وَبِهِ نَطَقُوا ، وَبِهِمْ عَلِمَ الْكِتَابُ وَبِهِ عَمِلُوا ، لَا يَرُونَ نَائِلًا مَعَ مَا نَالُوا ،
وَلَا أَمْنَا دُونَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا خَوْفًا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ .

• حَدَّثَنِي أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبُوحِيِّ :

٥ ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضي ، فإذا فيهم شاب ذابل
ناجل ، فيقال له عمر : يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أمراض
وأسقام ، فقال عمر : لتصدقنني ، قل : يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها
مرّة فصغر في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حجرها وزهرها ، وكأني أنظر
إلى عرش ربي بارزا ، وإلى الناس يساقون إلى الجنة وإلى النار ، فأظلمات لذلك
نهارى وأسهرت له ليل ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وجنب عقابه .
١٠ بلغني عن إسحاق بن سليمان عن أخيه عن الفياض عن زبيد الياصمي^(١) عن معاذ
ابن جبل :

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ
الَّذِينَ إِذَا ظَاهَبُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يُخْرِجُونَ
مِنْ كُلِّ غُيْرَاءٍ مُظْلِمَةً" .
١٥

وعن وكيع عن عمرو بن منيّه عن أوفى بن دهم قال :

قال عليّ عليه السلام : تعلموا العلم تعرفوا به وأعملوا به تكونوا من أهله ، فإنه
يأتي من بعدكم زمانٌ يُنكر فيه الحق تسعة أعشرا^(٢)تهم لا ينجو فيه إلا كل نومة ، يعني

(١) نسبة إلى يام بطن من همدان ، انظر تهذيب التهذيب في اسم زبيد بن الحارث ، وفي الأمل

٢٠ « النامي » وهو تحريف . (٢) جمع عشير كالعشيرة من عشرة .

الميت الذكر^(١)، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم ليسوا بالعُجَلِ المذاييع^(٢) البدر^(٣) . وقال
 علي عليه السلام أيضا : إن الدنيا قد ارتحلت مُدِيرَةٌ وإن الآخرة قد ارتحلت مُقْبِلَةٌ ،
 ولكل واحدة منهما بُنُونٌ ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .
 ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا .
 ألا من اشتاق إلى الجنة سَلَا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجَعَ عن الحرمات ،
 ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ألا إن الله عبادا كن رأى أهل الجنة
 في الجنة مخلدين وأهل النار في النار مُعَذِّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ،
 وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة ، أما بالليل
 فصافوا أقدامهم ، تجري دموعهم على خدودهم ، يحارون إلى الله : ربنا ربنا
 يطلبون فكأكَ رِقَابِهِمْ ، وأما بالنهار فغمام عُلَمَاءُ بَرَّةٍ أَتَقِيَاءُ كَأَنَّهُم الْقِدَاحُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
 الناظر فيقول : مَرَضَى ، وما بالقوم من مَرَضٍ ، ويقول : خُولُطُوا ، ولقد خالط
 القوم أمرٌ عظيم .

حدثنا إسحاق المعروف بابن رَاهَوِيَّه أن عون بن عبد الله بن عتبة كان يقول :
 يَا بُنَيَّ كُنْ مِّنْ نَّأَى بِه عَمَّنْ نَّأَى عَنْهُ يَقِينٌ وَزَاهِدٌ ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحِمَةٌ ،
 أَيْسَ نَأْيُهُ تَكْبَرًا وَلَا عِظَمَةً ، وَلَا دُنُوهُ يَحْذِيحٌ وَلَا خِلَابَةٌ ، يَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَهُ ، وَهُوَ
 إِمَامٌ مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يَعْبُلُ فِيمَنْ رَأَاهُ وَيَعْفُو إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ ، يَنْقُصُ فِي الَّذِي لَهُ
 وَيَزِيدُ فِي الَّذِي عَلَيْهِ ، لَا يَعْزُبُ حِلْمُهُ وَلَا يَحْضُرُ جَهْلُهُ ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ

(١) في الأصل : « الميت الداء » وما أثبتناه يدل عليه قول أبي عبيدة في تفسير النومة من هذا

الأثر : الخامل الذكر الغامض في الناس (السان مادة نوم) . (٢) جمع مذاييع وهو الذي لا يكتم

السر . (٣) جمع بدر وهو من يبدو السر أي يفشي بين الناس . (٤) كذا بالأصل

والسياق يقتضي أن يكون « ودنا به من » . (٥) رابه : شككه وأوجب عنده الرية .

منه مأمونٌ ، إن رُجِيَ خاف ما يقولونَ واستغفروا لا يعلمون ، إن عصته نفسه
 فيما كرهت لم يُطعمها فيما أحبت ، يصمتُ ليسلم ويخلو ليغم وينطق ليفهم ويخالط
 ليُعلم . ولا تكن يا بُنيَّ ممن يُعجَبُ باليقين من نفسه فيما ذهب وينسى اليقين فيما
 رجا وطلب ، يقول فيما ذهب : لو قد رشيء كان ، ويقول فيما بقي : ابتغ أيها
 الإنسان ؛ تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ، طال عليه الأمل ففتر ،
 وطال عليه الأمد فاعتز وأعذر^(١) إليه فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّرَ بمعذر^(٢) ، عُمِّرَ فيما يتذكر فيه
 من تذكُّر ، فهو من الذنب والنعمة مؤقر ، إن أُعطي لم يشكر ، وإن مُنِع لم يعذر ،
 يُحبُّ الصالحين ولا يعمل عملهم ويُبغضُ المسيئين وهو أحدهم ، يرجو الأجر
 في البغض على ظنه ولا يخشى اليقين من نفسه ، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى
 الرب في خلقه ، يعوذ بالله ممن هو فوقه ، ولا يريد أن يُعِدَّ الله منه من هو تحته ،
 يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله ، يُبصر العورة من غيره
 ويُفعلها من نفسه ، إن صلى اعترض ، وإن ركع رُبض ، وإن سجد نقر ، وإن جلس
 شعر ، وإن سأل ألحف ، وإن سُئِلَ سَوَّفَ ، وإن حَدَّثَ أَخْلَفَ ، وإن وُعِظَ كَلَحَ ،
 وإن مُدِّحَ فَرِحَ ، يُحْسَدُ أن يُفْضَلَ ، ويَزْهَدُ أن يُفْضَلَ ، إن أُفِضَ في الخير برِمَ^(٣)
 وَضَعُفَ واستسلم وقال : الصمتُ حُكْمٌ ، وهذا ما ليس لي به علم ، وإن أُفِضَ^(٤)
 في الشر قال : يُحْسَبُ بي عِيٌّ ، فتكلم يجمع بين الأراوى والنعام وبين الحال والعَمَ
 ولأَمَّ ما لا يتلاءم ؛ يتعلم للرياء ، ويتفقه للرياء ، ويبادر ما يفنى ، ويؤاكل ما يبقى .

- (١) أي أعذر الله إليه ، يقال : أعذر الله إلى من بلغ السنين من العمر ، أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار
 حيث أمهله طول هذه المدة . (٢) بنات له عذر ، يقال : ما أعذر فلان أي لم يثبت له عذر .
 (٣) اعترض : تكلف ، يقال : اعترض فلان الشيء أي تكلفه . (٤) الإخلاف في المستقبل
 كالكذب في الماضي ، وهو أن يقول شيئاً ولا يفعله . (٥) كَلَحَ : كثر في عبوس .
 (٦) سَمَّ وَضَجِرَ . (٧) حُكْمٌ : حكمة . (٨) جمع أروية تقع على الذكر والأنثى من الوعول .

حدثني محمد بن داود عن أبي شريح الخوارزمي قال : سمعت أبا الترييع الأعرج
عمرو بن سليمان يقول :

قال الحسن بن علي : ألا أخيركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني ،
وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه ، كان خارجاً من سلطان بطنه
فلا يتشهى ما لا يحمل ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد
يداً إلا على ثقة لمنفعة ، كان لا يتشكى ولا يتبرم ، كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا
قال بئ القائلين ، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجدد فهو الليث عادياً ، كان إذا
جامع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول ، كان إذا غلب على الكلام
لم يغلب على السكوت ، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول ، كان إذا عرض
له أمران لا يدرى أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه ، كان لا يلوّم
أحدًا على ما قد يقع العذر في مثله . زادني غيره : كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً
وشهوداً عدولاً .^(١)

وفي كلام على رضى الله عنه لأكمل حين ذكر حجب الله في الأرض فقال : هم
بهم العلم على حقائق الأمور ، فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعر المترفون ،
وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل
الاعلى ؛ هاه شوقاً إلى رؤيتهم .^(٢)

قال رجل ليونس بن عبيد : تعلم أحدًا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله
ما أعرف أحدًا يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ! قيل : فيصفه لنا ؛ قال : كان

(١) في الادب الكبير ص ١٣٠ طبع مصر سنة ١٣٣١ : « كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك
في شراء ، ولا يدلي بحجة ، حتى يرى قاضياً الخ » . (٢) في نهج البلاغة ص ١٠٨ ج ٢ طبع
بيروت سنة ١٨٨٥ « آه » وكلتا الكلمتين معناها التوجع .

إذا أقبل فكأنه أقبل من دَفْنٍ حَيْمِهِ ، وإذا جلس فكأنه أُسِيرَ أُمِرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ،
وإذا ذُكِرَتِ النَّارُ فكأنها لم تُخْلَقْ إِلَّا لَهُ .

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا
مَعْمَرُ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : مَا مَثَلُ قُرَاءِ هَذَا الزَّمانِ إِلَّا كَمَثَلِ غَنَمٍ
ضَوَائِنَ ذَاتِ صُوفٍ عَجَافٍ أَكَلَتْ مِنَ الْحَمَضِ ^(١) وَشَرِبَتْ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى انْتَفَخَتْ
خَوَاصِرُهَا ، فَمَرَّتْ بِرَجُلٍ فَأَعْجَبَتْهُ ، فَقَامَ إِلَيْهَا فَعَبَّطَ ^(٢) مِنْهَا شَاةً فَأَذا هِيَ لَا تَنْتَقِ ^(٣) ، ثُمَّ عَبَّطَ
أُخْرَى فَأَذا هِيَ كَذَلِكَ ، فَقَالَ : أَفْ لَكَ ، سَاثِرَ الْيَوْمِ .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار
عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : إِذَا شَتَّتَ لَقِيَّتَهُ ^(٤) أَيْضُ ^(٥) بَضًا حَدِيدَ النَّظَرِ مَيَّتَ الْقَلْبُ وَالْعَمَلُ ، أَنْتَ
أَبْصُرُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ ؛ تَرَى أَبْدَانًا وَلَا قُلُوبَ ، وَتَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا أُنْسَ ، أَخْصَبُ
السَّنَةِ وَأَجْدَبُ قُلُوبَ .

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن وكيع قال :

قَالَ سُفْيَانُ : الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصْرُ الْأَمَلِ ، لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ وَلَا لُبْسِ الْغَلِيظِ .
قَالَ : وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا فِي تَرْكِ الدُّنْيَا مِثْلُ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ
وَسَلْمَانَ ، مَا قَلْنَا لَهُ : إِنَّكَ زَاهِدٌ ، لِأَنَّ الزَّهْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى تَرْكِ الْحَلَالِ الْحَمَضِ ، وَالْحَلَالِ
الْحَمَضِ لَا نَعْرِفُهُ الْيَوْمَ ، وَإِنَّمَا الدُّنْيَا حَلَالٌ وَحَرَامٌ وَشُبُهَاتٌ ؛ فَالْحَلَالُ حَسَابٌ ، وَالْحَرَامُ

(١) الحمض من النبات : بكل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

(٢) عبط الشاة : ذبحها صحيحة من غير علة بها . (٣) لا تنق : ليس لها تقى لضعفها وهزالها .

والنقى : المنيح . (٤) كذا في الأصل ، ولم يتقدم ما يصلح أن يكون مرجعاً للضمير في قوله « لقيته » .

(٥) وفي النهاية لابن الأثير ولسان العرب في مادة « بض » : وفي حديث الحسن « تلقى أحدهم أبيض بضاً » .

(٥) من البضاضة وهي رقة اللون وصفائه .

عذابٌ، والشبهات عتابٌ، فأنزِل الدنيا منزلة الميِّتة خُذْ منها ما يُقيمك، فإن كان ذلك حلالاً كنت زاهداً فيها، وإن كان حراماً لم تكن أخذت منها إلا ما يُقيمك كما يأخذ المضطر من الميِّتة، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً. ومثله قول بعضهم :
ليس الزهد بترك كل الدنيا، ولكن الزهد التهاونُ بها وأخذُ البلاغ منها. قال الله تعالى
(وَشَرُّهُ يَبْمِئِن بِحَيْسِ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) ، فأخبر أنهم زهدوا فيه
وقد أخذوا له ثمناً .

قال أبو سليمان الداراني : الرضا عن الله والرحمة للخلق درجة المرسلين ،
وما تعرف الملائكة المقربون حد الرضا . وقال : أرجو أن أكون قد نلتُ من
الرضا طرفاً، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضياً . قال : وليس
الحمد له أن تحمده بلسانك وقلبك مُقتصرٌ على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك
وقلبك مسلماً راضٍ .

وقال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان : بلغني في قول الله تعالى :
(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَابِ سَلِيمٍ) أنه الذي يلقي ربه وليس فيه أحدٌ غيره ؛ فبكي
وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا . وقال : كل قلب فيه شركٌ
فهو ساقط. قال : وما في الأرض أحدٌ أجده له محبةً ولكن رحمة . وقال : ينبغي
للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء ، فإذا غلب الرجاءُ على الخوف فسَد القلبُ .
وقال الفضيل بن عياض : أصل الزهد الرضا عن الله .

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبيجر : أن رجلاً يكنى أبا سعيد كان يقول :
والله ما رأيتُ قراءَ زمان قطَّ أغلظ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آكلَ لُحْخ العيش منكم .

أبو أسامة عن حماد بن زيد عن اسحاق بن سويد قال :

قال مطرف: أنظروا قوما اذا دُكروا دُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وقوماً اذا دُكروا دُكروا بالفُجور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء .
أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلاً فقال : إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يُمشي اليك، فافعل .
قال أيوب : ما أحب الله عبداً الا أحبَّ ألا يُسْعَر به .

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال : جاء شريح بن عبيد الى أبي عائذ الأزدي فقال : يا أبا عبد الله ، لو أحييت سنة قد تركها الناس : إرخاء طَرْف العيامة من الجانب الأيسر! قال : يا بن أنحى، ما كان أحسنها! تركها الناس فتركها ، ما أحب أن أُصْرَف في خير ولا شر .

كلام من كلام الزهاد

حدثنا حسين بن حسن المروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا عبد الله ابن عبد العزيز قال :

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل : يا فلانُ ، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدٌ للموت ؟ قال : لا ؛ قال : فهل أنت مجمعٌ ^(١) على التحول الى حال ترضى بها ؟ قال : ما شَخَصْتُ نفسي لذلك ؛ قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مُسْتَعْتَبٌ ^(٢) ؟ قال : لا ؛ قال : فهل تأمنُ الموت أن يأتيك ؟ قال : لا ؛ قال فهل رضى بمثل هذا الحال عاقل ! .

حدثنا حسين قال حدثنا عبد الله بن مبارك قال حدثني غير واحد عن معاوية ابن قُزَّة قال :

٢٠ (١) مجمع : طازم . (٢) المستعنب : الطلب الى المني. أن يرجع عن إسمائه .

قال أبو الدرداء : أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث : أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أراض الله عنه أم ساخط عليه . وأبكاني فراق الأحبة : محبة وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر ، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار .

- ٥ . كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من القصار . قال : وقال الفضيل : أصل الزهد الرضا عن الله ، وقال : ألا تراه كيف يزويها عنه ويمرمرها عليه بالعري مرة وبالجوع مرة وبالحاجة مرة ، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها : تسقيه مرة صبراً ومرة حُضْضاً ، وإنما تريد بذلك ما هو خير له .

- ١٠ . وقال السري : ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك ، أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء : أما زهدك في الدنيا فتعجبك الراحة لنفسك ، وأما انقطاعك إلى فتعزك بي ، ولكن هل عادت لي عدواً أو واليت لي ولياً .

- قال مالك بن دينار : بلغنا أن حبراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء ، فغمز بعض بنيه النساء ، فرآهم فقال : مهلاً يا بني مهلاً ! قال : فسقط عن سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقُتِل بنوه في الجيوش . وقيل له : ما يكون من جنسك حبراً أبداً ، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً .

(١) القصار : المحوّر للثياب ، منى بذلك لأنه يدفها بالقصرة التي هي قطعة من الخشب .

(٢) يمرمرها : يجبرها ويعذبها . (٣) عصارة شجر مر . (٤) الحضض

(بضم أوله مع ضم ثانيه أو فتحه) : دواء يعقد من أبوال الإبل ، ويقال على صمغ من نحو الصنوبر والمتر

له مرة كالفلل . (٥) النخاع : الحيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتشعب منه

شعب في الجسم .

قَتْمَةُ بْنُ رَبِيعَةَ قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهْمَ يَقُولُ : إِرَضَ بِاللَّهِ صَاحِبًا وَدَعِ
النَّاسَ جَانِبًا .

كَانَ يُشْرِبُ مِنَ الْحَارِثِ يَقُولُ : أَرْبَعَةٌ رَفَعَهُمُ اللَّهُ بِغَيْرِ كَبِيرٍ عَمَلٍ فِي الظَّاهِرِ
إِلَّا بِطِيبِ الْمَطْعَمِ : إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهْمَ وَسَالِمُ الْحَوَاصِ وَوُهَيْبُ الْمَكِّيُّ وَيُوسُفُ
ابْنُ أَسْبَاطَ .

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ أَوْغِيْرُهُ عَنِ الْعُتْبِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : أَرْبَعٌ لَيْسَ عَلَيْكَ
فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ حِسَابٌ : سَدُّ الْجُوعِ ، وَبَرْدُ الْعَطَشِ ، وَسِتْرُ الْعَوْرَةِ ، وَالْأَسْتِكْنَانُ ؛
ثُمَّ تَلَا : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى) .

بَلَّغْنِي عَنْ يَعْلَى عَنْ سُفْيَانَ : قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَجُلٍ : كَيْفَ أَنْتُمْ ؟ قَالَ :
نَرْجُو وَنَخَافُ ؛ قَالَ : مِنْ رَجَاءٍ شَيْئًا طَلِبُهُ ، وَمِنْ خَافٍ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ ،
مَا أَدْرِي مَا خَوْفُ رَجُلٍ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ فَلَمْ يَدْعُهَا لِمَا يَخَافُ ! وَمَا أَدْرِي
مَا رَجَاءُ رَجُلٍ نَزَلَ بِهِ بَلَاءٌ فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو .

بَلَّغْنِي عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : إِنْ كَانَ الْفَضْلُ
فِي الْجَمَاعَةِ فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعِزْلَةِ . وَبَلَغَ الْفُضَيْلَ هَذَا فَقَالَ : سَمِعْتُ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْهُ !
قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : رَكِبْتُ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ السَّفِينَةَ فَقُلْتُ : بَايَ
شَيْءٍ أَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْكَلَامَ ؟ فَقُلْتُ : مَا تَقُولُ فِي الصُّومِ فِي السَّفَرِ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا هِيَ
الْمُبَادَرَةُ ؛ بِخَاءِ نِيَّ وَاللَّهِ بِفَتْوَى غَيْرِ فَتْوَى إِبْرَاهِيمَ وَالشَّعْبِيِّ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : قِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ : مَا مَالُكَ ؟
فَقَالَ : الثَّقَةُ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : إِنَّهُ
لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكُمْ ، فَأَثَرُ نَفْسِكَ أَيْهَا الْمَرْءُ بِالنَّصِيحَةِ عَلَيَّ

ولذلك ، واعلم أنك إنما تخلف مالك في يد أحد رجلين : عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له ، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له ؛ فارجُ لمن قدّمتَ منهم رحمة الله ، وثقُ لمن خلقتَ منهم برزق الله .

وقال أبو حازم : إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففى أدناها ما يكفيك ، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك .

ونظر أبو حازم الى الفاكهة في السوق فقال : موعِدُك الجنة . ومَرَّ بالجزارين فقال له رجل منهم : يا أبا حازم ، هذا سمينٌ فاشتر منه ؛ قال : ليس عندي ثمنه ؛ قال أنا أنظرك ؛ ففكر ساعة ثم قال : أنا أنظر نفسي .

قال سُفيان : حَلَفَ أبو حازم بالجلسائه : إني لأرضى أن يتقَّ أحدكم على دينه كما يتقَّ على نَعْلِهِ .

حدثني محمد بن زياد الزياتي قال حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الصَّحَّةُ وَالْقَرَأُغُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» .

حدثني محمد بن عيسى قال حدثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال : سمعتُ الحسن يقول : إِبْنُ آدَمَ ، إِنَّمَا أَنْتَ عَدَدٌ ، فَإِذَا مَضَى يَوْمٌ فَقَدْ مَضَى بَعْضُكَ .

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي عن الحسن بن ذكوان رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أوصاني ربِّي بتسع خصالٍ وإني مُوصيكم بها :

(١) كذا بالأصل . ولم نجد فيما بين أيدينا من المصادر أن «يتق» يتعدى بحرف «على» قلله بحرف

عن «يتق» والإبقاء على الشيء : الإبقاء والمحافظة عليه .

بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى،
وأن أعفو عن ظلمي، وأصل من قطعني وأعطى من حرمي، وأن يكون صمتي
تفكراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عبراً» .

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال : كان ابن عمر يقول : البرُّ
شيء هين : وجه طليق وكلام لين .

جعفر بن سليمان قال : سمعت مالكا يقول : اتقوا السحارة، فإنها تسحر
قلوب العلماء . قال : وسمعت يقول : وددت أن رزقي في حصاة أمصها حتى
أموت، ولقد اختلفت إلى الخلاء حتى استحييت من ربي .

يشر بن مصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال : في الجوع
ثلاث خلال : حياة القلب، ومذلة النفس، ويورث العقل الدقيق السماوى .

سالم بن سالم البسختي عن السري بن يحيى قال : كان الحسن إذا عاد مريضاً
لم ينتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازة لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً .

خلف بن تميم قال : قال رجل لإبراهيم بن أدهم : يا أبا إسحاق، أحب أن تقبل
منى هذه الجبة كسوة ؟ قال إبراهيم : إن كنت غنياً قبلتها منك ، وإن كنت فقيراً
لم أقبلها ؛ قال : فأني غني ؟ قال : كم عندك ؟ قال : ألفان ؛ قال : فيسرك أن
تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت فقير، لا أقبلها .

قال عبيد الله بن عمر : دخلت أنا ويحيى بن سليمان على الفضيل نعوذ به ، فقال :
زوجهك وخولك وصرف وجوه الناس إليك وأنت تشغلك عنه من أنت وما أنت !
ثم شفق شهقةً ، وأصبحه رجل كان عنده وغطى عليه ثوباً وهو لا يعقل ، ونزلنا .

بكار بن عبد الله عن إبراهيم بن عبد الله بن مسلم قال :

قال أبو حازم : السِّرُّ أَمَلُكَ بِالْعَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسِّرِّ، والفعلُ أَمَلُكَ بالقول من القول بالفعل ، فإذا كُنْتَ في زمانٍ يُرَضَى فيه من الفعل بالقول ومن العمل بالعلم ، فأنت في شرِّ زمانٍ وشرِّ أناس .

ابن أبي الحوارى قال : ذكرت لأبى سليمان أمرأتى والشغل بها ، فقال :
 ٥ إن علم الله من قلبك أنك تريد الفراغ له فزغك ، وإن كنت إنما تريد الراحة منها لتستبدل بها ، فهذه حماقة . قال : ورأيت حين أراد الإحرام فلم يلبَّ حتى سرنا ملياً وأخذه كالغشي وجعل رأسه عند ركبته فجعل يحمله يخف ويحلى يثقل حتى سرنا هويّاً ، ثم أفاق فقال : يا أحمد ، بلغنى أن الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام « يا موسى مر ظلمة بنى إسرائيل أن يقللوا من ذكرى ، فإنى أذكر من ذكرى منهم بلعنة حتى يسكت » . ويحك يا أحمد بلغنى أنه من حج من غير حله ثم لبي ،
 ١٠ قال له تبارك وتعالى : لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يدك ؛ فما يؤمننا أن يقال لنا ذلك . قال وقال أبو سليمان : يحيىك وأنت فى شيء من الخير فيشير لك الى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعيرة ؛ يعنى إبليس .

قال المسيح لأصحابه : بحق أقول لكم ، إن من طلب الفردوس فخير الشعير له والنوم فى المزابل مع الكلاب كثير .

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبى هند عن مكحول قال :
 ١٥ كنا أجنة فى بطون أمهاتنا فسقط من سقط وكنا فىمن بقي ، ثم كنا مرأضع فهلك منا

(١) وردت هذه الكلمة مرسومة فى الأصل هكذا : « وانما كنت » . ومن المحتمل أن يكون

صوابها « إما كنت » : على أنها « إن » الشرطية مدغمه فى « ما » الزائدة ، فكتبها النسخ « إنما »

(٢) هويّاً : ساعة من الليل . (٣) جمع مرضع (بفتح الضاد) أى رضيع .

من هلك وبقي من بقي، وكنا أيفاعاً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شبانا، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخاً لا أباك فما ننتظر وما نريد! وهل بقيت حالة ننتقل إليها .

قال وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغم، فيأتيه الله برزقه من قبل سرته، وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا سقط استهل استهلالاً إنكاراً لمكانه، وقطعت سرته وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتناوله بكفه، حتى إذا اشتد وعقل قال : أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حجرها تُرزق حتى إذا عقلت وشببت قلت : هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ (يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) .

عبد الملك بن عبد العزيز قال : كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبال القبلة، ففقدنا إليه بعد العصر فقال : بلغني أنه من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ألف مرة في دُبر صلاة العصر، رُفع له عمل نبي، ثم قال : قد أكثر الكلام .

وقال سعيد بن عمر الكندي دخل رجل على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بله في الماء بملح جريش^(٢)، فقال له : كيف تشتهي هذا! قال : أدعني حتى أشتيه^(١) . ونحو هذا قول هشام بن عبد الملك لسالم : ما أدمك^(٣)؟ قال : الزيت؛ قال : أما تأججه^(٤)؟ قال : إذا أجمته تركته حتى أشتيه . قال : وكان ماء داود في دَنٍّ^(٥) مقير في الصيف

(١) في الأصل : «مله» . (٢) جريش : لم يطيب . (٣) الأدم (بالضم) : ما يؤكل

به الخبز أي شيء كان . (٤) تأججه : تكرهه وتمله . (٥) مقير : مطلى بالقار وهو شيء أسود

٢ . تطل به السفن، وقيل هو الزفت .

والشتاء، فقال له بعض أصحابه : لو بردت الماء ! فقال داود : اذا أصبت في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فميتي ثميت الموت ! .

سعيد بن عمرو عن رجل قال : قال محمد بن واسع : لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إلى منكم اثنان . وقال محمد بن واسع : لا يطيبُ المالُ إلا من أربع : سهم في قِءِ المسلمين ، أو عطية عن ظهريد ، أو إرث بكتاب الله ، أو تجارة من حلال ؛ ولا يُقتل مسلم إلا بهذه الخصال : كفر بعد إسلام ، أو زنا بعد إحصان ، أو قتل فيقتل ، أو حارب الله ورسوله وقطع الطريق .

قال سليمان بن المغيرة سمعت ثابتاً يقول : والله لحمل الكارات أهون من العبادة . قال : ولا يُسمى الرجل عبداً وإن كانت فيه خصلةٌ من كل خير حتى يكون فيه الصوم والصلاة ، فإنهما من لحمه ودمه .

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيّان قال : كان عيسى بن عتبة يسجد حتى إن العصافير ليقعن على ظهره ويتزلن ، ما يحسبته إلا حرم حائط .

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال : شكأ أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ! . قال : وسمعتة يقول : استخبروا الله ولا تتخبروا عليه ، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه ! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس فأعطىها فأيسر نصار نصرانياً^(١) .

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال قال وكيع : أبو يونس ، ومن أبو يونس ! بكي حتى عمي ، وطاف حتى أقعد ، وصلى حتى حذب .

(١) طرسوس بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وكان الزداد والصالجون يقصدونه لأنه من

نور المسلمين . استول عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ وتعرض وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام ، وأقام بقريسير على الجزية (انظر معجم البلدان في اسم طرسوس) .

حدثني محمد بن عبيد قال محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال :
صلى بنا زُرارة بن أوفى الغداة ، فقرأ الإمام ﴿ فَإِذَا تَقَرَّفَ النَّاقُورُ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ
صَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ، فغز مغشياً عليه ، حملناه ميتاً .

ابن أبي الخوارى قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : الصلاة تُبَلِّغُكَ
نصف الطريق ، والصوم يُبَلِّغُكَ بابَ الملك ، والصدقة تُدْخِلُكَ عليه .

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوب فقال : رحمه الله — ثلاثاً — لقد قَدِمَ المدينة مرةً
وأنا بها ، فقلت : لأقعدنَّ له ، لعل أتعلى عليه بسقطة ، فقام من القبر مقاماً ما ذكرته
قط إلا أقشعرت جلدي .

روى ابنُ عيَّاش عن سعيد بن أبي عمرو بن عروة قال : حجَّ الحجاج فنزل بعضَ المياه
ودعا بالغداة ، فقال لحاجبه : انظر من يتعدى معي وأسأله عن بعض الأمور ؛
فنظر الحاجبُ فإذا هو بأعرابيٍّ بين شِملتين من شعرٍ نائم ، فضربه برجله وقال :
أنت الأمير فأتاه ؛ فقال له الحجاج : اغسلْ يديك وتعدَّ معي ؛ قال : إنه دعاني من
هو خير منك فأجبتُه ؛ [فقال له الحجاج : من الذي دعاك ؟] . قال : الله تعالى دعاني
إلى الصوم فصُمتُ ؛ قال : في هذا اليوم الحار ! قال : نعم صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه ؛
قال : فأفطر وتصوم غدا ؛ قال : إن ضمنت لي البقاء إلى غد ؛ قال : ليس ذاك
إلى ؛ قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه ! قال : إنه طعامٌ طيبٌ ؛
قال : إنك لم تُطِيبْهُ ولا الحَبَّاز ، ولكن طِيبْتَهُ العافية .

ونحو هذا حدث الأصمعي عن شبيب بن شيبه قال : كنَّا في طريق مكة بجاء
أعرابيٍّ في يومٍ صائفٍ شديدٍ الحرِّ ومعه جاريةٌ سوداءٌ وصحيفةٌ ، فقال : أفيكم

كاتب ؟ قلنا : نعم ؛ وحضر غداؤنا فقلنا : لو دخلت وأصبحت من الطعام ! قال :
 إني صائم ؛ قلنا : في الحر وشدة وجفَاء البادية ! فقال : إن الدنيا كانت ولم أكن
 فيها ، وستكون ولا أكون فيها ، ولا أحب أن أعين أيامي ، ثم نبذ إلينا الصحيفة ،
 وقال : أكتب ولا تزيد على ما أقول حرفا : هذا ما أعتق عبدُ الله بن عقيل
 الكلبي ، أعتق جارية له سوداء يقال لها لؤلؤة ، ابتغاء وجه الله تعالى وجواز العقبة ،
 وإنه لا سبيل له عليها إلا سبيل الولاء ، المنة لله عليها وعليه واحدة . قال الأصمعي :
 فحدثت بها الرشيد ، فأمر أن يُعتق عنه ألف نسمة أو مائة نسمة ، ويكتب لهم
 هذا الكتاب .

قال خالد بن صفوان : يث أتمنى ليلتي كلها ، فكَبَسْتُ البحر الأخضر بالذهب
 الأحمر ، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطمران ! .

رأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له ، فقال : هذا بعد ما كنتم
 فيه من الدنيا ! فقال : رحمك الله ، ما فقدنا إلا الفضول .

سمعت بعض العباد يقول : علامة التوبة الخروج من الجهل ، والندم على
 الذنب ، والتجافي عن الشهوة ، واعتقاد مَقْتِ نفسك المسؤلة^(١) ، وإخراج المظلمة ،
 وإصلاح الكسرة ، وترك الكذب ، وقطع الغيبة ، والابتغاء عن خذن السوء .

لقي زاهدا زاهدا فقال له : يا أحمى ، إني لأحبك في الله ؛ قال الآخر :
 لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله ؛ قال له الأول : لو علمت منك
 ما تعلم من نفسك ، لكان لي فيما أعلم من نفسي شغل عن بغضك .

(١) في الأصل : « المسؤلة » .

كان الثوري مستخفياً بالبصرة، فورد عليه كتاب من أهله، وفيه : " قد بلغ بنا الجهد الى أن نأخذ النوى فنرضه ثم نخلطه مع التبن فناكله "؛ فخره ذلك من قلبه، ورعى بالكتاب الى أخ له ؛ فقرأه فدمعت عينه، ثم قال : يا أبا عبد الله، لو أنك حدثت الناس اتسعت واتسع هؤلاء ! فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : إسمع حديثاً أحدثك به ثم لا أكلمك بعده سنة : رُئِيَ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ تَجَلَّدُ ، فقيل : ما هذا النور ؟ فقيل : حَوْرَاءُ ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا فَبَدَتْ شَايَاهَا ؛ فترى لي أن أغرر بترك وأصير الى ما تقول !

أراد قومٌ سفرًا فحادوا عن الطريق وانتهوا الى راهبٍ منفردٍ في ناحية ، فنادوه فأشرف عليهم ، فقالوا : إنا قد ضلَلنا فكيف الطريق ؟ قال لهم : ها هنا ، وأوما الى السماء ، فعلموا الذي أراد ، فقالوا : إنا سائلوك ، أفتجيبنا أنت ؟ قال : سلوا ولا تُكثروا ، فات النهار لن يرجع والعمر لن يعود والطالب حثيثٌ في طلبه ذو اجتهاد ؛ قالوا : ما الخلق عليه ضداً عند مليكهم ؟ فقال : على نياتهم ؛ فقالوا : فالأم الموءل ؟ قال : الى المُقَدَّم ؛ قالوا : أوصنا ؛ قال : تزودوا على قدر سفركم ، فان خير الزاد ما بلغ المحل ؛ ثم أرشدهم الى المحجة وانقمع^(١) .

وقال آخر : قلت لراهب : عِظْنِي عِظَةً بِنَافَعَةٍ ؛ فقال : جَمِيعُ الْمَوَاعِظِ مُنْتَظِمَةٌ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ؛ قلت : ما هو ؟ قال : مُجْمَعٌ عَلَى طَاعَتِهِ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ حَوَيْتَ الْمَوَاعِظَ وَالْأَذْكَارَ .

الأصمعي : قيل لأعرابيٍّ معه ماشيةٌ : لمن هذه الماشية ؟ قال : لله عندي .

كان ابن السماك يقول في كلامه : لقد أهملكم حتى كأنه أهملكم ، أما تستحيون

من الله من طول ما لا تستحيون !

(١) انقمع المره : جلس وحده .

قال بكر بن عبد الله : اجتهدوا في العمل ، فإن قَصَّرَ بكم ضعفٌ فكُفُّوا
عن المعاصي .

كان مالك بن دينار يقول في قصصه : ما أشدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :
وتزوُّضُ عِرْسِكَ بعد ما هيرمت * ومن العناءِ رياضةُ الحرِّمِ

كان أعرابيُّ يسرق الإبلَ يُسمَّى يزيد ، ثم تاب وقال :
أَلَا قُلْ لِرُعَيَانَ الْخَائِضِ^(١) أَهْمَلُوا * فقد تاب مما تعلمون يزيد
وإنَّ امرأً ينجو من النار بعد ما * تزوّد من أعمالها لسعيد
وقال نصيب الأسدي :

كفى نَطْفًا^(٢) بالمرءِ يا أمَّ صالح * ركوبُ المعاصي عامدًا واحتقارُها

كان خالد بن معدان يقول :
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدًا * نَدِمْتَ على التفريطِ في زمن البذرِ
قال منصور بن عمار : ما أرى إساءةً تكبرُ عن عفو الله فلا تأيس ، وربما
أخذ الله على الصغير فلا تأمن .

وروى وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عتيبة بن سَمْعَانَ عن مُسَيِّكَةَ عن
عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بصَحْفَةٍ فيها خبرُ شعيرٍ
وقطعةٌ من الكَرِشِ ، فقالت : يا رسول الله ، ذَبَحْنَا اليومَ شاةً فما أمسكنا منها إلا هذا ؛
قال : « بل كُلُّها أمسكتم إلا هذا » .

(١) في اللسان (مادة بمر) : « لرعيان الأباغر » .

(٢) النطف (بالتحريك) : العيب .

استقبل عامر بن عبد قيس رجلاً في يوم حلبة ، فقال : من سبق يا شيخ ؟
فقال : المقربون . وأتى به عثمان وأُقيد في دهليزه ، فلما خرج رأى شيخاً يبطا
في عباءة ، فأنكر مكانه ، فقال : يا أعرابي أين ربك ؟ قال : بالمرصاد .

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمّرتُم
الدنيا وأحربتم الآخرة ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال الحسن : نعم الله أكثر من أن تُشكر إلا ما أطانَ عليه ، وذُنوبُ ابن آدم
أكثر من أن يُسَلَمَ منها إلا ما عفا الله عنه .

وقال الحسن : تنفق دينك في شهوتك سرفاً ، وتمنع في حق الله درهما ، ستعلم
بالصكع .

خرج المسيح من بيت مُوسى ، فقبل له : يارُوحَ الله ، ما تصنع عند هذه ؟
فقال : إنما يأتى الطبيبُ الى المَرَضَى . ومَرَّ بقوم شتموه فقال خيراً ، ومَرَّ بآخرين
شتموه فقال خيراً ؛ فقال رجل من الحواريين : كلما زادوك شراً زدت خيراً ، كأنك
تُغريهم بنفسك ! فقال : كل إنسان يُعطى مما عنده .

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للذنين ؛ فقال سليمان : فلين
رحمة الله ؟ قال : قريبٌ من المحسنين .

قال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب : عِظْنِي ؛ فقال : لا أرضى نفسى لك ،
إني لأُصَلِّي بين الغنى والفقر ، فأميل على الفقير وأوسع للغنى .

نظرت امرأة الى أخرى وحوّلها عشرةً من ولدها كأنهم الصقور ، فقالت :
لقد ولدت أمم حزنًا طويلاً .

(١) كذا بالأصل . وفي البيان والتبيين (ج ٣ ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٣٣٢ هـ) : «أعرايا
أشغى في بيت » .

أَحْضِرْتَنِي كَانَ فِيهِ زَهْوٌ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِذَا أَبَوَاهُ يَبْكِيَانِ ، فَقَالَ لَهَا : مَا يُبْكِيَا ؟
قَالَا : الْخَوْفُ عَلَيْكَ لِإِسْرَافِكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَقَالَ : لَا تَبْكِيَا ، فَوَاللَّهِ مَا يَسُرُّنِي أَنْ أَلْقَى
بِيَدِ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ بِأَيْدِيَا .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا ابن آدم لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي
لم يَأْتِ عَلَى يَوْمِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، فَإِنَّ يَوْمَكَ مِنْ أَجَلِكَ يَأْتِي فِيهِ رِزْقُكَ ، وَأَهْلُكَ أَنْكَ
لَا تَكْسِبُ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا فَوْقَ قُوَّتِكَ إِلَّا كُنْتَ فِيهِ خَازِنًا لِفَيْدِكَ . قال النابغة
في نحوه :

وَلَسْتُ بِجَابِسٍ لِقَدِّ طَعَامًا * حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ

تَذَاكَرُ حَذَيْفَةَ وَسَلْمَانَ أَمَرَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : وَمَنْ أَعْجَبَ مَا تَذَاكَرْنَا
صَعُودُ غُنَيَّاتِ الْغَامِدِيِّ سِرِيرِ كَسْرِي ، وَكَانَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ غَامِدٍ يَرْغَى شَوْيَهَاتٍ لَهُ ،
فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ صَبَّرَهَا إِلَى عَرِصَةِ إِيوَانَ كَسْرِي ، وَفِي الْعَرِصَةِ سِرِيرُ رُخَامٍ كَانَ يَجْلِسُ
عَلَيْهِ كَسْرِي ، فَتَصَعَّدَ غُنَيَّاتِ الْغَامِدِيِّ إِلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ .

دخل أبو حازم المسجد فوسَّس إليه الشيطان : إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ بَعْدَ وُضُوئِكَ ،
فَقَالَ : وَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِنْ نَصَبِكَ ! .

قال الزبير : يَكْفِينَا مِنْ خَضَمَتِكَ الْقَضَمُ ، وَمِنْ نَصَبِكَ الْعَنَقُ . قال رجلٌ لَأُمِّ الدُّرْدَاءِ :
إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَلْبِي دَاءً لَا أَجِدُ لَهُ دَوَاءً ، أَجِدُ قَسْوَةً شَدِيدَةً وَأَمَلًا بَعِيدًا ، قَالَتْ :
إِطْلُعْ فِي الْقُبُورِ وَأَسْمِدِ الْمَوْتَى .

(١) الخضم : الأكل بأنمى الأضراس . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والعنق (بالتحريك) :

سير مسطر نسيح واسع الإبل . والنص : استقصاء ما عند الدابة من السير . يريد أن يقول : يكفيني
منكم القليل بدل الكثير .

قيل للربيع بن خيثم : لو أرحت نفسك ! قال : راحتها أريد .

قال رجل من الصالحين : لو أنزل الله كتاباً أنه معذبٌ رجلاً واحداً لحفتُ أن أكونه ، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه ، أو أنه مُعَذِّبٌ لا محالة ما ازددتُ إلا اجتهداً لئلا أرجعَ على نفسي بلائمة .

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة ، فقال لهم : دَعُونَا مِنَ الشَّاءِ ، وَأَمِدُّونَا بالدعاء .

قيل لبعض العباد : مَنْ شَرُّ النَّاسِ؟ قال : مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مَسِيئًا .

قال المسور بن مخرمة : لقد وارت الأرضُ أقواماً لورأوني معكم لاستحييتُ منهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْلِكُ وَالنَّجَاةُ مَعَهُ ؛ قِيلَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْاسْتِغْفَارُ .

كَانَ فَتًى يُحَالِسُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَلَا يَتَكَلَّمُ ، وَكَانَ سُفْيَانُ يَحِبُّ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِيَسْمَعَ كَلَامَهُ ، فَمَرَّ بِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ : يَا فَتَى ، إِنْ مَنِ كَانَ قَبْلَنَا مَرُّوا عَلَى خَيْلٍ وَبَقِينَا عَلَى حِمِيرٍ دَرَبَةٍ ؛ فَقَالَ الْفَتَى : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنْ كُنَّا عَلَى الطَّرِيقِ فَمَا أَسْرَعَ لِحُقُوقِنَا بِالْقَوْمِ ! .

قال الحسن : إِنْ خَفَقَ النَّمَالُ خَلْفَ الرِّجَالِ قَلَّ مَا تَلَبَّثَ الْحَقُّ . وَذَكَرَ عَنْهُ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ ، فَقَالَ : مَا لَهُمْ تَفَاقَدُوا ! — ثَلَاثًا — أَكُنُوا الْكِبَرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَظْهَرُوا التَّوَاضُّعَ فِي لِبَاسِهِمْ ، وَاللَّهُ لِأَحَدِهِمْ أَشَدَّ عُجْبًا بِكَسَائِهِ مِنْ صَاحِبِ الْمِطْرَفِ بِطَرَفِهِ . وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَوَجَدَ عِنْدَهُ رِيحَ قَذَرٍ طَيِّبَةٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، إِنْ قَدَّرَكَ لَطِيبَةٌ ؛ قَالَ : نَعَمْ لَا رَغِيْفِي مَالِكٍ وَصَحْنَاهُ فَرَقَدَ .

٢٠ (١) تَفَاقَدُوا : دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَفْقَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . (٢) كَذَا بِالْأَصْلِ وَالْمَعْنَى غَيْرُ رَاضٍ .

طَلِبَ أَبُو قَلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَأَحَقَّ بِالشَّامِ هَرَبًا، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ قَسِمَ الْبَصْرَةَ؛ قَالَ
أَيُّوبُ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ وَلَيْتَ الْقَضَاءَ وَعَدَّاتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ
أَجْرًا؛ قَالَ لِي : يَا أَيُّوبُ، إِذَا وَقَعَ السَّابِجُ فِي الْبَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسْبَحَ !

قَالَتْ امْرَأَةٌ أَبِي حَازِمٍ يَوْمًا لَهُ : يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ وَلَا بَدَّ لَنَا مِمَّا
يُصْلِحُنَا فِيهِ، فَذَكَرَتِ الثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالْحَطَبَ؛ فَقَالَ : مِنْ هَذَا كُلُّهُ بُدٌّ، وَلَكِنْ
خُذِي مَا لَا بَدَّ مِنْهُ : الْمَوْتَ ثُمَّ الْبَعْثَ ثُمَّ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ.

قال أبو العتاهية :

أَطِيعِ اللَّهَ بِجُوهْدِكَ * عَامِدًا أَوْ دُونَ جَهْدِكَ

أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَط * لَبِ مِنْ طَاعَةِ عَبِيدِكَ

وقال أيضا :

أَرَى أَنَا سَاءَ بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا * وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعِيشِ بِالدُّنْيِ

فَاسْتَغْنِ بِالْدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اس * تَغْنِي الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال محمد بن حازم :

مَا الْفَقْرُ طَارٌ وَلَا الْغِنَى شَرٌّ * وَلَا سَخَاءٌ فِي طَاعَةِ سَرَفٍ

مَا لَكَ إِلَّا شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ * وَكُلَّ شَيْءٍ أَنْتَرْتَهُ تَلَفٌ

تَرُكُّكَ مَالًا لَوَارِثٍ يَتُّهُ سُدَّ مَاهُ وَتَضَلَّى بِحَزْرِهِ أَسْفُ

وقال أبو العتاهية :

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ * وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالنَّدَمُ

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٌّ تَقِيصَةً * إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَالَكَ أَوْحَجُّ

(١) فِي الْأَصْلِ « كَمْ » مِنْ غَيْرِهَا .

قال علي بن الحسين : الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين .
 قيل لابن سيرين : ما أشد الورع ! قال : ما أيسره ! اذا شككت في شيء فدعه .
 قال رجل لحذيفة : أخشى أن أكون منافقا ؛ فقال : لو كنت منافقا لم تخش .
 وقال محمود الوراق :

يا ناظراً يرنو بعيني راقداً * ومُشاهداً للأمر غير مشاهد
 تصل الذنوب إلى الذنوب وترتبي . * درك الخنايا بها وفوز العابد
 ونسيت أنت الله أخرج آدمًا * منها إلى الدنيا بذنب واحد
 وقال وضاح اليمن :

مالك وضاح دائم الفزلي * ألت تخشى تقارب الأجل
 يا موت ما إن ترأل معترضا * لآمل دون منتهى الأمل^(١)
 تنال كفاك كل مُسهلة * وحوت بحر ومعقل الويل
 صلّ لدى العرش واتخذ قدماً * تُنجيك بعد العثار والزلل
 قيل ليوسف عليه السلام : مالك تجوع وأنت على خزان الأرض ؟ قال :
 أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .
 وقال أمية بن أبي الصلت :

ها طريقان فائز دخل الـ * الجنة حفت به حدائقها
 وفرقة في الجحيم مع فرق الشيطان يشقى بها مرافقها
 تعرف هذا القلوب حقاً اذا * همت بخير فما غوائقها
 وصلتها للشقاء عن طلب الـ * جنة دنيا والله ما حقها

٢٠ (١) لم يوجد في الأصل من هذا الشطر الا كلمة « الأمل » وقد أثبتناه عن الأغاني في ترجمة
 رضاح اليمن .

عبدُ دعا نفسه فعاتبها * يعلم أنَّ البصيرَ رابُّها
 اقترَبِ الوعدَ والقلوبُ إلى اللَّهِ وحبُّ الحياة سائقُها
 ما رغبةُ النفسِ في البقاء وأن * تحيا قليلاً والموتُ لاحقُها
 أمامها قائدُ إليه ويح * مدوها حيثما إليه سائقُها
 قد أيقنت أنها تصير كما * كان يراها بالأُمسِ خالقُها
 وأنتَ ما جمعتُ وأعجبها * من عيشةٍ مُرَّةٍ مُفارِقُها
 مَنْ لم يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا * للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائقُها

قال بعض الزهاد: إنَّ صفاءَ الزهد في الدنيا وكَمالَهُ ألا تأخذَ من الدنيا شيئاً ولا
 تتركه إلا لله، فإذا كنتَ كذلكَ كان أخذُكَ تركاً ومعاملتُكَ لله فيها رِجاءً، وإنَّ صفاءَ
 الرغبة في الدنيا وكَمالَهَا ألا تأخذَ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها، فإذا كنتَ كذلكَ كان
 تركُكَ أخذًا وفوتُ ما فاتَ عليك منها حَسرةً .

حبسَ بعضُ الملوك رجلاً ثم غفلَ عنه إلى أن مضى عليه زمانٌ؛ فقال للوَكَلِ
 به : قل له : إنَّ كلَّ يومٍ يمضي من نعيمك يمضي من بُؤسٍ، والأمرُ قريبٌ،
 والحكمُ الله عزَّ وجلَّ . والسلام .

(١) يقال : مات عبطة إذا مات شاباً صحيحاً .

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه :

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله ،
ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان . والحمد لله رب العالمين ، وصلاةً وسلاماً
على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين .

م. كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى ابراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري ،
وذلك في شهر سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع
شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد ، وليست من تأليف
ابن قتيبة .

EGYPTIAN NATIONAL LIBRARY

‘UYŪN AL-AḤBĀR

BY

IBN QUTAYBA

Abū Muhammad ‘Abdullāh b. Muslim al-Dinawarī
(d. 276 H.)

Vol. II

[2nd EDITION]

NATIONAL LIBRARY PRESS

CAIRO

1996